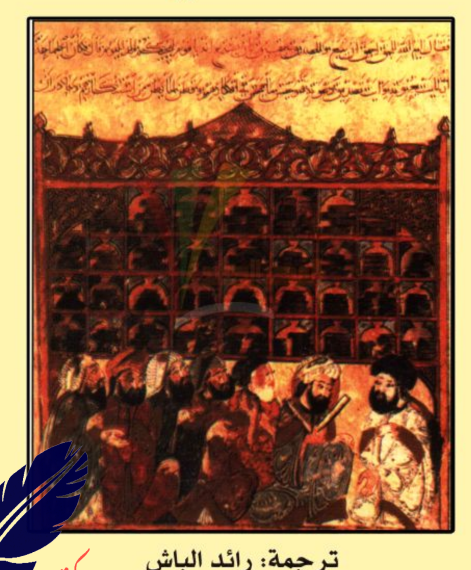
هاينس هالم

الغنوصية في الإسلام



ترجمة: رائد الباش

مراجعة: د. سالمة صالح

منشورات الجمل

هاينس هالم

الغنوصية في الإسلام

ترجمة: رائد الباش
مراجعة: د. سالمة صالح



منشورات الجمل

وُلِد **هاينس هالم** عام ١٩٤٢ في مدينة أندرباخ على نهر الراين/ألمانيا. بدأ في عام ١٩٦٢ دراسة كل من العلوم الإسلامية، والسامية، والعصور الوسطى. مستشرق ألماني يُدرِّس العلوم الإسلامية في جامعة توبنغن؛ خصّ ظاهرة الغنوصية الإسلامية حتى الآن ببحثين مطولين: «**كونيات وعلم الخلاص لدى الإسماعيليين الأوائل**» (١٩٧٨) و«**كتاب الأظلة**» (١٩٧٨-١٩٨١). ناشر مشارك في كل من الدوريات التالية: **عالم المشرق، والإسلام**. كما نشر العديد من الكتب المختصة، منها: «**الشيعة**» (١٩٨٨)، «**الإسلام الشيعي – من الدين إلى الثورة**» (١٩٩٤)، «**الفاطميون وتقاليدهم في التعليم**» (١٩٩٧)، و«**الإسلام – ماضٍ وحاضر**» (٢٠٠٠).

وُلِد **رائد الباش** عام ١٩٧٣ لأسرة فلسطينية لاجئة؛ يقيم في برلين ويعمل في ترجمة الآداب العلمية، يعنى أكاديمياً بدراسة الفيلولوجيا الألمانية الحديثة في الجامعة التقنية – برلين، وبالاستشراق في قسم الدراسات العربية في الجامعة الحرة – برلين. له بعض الترجمات والدراسات في ذات الاختصاص.

وُلِدت **سالمة صالح** عام ١٩٤٢ في الموصل/العراق. درست القانون في جامعة بغداد والصحافة في جامعة لايبزيغ في ألمانيا حيث حصلت على الدكتوراه ١٩٨٦، تقيم في برلين، أصدرت العديد من الأعمال القصصية ونُشر لها العديد من الترجمات الأدبية لمشاهير الكتّاب الألمان.

هاينس هالم: **الغنوصية في الإسلام**، ترجمة: رائد الباش، الطبعة الثانية ٢٠١٠

تلفون وفاكس: ٠٠٩٦١ ١ ٦٦٨١١٨

ص.ب: ١١٣/٥٤٣٨ ـ بيروت ـ لبنان

Heinz Halm: Die islamische Gnosis - Die extreme Schia und die 'Alawiten

Artemis Verlag Zürich und München, 1982

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a. N. - Germany

WebSite: www.al-kamel.de

E-Mail: info@al-kamel.de

مقدمة

١ ـ الغنوص والإسلام(*)

عندما اجتاحت الجيوش العربية سورية ومصر في القرن السابع الميلادي كان التيار الديني الذي يُسميه العلم بـ« الغُنوص » أو بـ« الغُنوصِية »، والذي كان يحظى بأهم مراكزه في الفترة المتأخره من العصور القدمية في هذيّن البلدين، قد قُهِر منذ أمد بعيد. لقد خسر هذا التيار في مُجابهته للكنيسة الكبيرة؛ هكذا ترسخ لاهوت مُناوِءٍ للغنوصية كأُرثوذكسية. وقد اختفت الطوائف البَربِلغُنوصِية والحَناشية والفالانتينية؛ يرجع الفضل في الاكتشاف العظيم للمخطوطات القبطية - الغنوصية في منطقة نجع حمادي في صعيد مصر سنة ١٩٤٥ - على الأرجح - إلى حقيقة اضطرار جماعة غنوصية في القرن الرابع الميلادي إلى وضع مُدوَّناتها في مأمن من غارات المطاردين الأُرثوذكس.

أما خارج حدود الإمبراطورية الرومانية، وعلى الجهة الأُخرى للفُرات، فكان الأمر على غير ذلك. هناك حيث لا تطول يد كنيسة الإمبراطورية البيزنطيّة، استطاعت في ظلِ حكم الملوك الساسانيّين، ليس فقط الكنيسة النسطورية التي أُعتُبِرت هرطوقيّة، ولكن أيضاً كل أنواع الفرق الغُنوصية ذات الأصل المسيحي أو اليهودي أن تفرض نفسها. وعلى الرغم من اضطرار المانويين إلى التراجع أمام الاضطهاد المسيحي لهم في الإمبراطورية الرومانية، إلا أنهم استطاعوا البقاء هناك. إذ كان مقر زعيمِهم في بابل التي أمست منذ أمد بعيد مدينة صغيرة غير ذات أهمِية بالمقارنة مع العاصمة الجديدة قطسفون (= المدائن) طبعاً. وحتى المِندائيون في ذلك الوقت كانوا يعيشون في تلك النواحي الجنوبية من العراق ومازالوا يتواجدون فيها إلى اليوم. وهكذا فلا عجب في أن يحتك الإسلام حديث النشأة بالتعاليم الغُنوصية في العراق تحديداً وأن يطلع عليها.

بعد انتصار قائد الجيش العربي سعد بن أبي وقاص على قائد الحرب الفارسي رُستم في القادسية (غرب الفُرات الأسفل، بالقرب من الكوفة التي أُنشأت فيما بعد) في الأول من حزيران لسنة ٦٣٧م أصبح العراق مكشوفاً للفاتحين المسلميّن: وفي نفس الشهر استطاع سعد احتلال العاصمة الساسانية قطسفون من دون قِتال. شغلت الأخبار حول فتح العاصمة الغنية في التواريخ العربية مجالاً واسعاً، ثم بعد فترة وهن إهتمام المؤرخين بـ «المدائن» – كما سمى العرب المجموعات السكنية واسعة النطاق –، لأنَها فقدت فعلاً وبعد فترة قصيرة من الزمن مكانتها كعاصمة وكذلك لان العرب لم يستوّطنوها بشكلٍ يُذكر، حيث حل مكانها المعسكران العربيان البصرة (أُنشأت في سنة ٦٣٧ أو ٦٣٨م) والكوفة (أُنشأت في سنة ٦٣٨ أو ٦٣٩م)، ومنهما تابع العرب فتوحات الهضاب الإيرانية في السنيّن المُتوالية. ولقد أولت كتب التأريخ العربية اهتمامهما بطبيعة الحال بالأوضاع والأحداث في هاتيّن المدينتيّن العربيتين قبل كل شيء. غالباً وبهذا فقط نتعرف على شيءٍ من التعاليم الغنوصية والمعلمين عندما يظهرون في البصرة أو الكوفة.

ما كان للديانات الغنوصية والفرق في منطقة ما بين النهرين ما يدفعها أن تأمل من الإسلام خيراً؛ إذ أن الثنائية الظاهرة أو المُستَتِرة القائلة بوجود الإله الأول والإله الصانع (الخالق)، أو المذهب القائل بانتشار الإله الأعلى المشكل لأعدادٍ كثيرة من الفيوضات Emanationen والأقانيم Hypostosen كما تتسم بها جميع المدارس الغنوصية، كانت تشكل تماماً النقيض الأحَدً لأهم ما في الإسلام من عقيدة، وبل لعقيدته الوحيدة، الا وهي «التوحيد». إن اسم الفعل، والذي يعني «الاقرار بالوٌحدانية»، يعني (بالعربية: واحد = «واحد أحد»)، أي الشهادة بِوِحدة ووِحدانية الله المطلقة التي تشكل محور الدين الإسلامي، والتي ذهبت بها المذاهب الفقهية الإسلامية المتأخرة فيما بعد إلى درجة أن هذه المذاهب لم تعد تقر لصفات الله ولنُعوته حتى بوجود ذات خاصة. وهكذا لم يعد هناك مكان لانتشار إله مُشكّلٍ لرذاذٍ من الأقانيم والفيوضات. ولذلك وبعد فترة يسقط الغنوص أمام الاضطهادات الإسلامية. إذ تمت إبادة المانوية أو دحرها خلف الحدود؛ فاضطرت بذلك للّجوء إلى أواسط آسيا. في مناطق الحدود الإسلامية البيزنطية على شمال الفرات في إقليم مدينة Tephriké تفركة التي تسمى بالعربية بـ «دِبرِكي» *وهي اليوم تابعة لتركية* وتسمى بالتركية بـ(Divriği)، نشأت في القرن السابع الميلادي فرقة الباوكولية الثنوية [الثنائية] الأرمنية التي رحّلت حكومة الإمبراطورية الرومانية أتباعها في عام ٩٧٠م، وبشكلٍ

جماعي، إلى أُوروبا، والذين سببوا في تكوين البغراطية في بلغاريا، وأحدثت أثراً في كرواتيا وشمالي إيطاليا (الباترية Patarenertum) وحتى جنوب فرنسا حيث بلغت حركة الكتاريين أو الألبيجيين في القرن الثاني عشر الميلادي آخر ازدهار ما يسمى بـ« المانوية المحدثة » وهي تسمية غير دقيقة .

إن اضطهاد غُنوصيي منطقة ما بين النهرين لم يبدأ - وبلا شك - بعد الفتح العربي مباشرة . إذ لم تكن الاضطهادات على مدى حكم خلفاء بني أُمية في دمشق (حتى سنة ٧٥٠م)، وعلى ما يبدو، منظمة . كان وُلاة هؤلاء الخلفاء في العراق فقط يُلاحقون أحياناً الزنادقة المسلمين ذوي التعاليم القائلة بالغُنوصية(١). لكن بعد أن اتخذ العباسيون مقر حكمهم في العراق وأسس الخليفة المنصور مدينة السلام - بالقرب من البلدة القديمة بغداد - في عام ٧٦٢م كمقر جديد له، بدأت اضطهادات جسيمة ضد الزنادقة - كما يُسمي العرب الغُنوصيين الهراطقة خاصة المانويين منهم(٢). وبلغت موجة الاضطهادات هذه ذروتها في السنوات ١٦٣-١٧٠هـ/ ٧٨٠-٧٨٦م في عهد المنصور ابن المهدي (حكم مابين عام ١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٨٥م)، أب هارون الرشيد، وفي عهد الهادي (١٦٩-١٧٠هـ / ٧٨٥-٧٨٦م) أخ هارون الأكبر(٣). وأصاب هذا الاضطهاد العارم المانوية أصابة قاسية . لا شك في أن المصادر العربية ظلت حتى القرن التاسع تذكر شخصيات ذات مقام كبير، وكان بينها غالباً مفكرون اتهموا بالزندقة وعوقبوا عليها أحياناً بالقتل، ولكن يتعذر في معظم الحالات الكشف عن نوع مُروقهم الكامن وراء زندقتهم المزعومة . وعلى كل حال استمر ذكر أسماء زعماء الفرقة المانوية في المصادر العربية حتى في عهد ابناء هارون الرشيد، المأمون (حكم في الأعوام ١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م) والمعتصم (حكم في الأعوام ٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤٢م)(٤). وفي العقود الأخيرة أخذت أعداد المانويّين فعلاً بالتراجع السريع : « وآخر ما انجلوا في أيام المقتدر (حكم ٢٩٥-٣٢٠هـ٩٠٨-٩٣٢م) فإنهم لحقوا بخرسان خوفاً على نفوسهم » كما يروي ابن النديم (٣٧٧هـ/ ٩٨٧ أو ٩٨٨م) الذي عرف شخصياً في القرن العاشر فرقة مانوية صغيرة في بغداد : « فأما مدينة السلم (أي بغداد) فكنت أعرف منهم ايام (الأمير البُوَيهيّ، حكم في الأعوام ٣٣٤- ٣٥٦هـ / ٩٤٥-٩٦٧م) معز الدولة نحو ثلثمائة واما في وقتنا هذا فليس بالحضرة منهم خمسة »(٥). إذ أن عمليات الإعدام والهجرة والدعوة إلى الإسلام كبدت ما بين القرن الثامن والعاشر الميلادي الزنادقة - ومن بينهم أيضاً إلى جانب المانويين بالتأكيد فِرَق غُنوصية أُخرى -

خسائر فادحة، وأدت أخيراً إلى تلاشيّهم. واستطاعت الطائفة المندائية وحدها والتي كان المؤلفون المسلمون قد غفلوا عن ذكرها أن تستمر في الحياة في جنوب العراق – إلى يومنا هذا.

وإلى جانب مقاومة الإسلام للزندقة بشكل علني كانت هناك مقاومة أُخرى لا تقل حدة عن الأولى، هذا يعني مقاومة محاولة الهرطقة الغُنوصية حماية نفسها بثوب اسلامي وذلك بقيامها بتأويل خُلاصة الوحيّ القرآنيّ الحقيقي وتفسيره تفسيراً غنوصياً. استطاعت الغُنوصية في الفترة المتأخرة من العصور القديمة بوعيها العالمي أن تنفذ إلى التراث الدينيّ الوثني، واليهودي، والمسيحي، والإيراني، وأن تُغير منه؛ وما كانت الرسالة الإسلامية لتسلم من مثل هذه المحاولات. إذ لم يكن لدى الإسلام حديث النشأة نظرية فقهية كاملة خاصة به بعد لمواجهة هذه التأثيرات الخارجية الغريبة عنه؛ ففي القرن الثاني الهجريّ (الثامن الميلادي) ومع إقبال المؤمنين الجدد المتزايد بدأ الإسلام الغُنوصي ينتشر في العراق. وببدءِ مقاومة التعاليم التي أُعتُبرت غريبة عن الإسلام تَكوَّنَ الفقه المتشدد وخاصة الشيعة الإمامية المتشددة؛ حيث وسمت هذه الشيعة المتشددة تعاليم الغُنوصيّين في صفوفها بـِ «الغُلوّ»، ووضعتهم جانباً كَـ «هراطقة» وأخيراً لعنتهم كطائفة موجودة وجوداً هامشياً.

لقد ظهرت التعاليم الغُنوصية بثوب الإسلام عند نهاية القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، وبشكلٍ أقوى في القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي في العاصمة القديمة المدائن «قطسفون» وكذلك بعد فترة وجيزة في الكوفة العربية. وكان معظم هذه الفرق، والحلقات والمجموعات الصغيرة نتعرف عليها عادةً من مخطوطات أعدائها وحسب، من المؤرخين الإماميّين (الشيعة) والسنة للملل والنِحَل، اختفت بعد فترة أو اذابت في مجموعات أُخرى. إلا أن قلة قليلة منهم استطاعت أن تستمر بالبقاء غالباً في مناطق متاخمة للعالم الإسلامي إلى يومنا هذا؛ إن هؤلاء يشكلون مع المندائيّين البقية الباقية الوحيدة من الغنوصية.

٢ ـ تحديد الغُنوص الإسلامي

استخدم مصطلح «الغُنوص الإسلامي» باحثون في الدراسات الإسلامية منذ مطلع هذا

القرن، ولكن بمضمون مختلف جداً، وأحياناً بمعنى غير واضح على الإطلاق. فهكذا لا تتناول «دراسات حول الغنوص الإسلامي» لـ«إرنست بلوشت» E. Blochet (ROS 2-6, 1908-1915) أي شيء من الغنوص الحقيقي، إنما تتناول استمرار الهرمسية؛ أما إنيانتس غولدتسيهر Goldzieher فقد تبين له وجود «عناصر أفلاطونية مُحَدَثَةَ وغُنوصية في الحديث» (ZA 22, 1909)، ولكن بدون أن يربط فعلاً ما بينها وبين فِرَق غُنوصية غير إسلامية؛ أما أسين بَلاثيوس Asín Palacios في «ابن مَسَرةَ ومدرسته، ١٩١٤» (Abenmasarra y su escuela) فلقد أطلق المصطلح «غُنوص» على التصوف الإسلامي فقط.

خص هانس شيدار H. Schaeder الخلفية الغنوصية لفرقة الإسماعيلية بالذكر قليلاً. فقد أشار في محاضرته «ناصر خسرو والغنوص الإسلامي» (لُخِصت في ZDMG دورية الهيئة الألمانية للمشرق، مجلد ٧٨ لسنة ١٩٢٤)، وفي مقالة له عنوانها «الرؤية الإسلامية للإنسان الكامل، أصلها وبنيتها الشعرية» (ZDMG مجلد ٧٩، لسنة ١٩٢٥، ص١٩٢–٢٦٨) إلى أن هذه التصورات موجودة قبل الإسلام إذ تدل عليها قصص تأريخية – دينية وموضوعية كثيرة.

أدىٰ اكتشاف النص الفارسي لـ«أمِ الكتاب» المتداول في منطقة پامير هندوكوش ومعرفته في الثلاثينيات إلى اكتساب مصطلح الغنوص الإسلامي بعداً جديداً جدا. هذا الكتاب الذي كان قد إكتشفه باحثون وموظفون روسيون مع بداية هذا القرن، حلله ڤلادمير إڤانوڤ عام ١٩٣٢ في مقالٍ ابتدائي له عنوانه «ملاحظات حول أُمِ الكتاب لاسماعيليّة وسط آسيا» (Notes sur l'Ummu'l-Kitāb des Ismaéliens de l'Asia Centrale) نُشـــر في (REI 6, 419-481) وطُبع في دورية (Der Islam). لقد كان لُويس ماسِنيوْن Louis Massignon أول من قيَّم هذا النص وبشكل صحيح. فمقالاته «سلمان باك والبدايات الرُوحانية للإسلام الفارسي» (١٩٣٤)[٦]، و«أُصول ومعاني الغُنوصية في الإسلام» (١٩٣٧)[٧]، و«الشعائر الغُنوصية الفاطمية في الإسلام الشيعي» (١٩٣٨)[٨]، هي في الحقيقة الأولى التي افتتحت البحث علمياً للغُنوص الإسلامي. وأضاف ماسِنيوْن وعلى وجه التخصيص في المقالة الثانية سالفة الذكر إلى أُمِ الكِتاب الذي طُبِعَ قبل ذلك بعام، وأبرزَ مزاياه الغُنوصية من خلال مواضيعه الأساسية، مورداً: «القيمة الرمزية لحروفِ الأبجدية، ... تقسيم تأريخ العالم إلى دورات تُطابق الحلول الجديد، ناسٌ مُنتظمون في طبقاتٍ مرتبةٍ يُسْتَدعون للخلاص بعد

هُبوط يحجز الأرواح – أي ملائكة هابطين – في أجساد فانية ». تناسخ الأرواح، عودة المُخَلصين إلى الكواكب، ظُهور Doketismus ، عداوة المرأة Misogynie ، وتفسيرُ الكتاب رمزياً ؛ كل هذا يُعرف كمعالم أحادية خاصة ذات نمط غنوصي. وفضلاً عن ذلك أبرز ماسِنيوْن مؤكداً علاقة هذا النص الفريد بالمَذهَبيّين المعروفين فقط من خلال الكتب المُؤرخة لطبقات الملل والنحل، مثل: « المغيرة، وأبو الخطاب، والفرقة المُخَمسة »، وكذلك بتعاليم النُصيّرية أو العلويّين، والإسماعيليّين والدروز[٩]. لقد رأىٰ ماسِنيوْن بأن أعلام التصوف الإسلامي كالحلاج العراقي أو ابن سبعين الإسپاني هم ورثة لِهذا التراث الغُنوصي الذي اعتبره مُتأثراً جُلَّ تأثير بالمانوية.

تتسع دلالة مصطلح الغُنوص الإسلامي لدى هنري كوربان Henri Corbin أكثر مما هي لدى ماسِنيوْن: ففي محاضرته « من غُنوصية العصور القديمة إلى غنوصية الإسماعيلية »[١٠] التي ألقاها عام ١٩٥٦ في روما يَظهر الغنوص الإسلامي في أشد تجلياته المتنوعة كشكل خاص محلي لـ« ديانة عالمية » لها تأثيرات غُنوصية–روحانية حتى يومنا هذا. ديانة يُظهِرُ كوربان نفسه مُتأثراً جداً بمضامين عقيدتها متجاوزا بذلك الإهتمام العلمي. ولكن ذلك لا يُعيقه في تَتَبُع الطُرُق التأريخية لِتبَلور هذه الديانه العالمية. ومثلما يُنوِه عنوان محاضرته فهو يُعزي بتعاليم أُم الكتاب والإسماعيلية – بقدر ما كانت معروفه في ذلك الحين – إلى غُنوصية العصور القديمة. ولا يستطيع كوربان البرهنة على فرضيته، كما يقِرُ هو بذلك ؛ فهو يقتصر البحث على مراقبة موضوع بعض المركبات الظواهرية Motivkomplexe (التأله اللا أدريّ Theos agnnostos، جسد الصانع (الخالق) Figur des Demiurgen، المُخَلَّص المُخَلِّص Erlöster Erlöser، الفيضيّة Emanatismus ، آدم التشبيهي السماوي Himmlicher Adam-Anthropos، عمود النور Lichtsäule ، جسد الحكمة Figur der Sophia ، الأخاميس Pentaden، والأقمار Syzygien) التي أُلحق بها مماثلات من مذاهب غُنوصية تعود إلى العصور القديمة وأخرى يهودية ومسيحية: مثل (الفالانتانية، والمانوية، ودين الحكمة Pistis Sophia، والإبيونية، وأخنوخ)[*]. يفترض كوربان صلات مباشرة وُفرت عن طريق كتب أو أشخاص، وربما من خلال البردزانيين (الفدائيين) العراقيين، حتى لو تَعذر اثباتها بالتفصيل: « بحسب وضعنا المعرفي الحالي فإن المُماثلات البنيوية أكثر أهمية من الصلات الطفيفة مابين أشخاص، لأنها تدلنا على طريقٍ مُستمر من غنوصية العصور القديمة إلى الغنوص الإسماعيلي »[١١]. واستمر الغنوص الإسلامي كما يرى كوربان في التصوف أيضاً

– في التصوف الإسلامي –؛ إذ أن السهرَوَردي أو ابن عربي يتجليان كورثته المباشرين.

ماسنيوْن وكوربين هما أول من ضَمَّنَ مصطلح الغنوص الإسلامي بمعنى موضوعي، ولكنهما، في الوقت نفسه، اوسعاه جداً لدرجة أنه أصبح في خطر أن يفقد قوته البَيِّنة كاملةً، إلى حد أنه في النهاية أصبح يُطلق على كل شيء لا يتحرك ضمن حدود التزمت السُنّي.

لكي أجتاز هذا الخطر سوف أعمل فيما يلي على تحديد قوي لهذا المصطلح وأحتفظ له – مستثنياً التيارات الهرمسية، والقبلانية، والصوفية، والروحانية – بتلك التعاليم والفرق والنصوص التي تلتحق حسب تمييّز هانس يونَس H. Jonas بالغنوص الأُسطوري (على خلاف «الفلسفي»)، والمُمَيزة بـ(أُسطورة كوزمولوجية «نشوءكونية» سوتيريولوجية «عقيدة النجاة») ذات أصل غنوصي، أسطورة غريبة عن الوحي القرآني. أُصول هذه الأسطورة هي – مثلما في الغنوصية التي تعود إلى الفترة المتأخرة من العصور القديمة – نمو ذلك الإله المجهول إلى رذاذ متعدد الشكل، وغالباً منتظم في أخاميس، وتكوّين الكون من جراء عمل الاستكبار أو النسيان، وغالباً خلق العالم من الصانع المُتداخل، واغتراب الأرواح البشرية في العالم، غالباً كنتيجة للهبوط، والانتقال الإجباري (التناسُخ) للأرواح غير المُخلصة في ظروف وهياكل بدنية عديدة، القالبِ أو القميصِ، وخلاصها النهائي، ونجاتها كنتيجة للمعرفة [للعرفان]، للغُنوص (للعلم وأحياناً للمعرفة)، وعودتها إلى الأصل.

في الواقع ثمة تقليدان إسلاميان عظيمان لفرقتين فقط تتمحور تعاليمهما في أُسطورة غنوصية من هذا النوع:

١) التقليد المتكون مع مطلع القرن الثامن الميلادي لشيعة العراق «المتطرفين» أو الغلاة الذين أصبح النصيريون أو العلويون الحاليون السوريون ورثتهم المتأخرين؛ هذا الكتاب يتناولهم.

٢) فرقة القرامطة أو الإسماعيليين الذين ظهرت دعوتهم في منتصف القرن التاسع – في العراق أيضاً – وانتشروا بسرعة في جميع العالم الإسلامي. لقد عرفهم الصليبيون مع بداية القرن الثاني عشر باسم الحشاشين Assassinen. مازالت الإسماعيلية تعيش حتى يومنا هذا في سورية ولبنان واليمن، وقبل كل شيء في شمال غرب الهند في فرقة الهُجة

تحت إمامة آغا خان، وفي البَهَرة. وقد انشقت عن الإسماعيلية مع بداية القرن الحادي عشر فرقة الدروز الذين يعيشون اليوم في سورية ولبنان وفلسطين. (سيفرد كتاب لاحق لهذه الفرقة الثانية).

يجب الفصل مابين الفرقتين من حيث أُصولهما؛ حيث أن الإسماعيلية – هي تشابه تقريباً المانوية أو الفالانتانية – ديانة مؤسسة وذات خصوصية كبيرة. لم يندر بطبعية الحال ومع مرور الزمن أن يكون قد حصل احتكاك وتأثير متبادلان، وأيضاً اندماجات تلفيقية للتراثين بعضهما في الآخر. تم ابعاد الفرق الإسلامية–الغنوصية كلياً من قبل المتزمتين السنة والشيعة–الإماميين عن موطنها الأصلي المشترك، عن العراق. ولذلك يعيش أفراد هذه الفرق اليوم غالباً ضمن مجموعات مغلقة كثيراً أو قليلاً في مناطق انسحاب جبلية – مثل: النصيريون/العلويون في جبل النصيرية في سورية، والدروز في لبنان أو في حوران السوري، والإسماعيليون في لبنان وفي الهضاب اليمنية أو في منطقة پامير هندوكوش – أو أنهم هاجروا إلى أطراف العالم الإسلامي، مثل هوجة وبَهَرة الهند. قليلاً ما يتنبه الأوربيون لهم، أحياناً عندما يصبح ممثلوهم من الرجالات البارزين اجتماعياً مثل الآغوات خان أو أن يغدون في مركز الأحداث السياسية مثل زعيم الدروز كمال جنبلاط الذي أُغتيل سنة ١٩٧٧ أو الرئيس السوري النُصَيري (العلوي) حافظ الأسد. في بيئتهم الخارجية الإسلامية يُقر بهم اليوم على الأغلب ويُعتبرون كأفراد من المجتمع الإسلامي معترف بهم.

٣ ـ البيئة: المدائن، والكوفة، والسواد

الغنوص الإسلامي هو – في زمن بداياته على الأقل – ظاهرة عراقية، وهناك جملة من الأدلة على خروجه من العاصمة الساسانية في بلاد ما بين النهرين، من قطسفون. سمى العرب هذا الخليط من المجموعات السكنية على ضفتي دجلة المدائن واعتبروا فتحها في سنة ١٦ هـ (٦٣٧م) من أعظمَ أمجاد تأريخهم المبكر[١٢].

كانت نواة المجموعات السكنية التي سُميت قبل العصر الإسلامي باللغة الآرامية «مِدِيناتا» (= المدن) هي سلوقية التي أنشأها الهيلينيون على ضفة دجلة الغربية في المنطقة التي يوازي فيها مجراه الفُرات. أنشأ سَلوقُس – وهو أحد قادة الاسكندر الكبير – هذه

المدينة في سنة ٣١٢ ق.م.، بعد عشرين عاماً تقريباً من موت الاسكندر، كامتداد لبابل المنهارة – جزئياً بمواد بناء من أنقاضها. كان يوجد في المدينة إلى جانب مُستوطنيها اليونانيين – أكثرهم محاربون قُدماء من جيوش سَلوقس – والبابليين الذين أسكنهم إياها أنطيوخس الأول، قسم كبير من السكان اليهود الذين طبعوا أحياء المدينة على الضفة الغربية بطابعهم وكذلك في زمن حكم الفرثيين والساسانيين وأيضاً حتى أوائل العصر الإسلامي.

بقيت أحياء المدينة القديمة على الضفة الغربية في زمن حكم الفرثيين (منذ ١٤١ ق.م.) وكذلك الساسانيين (منذ عام ٢٢٦م) تُشكل المدينة الأصلية (باللغة الآرامية «ماخوْزآ»). يحمل حيها الجنوبي منذ حكم أرْدَشير الأول الساساني الاسم الفارسي (وِه أردشير) «بيت (= أي بناء) أردَشير» الذي يُسمى بالعربية بـ«بهرَسير». هنا كان ينعم رئيس طائفة اليهود السبي Exilarch (بالآرامية «ريش جَلوتهَ» والمُسمى بالعربية بـ«رأس الجالوت») بمقره، وهنا أيضاً كانت كاتدرائية بطريق النساطرة Katholikos رئيس الكنيسة النسطورية التي انشقت سنة ٤٨٥م على أثر مؤتمر كنائسي عُقِدَ في سلوقية عن الكنيسة الأُرثوذكسية. لقد ظلت البطريقية النسطورية التي كان يتبعها في العصر الإسلامي ما لا يقل عن خمسة وعشرين مطراناً حتى القرن التاسع الميلادي ترسل حملات تبشيرية ظافرة وفعالة اجتازت آسيا الوسطى وكانت تُحترَم جُلَّ احترام في عهد الملوك الساسانيين والخلفاء.

يصح ترجيح قيام فرق مصطبغة بالغنوص، وجماعات وحلقات على هامش الطوائف اليهودية والنسطورية؛ إذ يصعب من دونهم تفسير ظهور الغنوص الإسلامي. وعلاوةً على ذلك فقد شكلت المدينة ولفترة مركزاً للمانوية؛ إذ استُقبل فيها ماني شخصياً من قبل الملك شابور الأول (٢٤٠–٢٧٢ ؟م) عدة مرات. ولكن اندماج الكهنة الإيرانيين المتعددين الذي تحقق في ظل قيادة رأس السحرة [= المجوس] كرتير في دين زرادشتيّ ساسانيّ للإمبراطورية أودى وبلا ريب بماني؛ فلقد مات سنة ٢٧٦ أو ٢٧٧م في السجن في عهد بهرام الأول. وعانى أتباعه اضطهادات شديدة؛ يتفاخر كرتير شخصياً، بنقوشه في المعبد المجوسي في نقشِ رُستَم، بأنه قد اضطهد وطرد الزنادقة (أنظر ص ٦).

كانت منطقة قصور الملوك الفرثيين والساسانيين – شأنها كشأن بغداد التي أُسِسَت فيما بعد – تواجه المدينة على الضفة الشرقية لدجلة، ويصلها جسرٌ حجري بالمدينة القديمة منذ

زمن الفرثيين. وكان يطلق على مقر الملوك الشتوي هذا اسم تُسفون (بالعربية طُسفون أو طَيسفون، وباليونانية قطسفون Ktesiphōn). في جنوب هذه البقعة قام القصر الساساني الذي لم يزل معظمه قائماً إلى يومنا هذا والذي يرجع إلى زمن شابور الأول. وكان يُستخدم على الأرجح لاستقبالات الملك الرسمية، طاق كسرى أو إيوان كسرى («القبة أو بهو كسرى» أي قصر كسرى) كما سماه المسلمون. وأمر الملك خُسرَو «كسرى» الأول أنوشِروان (٥٣١ - ٥٧٩م) بترميم القصر وأضاف إليه حياً جديداً من أحياء المدينة، «المدينة الجديدة» (باللغة الآرامية ماخوزى خِدهتآ) أسفانَبر والتي سميت أيضاً بـ(وِه أنتيُخي خُسرَو «بيت أنطيوخيا كسرى») لأن الملك أوطن بها سكان مهاجرين من أنطاكية الآرامية التي هدمها في عام ٥٤٠م.

وبالرغم من أن قطسفون كانت نادراً ما تُستخدم كمقر للرئاسة في عهد آخر ملوك الساسانيين، وبشكل خاص خُسرَو الثاني پرويز (٥٩١-٦٢٨م)، فقد كانت عاصمة مابين النهرين هذه ما تزال بالنسبة للعرب معجزة من الجمال والغنى. في عام ٦٣٦م هزم قائد الجيش العربي سعد بن أبي وقاص، عند الفرات، جيش الإمبراطورية الساسانية في القادسية وأجبره على التراجع إلى خلف الفرات؛ وفي نهاية كانون الأول لسنة ٦٣٧ ظهر أمام سلوقية / بهرَسير المحصنة المنيعة. بعد حصار دام شهرين أجبر العرب المدافعين على التنازل عن المدينة؛ وانسحب الملك يزدجرد الثالث بصحبة حريمه إلى حُلوان سالكاً الطريق العسكري الموصل إلى الهضاب الإيرانية. استولت قوات سعد على المدينة؛ وأستخدم البهو المقبب (طاق كسرى) من قبل المحاربين المسلمين كمسجد مُؤقت. بعد ذلك أمر سعد ببناء مسجد في المدينة العتيقة على الضفة الشرقية، أي في مدينة القصور تسفون/ قطسفون[١٣]. كانت الغنائم التي وقعت في أيدي المسلمين هائلة جداً؛ وقد أوحى وصف هذه الغنائم إلى المؤرخين العرب استعراضات حماسية.

كان الفتح العربي لقطسفون / المدائن بمثابة الضربة القاضية التي لم تتعافَ منها أبداً. وانتهى دورها كمقر ملكي؛ إذ لم يُبقِ لها الفاتحون الدور البسيط كعاصمة إقليمية للمنطقة الجنوبية من بلاد مابين النهرين، للعراق. لقد انتقل دورها إلى المعسكرين اللذين أُسسا من قِبَلِ العرب، الكوفة على الضفة الغربية للفرات والبصرة بالقرب من خليج فارس. ولعبت المدائن كمدينة إسلامية وقت وجودها دوراً بسيطاً؛ وعلى كل حال كانت تتفاخر بقديسَين

من فجر الإسلام، بمقام صحابيّي النبي محمد: حُذيفة بن اليمان و« الإيراني » سلمان الفارسي المسمى كذلك بـ« *سلمان باك*، أي سلمان الطاهر » الذي تستمد قرية سلمان باك الحالية الواقعة وسط الأطلال والأنقاض على ضفة دجلة الشرقية اسمها من ضريحه المقدس إلى يومنا هذا. يقال إن سلمان الذي أُختُلِقَ له فيما بعد دور سياسي كوالٍ على المدينة، مات في عام ٦٥٦ أو ٦٥٧م في المدائن. لقد أصبح وَلي (قِديّس) المدينة المحلي؛ وسنرى أي دور غير عادي لعبه شخصه الخارق والسامي في الغنوص الإسلامي.

كانت المدينة التي تلت قطسفون / المدائن، أي عاصمة العراق الإسلامية الكوفة ذات طابع آخر مختلف تماماً عن مقر حكم الساسانيين القديم. على الأرجح أن الكوفة أُنشأت بعد عام من فتح قطسفون، في سنة ١٧هـ ٦٣٨م كمعسكر « مصر » — تأسيسٌ جديد ليس ذا عراقةٍ قديمة ذات أهمية، اسلامي وعربي منذ بداياته، على ضفة الفرات الغربية، وعلى أطراف بادية الشام — العربية متجهة صوب شبه الجزيرة العربية[١٤].

تعكس طبيعة الكوفة تشكيل الجيش العربي الفاتح؛ إذ حصل كل بطن من بطون القبائل العربية الشمالية والجنوبية المتعددة على قطعة أرض « خطة » يُقيم عليها مضاربه التي حوِّلت فيما بعد، وتدريجياً، إلى مبانٍ من الآجر. كان كل بطن يملك على حدة مقبرة « جبانة » وسط خطته « قطعة أرضه »؛ وما عدا ذلك كانت البطون تملك مواضع صغيرة للصلاة أو مساجد في أحياء المدينة. هكذا سكنت قبائل قيس « عبس وذُبيان » شرق المركز الوسط « الميدان » صوب الفرات؛ وسكنت قبيلة بكر في الجنوب الشرقي على طريق البصرة؛ وقبيلة كنـدة الجنوبية—العربية وبطونها في الجنوب على طريق الحيرة القريبة؛ وتوالت على امتداد الغرب القبائل الجنوبية—العربية: مذحِج (مع قبيلة الجُعفي التي لها بعض الشأن في الغنوص الإسلامي) والنخع ذات الأصل الجنوبي العربي؛ وأقامت الأزد وبجيلة، والقبائل العربية الجنوبية تميم وأسد في أقصى الغرب على طريق القوافل القاصدة إلى دمشق. هنا كان يقع حي كُناسة، الذي ظل يلعب دوراً في تأريخ الفرق والنحل الغنوصية — أصلاً كُناسة بني أسد « مزبلة بني أسد »، الحي الذي ما لبث أن غير وظيفته؛ كموضع لتحميل وتنزيل القوافل أصبح المحطة الرئيسة على طريق دمشق وآوى الحِرَف المتعلقة بذلك: سوق الدواب، والحدادة والنخاسة وعلاوة على ذلك — أمام مكان عبادة بني جُذيمة « مسجد بني جُذيمة » — تأوَّت إليه أنضاد الصيارفة الذين خرج الكثير من المعلمين ورُؤَساء الفرق الغُنوصية من

بين صفوفهم[١٥]. وبعد ففي شمال المدينة أقامت حمدان العربية-الجنوبية، وإلى جانبها ثقيف الطائفية (من الطائف قرب مكة)، وطيء التي من شمال الصحراء العربية، وعبد القَيس من الساحل الشرقي للخليج العربي.

كان قلب المدينة هو الميدان الذي ترتفع فوقه مصطبة؛ يقوم إلى الشمال الشرقي منه المسجد الكبير الذي وسعه سنة ٥٠ هـ/ ٦٧٠م حاكم المدينة الأُموي زياد إلى حد بعيد؛ وإلى الجنوب مباشرة كانت تقع القلعة «القصر»، وهي مقر حاكم المدينة الذي كان في بداية الأمر الحصن الوحيد في الكوفة التي لم يكن لها في عهد الأُمويين لا سد منيع ولا سور (كان الخليفة العباسي المنصور أول من أحاط المدينة بخندق ماء). على ضفة الفرات شمال شرق المدينة، عند رأس الجسر العائم كانت تقع دار الرزق «بيت أُجور الجنود» أي مخزن الضرائب المُجباة بقيمٍ عينيةٍ - غالباً محاصيل. كان المحاربون «المقاتلة» المُسجلون في لائحة الجيش «الديوان» أبناء القبائل العربية يتقاضون التجهيزات المُحددة لكل رجل «العطاء» التي يحتاجونها لقوتِ أنفسهم «لرزقهم» والمدفوعة قيمتها نقداً، لكن في أغلب الأحيان في شكل غلال ومحاصيل من دار الرزق. وكان سكان المدينة العرب يعتاشون من هذه الإعانات المالية.

تستحق عائلات «الشرفاء الأتقياء» الذكر إلى جانب محاربي القبائل؛ فلقد تم في زمن تأسيس المدينة منح حوالي عشرين من صحابة الرسول قطع أراضٍ «قطَيعات» خاصة، كان من بينهم طلحة والزُبير اللذان صارا أعداءً لعليٍّ فيما بعد، أو جابر بن عبد الله الأنصاري الذي اعتبره الغُنوصيون الإسلاميون رأس مسانديهم (أنظر ص ٨٧).

لم تكن القبائل العربية تُشكل وحدها، وبلا شك، عناصر السكان في المدينة؛ فقد ظهر إلى جانبها فيما بعد غير العرب الداخلين حديثاً في الإسلام، أي موالي «مفرد مولى» القبائل التي كانوا ينزلون في أحيائها وكان يُسمح لهم إضافة اسم القبيلة التي نزلوا حيها أو اسم بطنها إلى لقبهم. في حين كان المحاربون العرب «المُقاتلة» يعتاشون من التجهيزات التي يدفعها الخليفة لهم من غنائم الحرب وعوائد الدولة الأُخرى، كان الموالي المُتدفقون على الكوفة من السهول المجاورة أو من قطسفونُ / المدائن يشكلون الطبقة النشطة اقتصادياً: فلقد صارت الحرف والتجارة والأعمال المالية في أيديهم. وبالرغم من كونهم عجماً «ليسوا من العرب» ومؤمنين جدد ولكنهم مسلمين من الدرجة الثانية، غير أنهم استطاعوا أن ينموا

وبسرعة مشكلين عنصراً لا يُستغنى عنه في المجتمع الكوفي، إذ أُضيف إلى دورهم الاقتصادي عما قريب دور سياسي حتمي. لا يكاد المرء يُقدر تقديراً يفي القيمة الثقافية لطبقة الموالي في فجر الإسلام. ينبغي علينا هنا قبل كل شيءٍ أن نعنى بمساهمتهم في تأريخ الدين في فجر الإسلام، فلا بد أن يكون الموالي ذوُو الأُصول العائلية اليهودية، المسيحية، الزراداشتية أو حتى المانوية، هم الوسطاء لتلك التصوراتَ والتعاليم الغُنوصية التي سوف نُعالجها فيما يلي.

الموالي هم مسلمون أيضاً ؛ لكن كانت في المدينة أيضاً جماعات غير مسلمة. حيث كانت هناك في ذلك الزمن قبائل عرب بادية الشام الذين أُدْخِلوا إلى المسيحية قبل الإسلام؛ كانت توجد مثل هذه الجماعات المسيحية في مذحج وفي عجل وبكر وتغلب من شمالي مابين الرافدين. لقد كان للمدينة أُسقف يعقوبي وآخر نسطوري؛ ولم تكن تلك الأُسقفية تُسمى بأُسقفية الكوفة، ولكن كان اسمها كمثل اسم سابقتها أُسقفية عاقولا. وفي شمال المدينة بالقرب من الجسر كان يقع حي اليهود.

لقد تلقى مركز الكوفة الحاكم في العراق الضربة القوية الأُولى في عهد الأمويين، عندما بدأ والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي عام ٨٣ هـ / ٧٠٢م ببناء مقر إدارة جديد، بتأسيس واسِط أسفل دجلة. وعندما قامت قبيلة بني العباس كي تأخذ الحكم بعد سقوط الأُمويين عام ١٣٢هـ/٧٤٩م بان في تلك الأثناء أن ساعة الكوفة الحاسمة قد حانت؛ لكن بريق الكوفة الجديد كعاصمة للخلافة لم يدم لمدة طويلة، فقد دأب العباسيون على التخلص من أتباعهم الذين أوصلوهم إلى الحكم سالكين في ذلك طرقهم الخاصة. وأسس الخليفة العباسي الثاني عام ١٤٥هـ/٧٦٢م على دجلة، حوالى ٣٠ كم شمال المدائن، عند الضيعة القديمة بغداد، مدينة قصورٍ جديدة، مدينة السلام [أي بغداد العاصمة]. وطغى إزدهار بغداد على المدائن وعلى الكوفة أيضاً. لكن في حين غرقت المدائن في هاوية محلية، كانت الكوفة ما تزال تلعب دور المُشعل لحوادث الشغب المُتكررة.

أقل بكثير مما نعرف عن الكوفة نعرف عن المنطقة المحيطة بها، عن السواد، الريف المزروع جنوب وشمال المدينة على ضفتي الفرات والذي كان يُشكل، حسب التقسيم الإداري *الساساني القديم الذي بقي ساري المفعول في عهد الإسلام*، دائرة «أستان» بهقُباذ الأسفل بأقضيتها الخمسة: «طاسوج» فرات بادَقلا، ونِستَر، والسَيلَحين، ورودمستان

وهُرمُزجَرد[١٦]. هنا حيث كان أعيان الكوفة يملكون ضياعهم وعزبهم كانت اللغة الآرامية «النبطية» تتراجع ببطء أمام العربية في القرى الفلاحية. فلا يصح الاستخفاف بالتأثير الفكري للعاصمة على هذه البلاد السهلية؛ فمثلما كانت تعاليم الفِرَق الغُنوصية تخرج من المدائن لِتُبثَّ في الضِّيَع كذلك كانت تخرج من الكوفة وتبث في السواد؛ ففي القرن ٣ هـ / ٩م أصبح سواد الكوفة بمثابة المنطقة الأُولى لدعوة الدعاة الإسماعيليين.

٤ ـ الغنوص والشيعة: «الغلاة» و«المُقصرة»

الغنوص الإسلامي هو ظاهرة شيعية. منذ البداية أمسى الخليفة الرابع عليّ بن أبي طالب، ابن عم وزوج ابنة الرسول، وأحفاده الأئمة، موضع نظر الغنوصيين الإسلاميين ومناط أملهم. لذلك يجب أن يشتمل عرضنا للفرق والتيارات الغنوصية الشيعية، فيما يلي وعلى الدوام، على الخلفيات السياسية المختصة؛ إذ يُعد الأمل في تحول سياسي لحساب العلويين [أهل بيت علي] من أرسخ ثوابت الغنوصيين وتعاليمهم.

كان عليّ بن أبي طالب هو الخليفة الوحيد الذي أقام في الكوفة قبل الثورة العباسية، حيث بقي هناك بعد موته رمزاً شعبياً. وكانت الكوفة إبان خلافته ذات الأمد القصير ٣٥ـ٤٠هـ / ٦٥٦ ـ ٦٦١م بؤرة الإمبراطورية العربية؛ لقد سانده العراق في الحرب الأهلية ضد حاكم سورية مُعاوية من بني أُمية. وعندما كانت الغَلَبَة لأُمويّي الشام بعد اغتيال عليّ وجعلوا من دمشق عاصمة الإمبراطورية وأرسلوا بحكامهم إلى الكوفة، أمست ذكرى الخليفة «العراقي» عليّ بن أبي طالب نقطة تبلوُر كل المعارضات السياسية والدينية المُناهضة للأُسرة الحاكمة [الأُموية]. بالرغم من أن ابناء عليّ ـ الحَسن والحُسين من بنت الرسول فاطمة وابنه محمد بن الحنفية (امرأة من بني حنيفة) ـ لم يسكنوا العراق، بل المدينة، إلا أن أمل المعارضة العراقية بقي مُعلقاً على أهلِ البيت؛ ففي صفوف العلويين بالذات كان الدُعاة يحشدون ضد الأُمويين بسهولة.

من الممكن أن يقوم الشيعة («حزب» عليّ، شيعة عليّ) بحركةٍ سياسيةٍ هدفها دُنيويّ محض: أن يُسقط أحد أحفاد عليّ الأُمويين الكفار، مُغتصبي عرش الخلافة ويُعيد لـ«أهل البيت» حقوقهم المُتوارثة، فالعلويون هم وحدهم الأئمة الحقيقيون والقادة الشرعيون لكافة

الأمة الإسلامية. ولكن بُعَيدَ موت علي أينعت أيضاً الآمال بأن «أمير المؤمنين» علي الميت في ظاهِرهِ والغائب في الحقيقة، سوف يرجعُ شخصيّاً ويرأس حزبه وهو مُظَفر بالنصر. واصبح هذا الإيمان برجعة الإمام الغائب باعتباره هو «المهدي»[١٧] وبتقدم الزمن، يُسنَدُ تباعاً إلى العديد من احفاد عليّ، وهو بمثابة العلامة المُمَيِّزة للفرق والنحل الشيّعية عامة، وللشيعة المتزمتين على وجة الخصوص،أي للشيعة الإماميّة أو الاثنى عشريّة.

لم تكن الخطوة قد تباعدت عن الإيمان بعليّ الحي الى الذي لا يَموُت، فوق البشري بل وحتى المؤله. فالتصورات كانت تختلف هنا طبعاً: لقد عورِض تأليهُ عليّ والأئمة ضمن نطاق الشيعة انفُسهِم، وقد قووِمَ «الغلو» الذي كان بالإضافة إلى ذلك يظهر غالباً ضمن إطار غنوصي لتأويل الكون وكان بذلك يُهدد بالخروج عن حدود الوحي القرآني المأثور.

«الغالية هم الذين غلوا في حقِ أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الالهية. فربما شبهوا واحداً منهم [أي من الأئمة] بإلاله، وربما شبهوا الإله بالخلق» صحيح أن تعريف الشهرستاني مؤرخ الفرق والمذاهب[١٨] غامض بعض الشيء وهو لا يُنصف التعدد الفقهي ووفرة الأساطير لدى مذاهب هؤلاء الشيعة المتطرفين الغلاة، لكن سنكتفي به الى حينٍ على سبيل الاقتراب الأول المجمل من ظاهرة الغُلو.

أُخذت هذه التسميات «غالي، جمع غُلاة أو غالِيَة» و«غُلو، مصدر فعل: غَلا» من اللغة المُتداولة لدى الشيعة أنفسهم، من الشيعة المُعتدلين، الذين كانوا يُبجلون أئمتهم باعتبارهم مُكرمين بوجهٍ خاص وقادة الأُمة الإسلامية المُلهمين من الله أيضاً وهكذا فهُم يُشابهون النبي ولكنهم (أي الشيعة المعتدلون) لا يمسون بخاصيتهم البشرية الصرف. فهم يُقاومون لذلك كل مساعي «المُغالاة» في تبجيل الأئمة بشكلٍ يدعو للشك فقهياً. إبان حرب ردع الغُلو نشأ التزمت الشيعي المُعتدل، الشيعة الإمامية، وعلى وجه الدقة في القرن ٢ هـ / ٨ م.

لم يَتوانَ الغُلاة في الهجوم المعاكس: إذ راحوا يهجونَ أعداءهم المعتدلين معتبرينهم «مُقَصِرة»، لأنهم لم يدركوا الخلقية الإلهية للأئمة حق الادراك أو حتى قللوا من النقاط الجوهرية بهتاناً وافتراءً.

سوف نبرهن في هذا الكتاب على أن الغُلوّ – بالرغم من انقسامه الظاهر إلى العديد من

الفرق والمجموعات - يُمثل منذُ بداياته في القرن السابع وحتى بقاياه التي استمرت إلى يومنا هذا في الحقيقة تياراً واحداً لتقليدٍ مُتواصلٍ، ديانة خلاص ذات نموذج أُسطوري أساس بقي دائماً على ما هو عليه، وذات مصطلحات مُوَحَّدة لا تتغير. (و إلى جانب ذلك سوف نلتزم بأنَ التقليد الثاني للإسلام المتسم بالغنوص، الإسماعيليّة، لا يُعد من الغلوِ الأصل: فالإسماعيليون - مع استثناء فرقة الدُروز - لا يَصِفون علي والأئمة بالأُلوهيَّة).

يمكن تعريف الغلو كديانة قائمة بذاتها ولأسبابٍ وجيهة - فالتخلي عن العبادات الإسلامية المشتركة مثلاً هو المقياس الأهم -، ديانة نشأت ضمن إطار الإسلام ولكنها سرعان ما خرجت عن نطاقه. ديانة الناس البسطاء، الحدادين والحاكة، تُجار الحبوب وباعة التبن من اهل الكوفة، البقالين والصَيارفة من أهل كُناسة، الفلاحين ومربيّ النحل في جبال العلويين في سورية. هم يعوضون ما يُعْوِزُهم من المهارة الفقهية والصقل الأدبي بفنطازيتهم التي لاتفنى وميلهم المستحب إلى الخرافات التي سوف تواجهنا في القصص والأقاصيص ذات السمات الخرافية، حول علي المُؤَلَّه والأئمة المقدسين وأعدائهم السيئين. لا تشير روايات المؤرخين الإماميين للملل والنحل وأحاديثهم الجافة والغليظة إلى تلك القصص. إنها ديانة المنبوذين والمُعوزين الذين لم يُشاركوا في الحكم السياسي مطلقاً، ديانة من بَخَرت الثورة العباسية أحلامهم بانقلاب قريب وبسيادة العالم، ليغدوا بعد ذلك منشغلين في نهاية العالم، بنزول المهدي المنقذ أو القائم. إن ذلك الشعب الذي سنتناوله مُسالم؛ وحتى أن لخيالات الانتقام المتعطشة لسفكِ الدماء التي تُبالغ أَحياناً في الحَكيْ عن أعداء عليّ، وقع هزلي أكثر مما هو تهديدي.

المصادر

(١) المصادر الشيعية

بقيت الكتب التفنيدية للشيعة المعتدلين لأمد طويل مصادرنا الوحيدة التي كنا نرجع إليها في دراسة تاريخ الغلو وذلك بسبب اختفاء الفرق الشيعية المتطرفة منذ زمن بعيد، باستثناء النصيريين (العلويين) السوريين، ولسقوط أدبياتها ضحية لاضطهاد أعدائها، ما عدا قلة قليلة جدا من تلك الأدبيات؛ إلا أنه توفر لنا منذ عهد ليس ببعيد نصان أصليان شاملان.

وقد خدم أقدم أنواع أدبيات الإماميين في القرنين الثاني والثالث الهجريين (الثامن والتاسع الميلاديين) في صد الغلو كما حصنت موقفهم المعتدل. ودارت هذه الجدالات بصورتها الرئيسة مع الآراء المتطرفة في مجال علم الحديث. ولنشر الغلاة تعاليمهم الغنوصية على شكل أقوال مزعومة عن الأئمة وما أُوحي لهم ولمحاولة الغلاة تصديق صحة هذه الأحاديث من خلال الاستشهاد بشهادة من سمعوها ورواة تواتروها فقد تركزت مساعي أعدائهم على اثبات عدم صحة هذه الأحاديث السرية، حيث راحوا يفضحون هؤلاء الرواة وشهود السماع. فكان الطريق المباشر لذلك هو التفنيد العلني، أي (الصد أو النقض) «الرّد». إذ تم تأليف ما لا يقل عن سبعة عشر كتابا بعناوين مثل «الرد على الغلاة» بريشة مؤلفين إماميين[1] إلا أنه لم يبق لنا من هذه الكتب سوى اقتباسات تَرِدُ أحيانا لدى مؤلفين متأخرين فحسب.

وكذلك خدمت الكتب الإمامية للفرق (بالعربية فرقة، جمع: فِرَق «طوائف») أغراضاً تفنيديةً. وهذه الكتب هي أعمال تأريخية في الملل والفرق تتناول الإنقسامات الشيعية المتعددة وجماعاتهم السرية. لم يصلنا أقدم عمل من هذا النوع، لقد ألّف الكوفي هشام بن الحكم، وهو معاصر لهارون الرشيد (حكم حتى ١٩٣هـ/٨٠٩ م) «كتاب اختلاف الناس في الإمامة». وأصبح هذا الكتاب واحدا من المصادر الرئيسة لمؤرخي الملل والفرق

المتأخرين. إن أقدم عمل وصل إلينا من هذا النوع هو كتاب «فرق الشيعة» للمؤلف الإمامي الحسن بن موسى **النوبختي**[٢]. أُلّف هذا الكتاب قبل عام ٢٨٦ هـ/ ٨٩٩م وسيتم الاعتماد عليه كثيراً فيما يلي. واستَند «كتاب المقالات والفرق»[٣] الذي لا بد أن يكون قد ألفه سعد بن عبد الله الأشعري **القمي** (من القلعة الشيعية قم جنوبيّ طهران) قبل عام ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م، إلى «كتاب فرق الشيعة» وإلى كتاب هشام بن الحكم المفقود.

تُشَكِّل كتب «الرجال» النوع الثالث، وهي مَجامِيع أخبار عن كل الرجال الناقلين أو المدعين نقل أقوال الأئمة. وقد خدمت هذه المَجامِيع بطبيعة الحال في التمييز بين الغث والسمين وتحديد أيّ الراوة يعتبر ثقة (جدير بالثقة) وأيهم ضعيف، واستبراز الغالي (المبالغ) أو الكاذب الجلي في كذبه. إن أقدم كتاب وصلنا من هذا النوع هو (مؤلّف) رجال محمد بن عمر بن عبد العزيز **الكَشي** (أو الكِشي بكسر الكاف، نسبة إلى مدينة كَش أو كِش في سمرقند) المتوفى عام ٣٤٠هـ/ ٩٥١م[٤]. يضم هذا الكتاب الذي استند إلى عدة مراجع من ضمنها مقالات القمي أخباراً قيمةً عن غلاةٍ معروفين وعدداً كبيراً من الأمثلة الرادعة للأحاديث المنقولة عنهم أي ميراث الأحاديث الأصلية للغلو الأقدم. أحمد بن علي **النجاشي** المتوفى عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م هو مؤلف لكتاب «رجال» مفعم بأخبار لا تتواجد في مصدر آخر[٥]. لقد عاصره محمد بن الحسن بن علي **الطوسي** (من طوس الواقعة في شرقي إيران) المتوفى في النجف قرب الكوفة عام ٤٦٠هـ/١٠٦٨-١٠٦٧م؛ يتألف كتاب رجاله[٦] تقريباً من قوائم أسماء فقط - رتبت حسب الأئمة - لكنه يقدم معلومات إضافية متباعدة عن الأشخاص كل واحد منهم على حدة، وقبل كل شيء عندما يتعلق الأمر بالمشبوهين أو الغلاة. واستأنف **ابن شهراشوب** (ت ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) عمل الطوسي بمؤَلّفه «معالم العلماء»[٧].

الطوسي الذي ذكرناه هو مؤلف للفِهرست الوحيد الذي وصلنا من فجر الشيعة أيضاً ويعود الفضل له في اطلاعنا وبشكل قيم على النتاج الأدبي - الذي لم يصلنا في أغلب الأحيان - للشيعة الأوائل[٨].

ونورد مَجامِيع الأحاديث الإمامية كنوع خامس، وهي ما جمع من أقوال علي المروية وأقوال الأئمة التي لها عند الشيعة نفس الوزن الذي لأقوال النبي محمد عند أهل السنة. إذ أن التعليم الشفوي على يد معلم مأذون كان إبان فجر الإسلام يفضل على التعلم من خلال الكلام المكتوب. وكان يعتد بالنقل المتواتر من قبل شُهود السماع فحسب؛ فقد خدم

التدوين في كل الأحوال في مساندة الذاكرة. إن مَجاميع مثل هذا التراث الشفوي التي تتقدمها سلسلة من أسماء الرواة من شُهود سماع نزولاً إلى المدَوِّنين تشكل القسم الأكبر للأدبيات الإسلامية القديمة سواء كانت تتعلق بأقوال النبي أو بأخبار عن أحداث تأريخية أو آراء أهل القضاء في مسائل معينة، أو إذا ما تعلقت - لدى الشيعة - بأقوال الأئمة. إن «الكافي» هو أهم وأقدم المجاميع في الحديث لمؤلفه أبوجعفر محمد بن يعقوب **الكليني** الرازي (يرشد اللقبان إلى كُلين شرقيّ إيران والرى جنوبيّ طهران) المتوفى عام ٣٢٨هـ أو ٣٢٩/٩٣٩ أو ٩٤٠م. يعتبر هذا المجموع [الكتاب] الإمامي الكبير في الحديث - مطبوع في ثمانية مجلدات[٩] - أنه الجامع المستجمع لأقوال الأئمة الحقيقية من وجهة نظر الإماميين، لكنه يضم في مواقع مختلفة منقولات متواترة يمكن تَمييزها من خلال الرواة المذكورين كتراث لفرق غنوصية؛ فمن البديهي وبكل تأكيد أنه تم تدوين أمثال هذه الأحاديث فقط في الكافي فهي لا يرقى إليها الشك من الناحية الفقهية من وجهة نظر الإماميين. من مَجاميع هذا النوع المتأخرة سنذكر هنا فقط كتاب «بحار الأنوار» (الذي ليس له بر) للفارسي المجلسي المتوفى عام ١١١٠هـ/١٧٠٠م. إن إصدار هذا العمل الضخم جداً في طبعة طهران الجديدة[١٠] وصل حتى الآن إلى أكثر من ١٠٠ مجلد. إذ أن الخوض في «البحار» يتسنى فقط بمساعدة معجم مفهرس مفصل أي بالاستعانة بـ«سفينة البحار» لعباس القُمي[١١].

(٢) المؤرخون غير الإماميين للملل والفرق

بينما تناولت كتب الشيعة المؤرخة للفرق فرق الشيعة أنفسهم فحسب، كان المؤرخون غير الإماميين للملل والفرق أبعد نظراً إذ تناولوا الإسلام كله، وكثيراً ما تناولوا أيضاً مذاهب الأديان غير الإسلامية وفرقها.

إن أقدم مُؤرِّخ غير إمامي للملل والفرق هو مؤلِّف «كتاب أُصول النحل» المنسوب إلى الناشئ الأكبر (ت ٢٩٣هـ/٩٠٦م). وهو على الأرجح أقدم من ذلك التاريخ ومن تأليف **جعفر بن حرب** (ت ٢٣٦هـ/٨٥١-٨٥٠م)[١٢]؛ لقد كان مؤلفه معتزلياً، معتنقاً لذلك المذهب الفقهي القائل بخلق القرآن والذي جُعِل إبان عهد مَنْ خَلف هارون الرشيد ولفترة من الزمن دين الدولة الرسمي.

إن أقدم مؤرخيّ السنة المتزمتين هو أبو الحسن علي بن اسماعيل **الأشعري** (توفى عام

٣٢٤هـ/٩٣٥م) مؤلف «مقالات الإسلاميين»[١٣]؛ وقد حذا عبد القاهر بن طاهر **البغدادي** (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) حذو الأشعري بكتابه «الفَرْق بين الفرَق»[١٤].

لقد ألَّفَ الأندلسي علي أحمد **بن حزم** (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م) وهو من مدينة قرطبة وأحد أتباع المدرسة الحقانية الظاهرية كتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل»[١٥].

وألَّف محمد بن عبدالله **الشهرستاني** (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م) كتاب «الملل والنحل»[١٦]، وربما كان على صلة بالإسماعيليين[١٧].

لقد ذهب المؤرخون المسلمون للملل والفرق أكثر ما ذهبوا تماماً مثل آباء الكنيسة المسيحيين يُسَوِّغون ويُفَندون. إذ علينا دائماً وضع انحيازهم في الحسبان. فلهذا السبب يتم أحياناً تبويب الفرق الإسلامية بتكلّف أو حتى تصنيفها عَنْوةً. إذ كثيراً ما يحدث لذلك السبب أن يرد العديد من أسماء الفرقة الواحدة كأسماء لفرقٍ متعددة أو من ناحية أخرى مجموعة أسماء لفرق متعددة كأسماء لفرقة مزعومة.

(٣) النصوص الأصلية

إن المصادر المتوفرة لبحث فرق غلاة الشيعة تشابه تلك التي توفرت للبحث في الغنوص: إذ كان الباحثون يعتمدون على شهادات الأعداء فقط لفترة طويلة وقد توجب عليهم الرضا – على الأقل – لحصولهم على مقتبسات قصيرة أُخذت من مصادر أصلية ضاعت يوردها أحياناً هؤلاء الأعداء.

إن بحث الغنوص الإسلامي لم يحظ مع الأسف باكتشاف مثل اكتشاف نجع حمادي، ولكن توفر منذ عهد قريب كتابان كاملان للغلاة، هما: «أم الكتاب» الفارسي المتوارث من قبل الجماعة الإسماعيلية في منطقة پامير هندوكوش والذي أثبت بجوهره أنه ترجمة لنص عربي للغلاة من القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي أو مطلع القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، صنف في العراق[١٨]، و«كتاب الهفت والأضلة» المتوارث من قبل النصيريين السوريين (العلويين) إلى يومنا هذا هوكذلك كتاب للغلاة. على الأرجح أن يكون اسم مؤلّفه الغالي هو محمد بن سنان (ت ٢٢٠هـ/٩٣٥م)[١٩]. ولأن النصيريين/العلويين يشكلون الطائفة الوحيدة الباقية إلى هذا اليوم التي خلفت الغلو العراقي فمن الممكن لذلك تجنيد تراثهم وأدبياتهم لبحث تأريخ الغلو.

الفصل الأول
عبد الله بن سبأ

(١) التراث الشيعي

لقد نسب مؤرخو الملل والفرق المسلمون وخاصة الإماميون (الشيعة الاثنى عشريون) الدور الذي أسهم به سيمون الساحر في الغنوص بالنسبة لآباء الكنيسة – وهو دور رأس الهراطِقة المسؤول عن كل الضَلال اللاّحق –، نسبوا هذا الدور إلى شخص يدعى عبد الله بن سبأ. إن الأخبار عن هذا الغالي الأول قليلة حقاً ومتناقضة إذ لا تكفي لتكوين صورة أكيدة عن أعماله وتعاليمه، بل وأنه شُكَّ أحياناً في وجوده[٢]. إنه لم يكن مجرد ابتكار اختلقه مؤرخو الملل والفرق لأن فرق الغلاة المتأخرة تستشهد به مراراً وتكراراً وتقدسه باعتباره أول مؤمن بتعاليمهم السرية وقائل بها (أنظر ص ٨٧ و٩٢ ومايليها، و٢١٣).

وتتباين في النقل الأقدم حول ابن سبأ ثلاثة تقاليد قائمة بذاتها، بيد أنها لا تكاد تظهر أيّ تجانس فيما بينها. ألا وهي: التقليد الإمامي – الشيعي (النوبختي، والقمي، والكشي)، والسني (الأشعري، والبغدادي)، والتقليد المستقل بذاته حق استقلال – الذي وصلنا في تأريخ الطبري – للمصنف الكوفي في التأريخ وناقله سيف بن عمر. ويتوجب التمعن في هذه التقاليد الثلاثة كل على حدة. سنورد فيمايلي نصوص المؤلفين الشيعة.

النوبختي، ص ٤٣ ومايليها (= القمي ١٩–٢١؛ قارن كذلك مع الكشي، ص ١٠٨، فقرة ١٨٤):

«فلما قتل علي عليه السلام افترقت التي ثبتت على إمامته وأنها فرض من الله عز وجل ورسوله عليه السلام فصاروا فرقاً ثلاثا: (فرقة) منهم قالت إن علياً لم يقتل ولم يمت ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً. وهي أول فرقة قالت في الإسلام بالوقف[٢] بعد النبي صلى الله عليه وآله من هذه الأمة وأول من قال منها بالغلو.

وهذه الفرقة تسمى «السبأية» أصحاب «عبد الله بن سبأ»[22]. وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم. وقال إن علياً عليه السلام أمره بذلك فأخذه علي فسأله عن قوله هذا. فأقر به فأمر بقتله فصاح الناس عليه: يا أمير المؤمنين، أتقتل رجلاً يدعو إلى حبكم أهل البيت وإلى ولايتكم والبراءة من أعدائكم. فسيره إلى المدائن (إلى المنفى). وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السلام أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ووالى علياً عليه السلام وكان يقول وهو على يهوديته في يشوع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة. فقال في إسلامه بعد وفاة النبي صلعم في علي عليه السلام بمثل ذلك وهو أول من شهر القول بفرض إمامة علي عليه السلام وأظهر البراءة من اعدائه وكاشف مخالفيه. فمن هناك قال من خالف الشيعة إن أصل الرفض[23] مأخوذ من اليهودية. فلما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي قال للذي نعاه: كذبت لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ولا يموت حتى يملك الأرض».

(القمي، ص ٢١:)

«ثم مضوا من يومهم حتى أناخوا [وضعوا رحالهم] بباب علي فاستأذنوا عليه استئذان الواثق بحياته الطامع في الوصول إليه، فقال لهم من حضره من أهله وأصحابه وولده: سبحان الله ما علمتم أن أمير المؤمنين قد استشهد؟ قالوا إنا نعلم أنه لم يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بسيفه وسوطه كما قادها بحجته وبرهانه وأنه ليسمع النجوى ويعرف تحت الديار العتل[24] ويلمع في الظلام كما يلمع السيف الصقيل الحسام، فهذا مذهب السبائية والحربية وهم أصحاب عبد الله بن عمر بن الحرب الكندي في علي عليه السلام، وقالوا بعد ذلك في علي إنه إله العالمين وإنه توارى عن خلقه سخطا منه عليهم وسيظهر».

**

طبقاً لهذه النصوص الإمامية كان لعبد الله بن سبأ، إذاً، تأثير في الكوفة، أي ضمن محيط علي المباشر. ولم يروَ عن أصله سوى أنه يهودي النسب. إلاّ أنه يُكنى لدى القمي (ص ٢٠ سطر ٣) بالهمداني، مما يدل على أنه مولى لقبيلة همدان[25] القحطانية اليمنية (من جنوب شبه الجزيرة العربية) التي نزل بعض أفخاذها الكوفة.

يجب أن تكون تعاليم ابن سبأ القائلة بقياس علي إلى محمد حسب إسناد النوبختي

والقمي نقل لهرطقة مشابهة عن اليهودية (موسى-يشوع) إلى الإسلام. إذ كانت النقطة الرئيسة لعقيدته هي أن علياً لم يمت لكنه قد توارى كي يرجع بكونه هو المهدي. إذ أن صيغة «ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً» هي واحدة من أقدم الصيغ المستخدمة في التراث الإسلامي مراراً وتكراراً للمهدي. لا يعلم النوبختي عن تأليه علي من خلال ابن سبأ، أما القمي فهو يشير إلى ذلك التأليه بصراحة معتَبراً إياه تطوراً متأخراً للمذهب (يورد الكشي تراثاً إمامياً - على ما يبدو أحدث - طبقاً له لعن كذلك الأئمة المتأخرون ابن سبأ بسبب تأليهه لعلي[٢٦]).

وما يلفت الانتباه هو أن ابن سبأ قد نُفِيَ من الكوفة التي ظهر بها أول الأمر إلى المدائن. إذ أننا نجد فيها لاحقاً فرقة «الحربية» الأكثر أهمية لتطور الغنوصية في الإسلام (أنظر ص ٥٠ وما يليها)، والتي يربط القمي ما بينها وبين السبائية. وفي المدائن تضيع آثار ابن سبأ. فلا نعرف شيئاً عن نهايته. وأما ما تناقل بأن علي أمر بحرق ابن سبأ[٢٧]، فهذا كما يظهر مبالغة لاحقة في وصف الأمر. لكن يواجهنا هذا التنميق الخرافي مرة أُخرى في واحد من النصين الأصليين للغلو أيضاً، في أم الكتاب.

(٢) التراث السني

الأشعري، ص١٥ :

«... «السبائية» أصحاب «عبد الله بن سبأ» يزعمون أن علياً لم يمت وأنه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. وذكروا عنه أنه قال لعليّ عليه السلام أنت أنت. والسبائية يقولون بالرجعة (رجعة الإمام الغائب) وإن الأموات يرجعون إلى الدنيا».

البغدادي، ص ٢٢٣-٢٢٥ :

«السبابية أتباع عبد الله بن سبأ الذي غلا في علي رضي الله عنه وزعم أنه كان نبياً ثم غلا فيه حتى زعم أنه إلّه ودعا إلى ذلك قوماً من غواة الكوفة. ورُفِع خبرهم إلى علي رضي الله عنه فامر بإحراق قوم منهم في حُفرَتين حتى قال بعض الشعراء في ذلك:

لِتَرْمِ بي الحوادث حيث شاءَتْ
إذا لم ترم بي في الحفرتين

ثم أن علياً رضي الله عنه خاف من إحراق الباقين منهم شماتةَ أهل الشام[٢٨]، وخاف اختلاف أصحابه عليه فنفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن[٢٩].

فلما قتل علي رضي الله عنه زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن علياً وإنما كان شيطاناً تصور للناس في صورة علي وأن علياً صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم عليه السلام. وقال «كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتلَ عيسى كذلك كذبت النواصب (نواصب الشيعة[٣٠]) والخوارج[٣١] في دعواها قتل علي. وإنما رأت اليهود والنصارى شخصاً مصلوباً شبهوه بعيسى كذلك القائلون بقتل عليّ رأوا قتيلاً يشبه علياً فظنوا أنه علي. وعلي (في الحقيقة) قد صعد إلى السماء وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه».

وزعم بعض السبابية أنَّ علياً في السحاب وأن الرعد صوته والبرق سوطه ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال عليك السلام يا أمير المؤمنين.

وقد روي عن عامر بن شراحِل الشعبي[٣٢] أن ابن سبأ قيل له إن «علياً قد قتل» فقال «إن جئتمونا بدماغه في صُرَّةٍ لم نصدق بموته، لا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها». وهذه الطائفة تزعم أن المهدي المنتظر إنما هو عليٌّ دون غيره. وفي هذه الطائفة قال اسحاق بن سويد العدوي[٣٣] قصيدته بَرِئَ فيها من الخوارج والروافض ‹الشيعة›(*) والقدرية[٣٤] منها هذه الأبيات:

برئتُ من الخوارج لست منهم
من الغزَّال منهم وابن باب[٣٥]
ومن قومٍ إذا ذكروا علياً
يردون السلام على السحاب
ولكني أُحبُّ بكل قلبي
وأعلم أن ذاك من الصواب
رسول الله والصِّديق حباً
به أرجو غدا حسن الصواب

وقد ذكر الشعبي أن عبد الله بن السوداء كان يعين السبابية على قولها. وكان ابن السوداء في الأصل يهودياً من أهل الحيرة[٣٦] فاظهر الإسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة فذكر لهم أنهُ وجد في التوراة أن لكل نبي وصياً[٣٧] وأن علياً وصي

محمد وأنه خير الأوصياء كما أن محمداً خير الأنبياء. فلما سمع ذلك منه شيعة عليّ قالوا لعليّ إنه من محبيك فرفع عليٌ قدره وأجلسه تحت درجة منبره. ثم بلغه عنه غلوه فيه فهم بقتله فنهاه ابن عباس[٣٨] عن ذلك وقال له إن قتلته اختلف عليك أصحابك وأنت عازم على العودة إلى قتال أهل الشام وتحتاج إلى مداراة أصحابك. فلما خشي من قتله ومن قتل ابن سبأ الفتنة التي خافها ابن عباس نفاهما إلى المدائن. فافتتن بهما الرعاع بعد قتل عليّ رضي الله عنه وقال لهم ابن السوداء والله لينبعن لعلي في مسجد الكوفة عينان تفيض إحداهما عسلاً والأخرى سمناً ويغترف منهما شيعته.

وقال المحققون من أهل السنة إن ابن السوداء كان على هوى دين اليهود وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في عليّ وأولاده لكي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى في عيسى عليه السلام فانتسب إلى الرافضة (الشيعة) السبابية حين وجدهم أعرف أهل الأهواء في الكفر. ودلس ضلالته في تأويلاته..».

**

كان ابن سبأ أيضاً طبقاً لأخبار المؤرخين السنة للملل والفرق يُعلِّم الرجعة، رجعة عليّ الغائب مثلما في التراث الشيعي. ويتوجبُ النظر إلى هذه الجزئية باعتبارها النقطة المركزية للتعلّيم السبائي. إن اختفاء عليّ وصعوده إلى السماء مزود بمعالم ظهورية «doketistisch» ستواجهنا مراراً وتكراراً فيما يلي: فالجثة المتبقية ليست بجثة عليّ وإنما هي لشخص آخر.

وعلى خلاف الروايات الشيعية كما هو الحال لدى البغدادي فإن ابن سبأ ليس من أصل يهودي إنما أحد أتباعه، واحد يدعى بابن السوداء، وهو يهودي من الحيرة نقل تعاليمه المبنية على التوراة والقائلة بإن لكل نبي وصياً «وكيلاً»، إلى الإسلام ونسبة عليّ لمحمد. من الجائز المطابقة ما بين ابن السوداء وابن أسود الّذي يذكره القمي[٣٩] على أنه واحد من أهم أصحاب ابن سبأ. ومن الطبيعي أن لا يستحق الإدعاء بأن اليهودي المتطرف، أراد تجويف الإسلام من داخله لكي يقود المسلمين إلى الفساد، أي تصديق؛ إن هذا الموضوع ينم عن عبارة مبتذلة وهو معروف عن التأريخ الإسلامي للملل والفرق، فلقد علق به وبتأثير خاص مثلاً على مؤسس الإسماعيلية.

يرى البغدادي – وكذلك التراث الشيعي – تأليه عليّ كتطور لاحق، لكن ضمن تعليم ابن سبأ ذاته، في حين يلحق القمي – صحيح جداً – هذا التجديد بمرحلة متأخرة من مراحل الفرقة.

(٣) رواية سيف بن عمر

يُعَول كثيراً في تأريخ الطبري على تقرير يرجع لسيف بن عمر في عبد الله بن سبأ[٤٠]. لقد بيّنَ ڤلهاوزن[٤١] أن العرض التأريخي لابن سيف، وهو واحد من كتبة التاريخ الكوفيين من القرن ٢هـ/٨م ليس محل ثقة، وكان ڤلهاوزن مصيباً في بيانه. إذ أنه طبقاً لتقرير ابن سيف فإن ابن سبأ هو الكامن وراء كل الحوادث الهامة للحرب الأهلية الأولى (إغتيال الخليفة الثالث عثمان والقتال على خلافته ما بين عليّ ومعاوية):

«كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم زمان عثمان ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام...»

لقد حاول عبثاً أن يقول للناس إن «محمداً خاتم الأنبياء وعلياً خاتم الأوصياء». وكان يقول - كما يزعم - بان محمداً سيرجع. وكسب في الشام الصحابي أبا ذر الغفاري إلى جانبه وحرضه على معاوية عامل عثمان؛ وعندما طردوه إلى مصر كسب عاملها عمار بن ياسر لغرضه (لقد لعب هذان الرجلان في تراث الغلو باعتبارهما أعداءً لعثمان دوراً إيجابياً) (قارن في ص ١٠٠). ثم كان فيمن خرجوا سنة ٣٥هـ/٦٥٦م من مصر إلى المدينة وحاصروا الخليفة عثمان في داره وتسببوا أخيراً بموته. وقد تواجد في الحرب الأهلية اللاحقة، وهو الذي أشعل «حرب الجمل» (في عام ٣٦هـ/٦٥٦م قرب البصرة) ضد طلحة والزبير خصمي علي.[نقلاً عن الطبري، ج١، ص ٢٩٤٢ وما يليها.]

وفقاً لڤلهاوزن وفريّدليندَر[٤٢] فإن رواية سيف بن عمر هي اختلاق مُغرِض قُصِدَ به اعزاء الأحداث المشؤومة للحرب الأهلية الأولى إلى زنديق ذائع الصيت. ولكن يمكن أن تكون حقيقة الأمر شيئاً آخراً تماماً: إذ أن الكوفي سيف كان أحد من أُتهموا بالزندقة؛ وكان مُحدث لدى المتطرف الكوفي جابر بن يزيد (أُنظر ص ٩٦)[٤٣]. فمن الممكن إذاً أنه قصد لدور ابن سبأ قصداً إيجابياً. فبهذا ستكون روايته تأويلاً لأحداث الحرب الأهلية الأولى من وجهة نظر الغلو الكوفي: ابن سبأ هو الذي أشعل الحرب الأهلية لكي يساعد علياً في الوصول إلى الحكم، وهو الذي أمد علياً بأوفى أصحابه، أبا ذَرّ الغفاري وعمار المُبَجلين من قبل الغلاة أجل تبجيل؛ وأخيراً هو الكامن وراء انتصار عليّ في معركة الجمل. وأياً كان من الأمر - فلن يحظى هذا الإسقاط في التاريخ بقيمة تأريخية.

(٤) فرضية فريدليندر

لقد حاول إسرائيل فريدليندر I. Friedlaender في مقاله «عبد الله بن سبأ مؤسس الشيعة وأصله اليهودي» المنشور في مجلة الدراسات الأشورية Zeitschrift für Assyriologie عام ١٩٠٩–١٩١٠ التوفيق ما بين الأخبار المختلفة – باستبعاد الزيادات الواضحة –. اعتقد فريدليندر بالأصل اليمني لابن سبأ: أن سيفًا يذكر صنعاء كوطنه؛ وأن ابن سبأ يعتبر سليلاً «Gentilicium» – لمملكة سبأ – ؛ وأن لقبه الحميري وكون أُمه كانت سوداء يدلان على الوجهة عينها. ويذهب فريدليندر أبعد من ذلك ويخمن وجود علاقات لابن سبأ مع أثيوبيا. فهو يريد التعرف في تعليم ابن سبأ القائل بعودة المسيح من الغيوم على سمات من تصورات غير أورثوذكسية للمسيح لدى يهود الحبشة، اليهود الفلاشا.

ولم تثبت الفرضية المطروحة بتردد من قبل فريدليندر[٤٤]. وقد أُفرِغ حتى من الإدعاء القائل بإن أصل ابن سبأ يهودي كلياً كموضوع [عبارة مبتذلة] للتأريخ الإسلامي في الملل والفرق، كما أنه يحلو القول عن مؤسسين آخرين لفرق بأنهم من أصل يهودي أو مسيحي. ولكن من الممكن لنقد من هذا القبيل أن يُستبعد كل الاستبعاد. إذ يبدو التراث الواقعي الإمامي القديم (نوبختي وقمي) الخالي من المبالغات المتأخرة، والذي يتطابق في نقاطه الجوهرية مع الأخبار المجموعة من قبل البغدادي، أنه جدير تماماً بالثقة. كما أن الغلاة يستشهدون مراراً وتكراراً في شهاداتهم الأصلية بابن سبأ أو بولده طالب[٤٥] الذي لا يعرف المؤرخون الإماميون للملل والفرق أي شيء عنه والذي لا يمكن إذاً أن يكون من اختلاق الخصوم. تدل المعالم المُهودة لمأساة العالم الغنوصية التي نجدها لدى الفرق الغنوصية المُتأخرة عاقبة السبائية، بلا ريب على مهتدٍ حديث الإيمان ذي أصل يهودي وربما هرطقي–غنوصي بصفته مؤلفاً. ونفي ابن سبأ إلى المدائن، وكذلك كان للغالي ابن حرب الذي يربط مؤرخو الملل والفرق ما بينه وبين السبائية، تأثير في المدائن. ونكاد نعتقد بأن أصل ابن سبأ من هناك ولسبب غلوه في عليّ الذي لم يكن يتكلف الصبر عليه في الكوفة، أُدبِرَ إلى موطنه. وأكثر من ذلك لا يكاد يتسنى القول فيه. بيد أن المصادر الأصل للغلاة التي ما زالت تظهر أكثر فأكثر تبدو مُؤكدة الدور الذي عُزي إليه من قبل الإماميين باعتباره رأس الزندقة وصاحب الغنوصية الإسلامية.



الفصل الثاني
الكيسانيون أو الشيعة الأربعية

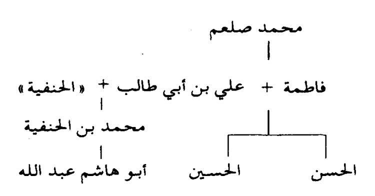
(١) مختار وكيسان

يحدد اغتيال عليّ في الكوفة عام ٤٠هـ/ ٦٦١م الذي أوصل خصمه معاوية بن أبي سفيان (الأموي) إلى سلطة بلا شريك، البداية الحقيقية لتأريخ الشيعة. في حين كان بعض أتباع عليّ يُنكرون موته وينتظرون رجعته كان البعض الآخر يعقد آماله على أبنائه الذين عاشوا في المدينة. وبينما تخلى نجل عليّ الأكبر الحسن عن كل حقوقه في الخلافة - ينبغي أن يكون قد يسر له هذا القرار بمبلغ ضخم من المال - حاول الصغير الحسين بعد موت معاوية في سنة ٦٠هـ/ ٦٨٠م أن يفرض حقه ملتجئاً لمساعدة أنصار بيته الكوفيين. وارتحل مع أهله وبعض المخلصين له من المدينة إلى العراق، فوجه إليه عامل الكوفه الأُموي فرقة صغيرة من الجند أوقفوا حشده عند كربلاء جنوب غرب الكوفة. وبعد مفاوضات غير مجدية إلتحم القتال بين الفريقين في العاشر من سنة ٦١هـ (١٠ تشرين الأول لعام ٦٨٠م) الذي تحول إلى مذبحة عامة؛ فقُتل حفيد النبي مع القسم الأكبر من مرافقيه وأُرسل رأسه إلى دمشق.

ومنذ ذلك احتلت آلام الحسين مكان الصدارة في تبجيل الشيعة للعائلة المقدسة. إذ أمسى ضريحه في كربلاء هدف الحج المفضل لدى الشيعة وارتبط بموته أهم الأعياد الشيعية: يوم عاشوراء وهو ذكرى موته، ويوم الأربعين الذي يسمى كذلك بـ «رجعة الرأس» الذي أُعيد به رأسه المقطوع إلى العراقيين. ونَوَّطَ شيعة الكوفة آمالهم بابن عليّ الثالث، محمد المسمى بابن الحنفية لأن علياً لم ينجبه مثل الحسن والحسين من ابنة الرسول فاطمة إنما أنجبه من امرأة من بني حنيفة إحدى قبائل وسط شبه الجزيرة العربية.

أصبح ابن علي الثالث الذي لم يكن حفيداً للرسول، الشخص المركزي لأقدم أشكال الشيعة، أي للكيسانية (المندثرة) التي نجد ضمن محيطها الفِرَق الأُولى ذات التعاليم

الغنوصية الواضحة أيضاً.



من الممكن تسمية الكيسانية - قياساً على الاتجاهات الشيعية اللاحقة - بالشيعة الأربعية؛ إذ أنهم اعتبروا أن علياً وأبناءَهُ الثلاثة هم فقط قادة (أئمة) الإسلام الشرعيون الوحيدون بعد النبي محمد. ونبذوا خلفاء النبي الأوائل الواقعيين: أبا بكر وعمر وكذلك معاوية، خصم عليّ الذي تولى من بعده الخلافة والأمويين كمغتصبين وهجوهم كمجرمين. ولقد أُخذَت لعنة «أعداء» الأئمة «الحقيقيين» مراراً وتكراراً على فِرَق الغلاة من قبل المؤلِّفين المناهضين لهم مأخذا عليهم مفادها إثماً. وحقاً إن التبرؤ من الأعداء إلى هذا اليوم هو جزء أساس من طقوس العلويين الدينية (أنظرص ٣٤٤).

ويظهر أنه لم يكن لمحمد بن الحنفية أي أطماع سياسية ولم يطالب بحقوق في إرث والده. إذ أنه عاش غير ملفت للأنظار في المدينة. وأُدخل - من دون إرادته - بعد هلاك أخيه لأبيه الحسين إلى العمل السياسي، ولم يعرف أي شيء مطلقاً عن ترقيته النهائية إلى دور المنقذ الغنوصي. كانت التحريضات المرتبطة باسمه تخرج من الكوفة، مقر حكم والده حيث كان المرْء ينتظر مطالباً علوياً [من سلالة علي] لكي يتسنى اصطفاؤه زعيماً ويُوقِع بأُمويي الشآم. ولم تكن المؤشرات بالسيئة. إذ أن الحكم الأُموي تلقى ضربة قوية إبان انفصال مكة عن الشأم بقيادة الخليفة المناهض ابن الزبير؛ وإضافة لذلك سقطت البصرة.

ظهر في آخر سنة ٦٤ (أيار ٦٨٤) في الكوفة شخص يدعى المختار بن أبي عُبيد الثقفي (أي أنه من قبيلة ثقيف من الطائف قرب مكة) وبدأ يدعو بين شيعة المدينة [الكوفة] لخلافة محمد بن الحنفية. وأُخذ تبديل الوالي في الكوفة مناسبةً، إذ ذهب رسل مفوضون إلى المدينة المنورة للتبين من موقف ابن الحنفية. ويبدو أن ابن الحنفية تصرف بحذر وتمهلٍ إن لم يَكُن برفض. إلا أن المختار هجم في سنة ٦٦ (تشرين الأول لسنة ٦٨٥م) على الكوفة وأوقع بها في قبضته؛ ليتوجب في النهاية على عامل المدينة الذي استطاع بادئ الأمر البقاء

في القلعة، مغادرة المدينة.

وكذلك الآن بقي سلوك المرشح للعرش، محمد بن الحنفية الذي كان موجوداً في منطقة حكم الخليفة المناهض ابن الزبير حذراً. وطلب من المختار إلقاء السلاح؛ أما هو فقد أُلقِيَ القبض عليه من قبل ابن الزبير سيّيء الظن ولكن استطاعت فرقة مرسلة من قِبَل المختار تحريره. فلا ريب بأنها كان عليها أن تجلبه إلى الكوفة وتتوجه فيها. وأمَر المختار بتجهيز عرش مزين بالحرير والديباج في الكوفة كعلامة بينة للعيان لظهور المنتظر، وقد بين معنى هذا العرش كما يلي: «لم يكن في الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن في هذه الأُمة مثله وانه كان في بني إسرائيل التابوت فيه بقية مما ترك آل موسى وهارون وأن هذا فينا مثل التابوت، إكشفوا عنه. فكشفوا عنه أثوابه وقامت السبائية فرفعوا أيديهم وكبروا ثلاثاً»[٤٦].

لقد برهن يوليوس ڤلهاوزن في كتابه «أحزاب المعارضة الدينية–السياسية في فجر الإسلام Die religiös-politischen Oppositionsparteien im alten Islam» (١٩٠١) أن عصيان المختار سوند إلى أبعد حد من قبل المؤمنين غير العرب أي من موالي القبائل العربية. فلا عجب في أن نجد سبائيي الكوفة ضمن صفوفه[٤٧] وأن نرى في أتباعه نمو تعاليم زنديقية يظهر أن أصلها كان موجوداً خارج نطاق الإسلام.

ولكن المنقذ المنتظر لم يرتق ولا لمرة واحدة العرش المشيد له: فمحمد بن الحنفية لم يغادر الحجاز. إذ أن ثورة المختار قد فشلت في العام التالي ٦٧هـ/٦٨٦م. واحتل عامل البصرة «وهو أخو الخليفة المكي مناهض الأمويين» الكوفة. وسقط المختار بعدما حوصرت القلعة عدة أشهر على أثر هجوم[٤٨].

يصف مؤرخو الملل والفرق أتباع المختار ككيسانيين وربما نسبة لكيسان أحد موالي المختار الذي تولى إبان حكمه الذي دام فترة قصيرة منصب رئيس شرطة الكوفة. وكما يظهر فقد لعب دوراً قيادياً في المذهب بعد هلاك المختار. ومن ثم تم اطلاق الاسم «كيسانية» على كل الطوائف الشيعية المؤمنة بإمامة ابن عليّ الثالث محمد بن الحنفية المنتظرة رجعته أو المترجية الخلاص من خلال سلالته أو أبنائه. ويمكن تبين معالم غنوصية لدى بعض هذه الفرق الكيسانية بوضوح وللوهلة الأولى.

النوبختي، ص ٤٤ وما يليها (القمي، ص٢١ وما يليها، فقرة ٥٧):

«(وفرقة) <أخرى> قالت بإمامة محمد بن الحنفية لأنه كان صاحب راية أبيه يوم البصرة

<أي في حرب الجمل[٤٩]> دون أخويه <الحسن والحسين> فسموا «الكيسانية» وإنما سموا بذلك لأن المختار بن أبي عبيد الثقفي كان رئيسهم وكان يلقب كيسان وهو الذي طلب بدم الحسين بن علي صلوات الله عليهما وثأره حتى قتل من قتله وغيرهم من قتل. وادعى أن محمد بن الحنفية أمره بذلك وأنه الإمام بعد أبيه. وإنما لقب المختار كيسان لأن صاحب شرطته المكنى[٥٠] بابي عمرة كان اسمه كيسان وكان أفرط في القول والفعل والقتل من المختار جداً. وكان يقول إن محمد بن الحنفية وصيّ عليّ بن أبي طالب وإنه الإمام وإن المختار قيمه وعامله ويكفر من تقدم علياً ويكفر أهل صفين والجمل[٥١] وكان يزعم أن جبرئيل عليه السلام <الملاك> يأتي المختار بالوحي من عند الله فيخبره ولا يراه. وروى بعضهم أنه سمي بكيسان مولى عليّ بن أبي طالب وهو <أي المختار> الذي حمله على الطلب بدم الحسين بن علي عليه السلام ودله على قتلته وكان صاحب سره ومؤامرته والغالب على أمره».

النوبختي، ص ٤٨ (القمي، ص ٢٦، فقرة ٦٣):

«وفرقة قالت إن محمد بن الحنفية – رحمه الله تعالى – هو الإمام المهدي وهو وصي علي بن أبي طالب ليس لأحد من أهل بيته أن يخالفه ولا يخرج عن إمامته ولا يشهر بسيفه إلا باذنه وأنما خرج الحسن بن علي إلى معاوية محارباً له باذن محمد <بن الحنفية> وأودعه وصالحه باذنه <كذلك>؛ وإن الحسين إنما خرج لقتال يزيد <بن معاوية> باذنه، ولو خرجا بغير إذنه هلكا وضلا وإن من خالف محمد بن الحنفية كافر مشرك وإن محمداً استعمل المختار بن أبي عبيد على العراقين <أي الكوفة والبصرة> بعد قتل الحسين وأمره بالطلب بدم الحسين وثأره وقتل قاتليه وطلبهم حيث كانوا. وسماه كيسان لكيسه ولما عرف قيامه ومذهبه فيهم، فهم يسمون «المختارية» ويدعون «الكيسانية»».

(٢) محمد بن الحنفية باعتباره المهدي

يظهر أن محمداً بن الحنفية قد تخلى بعد فشل المختار في الكوفة عام ٦٧هـ/ ٦٨٦م عن كل الطموحات في السلطة السياسية – إذا كان لديه مثل هذه الطموحات –. إذ أنه بايع بعدما انتهت خلافة ابن الزبير (٧٣هـ/ ٦٩٢م) المناهضة المكية عبد الملك الأموي الذي تكلل بالنصر. حيث أنه قام بزيارته عام ٧٨ للهجرة (٦٩٧ أو ٦٩٨م) في دمشق. وقد

عاش مسالماً حتى مماته عام ٨١هـ/ ٧٠٠م في المدينة.
بينما كان يُعتبر ابنه أبا هاشم بالنسبة لقسم من أتباعه هو وريثه وخليفته كان البعض الآخر لا يريد تصديق خبر موته وانتظروا عودة الغائب الظافرة. واتخذ انتظار المنقذ المستقبلي «المهدي» في آمال الفرق والمجموعات الكيسانية لأوّل مرة شكلاً مذهلاً.

وبينما يقدم النوبختي فقط أخباراً مقتضبة عن الكيسانيين تتواجد لدى القمي مواد مسهبة.

النوبختي، ص ٥٠:

«وفرقة قالت إن محمد بن الحنفية حي لم يمت وإنه مقيم بجبال رضوى بين مكة والمدينة تغدوه الآرام[٥٢] تغدو عليه وتروح فيشرب من البانها ويأكل من لحومها. وعن يمينه أسد وعن يساره أسد يحفظانه إلى أوان خروجه ومجيئه وقيامه. وقال بعضهم: عن يمينه أسد وعن يساره نمر. وهو عندهم الإمام المنتظر الذي بشر به النبي صلعم إنه يملأ الأرض عدلاً وقسطاً. فثبتوا على ذلك حتى فنوا وانقرضوا إلا قليلاً من أبنائهم وهم إحدى فرق الكيسانية».

القمي، ص ٢٧، فقرة ٦٤:

«وزعمت فرقة من الكيسانية أن علياً في السحاب وأن تأويل قول الله ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ ﴾(القرآن، البقرة: ٢١٠) إنما يعني ذلك علياً فكانوا على هذا زماناً توافقت الحربية ‹و› البيانية (انظر ص ٤١ وص ٥٠) في ذلك. ثم خالفوهم ورجعوا عن قولهم في ذلك في الله ولزموا قولهم في تناسخ الأرواح في النبي وعلي والحسن والحسين وابن الحنفية وأبي هاشم».

القمي، ص ٢٧-٣٢، فقرة ٦٦ ومايليها:

«وزعم صنف منهم أنهم أربعة أسباط يعنون الأئمة بهم يسقى الخلق الغيث ويقاتل العدو ويظهر الحجة ويموت الضلال. من تبعهم لحق ومن تأخر عنهم محق، وإليهم المرجع وهم كسفينة نوح من دخلها صدق ونجا، ومن تأخر عنها غرق وهوى. وزعموا أن علياً قال عند زوال التقية ‹التقية تعني حرفياً الحذر، أي إخفاء الشيعي لمذهبه تجاه الأعداء› عنه في

أول خطبة خطبها: «ألا إنَ عترتي وأطايب أرومتي احلم الناس صغارا وأعلمهم كباراً ألا وإن[٥٣] أهل بيت <رسول الله> من علم الله علمنا ومن قول الله سمعنا، إن تتبعوا أثرنا تهتدوا ببصائرنا وإن تدبروا عنا يهلككم الله بايدينا، معنا راية الحق، من تبعها لحق ومن تأخر عنها محق، ألا وبنا تدرك ترة[٥٤] كل مؤمن وبنا يخلع الله ربقة الغل من اعناقكم، ألا وبنا تفتح، وبنا تختم، لأنكم إلاّ فلا يرغبن من عني إلا على نفسه». وقال أصحاب ابن حرب (أنظر في ص ٥٠) أيضاً الأسباط أربعة وهم الأئمة يؤمن عليهم الخلاف بالعهد[٥٥] والخطأ والزلل، فسبط سبط إيمان وأمن وهو عليّ، وسبط سبط نور وتسنيم وهو الحسن، وسبط سبط حجة ومصيبة وهو الحسين، وسبط هو الذي يبلغ الأسباب ويركب السحاب ويزجي الرياح وينفخ المد ويسد باب الروم[٥٦] ويقيم أوَد الحكم ويبلغ الأرض السابعة[٥٧] ويقرب منه الحق ويناعق[٥٨] الجور، وهو المهدي المنتظر محمد بن علي بن الحنفية إمام الحق. فلما لم يروا من ذلك شيئاً في حياته ومات عيانا قالوا: لم يمت ولكنه وضع ذلك مثلاً لئلا يدركه الطالب كما وضع النبي صلى الله عليه وسلم علياً في موضعه وأباته في مضجعه ومضى مهاجراً، فغيبه الله في جبل رضوى بين أسدين ونمرين تؤنسه الملائكة ويحرسه النمران. ولذلك قال كثير بن عبد الرحمن الشاعر[٥٩] وكان ممن قال بامامته في ذلك العصر لما طال عليه أمره وذلك قبل اختلافهم فيه وهو شعر مشهور يخبر عن الأسباط وعنه <أي عن محمد بن الحنفية>:

ألا أن الأئمة من قريش
ولاة الحق أربعة سواء
عليٌ والثلاثة من بنيه
هم الأسباط ليس لهم خفاء
وسبط سبط إيمان وبر
وسبط غيّبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى
يعود الخيل يقدمها اللواء
مغيب لا يراعيهم سنينا[٦٠]
برضوى عنده عسل وماء

[...]

واعتلّوا في أن الأسباط أربعة بأن قالوا: إن القدر والنباهة والعز والنبوّة من ولد يعقوب بن اسحق عليهما السلام في أربعة وصار الباقون أسباطاً بهم، فكانوا هم الأنبياء والملوك ولم يكن للباقين قدر إلاّ بهم وهم لاوى ويهودا ويوسف وابن يامين، وصار الباقون أسباطاً بنباهة إخوتهم، كالرجل يصير شريفاً بشرف أخيه وابنه ومولاه وابن عمه، لأن يهودا ولد داود وسليمان وفيها[٦١] الملك الذي لا يشبهه ملك مع النبوة ومريم بنت عمران[٦٢] أُم المسيح ورأس الجالوت <بالآرامية ريش چَلوتهَ>، وهو الملك بعد الأنبياء والرسل، وولد لاوى موسى وهارون وعزير وحزقيال والياس واليسع وأرميا والخضر، هؤلاء ولد هرون ومن ولدهم ملوك وأنبياء، ومنهم آصف [آصاف] بن برخيا صاحب عرش بلقيس[٦٣]، ومن ولد يوسف يوشع بن نون ومن ولد ابن يامين طالوت الذي ذكره الله في كتابه (القرآن، البقرة:٢٤٧).

قالوا فبنو هاشم <أي قبيلة النبي> أسباط والإمامة والخلافة والملك في أربعة وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين﴾ (القرآن، التين:١-٣) فالكلام يكون رمزا ومثلا وكناية ووحيا: فالتين علي، والزيتون الحسن، وطور سنين الحسين، وهذا البلد الأمين محمد بن الحنفية، وإنما أقسم بهم لأنهم الأئمة والجلة وعمد الإسلام وقوامه، وقد علم أنهم سيظلمون أماكنهم وحقوقهم، فأقسم بهم ليدل على تفضيله إياهم، وليزيد في ذكرهم إذ كانوا في دار التقية ولم يفعل ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم وإن كان أحق بالتعظيم، لأن كلمته كانت العالية وكان في دار العلانية وكانوا هم إلى التقوية والمادة أحوج ولم يكن الله ليضع التين المأكول والزيتون المعصور بهذا الموضع من الشرف والقدر[٦٤] لأنهما لا يفهمان الإحسان فيسدى ذلك إليهما وليسا بعظيمين في العقول كالسماء والعرش فيجوز ذلك عليهما فإنما ذلك علي وولده وإنما جعل البلد الأمين محمد بن الحنفية لأنه كان آخرهم في الوصية رابع أربعة؛ وإنه يخرج من البلد الأمين ويملكها في عدد أهل بدر[٦٥] فيقتل الجبابرة ويهدم دمشق معه رايات سود[٦٦] ورجال كالأسود، فإذا خرج من الغار تقدمته الأسود[٦٧] وتأخره النمران فيجعل الذين كانوا حداقه[٦٨] في الغار من الملائكة على ميمنته ويجعل شيعته الذين معه وملائكة أهل بدر على ميسرته، ثم يصعد إلى السماء ويرقى في الهواء فيسل سيفاً دون عين الشمس فيطمسها ويكورها وهو يقول: ﴿إذا الشمس كورت﴾ (القرآن، التكوير:١) وهو سيف من شق صاعقة ولم يكن على ظهر الأرض سيف من صاعقة غيره وبه ضرب الناس المثل وقد سُخِّرَ[٦٩] له فيه ما سخر لموسى عليه السلام في عصاه فيهزه دون قرن الشمس يراه جميع

أهل الأرض والسماء إلا إبليس، ثم ينزل إلى الأرض فيملكها، كما ملك سليمان ابن داود وذو القرنين في العدل، فيخطب[٧٠] الناس حتى يتركوا البيع والأديار[٧١].

وآية خروجه كثرة الأنداء وسقوط العواصف ويرى قبل ذاك العصفور والحية في حجر واحد وعش واحد، فإذا ملك هدم مدينة دمشق حجرا حجرا، ثم يعود في عمق الأرض حتى إذا بلغ الماء الأسود (ماء المحيط؟) والجو الأزرق صاح به صائح بسمع الثقلين قد شفيت واشتفيت، فيمسك عند ذلك، ويعود إلى البلد الأمين، وقد اخصبت الأرض وانصف الظالم من نفسه وأُنصف المظلوم. وكانوا يزعمون أن مكثه في الغار ستون سنة فقط، فلما مضت الستون ولم يروا أشياء كان مفزعهم إلى تأويل أقبح من دعوهم فقال شاعرهم في ذلك:

[يلي عشرون بيت من قصيدة للشاعر الكيساني الصادق الحميري، توفى ما بين ١٧١هـ/٧٨٧م و١٧٩هـ/ ٧٩٥م، يتضرع فيها إلى «ابن خولة» المختفي في جبل رضوى، محمد بن الحنفية أن لا يطيل الغياب ولا يدع أتباعه يصبحون مكان استهزاء الأعداء. وكثيرا ما تُقتبس هذه الأبيات، مثلا النوبختي، ص ٥١]

النوبختي، ص ٤٨ (= القمي، ص ٣٢، فقرة ٦٨):

«(فرقة) قالت إن محمد بن الحنفية هو المهدي سماه علي عليه السلام مهديا لم يمت ولا يموت ولا يجوز ذلك ولكنه غاب ولا يدري أين هو، سيرجع ويملك الأرض ولا إمام بعد غيبته إلى رجوعه وهم أصحاب ابن كرب ويسمون «الكربية»، وكان حمزة بن عمارة البربري منهم وكان من أهل المدينة، ففارقهم وادعى أنه نبي وأن محمد بن الحنفية هو الله عز وجل تعالى عن ذلك علواً كبيراً - وأن حمزة هو الإمام وأنه ينزل عليه سبعة أسباب (؟)[٧٢] من السماء فيفتتح بهن الأرض ويملكها، فتبعه على ذلك ناس من أهل المدينة وأهل الكوفة [...] وبرئت منه الشيعة فاتبعه على رأيه رجلان من نهد[٧٣] يقال لأحدهما «صائد» وللآخر «بيان» (أنظر ص ٤١). [...] وكان حمزة بن عمارة نكح ابنته واحل جميع المحارم وقال: من عرف الإمام فليصنع ما شاء فلا إثم عليه».

**

لقد تطورت التعاليم القائلة برجعة «الإمام المهدي» الغائب المُميزة لكافة المذاهب والفرق الشيعية المتأخرة (التي أثرت في الاعتقادات السنية الشعبية تأثيراً قوياً أيضاً)، أول ما تطورت من قبل الكيسانيين. وكان الدافع لهذا التطور هو حالة الأزمة الشديدة للشيعة

الأوائل: إذ أن الإمام الرابع محمد بن الحنفية المعقودة عليه الآمال في تغَيُّر الدولة وقلبها، كان قد توفي من دون أن يمسك بزمام الحكم، والأسوأ من ذلك أنه بايع الخليفة الأموي غير المحبوب وخان بذلك رسالته. لقد اعتبر الكيسانيون اختفاءه عقوبة. وتوجب على المهدي المستقبلي أن يُراقَب في جبال الرضوى من قبل أسود ونمور وأن يكفر عن خطيئته إلى حين يؤذن له فيه بالظهور مرة أُخرى (القمي، ص٢٢ فقرة ٥٨ و٥٩؛ ص٢٧ فقرة ٦٥).

(٣) بيان بن سِمعان

أمر خالد القسري في سنة ١١٩ هـ/ ٧٣٧م إبان خلافة الخليفة الأموي هشام وكان خالد عاملاً له على العراق في الكوفة، باعدام زنديقين سبق لنا ذكر أحدهما بصفته كيساني، ألا وهو بيان (أنظر ضمن ص ٤٠). وإن كانت الأخبار المتفرقة عنه وعن تعاليمه قليلة حقا، ولكن تدلنا تفاصيل معينة من الوهلة الأولى على رؤية غنوصية.

تاريخ الطبري ج٢، ص ١٦١٩ وما يليها:

«وفي هذه السنة خرج المغيرة بن سعيد وبيان في نفر فأخذهم خالد <القسري> فقتلهم [...] <عن سعيد بن مردابند> قال رأيت خالداً حين أتى بالمغيرة وبيان في ستة رهط أو سبعة، أمر بسريره فأخرج إلى المسجد الجامع وأمر بأطنان قصب ونفط فأحضرا ثم أمر المغيرة أن يتناول طنا. فكع (ابتعد خائفا) عنه وتأنّى وصبت السياط على رأسه فتناول طنّا فاحتضنه فشُدّ عليه ثم صب عليه وعلى الطنّ نفط ثم أُلهبت فيهما النار، ثم أمر الرهط ففعلوا ثم أمر بيان آخرهم فقدم إلى الطنّ مبادراً فاحتضنه فقال خالد «ويلكم في كل أمر تحمقون، ألا رأيتم هذا المغيرة؟» ثم أحرقه».

**

من الصعب الاعتقاد أن الأمر قد تعلق بعصيان مسلح؛ إذ أن «الخروج» كان ينحصر في الدعاية لإمام شيعي مما كان يكفي بالنسبة إلى السلطة الأموية لوقوع العصيان. وإن كان المغيرة - الذي سنتابع الحديث عنه - قد أُعدم مع بيان سوياً فلا يعني ذلك بالضرورة مؤامرة مشتركة[٧٤].

وبينما يسجل المؤرخ الطبري فقط ظروف الإعدام السطحية يخبرنا المؤلفون الإماميون عن مذهب بيان بحذافيره. فالإيمان بغيبة محمد بن الحنفية (توفى عام ٨١هـ/ ٧٠٠م)

الذي ناب عنه إبان اختفائه ولده أبو هاشم، يحتل مكان الصدارة في مذهب بيان. وكان لابن محمد بن الحنفية هذا نصيب هام في رجاء وآمال الكيسانيين، إلا أنه توفي بعد أبيه بفترة قصيرة دون أن يكون له أبناء ذكور - على الأرجح في عهد عبد الملك (حكم حتى عام ٨٦هـ/٧٠٥م) وإن كانت معظم المصادر تشير إلى عامي ٩٨هـ/٧١٦م أو ٩٩هـ/٧١٧م. وانشغل الكيسانيون بالسؤال عن الذي يجوز له أن يتملك ميراث أبي هاشم ومن سيصبح الوصي. ولأنه لم يخلف أبناءً ذكوراً كان الطريق شاغرا لكل الأوصياء المُحتملين الذين يمكن لهم توصية أنفسهم، والذين طالبوا بالميراث. وكان فيهم أيضا من ليس عربيّاً، مولى كبيان بن سمعان.

النوبختي، ص ٥٠ (= القمي، ص ٣٣)

« وكان بيان تباناً يبيع التبن بالكوفة ثم ادعى أن محمد بن علي بن الحسين[٧٥] أوصى إليه، وأخذه خالد بن عبد الله القسري هو وخمسة عشر رجلاً من أصحابه فشدهم بأطنان[٧٦] من القصب وصب عليهم النفط في مسجد الكوفة وألهب فيهم النار فافلت منهم رجل فخرج بنفسه ثم التفت فرأى أصحابه تأخذهم النار فكر راجعاً إلى أن القى نفسه في النار فاحترق معهم ».

النوبختي، ص ٥٥ :

« وفرقة قالت إن الإمام القائم[٧٧] المهدي هو « أبو هاشم »... <في النص فجوة>[*] وولي الخلق ويرجع فيقوم بأمور الناس ويملك الأرض، ولا وصي بعده. وغلوا فيه وهم « البيانية » أصحاب « بيان النهدي » وقالوا إن أبا هاشم نبى بياناً عن الله عز وجل فبيان نبي وتأولوا في ذلك قول الله : ﴿ هذا بيان للناس وهدى ﴾ (القرآن، آل عمران :١٣٨)، وادعى بيان بعد وفاة ابي هاشم النبوة وكتب إلى <الإمام الخامس> أبي جعفر محمد <الباقر> بن علي بن الحسين عليه السلام يدعوه إلى نفسه والإقرار بنبوته ويقول له : « أسلم تسلم وترتق في سلم وتنج وتغنم فإنك لا تدري أين يجعل الله النبوة والرسالة وما على الرسول إلا البلاغ وقد أعذر من أنذر »، فأمر أبو جعفر محمد بن علي رسول بيان فأكل قرطاسه الذي جاء به وقتل بيان على ذلك وصلب وكان اسم رسوله عمرو بن أبي عفيف الأزدي ».

القمي، ص ٣٣ :

« وكان ‹بيان› يقول هو وأصحابه إن الله تبارك وتعالى يقول[٧٨] يشبه الإنسان وهو يفنى ويهلك جميع جوارحه إلا وجهه، وتأولوا في ذلك قول الله: ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ (القرآن، القصص:٨٨) ».

القمي، ص ٣٤ :

« وزعمت البيانية أصحاب بيان بن سمعان أن الوصيّة لعبد الله ‹أبي هاشم› بن محمد بن الحنفية بعد غيبة أبيه وأنها وصية استخلاف على الخلق كما استخلف رسول الله على المدينة علياً وغيره عند خروجه منها في غزواته، لا استخلاف بعد موت وأنه حجة على الخلق ‹أي أنه دليل حي للوجود الخفي لمحمد بن الحنفية الغائب›، وعلى الناس تقديمه وطاعته.

وزعموا أن أبا هاشم لما قال: « أنا الوصي على بني هاشم وسائر الناس، طاعتي فرض واجب » أردنا قتله، فلما رأى إنكارنا ما ادّعاه وانكار الناس ذلك دعا ربه أن يعطيه آية وقال: « اللّهم إن كنت صادقا فلتقع الزهرة في كفي » فسقطت في كفه ولقد نظرناها أنها في حقه[٧٩] توقد وإن مكانها من السماء فارغ ما فيه كوكب ولا دونه. *[وتتوالى في النص براهين أُخرى لمعجزات أبي هاشم]* ».

القمي، ص ٣٥ :

« وخرجت فرقة منها إلى القول بإمامة بيان بن سمعان النهدي، وادعى بيان أن أبا هشام أوصى إليه فاستجابت له طائفة ممن قال بإمامة ابن الحنفية ».

الكشي، ص٣٠٤ ، فقرة ٥٤٧ :

(‹بالإستناد إلى سعد = القمي ومن اخذ عنهم›)

« ‹هشام بن الحكم[٨٠]›: فقلت ‹للإمام جعفر الصادق› إن بيانا يتأول هذه الآية ﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾ (القرآن، الزخرف: ٨٤) أن الذي في الأرض غير إله السماء، إله السماء غير إله الأرض وأن إله السماء أعظم من إله الأرض، وأن أهل الأرض يعرفون فضل إله السماء ويعظمونه. فقال ‹أي جعفر›: والله ما هو إلا الله وحده لا شريك له

إله من في السماوات وإله من في الأرضين كذب بيان عليه لعنة الله. لقد صغر الله جل جلاله وصغر عظمته».

الأشعري، ص ٥ وما يليها:

«فالفرقة الأولى منهم <من الغلاة> «البيانية» أصحاب بيان بن سمعان التميمي، يقولون إن الله عز وجل على صورة الأنسان وإنه يهلك كله إلا وجهه وادّعى بيان أنه يدعو الزهرة فتجيبه وأنه يفعل ذلك بالاسم الأعظم، فقتله <الوالي> خالد بن عبد الله القسري، وحُكي عنهم أن كثيراً منهم يُثبت لبيان بن سمعان النبوّة، ويزعم كثيرٌ من البيانية أن أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية نص على إمامة بيان بن سمعان ونصبه إماماً».

البغدادي، ص ٢٢٧ وما يليها:

«في ذكر البيانية من الغلاة...

«هؤلاء أتباع بيان بن سمعان التميمي وهم الذين زعموا أن الإمامة صارت من محمد بن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد ثم صارت من أبي هاشم إلى بيان بن سمعان بوصيته إليه، واختلف هؤلاء في بيان زعيمهم. فمنهم من زعم أنه كان نبيا وأنه نسخ بعض شريعة محمد صلى الله عليه وسلم. ومنهم من زعم أنه كان إلهاً. وذكر هؤلاء أن بياناً قال لهم: إن «روح الإله تتناسخ في الأنبياء والأئمة حتى صارت في أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ثم انتقلت إليه منه» يعني نفسه، فادعى لنفسه الربوبية على مذهب الحلولية وزعم أيضاً أنه هو المذكور في القرآن في قوله ﴿هذا بيانٌ للناس وهدًى وموعظةٌ للمتقين﴾ (القرآن، آل عمران :١٣٨) وقال أنا البيان وأنا الهدى والموعظة. وكان يزعم أنه يعرف الاسم الأعظم وأنه يهزم به العساكر وأنه يدعو به الزهرة فتجيبه. ثم زعم أن الإله الأزلي رجل من نور وأنهُ يفنى كله غير وجهه وتأول على زعم قوله ﴿كل شيء هالكٌ إلاّ وجهه﴾ (القرآن، القصص: ٨٨) وقوله ﴿كل من عليها <أي على الأرض> فان ويبقى وجه ربك﴾ (القرآن، الرحمان: ٢٦و٢٧)، ورفع خبر بيان هذا إلى خالد بن عبد الله القسري في زمان ولايته في العراق فاحتال على بيان حتى ظفر به وصلبه وقال له إن كنت تهزم الجيوش بالاسم الذي تعرفه فاهزم به اعواني عنك».

**

لا يتضح أصل بيان بن سمعان بوضوح. يرد لقبه دائماً لدى المؤلفين الإماميين (النوبختي والقمي والكشي) «النهدي» نسبة إلى القبيلة الجنوبية العربية نهد التي كان أفرادها الكوفيون مشتبكين في ثورة المختار[٨١]؛ وعادة ما يذكر اسم نهديٍّ آخرَ وهو «صائد»، باستمرار مع اسم بيان[٨٢]. ومن جهة أُخرى يطلق المؤلفون السنة (الأشعري، والبغدادي، وابن حزم، والشهرستاني أيضاً) عليه اسم الـ«تميمي». إلا أن الأصلَ العربي ليس مقصوداً في كلا الحالتين. فلم يكن بالتأكيد التبان واحداً من المحاربين العرب «المقاتلة» المُتمتعين بالامتيازات، لكن الأرجح أنه قد كان مولى لاحدى القبيلتين. إذ يشير اسم أبيه سمعان (شِمعون، سيمون) إلى أصول عائلية آرامية.

ومن جانب آخر تظهر تبعية بيان للكيسانية الهاشمية مؤكدة وتثبتها المصادر بصفة عامة[٨٣]. يعتبر بيان من أصحاب المتطرف حمزة بن عمارة (أنظر ص ٤٠) الذي ألَّه محمد بن الحنفية. ويحتل محمد بن الحنفية الغائب في مذهب البيانيين مكان الصدارة. ويعتبر ابنه أبا هاشم - أثناء غيبته فقط، أي إلى حين عودته المنتظرة - وصياً له وحجته، هذا يعني الوثيقة الحية المرئية لوجود أبيه المختفي. وقوى أبو هاشم من مكانته باعتباره وصياً من خلال معجزة دعاء الزهرة.

ويبدو أن بياناً قد احتل مكان الصدارة بدءاً بعد موت أبي هاشم (على الأرجح قبل عام ٨٦هـ/٧٠٥م، (أنظر في ص ٤١ وما يليها) ليغدو: وصي أبي هاشم وحجته الذي غُيِّبَ في حينه أيضاً وحتى كنبيٍّ مرسل منه.

إن الجزئيات القليلة المتقطعة التي تخبرنا بها المصادر عن مذهب بيان تستحق رؤية مقربة. يتضح معناها على أي حال إذا ما نظر المرء إليها فقط في إطار خلفية من تكهنات الغلاة الكوفيين المتأخرين المنقولة بصورة أفضل؛ فهناك كثيراً ما حفظت الاعتقادات اللاهوتية عينها بقرينة واسعة.

يقتبس الكشي معتمدا على القمي شهادة الفقيه الإمامي القديم ومؤرخ الملل والفرق هشام بن الحكم وهو من الكوفة (توفي عام ١٩٠هـ/٨٠٦م) التي مفادها أن بياناً قال بوجود إلهين: في السماء إله وعلى الأرض إله، وأن إله السماء أعظم من إله الأرض وأنه ينعم بالفضل. من المنطقي افتراض أنه وجدت وراء ذلك تصورات غنوصية قائلة بوجود إله سماوي متعالٍ محتجب وآخر هامشي خالق للعالم أقل أهمية أو صانع (= إله الأرض)، مثلما أُقرّ بها بعد فترة قصيرة حقا في كتابات الغنوصيين الكوفيين - مثلاً في أم الكتاب

(أنظر ص ١٢٠) -. وتطابق ذلك مع التفاصيل الأُخرى التي يرويها البغدادي: أن الإله الأزلي رجل من نور وأن جوارحه تفنى كلها إلا وجهه ولكي يثبت بيان ذلك ذكر آية. إن هذا يعني بالتأكيد أكثر من مجرد محاولة تأويل حرفي أُصولي للقرآن كما أراد بعضهم رؤيتها في ذلك[٨٤]. وحقاً حسب أم الكتاب الذي قد ذكرناه يكون إله السماء المتعالي المحتجب شخصاً مشكلاً من أنوار ويطلق عليه - كما لدى بيان - اسم «الإله الأزلي» (*خوداوند جاويد*)؛ وظهر هذا الشخص النوراني (بالفارسية *شخص نورانى*) في خمسة أعضاء «جوارح»، أي في محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين[٨٥]. ويبدو أن المعني لدى بيان أيضاً بأعضاء الإله الأعلى الفانية شيء مماثل: إذ أن الجوارح هي الظهور الزمني لإله السماء التي هي بالمقارنة مع ذاته الأزلية، أي مع «وجهه» مجرد مظاهر فانية.

لا يذكر اسم «الإله الأزلي» (ولا يوجد له اسم في أم الكتاب كذلك). فمن الممكن افتراض أن «الاسم الأعظم» الذي زوَّدت معرفته بيان بقوىً ما فوق بشرية هو الاسم المحتجب للإله الأزلي. المظاهر الأرضية مفادها الأنبياء والأئمة الذين تناسخت فيهم روح الإله عابرةً من واحد لآخر: من محمد إلى علي، والحسن، ومحمد بن الحنفية حتى إلى ولده أبي هاشم ومنه إلى بيان ذاته؛ نحن نسمع أنه تفاخر بقدرته على دعوة الزهرة - أصلا حجة على معجزة أبي هاشم -. يذكر في رواية الشهرستاني أن الأُلوهية «الجزء الإلهي» و«النور الإلهي» كانت حالةً في الأئمة؛ ومعرض الكلام عن «قوة رحمانية ملكوتية» وأن هذا الجزء الإلهي قد حل في آدم ودفع الملائكة إلى السجود له. وأن علياً أتى بأعماله الخارقة [معجزاته] من خلالها[٨٦]. ويتحدث مؤرخ الملل والفرق الناشئ «المزيف» حتى عن «الروح القدس» بل وعن اللوغوس [Logos] «الكلمة». لا يمكن الجزم فيما إذ كانت هذه المصطلحات استخدمت حقاً من قبل بيان.

لقد حفظ الإماميون لبيان ذكراً سيئاً. إذ أنهم يعدونه من الزنادقة السبعة[٨٧] ويذكرون باشمئزاز الرسالة التي من المفترض أنه دعا بها الحسيني محمد الباقر [أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين. م. المترجم] ساكن المدينة (المتوفى عام ١١٥هـ/٧٣٣م) - الإمام الخامس حسب العد الإمامي - إلى الاعتراف به. إن كانت هذه الرسالة صحيحة أم لا - على كل حال، من الظاهر أن مرد نصها يرجع إلى حكمة مصاغة صياغة شعرية غنوصية: «أسلم تسلم وترتقي في سلم وتنجو وتغنم» (أنظر في ص ٤٢). ويعلن نصها عن تصور «سلم النجاة» المتكرر ذكره لدى الغلو المتأخر كمثال لصعود أرواح البشر المخلصة عائدين إلى

أصلهم (وهناك أيضاً كتاب للكاتب الإسماعيلي « السجستاني » يحمل هذا العنوان) .

ويواجهنا كل ما نسب لبيان من عقائد إيمان مرة أُخرى في الغلو الكوفي المتأخر بسياق غنوصي واضح . إذ يصح أن نعتبره بكل معنى الكلمة أحد الغنوصيين الإسلاميين القدامى .

(٤) خروج [عصيان] عبد الله بن معاويـــة

لقد وقعت الدولة الأُموية بعد موت الخليفة يزيد الثالث عام ١٢٦هـ/٧٤٤م في أزمة شديدة . ولم يتم الأعتراف ، بصورة عامة ، بالخليفة ابراهيم الذي تلا أخاه على العرش؛ إذ راحت أحزاب القبائل المتنافسة في الجيش السوري تدعم المطالبين المختلفين بالعرش . فآلت الدولة إلى فوضى التفكك .

كانت اللحظة مواتية جداً لخروج الشيعة العراقيين . وعلى الفور كان يوجد مطالب بالعرش في متناول اليد وإن لم تكن حقوقه مقنعة بصورة كافية : فقد أقام أحد أقرباء العلويين مع أخيه في الكوفة إبان ذلك ولأسباب خاصة ، ألا وهو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وهو إذاً من نسل جعفر أخي علي .

ولم يعد نسبه المباشر إلى علي يلعب دوراً في خروجه . إذ كان يكفي أنه يتبع بطانة علي ، أي بني هاشم (الذين هم عشيرة النبي ذاته أيضاً) . يروي المؤرخ الطبري بصراحة أن الشيعة من أهل الكوفة دفعوا بعبد الله بن معاوية إلى الخروج بحجة أن بني هاشم أولى بالأمر من بني مروان (أمية)[٨٨] . يحدد هذا التوسيع في دائرة المطالبين المحتملين بالخلافة حيرة المجموعات الكيسانية في العراق بعد موت محمد بن الحنفية وابنه أبي هاشم . ولأن أبا هاشم لم يترك أبناءً ذكورا توجب على المرء إما الإيمان بغيبته وعودته اللاحقة (أنظر ضمن ص ٥٦) أو القبول بإمكانية نقل حقوق العلويين [أهل بيت عليّ . م . المترجم] إلى أعضاء آخرين . ومدت حقوق أبي هاشم في شبه غفلة إلى كل بطانة بني هاشم ، فحصلت التسمية « هاشمية » على معنى جديد : ليمسي من الممكن لكل فرد من قبيلة النبي أن يكون مهدياً منتظراً ، فلم يعد الإلتزام واجب ، وإذا اقتضى الأمر ستجمع الأمة الإسلامية كلها على الصحيح . ووصف هذا الشخص بمن يحصل على « الرضا من آل محمد »[٨٩] . وظهر عبد الله بن معاوية باعتبار أنه هذا الشخص .

وكانت تسانده – كما تبين المصادر بشكل صريح جداً – مجموعات كيسانية من أهل الكوفة والمدائن . يذكر المؤرخ الطبري شخصاً يدعى هلال بن أبي الورد كمتحدث باسمهم

في الكوفة وهو مولى للقبيلة العربية عجل. «*ودعوا إلى عبد الله بن معاوية بن جعفر وكان الذي ولي ذلك هلال بن أبي الورد*... (في محرم من سنة ١٢٧، تشرين الأول / تشرين الثاني لعام ٧٤٤م) - حسب صيغة الطبري - وهؤلاء من شيعة *الكوفة وغوغائها* (أي أن أغلبهم أو كلهم من الموالي غير العرب)... *فبايعه الناس من الشيعة لعبد الله بن معاوية*... *فأخرجوه من مسكنه* (دار الوليد) *حتى أدخلوه القصر*. ولم يكن الوالي عبد الله بن عمر الأمير الأُموي (وهو ابن الخليفة عمر الثاني) في الكوفة إنما في الحيرة الواقعة جنوبي الكوفة؛ واضطر أخوه ونائبه عاصم إلى ترك المدينة.

وأرسل أبناء القبائل العربية رسائلَ بشكل سري إلى الوالي، إذ لم تكن هذه القبائل قد ساندت الأمويين مساندة علنية. ولكن قلة فقط وقفت إلى جانب الداعي مخلصة له. وفي المقابل جاءته المساندة من الخارج: أتى الناس من المدائن إلى الكوفة ليبايعوا عبد الله بن معاوية وليقاتلوا إلى جانبه[٩٠].

يستنتج من رواية القمي حول أصحاب ابن معاوية - أكثر مما تسمح الأخبار المقتضبة لدى الطبري التخمين به - أن شيعة المدائن شاركوا مشاركة فعالة في خروج عبد الله بن معاوية. وترأس الكيسانيين الكوفيين في ذلك العهد رجلٌ سنقف على أمره باستفاضة: ابن حرب (أنظر في ص ٥٠ وما يليها). لقد ظهر هذا الابن للزنديق المعروف في المدائن معتبراً نفسه المحافظ على إرث محمد بن الحنفية وأبي هاشم تماماً مثلما فعل بيان قبل ذلك ببضع سنوات في الكوفة. وعلى ما يبدو فقد بالغ ابن حرب في دوره: عندما طالب بخلافة أبي هاشم، أي بالإمامة، ولكن قد أُسيء إلى بديهته المزعومة عندما ولى هاربا مذعورا من غير دافع فتركه قسم من أتباعه. فتوجب عليهم أن يتطلعوا إلى إمام هاشمي آخر وعلى الأرجح أن اختيارهم وقع على ابن معاوية:

القمي، ص٤٠ وما يليها:

«وكان سبب إدعاء عبد الله بن معاوية الوصية والإمامة أن الحربية أصحاب عبد الله بن عمرو بن حرب افترقوا فيه لما ادعى وصية أبي هاشم وأن روحه تحولت فيه، وأنّ الإمامة تدور مع الوصية وتثبت بها، كما ثبتت إمامة علي بن أبي طالب بوصية رسول الله إليه، فكان وصيا لذلك دون العباس بن عبد المطلب[٩١] وسائر الناس من بني هاشم، فصاروا فرقتين:

فرقة صدقته على ما ادعى من وصية أبي هاشم وفرقة كذبته وذلك أنه يعلم ما في

الأرحام ويعلم الغيب، ومواضع الكنوز وحدوث الدول، وأنه سيملك. فبينما هو يوماً في منزل رجل بالمدائن وكبراء أصحابه معه إذ دق جلواز الباب وكان صاحب المنزل وعده حاجةً (؟) ولم يعرف عبد الله بن عمرو <بن حرب> الأمر فوثب فزعاً وقال « دعوتم أناكب[٩٢] الشيطان » فخرجوا جميعاً وطفر هو إلى دار رُجل <أي إلى المنزل المجاور> فاندقت ساقه، فخرج صاحب المنزل إلى الرجل <إليه؟> ثم خرج إليهم فقال « لا بأس »، فرجع بعضهم وهرب الباقون فقيل لعبد الله « أنت كيف تكون إماما كيف تعلم الغيب وما في الأرحام وأنّك ستملك مع هذه الغفلة، وهذا العقل؟ » فكذّبوه ثم اجتمع أمرهم على أن يخرجوا إلى المدينة يلتمسون إماماً من بني هاشم؛ إذ كان لا بد لهم من إمام، فبينما هم بالمدينة متحيرين إذ أتى آتٍ عبد الله بن معاوية فاخبره خبرهم[٩٣] فأرسل إليهم، فلما دخلوا عليه قربهم وانتسب لهم وأخبرهم بصفتهم وما قدموا له ورغّبهم أن هذا أمر علمه بذاته وطبعه، فقبلوا قوله وصدقوه وادعوا إمامته، وأنه وصي أبي هاشم ثم ادعى أن روح الله تحولت في آدم كما قالت طائفة من النصارى في عيسى بن مريم وأن تلك الروح لم تزل تتحول حتى صارت فيه وأنه يحيى الموتى، وإنما أطمعه في تصديقهم إياه ما وقف عليه من تصديقهم لابن الحرب... »

**

إذاً فإن ابن معاوية لم يسكن – طبقا لهذه الرواية – في الكوفة إبان اندلاع عصيانه صدفةً إنما تم التجهيز لخروجه من قبل حزب الشيعة بعناية ودقة؛ إذ دعاه الكيسانيون الذين خاب أملهم في قائدهم ابن حرب إلى الكوفة.

غير أن العصيان قد فشل على الرغم من احتلال قصر (قلعة) الكوفة. وفشلت محاولة ابن معاوية في مباغتته للحاكم الأموي في الحيرة؛ إذ أن قسماً من محاربي القبائل العربية تحول إبان المعركة التي اندلعت ما بين الكوفة والحيرة، إلى الحاكم. فثار الشيعة الغاضبون وقتلوا في الكوفة ما يزيد على ثلاثين من وجهاء العرب. وتوجب على ابن معاوية الانسحاب إلى القصر. واستطاع الشيعة أن يقهقروا قواة الحاكم في معارك شوارع دارت طيلة أيام، إلا أن وضع المطالب أصبح بعد فترة قصيرة لا أمل فيه. إذ تفاوض في النهاية على ضمان الأمان. وخرج مراقباً من قبل عيون الحاكم، برفقة أخويه و« أصحابه من الشيعة من أهل المدائن والسواد والكوفة » عابراً جسر الفرات شرقاً، ولكن المدائن آوته وبايعته[٩٤]. فتمتع فيها بتأييد شديد من قبل الشيعة الغلاة؛ وتدفق عليه أتباع آخرون من الكوفة أيضاً:

«وخرج إليه عبيد أهل الكوفة»[٩٥]، وهكذا تمكن من المضي في مد نطاق سلطته في الشرق. ومن ثم أوقع في قبضته مدينة حلوان (بالقرب مما يسمى اليوم بقصر شيرين «بوابة آسيا») المسيطرة على الطريق مابين العراق والهضاب الإيرانية الغربية (الجبال)، وأخضع خلال فترة قصيرة كل غرب إيران: نِهاوند، ودينَوَر، وهمدان، وقومس، وإصفَهان والري (الواقعة إلى الجنوب مما يسمى اليوم بطهران). جعل من إصفهان مقراً له؛ وخرج بعد أن سقط إقليم فارس في يده أيضاً إلى إصطخر (بالقرب من پرسيپوليس). وعيّن أخويه ولاةً على الأقاليم. إلا أنه قُدرَ لدولته أن تستمر ثلاث سنين فقط: فلقد أنهى عليها عام ١٢٩ هـ / ٧٤٦ أو٧٤٧م ابن ضبار وهو قائد لدى حاكم العراق. وهرب عبد الله بن معاوية مطارداً من قبل ابن ضبار إلى صحراء كِرمان ومن هناك إلى إقليم خرسان في شرقي إيران، حيث طلب اللجوء لدى أنصار العباسيين (أنظر في ص ٥٦). ولكنه سجن في هراة من قبل حاكم العباسيين وقتل في سنة ١٣١هـ، ٧٤٨ أو ٧٤٩ في السجن[٩٦].

تفرق أصحاب عبد الله بن معاوية بعد موته إلى العديد من الفرق. وبينما كان بعضهم يؤمن بأنه «قد مات ولم يوص وليس بعده إمام فتاهوا أو صاروا مذبذبين بين صنوف الشيعة وفرقها لا يرجعون إلى أحد»[٩٧]، كان البعض الآخر ينقل خرافة المهدي محمد بن الحنفية عليه ويؤمنون بـ« أن عبد الله بن معاوية حيّ لم يمت وأنه الوصي وإليه يرجع الأمر وأن طاعته مفروضة، وأنه مقيم في جبل اصبهان ولا يموت أبداً حتى يخرج ويقود نواصي الخيل إلى رجل من بني هاشم من ولد علي *وفاطمة*، فاذا سلّمها إليه مات حينئذ، لأنه القائم المهدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم»[٩٨].

(٥) ابن حرب

يتضح أن ابن حرب الذي أسلفنا ذكره (أنظر في ص ٤٨) قد استأنف رئاسة الكيسانيين في المدائن بعد انهيار حكم ابن معاوية في سنة ١٢٩هـ/ ٧٤٦ أو٧٤٧م وقتله بعنف في سجن هراة في سنة ١٣١ هـ / ٧٤٨ أو ٧٤٩م. ولابن حرب أهمية خاصة في التأريخ الأقدم للغنوص الإسلامي لاسيما أنه يعتبر من جهة تلميذاً لابن سبأ[٩٩]، ومن جهة أُخرى لأن التفاصيل المتواترة عن تعاليمه قد أُثبت أن مفادها أجزاء من تلك الأسطورة الغنوصية التي نقلت إلينا أول ما نقلت في سياق النصوص الأصلية المتأخرة للغلاة.

كان عبد الله بن عمرو بن حرب (أو: بن الحارث[١٠٠]) ابناً لزنديق معروف من أهل

المدائن[101]. إن معنى مفردة «زنديق» غير واضح؛ فمن الممكن أن تمتد من «المانويين» إلى «حر الفكر، الملحد» غير المحدد وإلى كل الجماعات الهامشية غير المتزمتة المختلفة للديانات غير المسلمة، أي أنها تشمل الحلقات الغنوصية اليهودية أو المسيحية أيضاً. وللأسف لا توجد معلومات واضحة عن ابن حرب. ويتواجد الخبر الأكثر تفصيلاً عن تعاليمه لدى مؤرخ الملل والفرق المعتزلي الناشئ «المزيف» (أنظر ضمن ص ٢٣) الذي يكمل الأخبار المقتضبة جداً للإماميين (القمي والنوبختي) بتفاصيل مهمة.

الناشئ «المزيف»، أصول النحل ص ٣٧، س٣ وما يليه (الفقرات ٥٥-٥٩):

«وبقيت الفرقة الثالثة وهم ‹الكيسانيون› الذين زعموا أنّ الإمامة انتقلت من أبي هاشم إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين الخارج بإصبهان وهو الذي قتله أبو مسلم في الحبس، وقد كان مال إليه قبل خروجه طائفة من الشيعة من أصحاب أبي هاشم وزعموا أن الإمامة انتقلت من أبي هاشم إليه، فسموا الحَرْبيّة وهم أصحاب عبد الله بن حرب وكان عبد الله بن حرب رئيساً من رؤسائهم، فلما قتل عبد الله بن معاوية استولى عبد الله بن حرب على أصحابه من الشيعة وأظهر القول بالغلو والأظلة والأدوار.

وزعم أن عبد الله بن معاوية حيّ لم يمت وأنه في جبل إصبهان وهو مهديّ هذه الأمة الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم وأخبر أنه يملأ الأرض عدلاً وقسطاً وأنه لا يموت حتى يجبي (؟) ما بين مشرق الشمس ومغربها ويقود الخيل بنواصيها وتتفق عليه الأُمة وتدين بدينه أهل الملل، وزعم أن علياً وولده الذين أثبت لهم الإمامة آلهة وأن روح القدس كانت في النبي صلعم ثم انتقلت إلى عليّ ثم إلى الحسن ثم إلى الحسين ثم إلى محمد بن علي ‹محمد بن الحنفية› ثم إلى أبي هاشم ثم إلى عبد الله بن معاوية، وأن روح القدس قديمة لم تزل على مذهب النصارى، واحتج بحديث قد رواه لنا أصحاب الحديث عن عبد الله بن موسى الكوفيّ قال: حدثّني خلف الأزديّ عن حرملة الضبيّ عن جُميع بن عُمير قال: سألت لعائشة رضي الله عنها: من كان أحب الناس إلى النبي صلعم؟ فقالت: عليّ بن أبي طالب، ما يمنعه من ذلك وقد رأيتُ روح النبي صلعم - أو نفسه - خرجت فتلقّاها عليّ عليه السلام فجعلها في فيه؟ فزعموا أن تلك الروح التي جعلها عليّ في فيه هي لاهوتيّة كانت في النبي صلعم وبها كان يعمل الآيات ويُخبر الناس بالغيوب، وزعموا أنّها روح القدس. [*(...) وتلي بعض أبيات الهجاء للشاعر السّيد الحميري يهجو بهن الفرقة*]

وهذا الصنف يزعمون أن القيامة تكون بخروج الروح من بدن إلى بدن، ويزعمون أن الأرواح إذا كانت مطيعةً نقلت إلى أبدان طاهرة وصور حسان ولذّات دائمة ثم لا يزالون ينتقلون في مراتب الحسن والطهارات واللذّات على قدر نظافتهم حتى يصيروا ملائكة ويصيروا في أبدان صافية نوريّة، وإذا كانت الأرواح عاصية نقلت إلى أبدان نجسة وصور مشوّهة وخِلَق مذمومة كالكلاب والقردة والخنازير والحيّات والعقارب. قالوا: فالجنان والنيران هي الأبدان، وتأولوا قول الله عز وجلّ ﴿إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (القرآن، العنكبوت: ٦٤). قالوا: فالآخرة التي يصير الناس إليها بعد الموت إنما هي انتقال الروح من حيوان إلى حيوان حتى يكون آخر ما يصيرون إليه من الأبدان السود المحترقة أو الأبدان الصافية النوريّة. وتأولوا قول الله عز وجلّ: ﴿يا أيُّها الإنسانُ ما غرّكَ بربِّكَ الكريمِ الذي خلقَكَ فسوّاكَ فعدلَكَ في أي صورةٍ ما شاءَ ركّبكَ﴾ (القرآن، الانفطار: ٦–٨)، قالوا: فالله يركب الإنسان فما شاء من صور الحيوان على قدر ما اكتسب من الطاعات والمعاصي. وإلى هذا يذهب الخرمية (أنظر في ص ٥٨ و٥٩) وسائر غالية الشيعة.

وأما قولهم بالأدوار فإنهم زعموا أن الله خلق سبعة آدميّين واحداً بعد واحد فمكث آدم الأول ونسلُه على الأرض خمسين ألف سنة يحيون ويموتون ويطردون وتتناسخ أرواحهم في صور بعد صور، قالوا: وذلك مقدار ما يتميّز أهل الطاعة من أهل المعصية، فإذا مضت خمسون ألف سنة صُيّر المطيعون من جنس الملائكة ورفعوا إلى سماء الدنيا وصُيّر العاصون خلقاً لا يعبأ الله بهم في خِلَقٍ مشوَّهة وأُنزلوا إلى تحت الأرض. قالوا: ويصدّق هذا قول الله عز وجلّ: ﴿أوَلم يهدِ لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم، إنّ في ذلك لآياتٍ أفلا يسمعون﴾ (القرآن، السجدة: ٢٦). وزعموا أن النمل والخنافس والجعلان التي تمشي في مساكنهم ‹هي› الذين أهلكهم الله عز وجل في الأزمان السالفة والّذين مسخهم الله ونسخ أرواحهم في هذه الأبدان المبيّنة، قالوا: ثم ينشأ آدم آخر فيُفعل به وبنسله مثل الذي فُعل بآدم الأول ويُرفع المطيعون من نسله إلى سماء الدنيا ويرفع الذين كانوا في سماء الدنيا ‹أي مُخَلَّصُو الدور الأول› درجةً إلى السماء الثانية وينزل العاصون من ولده إلى تحت الأرضَ ويخرج الذين كانوا فيها قبلهم فيسكنون في الأرض الثانية، وهكذا يفعل بكل آدم وولده وذرّيته حتى تتم الأدوار السبعة ثم ينقطع التعبّد. وتأولوا قول الله عز وجلّ: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجرٌ غير ممنون﴾ (القرآن، التين: ٤–٦) وقوله عز وجلّ ﴿لتَرْكَبُنَّ

طَبَـقاً عن طَبَقٍ﴾ (القرآن، الانشـقاق :١٩)، قـالـوا فإنما عنى الله بذلـك أطباق السـماوات والأرضين. ولهذا الصنف من الشيعة عجائب كثيرة وأقاويل منكرة تركنا ذكرها لئلاّ يطول الكتاب بها، وهم يبطلون مع قولهم هذا الشرائع ويزعمون أن العبد إذا عرف إمامه زالت عنه الفرائض ».

النوبختي، ص ٥٧-٥٩ (= القمي، ص ٤٤-٤٦) :

« ومنهم كان بدء الغلو في القول حتى قالوا إن الأئمة آلهة وإنهم أنبياء وإنهم رسل وإنهم ملائكة، وهم الذين تكلموا بالأظلة وفي التناسخ في الأرواح وهم أهل القول بالدور والكور في هذه الدار وإبطال القيامة والبعث والحساب، وزعموا أن لا دار إلاّ الدنيا وأن القيامة إنما هي خروج الروح من بدن ودخوله في بدن آخر غيره، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً؛ منقولئون[١٠٢] (مسرورون) في هذه الأبدان أو معذبون فيها من كان منها معذباً فالأبدان هي الجنات وهي النيران، منقولون في الأجسام الأنسية المنعمة في حياتهم، ومنقولون في الردية المشوهّة من كلاب، وقردة، وخنازير، وحيات، وعقارب، وخنافس، وجعلان، محولون من بدن إلى بدن معذبون فيها هكذا أبد الآبدين، فهي جنتهم ونارهم لا قيامة ولا بعث غير هذا على قدر أعمالهم وذنوبهم وإنكارهم لأئمتهم ومعصيتهم لهم، فإنما تسقط الأبدان وتخرب إذ هي مساكنهم، فتتلاشى الأبدان وتفنى وترجع الروح في قالب آخر منعم أو معذب، وهذا معنى الرجعة عندهم. وإنما الأبدان قوالب ومساكن بمنزلة الثياب التي يلبسها الناس فتبلى وتطرح ويُلبس غيرها وبمنزلة البيوت التي يُعمرها الناس؛ فإذا تركوها وعمروا غيرها خربت. والثواب والعقاب على الأرواح دون الأجساد، وتأولوا في ذلك قول الله تعالى: ﴿في أي صورة ما شاء رَكَّبك﴾ (القرآن، الانفطار: ٨) وقوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلاّ أُمم أمثالكم﴾ (القرآن، الأنعام: ٣٨) وقوله عز وجل: ﴿وإن مِنْ أُمة إلاّ خَلاَ فيها نذيرٌ﴾ (القرآن، فاطر:٢٤) فجميع الطير والدواب والسباع كانوا أُمماً ناساً خلت فيهم نذر من الله عز وجل واتخذ بهم عليهم الحجة، فمن كان منهم صالحاً جعل روحه بعد وفاته وإخراب قالبه وهدم مسكنه إلى بدن صالح، فأكرمه ونعمه، ومن كان منهم كافراً عاصياً نقل روحه إلى بدن خبيث مشوه يعذبه فيه في الدنيا وقلبه ‹أهانه[١٠٣]› وجعل قالبه في أقبح صورة ورزقه أنتن رزق وأقذره، وتأولوا في ذلك قول الله عز وجل: ﴿فَأمَّا الإنسَانُ إذَا ما ابتَلاهُ رَبُّهُ فأكرَمَهُ ونَعَّمَهُ فيَقول ربي أكرَمَنِ، وأما إذا ما

ابتَلاهُ فَقَدَرَ عَليهِ رِزقَهُ فيقولُ رَبي أهانَنِ ﴾ (القرآن، الفجر: ١٥-١٦)؛ فكذب الله هؤلاء ورد عليهم قولهم لمعصيتهم إياه فقال: ﴿ كلا بل لا تُكرِمونَ اليتيم ﴾ (القرآن، الفجر:١٧) وهو النبي صلى الله عليه وسلم، ﴿ولا تحاضون على طعام المسكين ﴾ (الفجر: ١٨) وهو الإمام ﴿ وتأكُلونَ التُراث أكلاً لماً ﴾ (الفجر: ١٩) لا تخرجون حق الإمام مما رزقكم وأجراه لكم».

**

إن للروايتين عن تعاليم ابن حرب أهمية خاصة لتأريخ الغنوص الإسلامي: إذ لقد عثرنا لدى الزنديق المدائني على كل التصورات الجوهرية لتلك الأُسطورة الغنوصية ومصطلحاتها التي أصبحت باصطلاحاتها الفريدة جزءاً لا يتجزأ من التراث الغنوصي المصاغ أدبياً في النصوص الأحدث سناً – في أُم الكتاب وكتاب الأظلة[١٠٤]– والتي تميز حتى يومنا هذا بشكل لم يتغير تعاليم عقيدة فرقة الغلاة الأخيرة التي مازالت موجودة حتى يومنا هذا، أي تعاليم النصيريين/العلويين السوريين –.

ولا يعرض التقريران هذه الأُسطورة كرواية مترابطة – فمن المفهوم أن مؤرخي الملل والفرق يسهبون في وصف تعاليم التناسخ الغريبة –، إلا أن الروايات التي وصلتنا في أدب الغلاة المتأخر تمكننا من استنتاجات لمذهب ابن حرب لاسيما وأن المصطلحات تتطابق تماماً فيما بينها.

ومفاد ما تم تناوله في المصدرين السابقين باسهاب هو – قبل كل شيء – خلاص أرواح الناس من القوالب الجسدية المحبوسة فيها. ويجب أن تكون الحياة الدنيوية قد سُبِقت بنزول الأرواح أو هبوطها من وطنها السماوي؛ ولا يخبر الناشئ «المزيف» ولا النوبختي عن هذا الهبوط الذي يصح افتراضه لأنه يكمن – مثلما في النصوص الأدبية المتأخرة – خلف مصطلح «الأظلة» المذكور بوضوح: فإن الأرواح في أصلها هي أنوار سماوية سقطت (عقاباً على عصيانها خالقها) من الأدوار السبعة للسماوات وأظلمت إلى أظلة وأخيراً احتجزت في قوالب مادية، في الجسوم. وإن إلتزامها في المحافظة على فرائضها المفروضة عليها، أي تعبدها حسبَ الفرائض – كما يتضح – هو جزء من عقابها أيضاً.

وتجري عملية الخلاص في مرحلتين يجب التمييز بينهما تمييزاً واضحاً: يتم أولاً نقل المطيعين من أجل التطهير في العديد من الأجسام البشرية إلى حين، وينقل – في المقابل – غير المطيعين أو العصاة إلى أبدان الحيوانات. لقد استخدم لانتقال الأرواح لدى الناشئ

« المزيف » الفعلان « مسخ » و« نسخ » ولكن من دون التمييز بينهما بوضوح: يستخدم العلويون الحاليون المصدر « نسخ » لاعادة الميلاد على شكل آدمي و« مسخ » للذين يحولون إلى أبدان حيوانات أو صور معدنية (وبالمناسبة فهم يستشهدون بالآية القرآنية ذاتها). ولا يمت هذا الشكل من تناسخ الأرواح لمذهب الكرما Karma الهندي بأي صلة إنما يدرج تحت ذلك النوع الذي كان موجوداً في غنوص الفترة المتأخرة من العصور القديمة بكثرة أيضاً، وعلى وجه التقريب لدى باسيليدس Basilides والكريوكراتيين أو الظهوريين Doketen[١٠٥]: إذ يفرض على الأرواح غير المخلصة أن تتنقل (تتناسخ) إلى حين تكفيرها عن ذنوبها وأن تكتسب المعرفة الحقة وأن تنتزع صلتها بالأبدان الجسدية.

وتمضي إلى جانب تناسخ الأرواح الفردي سبعة أدوار، سبعة إنسانيات يتقدم كل واحدة منهن آدم. ثم تصعد الأرواح التي خلصت من وجودها الجسدي نهائياً إبان الدور الأول من هذه الأدوار متقمصة أبداناً نورانية أولاً إلى السماء الدنيا من السموات (حيث تمكث كنجوم إلى حين)؛ وتتنحى إبان الدور الثاني لصالح الُمخلَصين الجديد وتتابع الصعود إلى السماء الثانية، في حين يكابد الملعونون حركة تراجع مناظرة إلى أسفل الأرض. وفي النهاية يكون المخلصون كلهم قد اجتازوا بعد ذلك اعادة ولادتهم الأرضية، وأنهوا الصعود التالي خلال السموات السبع وبلغوا حالتهم الأصلية الُمخلَصة.

أما الآن فما هو الدور الذي يقوم به عليّ والأئمة (الكيسانيون) في عملية الخلاص هذه؟ تسند لهم نوعية إلهية ويحل فيهم الروح القدس. نحن نعلم من المذاهب المتأخرة – وإن كانت عقيدتها متنوعة في جزئياتها أيضاً – أنهم يعتبرون رسلاً نورانية سماوية يكشفون للأرواح المحبوسة في الأبدان عن أصلها الحقيقي والطريق إلى الخلاص. ويتقرر في الوقت عينه قدر كل روح إما بالطاعة أو بالعصيان: ولأن عصيان الله كان سبب هبوطها تعوض الطائعة بالحلول الأرضي (الذي يستخدم غالباً بدناً ظاهراً فقط) عن الخطيئة الأولى. فإذاً، مَنْ استدل على الله في الإمام وتركه يكشف له عن أصله الحقيقي سوف يتم خلاصه من عيشته الجسدية، وتسقط عنه بذلك الفروض في آن، أي العبادات الدينية المفروضة عليه حسب الشريعة الدينية تأديتها مثل الصلاة والصوم والحج إلى مكة، إلخ. وفي نهاية عملية الخلاص ترفع العبودية للطقوس نهائياً.

لقد كانت التناقضية المستترة أو البينة « Antinomismus » لفرق الغلاة هي أشد ما يستاء له المؤلفون السنة والإماميون–الشيعة مراراً وتكراراً؛ إذ يلام الغلاة المرة تلو المرة – وليس

جوراً بلا ريب – على تقليلهم لأهمية دعوة محمد و«إلغائهم الشريعة» و«تحليلهم المحرمات»، وإن توجب كذلك قبول الأمثلة العنيفة التي يذكرها مؤرخو الملل والفرق لتصوير فوضويتهم – اللواط، والمشاعية الجنسية، وزنا المحارم – بحذر.

(٦) الدعوة الهاشمية والثورة العباسية

النوبختي، ص ٥٢:

«و(فرقة) منهم ‹أي الكيسانيين› قالت إن محمد بن الحنفية مات والإمام بعده عبد الله بن محمد ابنه وكان يكنى أبا هاشم وهو أكبر ولده، وإليه أوصى أبوه فسميت هذه الفرقة «الهاشمية» بأبي هاشم.

وقالت فرقة مثل قول الكيسانية في أبيه: بإنه المهدي وإنه حيٌّ لم يمت وإنه يُحيي الموتى وغلوا فيه».

القمي، ص ٢٧:

«وبعضهم يزعم أن ‹أبا هاشم› عبد الله بن محمد بن الحنفية فيه روح أبيه وأنه حيٌّ لم يمت، وأن المغيب في جبال رضوى هو عبد الله بن محمد لا الأب وأنه يملك الأرض، وأنه إنما غُيّب وجُعل بين أسدين ونمرين عقوبة أصابته لإتيانه ‹الخليفة› عبد الملك بن مروان ‹في دمشق›[١٠٦]».

**

لقد رأينا أنه إلى جانب هذه الآمال الكيسانية القديمة في رجعة الإمام الغائب قد غلب الرأي بالتدريج، أنه علاوة على ذلك قد أصبح أقرباء آخرون من بطانة الرسول، أي بنو هاشم، محتملين لمرتبة الإمام المهدي؛ إذ أن المتمرد عبد الله بن معاوية كان أحد هؤلاء. وبناءً على ذلك تغير معنى الاسم «هاشمية»: إذ أصبح يشير إلى بني هاشم بدلاً عن أبي هاشم؛ وتُرك اسم الإمام المستقبلي مفتوحاً؛ فالدعاة الهاشميون يذكرون «الذي سيجد الرضا من آل محمد»[١٠٧].

نشر الدعاة الهاشميون في أواسط القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي منطلقين من الكوفة أعمالاً دعائية نشطة وتحديداً في خرسان القضاء الفارسي الشرقي لاكتساب مناصري المهدي المنتظر. وكانت دعوتهم تقاد من قبل ثلاثة من أهل الكوفة عرفناهم

باسمائهم: أولاً شخص يدعى ميسرة الذي خلفه عام ١٠٥هـ/٧٢٣ أو ٧٢٤م بُكير بن ماهان؛ ثم أبو سلامة الخلال منذ عام ١٢٦هـ/٧٤٤م. وكانوا ثلاثتهم يرسلون الدعاة إلى خرسان باستمرار، وسقط بعضهم في أيدي الحكام الأُمويين وقُتِّلوا أو تم التمثيل بهم[١٠٨].

على الأرجح أنه قد نشأت في عهد بُكير في واحة مرو (المسماة اليوم ماري وهي عاصمة تركمانستان في الاتحاد السوفيتي) المنظمة المتفرعة عن الهاشمية التي كانت تشكل من اثني عشر قائداً أو نقيباً (ج نقباء) استناداً إلى الآية الثانية عشرة من سورة المائدة ﴿وَلَقَد أخَذَ اللهُ ميثاقَ بني إسرائيل وبَعَثنا منهُم اثنى عشر نقيباً وقالَ اللهُ إني معكُم لَئن أقَمتُمُ الصلاةَ وآتيتُم الزكاة وآمنتم بِرُسُلي وعَزَّرتُموهم وأقرضتُم اللهَ قرضاً حَسناً لأُكَفرَنَّ عنكم سيئاتكم ولأُدخلنكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواءَ السَّبيلِ﴾. سيواجهنا النقباء الإثنا عشر عدة مرات في تنظيم الفرق الشيعية- الغنوصية فيما بعد أيضاً[١٠٩].

لقد كان انتظار المهدي الذي لم يعد بعد موت أبي هاشم مرتبطاً بشخص محدد، هذا الانتظار الذي كانت الدعوة الهاشمية تُأجج لهيبه، أن أودى في النهاية حقاً بالأُسرة الأُموية لكن بأُسلوب مخالف تماماً لما كان يرجوه أصحاب الانقلاب. ولقد استطاعت أُسرة بني العباس القريبة من الدرجة الأولى لبيت الرسول - فلقد كان العباس عماً للرسول - أن تنفذ إلى تنظيم الدعوة الهاشمية وأن تضع في الدعاة الهاشميين شخصاً تابعاً ومطيعاً لها في شأنها يدعى «أبو مسلم» - اسم نوعي للمؤمنين حديثاً -. وأوضح ما يذكر من الروايات المختلفة عن هذه الواقعة روايتان ذكرتا في تأريخ الطبري (ج٢، ص١٧٢٦ وما يليها، ط أناليس) جنباً إلى جنب: ثم حُبس بُكير بن ماهان رأس الهاشميين الكوفيين الذي سلف ذكره حبساً مؤقتاً وكان يجلس إبان ذلك أتباع العباسيين[١١٠] في عين السجن أيضاً وكان أبو مسلم لديهم خادماً لهم. واشتراه بُكير من الدعاة العباسيين وأدخله مباشرة إلى منظمته، إلا أنه لم يدر أنه قد أدخل واحدا من أتباع العباسي محمد بن علي في خدمته. يسجل الطبري شراء أبي مسلم من قبل بُكير في سنة ١٢٤ للهجرة -٧٤١ أو٧٤٢ ميلادية. ثم أُرسل أبو مسلم لأول مرة إلى مرو في عهد خليفة بُكير، أي عهد أبي سلمة الخلال في سنة ١٢٨ هـ/٧٤٥ أو ٧٤٦ م، حيث بدأ يباشر بالتحضير للخروج على الأُمويين، و- بالمناسبة - ضد معارضة سليمان بن كثير، المتحدث باسم النقباء الاثني عشر في مرو[١١١]. واستطاع أبو مسلم مستغلاً النزاعات الحزبية ما بين قادة خرسان، بمساعدة

أتباع الهاشمية الاستيلاء على الواحة مرو؛ ورفع في الأول من شعبان سنة ١٢٩ (١٥حزيران ٧٤٧م) في ضيعة بالقرب من مرو الرايات السود - شارات معركة المهدي الكيساني الهاشمي (أنظر أعلاه ص ٣٩) -. حتى أنه أوقع بعد ما ينيف عن نصف عام (١٣٠هـ/ شباط ٧٤٨) قلعة مرو في يده وبايع الذي له « الطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم » - ولم يكن اسمه محدداً حتى ذلك الزمن - [١١٢].

وسار جيش بقيادة قحطبة بن شبيب، أحد النقباء الاثني عشر، نحو الغرب وتمكن بعد انتصارات عديدة حققها على القوات الأُموية من الانحدار من المرتفعات الإيرانية إلى العراق وعبور الفرات (حيث لاقى قحطبة الموت) ودخول الكوفة من دون عراقيل في عام ١٣٢هـ (٢ أيلول سنة ٧٤٩). ولم يكن المهدي المنتظر قد ظهر بعد حتى أن اسمه لم يُعلن بعد. واتخذ أبو سَلَمة، نقيبُ هاشميي الكوفة لنفسه لقب « وزير آل محمد »[١١٣]. إذ أنه كان ما زال يعتقد بمقدرته على تحويل مسار الأحداث بما يروق له، فيبدو أنه كان على اتصال مع العديد من العلويين في المدينة كان فيهم اثنان من سلالة الحسن وجعفر الصادق الحسيني[١١٤]. إلا أن زمام الأمر كان قد فلت من يده منذ حين. فلقد قدم بنو العباس إلى الكوفة: الأخوان أبو العباس وأبو جعفر (أبناء المتوفى محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس) برفقة ستة من عمومتهم، وثلاثة من أبناء الأُخوة وابن عم. وأعطي تحت ضغط من قبل الجيش الخرساني المكلل بالنصر أبو العباس لقباً لصفة المهدي وهو « السفاح » ونودي به أميراً للمؤمنين. وغُلّب أبو سلمة نقيب هاشميي الكوفة فتوجب عليه الإذعان. وتمت إزاحته من الطريق بعد ذلك بسنتين (١٣٢هـ/ ٧٥٠م).

وهكذا تحققت أخيراً الآمال الكيسانية الهاشمية: إذ سقط الأُمويون المكروهون ودخلت الرايات السود إلى دمشق. إلا أنه لم يظهر أحد قادماً من جبل الرضوى. ومع أن العباسيين يدّعون أن أبا هاشم المتوفى قد نقل كافة حقوقه إلى أبيهم محمد بن عليّ بالوراثة[١١٥] إلا أن هذا الافتراض قد لاقى بالتأكيد قبول قسم من أتباع الكيسانية / الهاشمية فقط. وأوقع العباسيون بجهاز دعاية الهاشميين الذي وصلوا بفضله إلى الحكم وأصبحت الجماعات الكيسانية والهاشمية التي لم تحالفهم منشغلة بمذهبها.

(٧) الخُرميون

إن آخر من استمر بتراث الفرق الكيسانية في فجر الزمن العباسي هم الفرق الخُرَمدينية أو

الخرمية في إيران[١١٦]. «ومنهم ‹أي من الكيسانيين› تفرقت فرق الخرمدينية» هكذا يذكر النوبختي (ص ٥٧)؛ ويلاحظ الناشئ «المزيف» (جعفر بن حرب) طبقاً لوصفه لتعاليم ابن حرب في تناسخ الأرواح أن: «وإلى هذا يذهب الخُرمية...»[١١٧]، ومذكور لدى الشهرستاني أن: «ومنها ‹أي من تعاليم عبد الله بن معاوية› نشأت الخرمية»[١١٨].

إن الاسم مبهم: وكلمة «خُرَم» فارسية تعني «سعيد، مسرور»؛ فمثلا «خرم دينى» ستدل قياسا لذلك على «مؤمن بديانة سعيدة أو مبهجة»، وربما هي تسمية لأصحاب الفرقة أطلقوها على أنفسهم تشير إلى زوال المتاعب بالعبادات والحصر؛ ويُتهمون عادةً بالتناقض «Antinomismus» أيضاً ويتم التأكيد على اتهامهم بالظلال الفاسق[١١٩].

لقد كانت منطقة انتشار الفرق الخرمية في الجبال الإيرانية الغربية وأصفهان - أي في المنطقة السابقة لحكم عبد الله بن معاوية - والإقليم الإيراني الشرقي خُراسان مع المركزين مرو وهراة حيث مهدت الدعوة الهاشمية الخارجة من الكوفة الطريق للعباسيين. إن سلسلة الأئمة الخرميين كيسانية، هذا يعني أن الإمامة تورث عن محمد بن الحنفية وابنه أبي هاشم؛ ويعد ورثة لهم إما الخلفاء العباسيون أو داعيتهم أبو مسلم. كان الخرميون طبقا لعرض الناشئ «المزيف» هم الخرسانيين أتباع العباسيين في حين أقر خرمية الجبال بأبي مسلم كإمام[١٢٠]. إلا أن الأُمور كانت معقدة في خرسان؛ إذ كانت فرقة الرِّزامية في مرو تقول بإن روح الله انتقل من أبي هاشم إلى العباسيين ولكن لأبي مسلم نصيب «حظ» في إمامتهم[١٢١]؛ وفي المقابل كان الأبو مسلمية [الخرمية من أصحاب أبي مسلم. م. المترجم] في مرو وهراة يقولون بأن الإمامة انتقلت إلى أبي مسلم وحده وينكرون أنه قد قتل من قبل الخليفة العباسي المنصور وينتظرون رجعته[١٢٢]. وقد تضعضعت سيادة العباسيين وراء نهر جَيحون (آمودريا) إبان حكم الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م) بخروج «المُبيضة» التي كان يتزعمها «المقنع» التي يشار إليها كفرقة تابعة للخرمية[١٢٣].

أنكر الخلفاء العباسيون جميع هذه الفرق والتيارات وحاربوها عندما كانت تظهر مسلحة. لقد تخلصوا حالما وصلوا إلى السلطة، من الحلفاء الكيسانيين-الهاشميين؛ وحتى أن استنادهم في البداية إلى وصاية أبي هاشم المزعومة بدعوتهم الرسمية تحول بعد فترة قصيرة واستُبدلَ باستنادهم إلى الفضائل الدينية القديمة لأُسرتهم ولجدهم العباس خاصة الذي ضمن له الرسول الخلافة[١٢٤]. وأعرض العباسيون في دورهم الجديد كمنادين بالتزمت عن الشيعة وختموا فرق الغلاة قبل كل شيء بخاتم الزندقة. ويظهر اعراضهم عن

الوسط الذي يرجع له الفضل في قيامهم واضحاً في تركهم الكوفة. إذ وضع الخليفة العباسي الثاني المنصور في سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م حجر الأساس لمدينة قصره الجديدة «مدينة السلام» بالقرب من الضيعة القديمة بغداد. وأُفتُرض للمقر الجديد أن يفوق بعد فترة وجيزة على الكوفة أهمية. وكان لتأسيسها أن أسرع قبل كل شيء في انحطاط المدائن / قطسفون الواقعة على بعد ثلاثين كيلومتراً فقط إلى أسفل دجلة التي بنيت بغداد جزئياً بمواد بناء أُخذت من أحيائها المنهارة.

الفصل الثالث
الهراطقة حول الإمام محمد الباقر

(١) أئمة السلالة الحسينية

لقد توفي محمد بن الحنفية، ابن عليّ الثالث في سنة ٨١هـ/ ٧٧٠م في المدينة ويبدو أن ابنه أبا هاشم قد عاش بعده سنوات قليلة. وفي حين كان قسم من أتباعه يرجون من عودة الإمام الغائب المكللة بالنصر من جبل رضوى نهاية الطغيان الأُموي كان الآخرون يتبعون المطالبين بإرث أبي هاشم: بيان، وابن حرب، وعبد الله بن معاوية، والعباسيون - الذين ظفروا بالنجاح -.

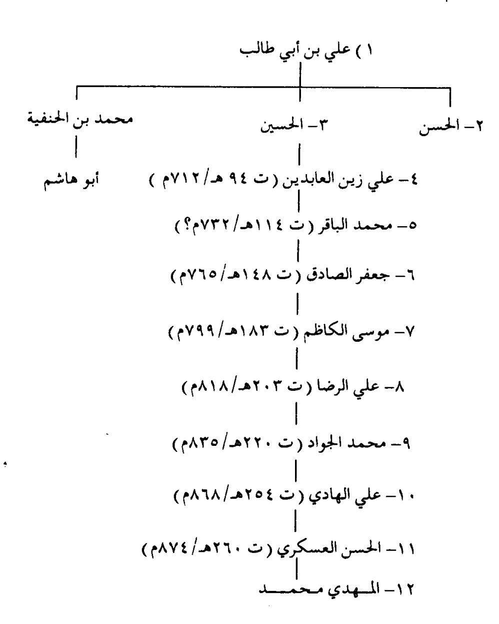
إلا أن أبناء الحسين المقتول في كربلاء[١٢٥] ساكني المدينة قد اكتسبوا أهمية بفضل خيبة آمال الكيسانيين المتكررة. وازداد في السنوات الأخيرة من حكم الأُسرة الأُموية عدد أتباع السلالة الحسينية: إذ شكلوا نواة الشيعة الإمامية (التي أطلق عليها فيما بعد تسمية الاثني عشرية).

لا يكاد علي زين العابدين بن الحسين، الإمام الرابع طبقاً لعد الإماميين (يُتخطى محمد بن الحنفية) أن يحظى في المصادر بأي ذكر. على الأرجح أنه توفى سنة ٩٤هـ/٧١٣م من دون أن يبرُز سياسياً[١٢٦].

إن الإمام الخامس طبقاً للعد الإمامي هو ابنه أبو جعفر محمد الملقب بالباقر أو بصيغة تامة: «باقر العلم»[١٢٧]. لقد سكن في المدينة وتوفي حسب المصادر الشيعية القديمة فيها سنة ١١٤هـ/٧٣٢م أو ١١٧هـ/٧٣٥م[١٢٨]. وافتتح أخوه زيد الذي قام بعصيان مسلح إبان خلافة هشام في سنة ١٢١هـ/٧٣٩م في الكوفة ولاقى على أثر ذلك الموت[١٢٩]، سلسلة الأئمة الزيديين؛ ولأن الشيعة الزيدية بقيت سالمة من الإغواءات الغنوصية فمن المفترض أن لا نعنى بها في بحثنا.

لقد كان موت محمد الباقر -كالعادة- سبباً في جدالات حول خليفته. وإلى جانب

ابنه جعفر المسمى بالصادق كسب حسنيٌ آخر عاش في المدينة، محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي، آمال الشيعة أيضاً. وفضلا عن ذلك ظهر في الكوفة هراطقة ادعوا أنهم ورثة محمد الباقر، وإن لم يكونوا يدعون وحياً إلهياً مباشراً فقد زعموا أنهم يحصلون تعاليمهم الزنديقية منه.



(٢) أبو منصور العجلي

النوبختي، ص ٥٩ وما يليها (= القمي، ص ٤٦ وما يليها):

« ومنهم ‹أي الغلاة› فرقة تسمى « المنصورية » وهم أصحاب « أبي منصور »، وهو الذي ادعى أن الله عز وجل عرج به إليه فادناه منه وكلمه ومسح يده على رأسه وقال له

بالسرياني[١٣٠] أي بني وذكر أنه نبي رسول وأن الله اتخذه خليلاً، وكان (أبو منصور) هذا من أهل الكوفة من عبد القيس وله فيها دار وكان منشأه بالبادية وكان أُمياً لا يقرأ فادعى بعد وفاة أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ‹الباقر› عليه السلام أنه فوض إليه أمره وجعله وصيه من بعده. ثم ترقى به الأمر إلى أن قال: «كان علي بن أبي طالب عليه السلام نبياً ورسولاً وكذا الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي ‹الباقر› وأنا نبي ورسول والنبوة في ستة من ولدي يكونون بعدي أنبياء آخرهم القائم». وكان يأمر أصحابه بخنق من خالفهم وقتلهم بالاغتيال ويقول: «من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه فإن هذا جهاد خفي»، وزعم أن جبرائيل عليه السلام يأتيه بالوحي من عند الله عز وجل وأن الله بعث محمداً بالتنزيل وبعثه هو (يعني نفسه) بالتأويل. فطلبه ‹الوالي› خالد بن عبد الله القسري فأعياه ‹ثم ظفر به يوسف بن عبد الله الثقفي، وصلبه›[١٣١] ثم ظفر عمر الخناق بابنه (الحسين بن أبي منصور) وقد تنبأ وادعى مرتبة أبيه وجبيت إليه الأموال[١٣٢] وتبعته على رأيه ومذهبه بشرٌ كثير وقالوا بنبوته، فبعث به المهدي[١٣٣] فقتله في خلافته وصلبه بعد أن أقر بذلك وأخذ منه مالاً عظيماً وطلب [طارد] أصحابه طلباً شديداً وظفر بجماعةٍ منهم فقتلهم وصلبهم».

القمي، ص٤٧-٤٨:

«وزعمت المنصورية أن آل محمد هم السماء وأن الشيعة هم الأرض وزعموا أن قول الله: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ (القرآن، الطور: ٤٤) أنه إنما يريد الذين لا يؤمنون بالعيان من المغيرية[١٣٤]، وزعموا أن الكسف الساقط هو أبو منصور. وزعمت المنصورية أن أول خلق خلقه الله عيسى، ثم علي بن أبي طالب، فهما أفضل من خلوص خلقه[١٣٥]، وأن الناس ممزوجون من نور وظلمة، واستحلت جميع ما حرم الله وقالوا لم يحرم الله علينا شيئاً تطيب به أنفسنا وتقوى به أجسادنا على قول المجوس ‹أي ديانة زردشت› في نكاح الأمهات والبنات، وإنما نحن بستان الله أمرنا أن لا ننسى بستانه، أبطلوا المواريث والطلاق والصلاة والصيام والحج، وزعموا أن هذه أسماء رجال.

فلمّا قُتِل ‹أبو منصور› افترق أصحابه فرقتين، فقالت طائفة: الإمام بعده ‹ولده› الحسين بن أبي منصور وقالت الأخرى إنما كان أبو منصور مستودعاً صحاب الأصباط[١٣٦]، ولكن

الإمامة في ‹الحسني› محمد بن عبد الله بن ‹الـ›حسن (أنظر ضمن ص ٦٢)، وليس له أن يتكلم لأنه الإمام الصامت حتى يقوم الإمام الناطق».

**

من الممكن ترتيب فرقة المنصورية ترتيباً زمنياً جيداً: لقد ظهر أبو منصور بعد موت محمد الباقر (١١٤هـ/ ٧٣٢م أو ١١٧هـ/ ٧٣٥م) مطالباً بالحق لنفسه. وبحث عنه الوالي خالد القسري - نفس الوالي الذي أحرق في سنة ١١٩هـ/ ٧٣٧م الزنديقين بيان والمغيرة[١٣٧] - ولكن بلا جدوى. وما ألقي القبض عليه وأُعدم إلا في عهد الوالي يوسف بن عمر الثقفي الذي تولى الولاية من عام ١٢٠هـ/ ٧٣٨م حتى عام ١٢٦هـ/ ٧٤٤م[١٣٨]. إلا أن الفرقة اجتازت الإضطرابات في سنوات حكم الأمويين الأخيرة وإبان تغيير الأسرة الحاكمة. وما أُعدم الحسين ابن أبي منصور وولي عهده مع عدد من أتباعه إلا في عهد الخليفة العباسي المهدي (حكم ١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٨٥م) مضطهد الزنادقة المجتهد في اضطهاده لهم.

كان أبو منصور بدوي الأصل؛ وكان قسم من قبيلته «عبد القيس» العربية الشمالية الشرقية قد اعتنق المسيحية قبل ظهور الإسلام. وكان يلقب كما يذكر المؤلفون السنة[١٣٩] بـ«العجلي». وكان لبني عجل وهم بطن من بطون بكر بن وائل ماضٍ مسيحي[١٤٠] أيضاً؛ وكان يقال فيهم إنهم «اتخذوا الصليب بعلاً»[١٤١]. لقد أشار ساباتينو موسكاتي « S. Moscati » إلى أن عدد العجليين بين الزنادقة الشيعة القدامى كان مرتفعاً بصورة ملفتة للنظر[١٤٢].

فلهذا ليس ثمة ما يدعو للعجب عندما تُظهر تعاليم أبي منصور معالم مسيحية تلفت الانتباه: إذ يقول إن أول مخلوق خلقه الله هو المسيح. ويتطابق مع هذا ما يخبر به الأشعري «ويمين أصحابه [أي أبي منصور] إذا حلفوا أن يقولوا: «والكلمة»[١٤٣]. وتطابق رواية النوبختي القائلة بإن الله تكلم مع أبي منصور بالسرياني ما سلف عرضه. إذ يجب أن تكون اللغة السريانية بالنسبة للبدو العرب ليس لغة الكنيسة فقط إنما لغة إلههم أيضاً (أما الرواية الشائعة لدى المؤلفين الآخرين التي مفادها أن الله تكلم بالفارسية فيمكن القول إنها ثانوية). ومسح الله يده على رأس أبي منصور: إن الفعل «مسح» المستخدم لذلك مشتق من نفس مصدر كلمة «مسيح Messias»؛ ولا ندري إذا ما كان هذا الوقع قد أُختير عن قصد. ويصح وجود تصورات غنوصية خلف المذهب القائل بإن الناس ممزوجون من نور

وظلمة. إننا لا نتعرف مع الأسف في هذا الصدد على التفصيلات.

إن التمييز بين الـ«تنزيل» والـ«تأويل» واضح وضوحاً جلياً: إذ أن محمداً جاء بالقرآن منزلاً وأُرسل أبو منصور على الأرض بالتأويل. لقد تم ذكر العديد من الأمثلة على تأويل أبي منصور للقرآن تأويلاً روحانياً. أخذ الإسماعيليون أسلوب التأويل لاحقاً وهذبوه. ويبدو أن الإسماعيليين قد استعاروا العديد من المصطلحات المنصورية؛ إذ يرد لديهم التمييز بين الإمام «الصامت» و«الناطق» وكذلك وصف «منقذ آخر الزمان» بـ«القائم»؛ ويرد في قاموس الإسماعيليين مصطلح الـ«مُستَودَع» (= مستأمن) الذي يتولى الإمامة لفترة من الزمن بالوكالة عن مالكها الحقيقي[١٤٤].

(٣) المغيرة بن سعد

طبقاً للخبر الذي أخذناه عن تأريخ الطبري (أنظر ص ٤١) فقد أحرق والي الكوفة خالد القسري سنة ١١٩هـ/٧٣٧م بيان بن سمعان مع زنديق آخر: المغيرة بن سعيد. ونعرف من الطبري فقط أنه كان ساحراً ويعمل بالتنجيم وزعم أنه يدعو الموتى ويستطيع احياءهم[١٤٥]. ويذكره المؤلفون الإماميون عدة مرات[١٤٦]؛ فهو يعد لدى الكشي ضمن الزنادقة السبعة[١٤٧]. ويبدو أنه كان قد ظهر مثل أبي منصور بعد موت محمد الباقر (سنة ١١٧هـ/٧٣٥م أو ١١٤هـ/٧٣٢م) مدعياً أنه «هو الإمام إلى أن يخرج المهدي»[١٤٨]. وتذكر جميع المصادر مهدي المغيريين والمنصوريين وهي متفقة كذلك على أنه الحسني محمد بن عبد الله بن الحسن المسمى بـ«النفس الزكية» الذي قام بثورة على الخلافة العباسية بعد ٢٦ سنة من اعدام المغيرة في المدينة في عام ١٤٥هـ/٧٦٢م. وتبعاً لذلك فليس من المؤكد أن يكون المغيرة هو الذي قد بشر بالحسني [محمد بن عبد الله] مهدياً قادماً أو أن يكون مؤرخو الملل والفرق قد أسقطوا مذهب فرقته المتأخر عليه.

ولا يعرف من أين جاء المغيرة ومن هو؛ إذ يعرف المؤلفون الإماميون اسمه فقط. ويشار إليه لدى ابن قتيبة كمولى لقبيلة بجيلة[١٤٩]، أما لدى القمي والنوبختي فيعتبر حتى كمولى الوالي خالد القسري نفسه سيما أنه كان من أبناء بجيلة. وينسب لدى البغدادي والشهرستاني بالنسبة «العجلي»، على الأرجح لخلط مع أبي منصور[١٥٠].

ويتواجد الخبر المفصل عن تعاليم المغيرة[١٥١] في مقالات الأشعري:

الأشعري، من آخر ص ٦–٨ :

« والفرقة الرابعة منهم ‹أي الغلاة› « المغيرية » أصحاب « المغيرة بن سعيد » يزعمون أنه كان يقول إنه نبي وإنه يعلم اسم الله الأكبر، وإن معبودهم رجل من نور على رأسه تاج وله من الأعضاء والخلق ما للرجال وله جوف وقلب تنبع منه الحكمة وإن حروف « أبى جاد » ‹الأبجدية السريانية› على عدد أعضائه. قالوا والألف موضع قدمه لاعوجاجها وذكر الهاء فقال: « لو رأيتم موضعها منه لرأيتم أمراً عظيماً » يعرّض لهم بالعورة وبأنه قد رآه لعنه الله، وزعم أنه يُحيي الموتى بالاسم الأعظم وأراهم أشياء من النيرنجات والمخارق، وذكر لهم كيف ابتدأ الله الخلق فزعم أن الله جل اسمه كان وحده لا شيء معه فلما أراد أن يخلق الأشياء تكلم باسمه الأعظم فطار ‹في الهواء› فوقع فوق رأسه التاج(؟)[١٥٢] قال وذلك قوله ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (الأعلى: ١)[١٥٣] . قال: « ثم كتب باصبعه على كفه أعمال العباد من المعاصي والطاعات، فغضب من المعاصي، فعرق فاجتمع من عرقه بحران أحدهما مالح مظلم والآخر نمير عذب. ثم أطلع في البحر فأبصر ظله فذهب ليأخذه، فطار ‹الظل› فانتزع عين ظله فخلق منها شمسا. ومحق ذلك الظل وقال: « لا ينبغي أن يكون معي إله غيري » ثم خلق الخلق من البحرين، فخلق الكفار من البحر المالح المظلم، وخلق المؤمنين من النيّر العذب، وخلق ظلال الناس فكان أول من خلق منها محمداً صلى الله عليه وسلم »؛ قال: « وذلك قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ (الزخرف: ٨١) ثم أرسل محمداً إلى الناس كافة وهو ظل ثم عرض على السموات أن يمنعن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ‹من الإمامة›، فأبين ثم على الأرض والجبال فأبين ثم على الناس كلهم فقام عمر بن الخطاب إلى أبي بكر فأمره أن يتحمل منه وأن يغدر به ففعل ذلك أبو بكر، وذلك قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ (الأحزاب: ٧٢) » قال: « وقال عمر أنا أُعينك على عليّ لتجعل لي الخلافة من بعدك »، وذلك قوله: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ﴾ (الحشر: ١٦) والشيطان عنده عمر، وزعم أن الأرض تنشق[١٥٤] عن الموتى فيرجعون إلى الدنيا، فبلغ خبره خالد بن عبد الله ‹القسري› فقتله.

قال وكان « جابر الجعفي » من أصحابه وأنزله أصحاب المغيرة بمنزلته[١٥٥] ومات جابر وادّعى وصيّته « بكر الأعور الهجري القتّات »، فصيروه إماماً وقالوا إنه لا يموت فأكل أموالهم. وكان المغيرة يأمرهم بانتظار محمد بن عبد الله بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، وذكر لهم أن جبريل وميكائيل عليهما السلام يبايعانه بين الركن ‹أي ركن الكعبة حيث

موضع الحجر الأسود› والمقام ‹أي مقام ابراهيم (ع) بجانب الكعبة› ويُحْيي له سبعة عشر رجلاً يُعطى كل رجل منهم كذا وكذا حرفاً من الاسم الأعظم فيهزمون الجيوش ويملكون الأرض. فلما خرج محمد ‹هذا› وقُتِّل قال بعضُ أصحاب المغيرة: «لم يكن الخارج محمد بن عبد الله إنما كان شيطاناً تمثل في صورته وإن محمداً سيخرج ويملِك الأرض على ما قال المغيرة»، وبرئ بعضهم من المغيرة».

**

لقد ظهر المغيرة كـ«نبي»، هذا يعني أنه مستقبل مباشر لوحي الله. وهذا الوحي هو مصدر قوته السحرية التي عادت عليه - على ما يبدو - بصيت الساحر: بمعرفة «الاسم الأعظم، الأكبر»، أي معرفة اسم الله الأعلى الخفي. وتمنح معرفة هذا الاسم مقدرة خلاقة: إذ كان الاسم في بداية خلق الكون. وحتى أنه يُؤَقْنِم نفسه مفترضا وجودها كائناً مستقلاً طار فيْ الهواء وسقط على تاج الله (أو سقط تاجٌ على رأسه). أما المغيرة فيريد أن يُحيي الأموات بالاسم(١٥٦) وسيهزم المهدي الجيوش المعادية بمساعدته.

على الأرجح أن المغيرة قد احتفظ لنفسه بنص الاسم الأعظم. لكن من الممكن استخلاص بعض النتائج من تعاليم أتباعه. إذ سيبعث للمهدي سبعة عشر رجلاً يعطى كل واحد منهم حرفاً من حروف الاسم الأعظم. يتم الحصول على هذا الرقم المدهش عندما تحذف النقاط من حروف الأبجدية العربية المعجمة، فتبقى بذلك سبعة عشر خاصية(١٥٧). فهكذا يتكون الاسم من حروف الأبجدية؛ ويحتوي على كل الكلمات الممكنة والمصطلحات وطبقاً للتصورات السحرية كل الأشياء المسماة بذلك أيضاً. فمن لديه الاسم هو المستحوذ على الأشياء وحتى يمكنه خلقها إذا ما كون أسماءها.

ولكن لا تُكَوِّن الحروف الأسماء فقط إنما جسد الله كذلك. طبقاً للإدراك السحري للكون فلا يمكن فصل الأسماء عن المسميات. وتتساوى بعض الحروف مع أعضاء عينة مساواة واضحة.

إن فكرة الاسم الأعظم يهودية في أصلها (هَشيّم هَجادول، هَشيّم هَميفوراش)؛ إلا أنها منتشرة في الإسلام انتشاراً واسعاً(١٥٨). إذ كان التراث الإسلامي يعتبر بَلْعَام بن بَعُورَ (عدد: ٢٢ ـ ٢٤) العالم الأشهر بالاسم الأعلى(١٥٩). ولذلك يقارن في إحدى المنقولات الإمامية التي حفظها الكشي(١٦٠) المغيرة مع بلعام. وعلى الأرجح أن مفاد القول في أن المغيرة أخذ معرفته السحرية عن امرأة يهودية(١٦١) هو انعكاس الأصل اليهودي لجملة هذه

التصورات.

أما القسم الأكثر إثارة من تعاليم المغيرة فهو قصة الخلق التي تظهر معالمَ غنوصية بوضوح. وتأتي الثنوية (الثنائية Dualismus) ما بين البحر المنير والآخر المظلم الملفتة للنظر في مرتبة تالية؛ إذ ينشأ كلاهما من عرق غضب الله على معاصي الناس المستقبلية. إن المبدأ اللاإلهي هو الظل الذي رماه نور الله على البحر وحسب. لقد استقل هذا الظل وتملص من قبضة الله؛ ويستنتج من قول الإله «لا ينبغي أن يكون معي إله غيري» أنه استباح لنفسه تشابهاً مع الله. ويفترض أنه قد توجب البدء بعملية الخلق للتغلب على الظل العاصي: إذ يقلع الله عين الظل - كما يبدو لم يستطع أكثر من ذلك الحين - ويخلق منها نوراً؛ الشمس (لدى البغدادي القمر أيضاً) ويفنى الظل. وتحول البحران إلى أتقياء (البغدادي: *فخلق الشيعة من البحر العذب*) وخلق الكفرة من البحر المظلم.

إذاً فقد كان مفاد معصية إظهار الله الأقل - ظله - ومعصية الناس (المستقبليين) الدافع لخلق الكون والأجرام السماوية والناس. إن للتفاصيل القليلة التي توردها المصادر ميولاً يهودية أو غنوصية؛ إذ أن الاسم على تاج الله هو موضوع معروف في الباطنية اليهودية[١٦٢]. يقوم لدى «فيلو Philo» ظل الله بدور أداة في الخلق[١٦٣]. ويُذكر هذا على وجه آخر بالتصورات المندائية، إذ يعتبر المندائيون ملك الظلام وليد «الماء الأسود»[١٦٤]وأن الملك الخارج عن العالمين يتتوج بتاج من نور[١٦٥].

وبقيت فرقة المغيريين بعد اعدام المعلم سنة ١١٩هـ/٧٣٧م قائمة؛ فمن المفترض أن جابر الجعفي - طبقاً للأشعري وباقي المؤلفين السنة الآخرين - قد أقر به كأول خليفة للمغيْرة. توفى جابر في حدود عام ١٢٨هـ/ ٧٤٥ أو ٧٤٦م في الكوفة[١٦٦]. سنعنى به لاحقاً. وخلفه بكر الأعور الهجري[١٦٧] القتات. يروي الأشعري أن القتات أكل أموال أصحابه؛ كما يرويه أيضاً القمي.

القمي، ص ٤٤:

«... فيقول على ذلك عصراً حتى ظهروا منه على الكذب واستحلال الأموال وجوّزها [الاستمتاع بها. م. المترجم] لنفسه دونهم، فرجعوا على[١٦٨] القول بإمامته وادعوا أن الإمام عبد الله بن المغيرة بن سعيد بعد أبيه».

**

حصل المغيريون بعد هلاك إمامة المطالب بالإمامة عبد الله بن معاوية قصيرة العمر في سنة ١٢٩هـ/٧٤٦ أو ٧٤٧م، على اقبال من صفوف أتباعه السابقين[١٦٩]. ويبدو أنهم قد أقروا بأبي بكر القتات رئيساً. وبعد أن استثار القتات عداوة الناس تم تنصيب عبد الله بن المغيرة بدلاً عنه[١٧٠].

وظهر في سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م في المدينة «الحسني» (محمد بن عبد الله بن الحسن المنتظر) من قبل المغيريين المسمى بـ«النفس الزكية» إماماً؛ من المؤكد أن المغيريين الكوفيين قد ساندوا خروجه[١٧١]. لقد أوقع موته الفرقة في أزمة؛ إذ ارتد قسم من أتباعه عنه في حين تعزى الآخرون بالتعليل الظاهر القائل بأن المقتول ليس المهدي إنما هو شيطان تمثل بصورته.

(٤) جابر بن يزيد الجُعْفي

إن رئيس الفرقة المغيرية الثاني جابر بن يزيد بن الحارث[١٧٢] الجعفي هو واحد من أهم الشخصيات – ليس فقط بالنسبة للغلو الكوفي ولكن أيضاً للتشيع في بداياته مطلقاً. إلا أنه موضوع خلاف: ففي حين يبجله الغلاة المتأخرون معتبرينه واحداً من أعظم معلميهم يطالب الإماميون به لأنفسهم إذ يعتبرونه أهم راوٍ لأحاديث الإمام الخامس محمد الباقر. وحتى أهل السنة يقدرونه كناقل موثوق به للحديث النبوي؛ فهكذا يطلق المحدث الكوفي المولِد البصري، الإمام المجتهد سفيان الثوري (ت ١٦١هـ/٧٧٨م) حكمه عليه: «جابر الجعفي صدوق في الحديث إلا أنه يتشيع»[١٧٣].

لم يستطع الإماميون الذين يستندون بتقاليدهم المأثورة المقدسة إلى جابر استناداً ليس قليلاً أن يحتملوا افتراض عده في عداد الغلاة؛ لذلك راح المؤلفون الإماميون يحاولون تبرئته من شبهة الغلو. فلهذا يكتم النوبختي والقمي أنه قد تلا عهد الزنديق المغيرة في الولاية: فالكاتبان – أي القمي أخذاً عن النوبختي – يعقبان المغيرة ببساطة برأس الفرقة الثالث بكر بن القتات (أنظر ص ٦٦). وخدم غرض التغطية عينه – مختلقاً اختلاقاً جلياً – رواية الإمام السادس جعفر الصادق الذي لعن المغيرة، إلا أنه برّأ جابر:

الكشي، ص ١٩١ وما يليها، فقرة ٦٣٦ [ط كربلاء، ص ١٦٩، فقرة ٧٨]:

« حمدويه وابراهيم قالا: حدثنا محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن زياد بن أبي الحلال قال: اختلف أصحابنا <الشيعة> في أحاديث جابر الجعفي فقلت: أنا أسأل أبا عبد

الله (ع) ‹جعفر الصادق›. فلما دخلت ابتدأني فقال: رحم الله جابر الجعفي كان يصدق علينا، ولعن الله المغيرة بن سعيد كان يكذب علينا».

وبالطبع لم يبق خفياً على الإماميين أن قسما كبيرا من الأحاديث التي من المفترض أن جابراً قد سمعها من فيه الإمام الباقر، كان زنديقياً. إلا أنه لم تُلقَ تبعة هذه «الأكاذيب» عليه إنما على بعض رواة الأجيال اللاحقة، على نقلة جابر الذين كانوا يسندون «غلوهم» الشخصي بروايات من فَيّ المعلم. فهذا رأي المؤلف الإمامي ابن الغضائري وهو مصنف لكتاب «رجال» (أنظر ص ٢٢) في الرواة «الضعفاء»: «جابر بن يزيد الجعفي الكوفي ثقة في نفسه، ولكن جلّ من روى عنه ضعيف. فمنْ أكثر عنه من الضعفاء عمرو بن شمر الجعفي ومفضل بن صالح السكوني ومنخل بن جميل الأسدي، وأرى الترك لما روى هؤلاء عنه والوقف في الباقي»[١٧٤]. إن هذا الحكم منصف جزئياً بلا شك؛ فسنعنى فيما بعد بقصص جابر التي روجت من قبل هؤلاء الغلاة الكوفيين الثلاثة. ولكن إذا كان من المؤكد أيضاً أن العديد من تعاليم الغلاة قد أُسندت في زمن لاحق إلى جابر أو الإمام الباقر فليس ثمة موضع للشك في أن جابراً عينه باعتباره رأس الفرقة المغيرية يُعَد في معسكر الغلاة أيضاً، وإن كان له بذاته نصيب من المنقولات الهرطقية المتداولة باسمه فمن الصعب جداً تحديدها بالتفصيل.

إن ما نعرفه عن أحوال حياة جابر قليل. لقد كان كوفياً وقد ضُم كمولى لبني جُعُف وهم بطن من بطون قبيلة مذحج العربية الجنوبية (أنظر ص ١٧). لقد أُعدم المغيرة في سنة ١١٩هـ/٧٣٧م؛ ومن المفترض أن جابراً كان - طبقاً لشهادات المؤرخين السنة للفرق والملل - رئيساً للفرقة المغيرية حتى مماته[١٧٥]. إن تأريخ وفاته غير مؤكد؛ على الأرجح أنه توفى في عام ١٢٧هـ/ ٧٤٤-٧٤٥م أو سنة ١٢٨هـ/ ٧٤٥- ٧٤٦م. يذكر الطبري سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩-٧٥٠م[١٧٦]. لقد كان جابر الجعفي مثل الغلاة الكوفيين الآخرين عرضةً لاضطهاد ولاة الكوفة الأُمويين. ونقلت الروايات التي يتملص بهن من قبضة المضطَهِدين بانه كان يتصنع الجنون:

الكشي، ص ١٩٤، فقرة ٣٤٤ [ط كربلاء، ص١٧١]:

«نصر بن الصباح قال: حدثنا أبو يعقوب أسحاق بن محمد البصري قال: حدثنا علي بن عبد الله قال: خرج جابر ذات يوم وعلى رأسه قوصرة راكباً قصبة حتى مر على سكك

الكوفة فجعل الناس يقولون: «جن جابر، جن جابر»، فلبثنا بعد ذلك أياماً فإذا كاتب <الخليفة> هشام (١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٤-٧٤٣م) قد جاء بحمله إليه <لأخذه إلى دمشق> قال: فسأل عنه الأمير فشهدوا عنده أنه قد اختط [خل عقليا] وكتب بذلك إلى هشام فلم يعرض له، ثم رجع إلى ما كان من حاله الأول».

الكشي، ص ١٩٢، فقرة ٣٣٧ [ط كربلاء، ص ١٦٩]:

«حمدويه قال: حدثنا يعقوب بن يزيد عن ابن أبي عمير عن عبد الحميد ابن أبي العلاء قال: دخلت المسجد <في الكوفة> حين قتل <الخليفة> الوليد <سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٤م> فإذا الناس مجتمعون. قال: فأتيتهم فإذا جابر الجعفي عليه عمامة خز حمراء وإذا هو يقول: «حدثني وصي الأوصياء ووارث علم <=غنوص> الأنبياء محمد بن عليّ (ع)» قال: فقال الناس: جن جابر، جن جابر».

توضح هذه الرواية المطلب الذي رفعه جابر أو المذكور عنه من قبل تلاميذه: إذ كان يعتبره الغلاة موضع سر الإمام الخامس ساكن المدينة محمد الباقر (ت ١١٤هـ/ ٧٣٢م) وخليله الأقرب. لقد حاول الإماميون إنكار هذا الحق أو حتى على الأقل الحط منه حطاً شديداً. إذ أنهم قد تواتروا قولا مطابقا عن الإمام السادس جعفر الصادق (ت ١٤٨هـ/ ٧٦٥م):

الكشي، ص ١٩١، فقرة ٣٣٥ [ط كربلاء، ص ١٦٩]:

«حمدويه وابراهيم ابنا نصير قالا: حدثنا محمد بن عيسى بن عليّ بن الحكم عن ابن بكير عن زُرارة قال: سألت أبا عبد الله <جعفر الصادق> (ع) عن أحاديث جابر. قال: ما رأيته عند أبي <الباقر> قط إلاّ مرة واحدة وما دخل علي قط».

بهذا يُصنف الوحي غير المحصي والسري الذي يفترض، طبقاً لتراث الغلاة، أن يكون معلمهم جابر قد تلقاه من الإمام الباقر، كمبتدع، ويرفض باعتباره مكذوبا. وتحديداً سنتناول أحاديث الغلاة هذه في بحثنا هذا. كانت الأحاديث التي يفترض أن الإمام كان قد استودعها جابراً دون غيره تعد خمسين ألفاً أو حتى سبعين ألفاً:

الذهبي، ميزان ج١، ص ٣٨٠، س١ وما يليه:

«وقال سلام بن أبي مطيع: قال لي جابر الجعفي: عندي خمسون ألف باب من العلم (=

الغنوص) ما حدثت به أحداً».

نفس المرجع، ص ٣٨٣، س ١٤ وما يليه:

«... حدثنا أبو يحيى الحماني، حدثنا قبيضة وأخوه - أنهما سمعا الجراح بن مليح يقول: سمعت جابراً يقول: عندي سبعون ألف حديث عن أبي جعفر <الباقر> عن النبي صلى الله عليه وسلم كلها».

ويقال إن العبء النفسي الناتج عن العلم السري المؤتمن به إليه الذي لا يجوز له الإباحة به، قد أصبح في بعض الأحيان ثقيلاً إلى درجة أنه توجب على جابر أن يأتمن شاهدا كتوما:

الكشي، ص ١٩٤، فقرة ٣٤٣ [ط كربلاء، ص ١٧١]:

«<جبريل بن أحمد> حدثني محمد بن عيسى عن إسماعيل بن مهران عن **أبي جميلة المفضل بن صالح** (أنظر ضمن ص ٦٩) عن جابر بن يزيد الجعفي قال: حدثني أبو جعفر <الباقر> (ع) بسبعين ألف حديث لم أجد بها أحداً قط ولا أُحدث بها أحداً أبداً. قال جابر: فقلت لأبي جعفر (ع) جعلت فداك إنك قد حملتني وقراً عظيماً بما حدثتني به من سركم الذي لا أُحدث به أحداً، فربما جاش في صدري حتى يأخذني منه شبه الجنون. قال: يا جابر فإذا كان ذلك فأخُرج إلى الجبال فاحفر حفيرة ودل رأسك فيها ثم قل: حدثني محمد بن عليّ بكذا وكذا».

يظهر في سلسلة إسناد هذا الحديث المفضل بن صالح كأول مروج اعتبره الإماميون غالي واتهموه بالتزييف، وهو حداد عاش في الكوفة ومولى لبني أسد. إذاً فهذا حديث غلاة نوعي مثل الحديث التالي أيضاً الذي يُؤتمن به جابر على العلم السري الغنوصي ائتماناً ليس شفوياً إنما بكتابين سريّين:

الكشي، ص ١٩٢، فقرة ٣٣٩ [ط كربلاء، ص ١٧٠]:

«جبرئيل بن أحمد: حدثني الشجاعي عن محمد بن الحسن عن أحمد بن النضير عن **عمرو بن شمر**، عن جابر قال: دخلت على أبي جعفر <الباقر> (ع) <في المدينة> وأنا

شاب فقال لي: من أنت؟ قلت: من أهل الكوفة. قال: ممن؟ قلت: من جعفي. قال: ما أقدمك إلى المدينة؟ قلت: طلب العلم <= الغنوص>. قال: ممن؟ قلت: منك. قال: فاذا سألك أحد من أين أنت فقل من أهل المدينة. قال: قلت أسألك قبل كل شيء عن هذا أيحل لي أن أكذب؟ قال: ليس هذا بكذب، من كان في مدينة فهو من أهلها حتى يخرج. قال ودفع إلي كتابا وقال: إن أنت حدثت به حتى تهلك بنو أُمية فعليك لعنتي ولعنة آبائي، وإذا أنت كتمت منه شيئاً بعد هلاك بني أُمية فعليك لعنتي ولعنة آبائي. ثم دفع إلي كتاباً آخراً ثم قال: وهاك هذا فإن حدثت بشيء منه أبداً فعليك لعنتي ولعنة آبائي».

ويتقدم سلسلة الإسناد هنا اسم كوفي اتهم من قبل الإماميين بالغلو كذلك: عمرو بن شمر بن يزيد الجعفي (أنظر ضمن ص ٧٠). لقد صنف كتاباً لم يصلنا عنوانه[١٧٧]. على الأرجح أنه كان جامعاً لقصص حول معلمه جابر والإمام الباقر. لقد أخذت الشيعة الإمامية قائمة كاملة من أمثال هذه القصص التي ليس لها طابع هرطقي واضح وأدرجتها في مجاميعها الخاصة. وتشكل شذرات مجموعة عمرو بن شمر أقدم ما وصلنا من الشهادات الأصلية للغلو الكوفي. وغالباً ما تكون قصص شعبية لمعجزات مزودة بمعالم خرافية تذكر مواضيعها بـ«ألف ليلة وليلة»؛ وخلا أنها تقدم أخباراً جافة عن تعاليم الغلاة فهي تصبغ هذه الأخبار بصبغة حية وتقدم صورة نوعية عن وسط الناس البسطاء، عن الحرفيين وأرباب المهن في الكوفة الذين وجد الغلو أتباعه في صفوفهم.

الكُليني، الكافي، ج١، ص ٣٩٦، فقرة ٦:

«محمد بن يحيى وأحمد بن محمد، عن محمد بن الحسن عن ابراهيم بن هاشم عن عمرو بن عثمان، عن ابراهيم بن أيوب، عن **عمرو بن شمر**، **عن جابر**، عن أبي جعفر (ع) قال: بينما أمير المؤمنين (ع) <علي> على المنبر إذ أقبل ثعبان من ناحية باب من أبواب المسجد، فهم الناس يقتلونه، فأرسل أمير المؤمنين (ع) أن كفوا، فكفوا وأقبل الثعبان ينساب حتى انتهى إلى المنبر فتطاول فسلم على أمير المؤمنين (ع)، فأشار أمير المؤمنين إليه أن يقف حتى يفرغ من خطبته ولما فرغ من خطبته أقبل عليه فقال: من أنت؟ فقال: عمرو بن عثمان خليفتك على الجن وإن أبي مات وأوصاني أن آتيك فأستطلع رأيك وقد أتيتك يا أمير المؤمنين فما تامرني به وما ترى؟ فقال له أمير المؤمنين (ع): أوصيك بتقوى الله وأن

تنصرف فتقوم مقام أبيك في الجن، فإنك خليفتي عليهم، قال: فودَّعَ عمرو أمير المؤمنين وانصرف فهو خليفته على الجن، فقلت ‹أي جابر› له ‹للباقر›: جعلت فداك فيأتيك عمرو وذاك الواجب عليه؟ قال: نعم».

الكُليني، الكافي، ج١، ص ٤٦٠، فقرة ٧:

«وبهذا الإسناد عن صالح بن عقبة عن **عمرو بن شمر**، **عن جابر**، عن أبي جعفر ‹الباقر› (ع) قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة (ع): يا فاطمة قومي فأخرجي تلك الصحفة فقامت فأخرجت صحفة فيها ثريد وعُراق يفور، فأكل النبي صلعم وعلي وفاطمة والحسن والحسين ثلاثة عشر يوماً، ثم أن أُم أيمن[١٧٨] رأت الحسين معه شيء فقالت له: من أين لك هذا؟ قال: إنا لنأكله منذ أيام، فأتت أُم أيمن فاطمة فقالت: يا فاطمة إذا كان عند أُم أيمن شيء فإنما هو لفاطمة وولدها وإذا كان عند فاطمة شيء فليس لأُم أيمن منه شيء؟ فأخرجت لها منه فأكلت منه أُم أيمن ونفدت الصفحة، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: أما لولا أنك أطعمتها لأكلت منها أنت وذريتك إلى أن تقوم الساعة، ثم قال أبو جعفر ‹الباقر› (ع) والصفحة عندنا يخرج بها قائمنا[١٧٩] (ع) في زمانه».

الكشي، ص١٩٧، فقرة ٣٤٧ [ط كربلاء، ص١٧٣]:

«نصر بن الصباح قال: حدثني اسحاق بن محمد البصري قال: حدثنا محمد بن منصور عن محمد بن إسماعيل عن **عمرو بن شمر** قال: قال أتى رجل جابر بن يزيد فقال له جابر: تريد أن ترى أبا جعفر ‹الباقر›؟ قال ‹الرجل› نعم، فمسح على عيني فمررت وأنا أسبق الريح حتى صرت في المدينة. قال: فبقيت أنا لذلك متعجباً إذ فكرت فقلت: ما أحوجني إلى وتدٍ أوتده فإذا حججت عاماً قابلاً نظرت ههنا هو أم لا، فلم أعلم إلا وجابر بين يدي يعطيني وتداً. قال: ففزعت. قال: فقال [جابر] هذا عمل العبد باذن الله فكيف لو رأيت السيد الأكبر؟ قال: ثم لم أره. قال: فمضيت حتى صرت إلى باب أبي جعفر (ع) فإذا هو يصيح بي: أدخل لا بأس عليك، فدخلت فإذا جابر عنده. قال: فقال لجابر «يا نوح غرقتهم أولاً بالماء وغرقتهم آخراً بالعلم ‹=الغنوص›. فإذا كسر فاجبره». قال: ثم قال «من أطاع الله أُطيع، أي البلاد أحب إليك؟» قال: قلت الكوفة. قال «بالكوفة فكن». قال: سمعت أخا النون بالكوفة ‹يتكلم›. قال: فبقيت متعجباً من قول جابر، فجئت فإذا

به في موضعه الذي كان فيه قاعداً، قال: فسألت القوم هل قام أو تنحى؟ قال: فقالوا لا وكان سبب توحدي أن سمعت قوله بالإلهية في الأئمة (١٨٠)».

الكشي، ص١٩٥ وما يليها، فقرة ٣٤٦ [ط كربلاء، ص١٧٢]:

«نصر قال: حدثنا اسحاق قال: حدثنا على بن عبيد ومحمد بن منصور الكوفي عن محمد بن إسماعيل عن صدقة عن **عمرو بن شمر** قال: جاء العلاء بن شريك برجل من الجعفي قال: خرجت مع جابر لما طلبه هشام ‹الخليفة› حتى انتهى إلى السواد (١٨١). فبينما نحن قعود وراعٍ قريب منا إذ لعبت نعجة من شاته إلى حمل، فضحك جابر فقلت له: ما يضحكك يا أبا محمد؟ قال: إن هذه النعجة دعت حملها فلم يجيء. فقالت له: تنح عن ذلك الموضع فإن الذئب عام أول أخذ أخاك منه. فقلت: لأعلمن حقيقة هذا أو كذبه، فجئت إلى الراعي فقلت: يا راعي تبيعني هذا الحمل؟ قال: فقال لا. فقلت: ولم؟ قال: لأن أمه أقوى شاة في الغنم وأغزرها درة، وكان الذئب أخذ حملا لها عند عام الأول من ذلك الموضع فما رجع لبنها حتى وضعت هذا فدرت. فقلت: صدق، ثم أقبلت فلما صرت ‹معه› على جسر الكوفة نظر رجل معه خاتم ياقوت فقال له: «يا فلان خاتمك هذا البراق أرينيه» قال: فخلعه فأعطاه فلما صار في يده رمى به في الفرات. قال الآخر: ما صنعت؟ قال: تحب أن تأخذه؟ قال: نعم. فعال [أي مال] بيده إلى الماء فأقبل الماء يعلو بعضه على بعض حتى إذا قرب تناوله وأخذه».

الكشي، ص١٩٥ وما يليها، فقرة ٣٤٥ [ط كربلاء، ص١٧١ وما يليها]:

«نصر بن الصباح قال: حدثنا اسحاق بن محمد قال: حدثنا فضل عن محمد بن زياد الحافظ عن موسى بن عبد الله عن **عمرو بن شمر** قال: جاء قوم إلى جابر الجعفي فسألوه أن يعينهم في بناء مسجدهم. قال: ما كنت بالذي أعين في بناء شيء ويقع منه رجل مؤمن فيموت، فخرجوا من عنده وهم يبخلونه ويكذبونه، فلما كان من الغد أتموا الدراهم ووضعوا أيديهم في البناء فلما كان عند العصر زلت قدم البناء فوقع فمات».

**

لقد وصلتنا كل قصص جابر المروية من قبل عمرو بن شمر بواسطة الإماميين وتمت تصفيتها تصفية مناسبة. ولهذا السبب لا تتواجد فيها أفكار زنديقية واضحة وضوحاً جلياً. إذ ينبغي أن يكون الإماميون قد أسقطوا كل ما هو مسيء. لكن ما زالت أحاديث

عمرو المتواترة التي لم يكن التَزَمُت الإمامي يقبلها لأسباب مفهومة، موجودة أحياناً هناك حيث مازال تراث الغلو موجوداً حتى يومنا هذا، لدى النصيريين السوريين (العلويين) .

مخطوط محفوظ في مكتبة هامبوغ برقم ٣٠٣، ص ٢٢٥-٢٢٨ (شتروتمان، مواضيع خاصة باطنية لدى النصيريين، الخبر العاشر « Strothmann, Esoterische Sonderthemen bei den Nuṣairī, 10 ») :

« وعنه ‹محمد بن سنان[١٨٢]› عن محمد بن أبي عمير عن **عمرو بن شمر**، عن جابر بن يزيد قال: سمعت العالم ‹أي الإمام الباقر› يقول في خطبة له كلاماً له أوّله غير آخره ومعانيه ‹الحقيقية› تختلف في عقلي الإشارة بها وذلك أنه قال في بعض كلامه: نحن ‹أي الأئمة› وجوه الرحمن وبيوت الديّان وألسنة الرب الأقدم وغيوبه. في كل مشهد نحن غاية من غاياه ونهاية من رجاه؛ إلينا أشارت بنو الدنيا لأنّا وصفة الأولى وكعبة لمن لبى؛ بل أنا علّة العلل وغيب الأزل والبريّ من المثل أنا كلّ الكلّ، أنا مخترع النورعندما مددت الظل لا يعلم من أنا... وأنا العلي الكبير.

فقلت في نفسي: أول الكلام يدل أنه مربوب مالوه ‹أي أنه إنسان› وآخره يدل على أنه إله أحد لا إله إلاّ هو. فليتَ شعري ما أقول فوالله ما استتمّ في صدري ما فكرت فيه حتى ضرب بيده على يدي فأحسستُ ملمسه وتحققت حسه وجسمانيته. وقال: يا جابر أنا الله العلي الكبير والنبأ العظيم الذي أنتم فيه مختلفون وفيه تختصمون صراط مستقيم وحبل منيع وعروة وثقى لا انفصام لها، وأنا بما تعملون محيط[١٨٣]. ورَدَ يدي وقبض على زندي ومسح يده على ذراعي وعضُدي ذاهب‹اً› إلى وجهي فلم أجد لها حساً مكيَّفاً[١٨٤] ولا كثافة توجد ولها لمع لم أدركه ولا قدرته حقّ قدرته؛ ثم قال: أنا العلي الكبير، الأحد القديم، معنى الحقائق وغيب العقول، لا أُدرك بغاية ولا أُحَدّ بمعنى وأنا العلي العظيم، أزَل عند كل عظيم ‹؟›، وأنا بكل شيء محيط.

قال جابر: فكدت أن أصعق صعقاً وعَجزاً ثم استعنتُ به فقويَت نفسي وزاد حسي ولم يزل ذلك المعنى يختفي عن عياني قليلاً قليلا حتى لم أره، ورد يده إلى زندي فوجدت من حسّي لها ما كنت أعهده وهو يقول: يا جابر كذلك هو وهكذا نحن كما نحن يا جابر، نحن الصفقة التي لها نكروا، والصورة التي عليها تجبروا وبها كفروا، ما يعلمنا إلاّ قليل؛ فزِدْ يا جابر تزدد، وكن من الشاكرين. قال جابر: وكأن مناجياً ناجاني من قلبي أو كانت

مكتوبة في صدري هذه الآية: ﴿إنهُ لقول رسولٍ كريمٍ، ذي قُوَّةٍ عندَ ذي العَرشِ مَكينٍ، مُطاعٍ ثَمَّ أمينٍ﴾ (التكوير: ١٩-٢١). فنظر إليَّ ثم تبسم وقال يا جابر: مطلع الغيب أمين المقام قال فانحسرتُ، فقال: ﴿وَيُرِيدُونَ أن يُفَرِّقُوا (ن به) [كذا. م. المترجم] بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ (النساء: ١٥٠)، ﴿وقد خاب من افترى﴾ (طه: ٦١)».

**

تعد معجزة التجلي التي يخلع فيها الإمام ظاهر جسديته ويظهر جوهر نوره الإلهي، في عداد أمهات قوائم الغلاة الكوفيين؛ ستواجهنا مرة أُخرى في «أم الكتاب» (أنظر ص ٩٥ وما يليها). ولا يخلو من الإشارة إلى الظل، المخلوق الأول الذي لم يعرف خالقه وبالتالي لن يقر به - الدافع الرئيس لمأساة صيرورة التحول لدى المغيرة (أنظر ص ٦٦) وفي الكتب الإسلامية-الغنوصية التي وصلت إلينا. ويعد كذلك الكوفي المنخل بن جميل في عداد من تم ذكرهم أعلاه (ص ٧٠) في رواة جابر المتهم بالغلو مع المفضل بن صالح وعمرو بن شمر. إذ يبرز لأول مرة في أحد الأحاديث التي رواها صحابي الرسول سلمان الفارسي البطل المحلي وولي المدائن (أنظر ضمن ص ١٥) الذي يلعب في نصوص الغلاة المتأخرة في مأساة كونية غنوصية دور الخالق [١٨٥]. إن مكانته في نظام الغلاة تجاه علي والأئمة محددة: فهو الباب الذي يقود إلى معرفة ألوهية علي وسلالته وهو أول مؤمن بهم.

الكشي، ص١٤ وما يليها، فقرة ٣٣ [ط كربلاء ص ١٩-٢٠]:

«[عن] جبرئيل بن أحمد وأبي سعيد الآدمي سهل بن زياد عن **منخل** عن **جابر** عن أبي جعفر <الباقر> (ع) قال: دخل أبو ذر[١٨٦] على سلمان وهو يطبخ قدراً له، فبينما هما يتحدثان إذ انكبت القدر على وجهها على الأرض فلم يسقط من مرقها ولا ودكها [دسم اللحم] شيء، فعجب من ذلك أبو ذر عجباً شديداً وأخذ سلمان القدر فوضعها على حالها الأول على النار ثانية، وأقبلا يتحدثان فبينما [هما] يتحدثان إذ انكبت القدر على وجهها فلم يسقط منها شيء من مرقها ولا من ودكها فخرج أبو ذر وهو مذعور من عند سلمان فبينما هو متفكر إذ لقي أمير المؤمنين (ع) <علي> على الباب، فلما أن بصر به أمير المؤمنين (ع) قال له: «يا أبا ذر ما الذي أخرجك من عند سلمان وما الذي ذعرك؟» فقال له أبو ذر: يا أمير المؤمنين رأيت سلمان صنع كذا وكذا فعجبت من ذلك. فقال أمير المؤمنين (ع):

« يا أبا ذر إن سلمان لو حدثك بما يعلم لقلت رحم الله قاتل سلمان[١٨٧]، يا أبا ذر إن سلمان باب الله في الأرض من عرفه كان مؤمناً ومن أنكره كان كافراً، وإن سلمان منا أهل البيت ».

**

تدور كل هذه القصص بصورة خاصة حول أُلوهية علي والأئمة - بصفة خاصة خصوصية مؤثرة في معجزة تجلي الباقر - ومعجزات المعلم المطلع على أسرارهم، جابر بن يزيد الجعفي. واستمرت أحياناً إلى جانب ذلك أحاديث متواترة يرمز فيها إلى فحوى التعاليم الغنوصية يتمسك بها جابر أو على الأقل تلاميذه ورواته. وهذه هي مجرد شذرات لن نفهمها إذا لم تكن أسطورة الغلاة الكوفيين الغنوصية معروفة لدينا من نصوص متصلة؛ إذ سيستدل على منقولات الغلاة التالية من خلفية كتب الرؤية المشيرة لنهاية العالم « أم الكتاب » و« كتاب الأظلة » التي سنتناولها أيضاً (أنظر ص٨١ و١٦٩ وما يلي). وستتضح كذلك من المواد ذوات الشذرات، العلاقة بتعاليم الحربيين (أنظر في ص ٥٠) : كالحربيين تماماً يعرف تلاميذ جابر أيضاً المخلوقات الأولى التي ليس لها أجسام، الأظلة والأشباح.

الكليني، الكافي، ج١، ص ٤٤٢، فقرة ١٠:

« الحسين (عن محمد) بن عبد الله ‹بن مهران›، عن محمد بن سنان، عن المفضل ‹بن عمر› [١٨٨]، عن جابر بن يزيد ‹الجعفي› قال: قال لي أبو جعفر ‹الباقر› عليه السلام: يا جابر إن الله أول ما خلق محمداً صلى الله عليه وسلم وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله، قلت: وما الأشباح؟ قال: ظلُّ النور أبدان نورانية بلا أرواح[١٨٩] وكان ‹أي محمد› مؤيداً بروح واحدة وهي روح القدس... »

**

إذاً فيتواجد موضوع الروح القدس الساكنة داخل الأئمة الذي تعرفنا عليه لدى الشيعة الكيسانية ومن خلفهم من الفرق[١٩٠] في وحي باقر السري لجابر؛ وسيواجهنا كذلك في كتابات الغلاة مراراً وتكراراً.

الكليني، الكافي ج١، ص ٢٧٢، فقرة ٢ :

« محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن موسى بن عمر، عن محمد بن سنان، عن

عمار بن مروان، عن **المنخل** ‹بن جميل الأسدي›، عن **جابر** ‹بن يزيد الجعفي›، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته [أي الإمام الباقر] عن علم العالم ‹= الغنوصي›، فقال لي: يا جابر إنّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الإيمان وروح الحياة وروح القوة وروح الشهوة، فبالروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى، ثم قال: يا جابر إن هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان إلاّ روح القَدس فإنها لا تلهو ولا تلعب(١٩١)».

**

شكل وحيُ الإمام الباقر المزعوم - المُسر أغلبه لجابر بن يزيد الجعفي، وأحياناً أبيح به لآخرين أيضاً - نواة تقليد الغلاة الكوفيين. وأصبحت الآن تعاليم الغلاة الكيسانيين كذلك التي راحت آمالها تذبل بعد هلاك عبد الله بن معاوية (أنظر أعلاه ص ٤٩ وما يليها) وتولّي العباسيين الحكم، تنسب إلى لسان الإمام الباقر «الحسيني»؛ ولنتذكر أن أتباع الثائر عبد الله بن معاوية اتبعوا جزئياً بعد هلاكه في سنة ١٣١هـ/٧٤٨م المغيريين الكوفيين(١٩٢) وجلبوا تعاليمهم إلى فرقة المغيرة وجابر (الذي كان على الأرجح قد لاقى الموت في ذلك الحين؛ قارن مع ص ٧٠ أعلاه). فهكذا نجد على وجه التقريب موضوع الآدميين السبعة الذي تعرفنا عليه لدى فرقة الحربيين (أنظر ص ٥٥) والذي له صلة مع مأساة العوالم الغنوصية منسوباً الآن إلى لسان الإمام الباقر. (لقد تم جمع منقولات الغلاة المُنعزلة التالية من قبل محرر كتاب الهفت والأظلة وتذيلها النص الأصلي. وكذلك يلعب الآدميون السبعة في الكتاب عينه دوراً؛ (قارن ضمن ص ١٧٥).

الهفت والأظلة تح تامر وخليفة، ص ١٢٧، س ١٥ وما يليه = تح مصطفى غالب، ص ١٩٠، س ٥ وما يليه:

«وجاء عن محمد بن سنان عن خراش النهري عن زرارة. قال: كنت يوماً عند أبي جعفر الباقر منه السلام. فقال لي: يا زرارة، ما عندك من حديث السبعة الكبار شيئاً؟ فقلت: بلى، يا مولاي، جعلت فداك ولكنها نفسي والله تحدثني أن أسألك. فقال لي الباقر: مرادك يا زرارة عن السبعة الآدميين. فلقد كان قبل أبينا آدم عليه السلام ستة آدميين قامت عليهم القيامات وحوسبوا ودخلوا الجنة والنار يا زرارة، ما علموا الملائكة حين قالوا ﴿أتَجعل فيها مَنْ يُفسِد فيها ويسفك الدماء...؟﴾ (القرآن، البقرة: ٣٠)».

الهفت والأظلة تح تامر وخليفة، ص ١٢٦، س٣ وما يليه = تح مصطفى غالب، ص ١٨٨، س١ وما يليه:

«وعن الحسن بن علي بن أبي الحمزة عن أبيه عن أبي بصير قال: كنا جلوساً عند أبي جعفر الباقر علينا منه السلام فجرى ذكرهم. قال أبو جعفر: «[...] والله ما زال في القرون الأولى مبتدأ أول ما بعث الله آدم على وجه الأرض، فإن الله، جل ثناؤه، قد بعث سبعة آدميين قبل آدم ‹نا› فما زال في تلك الأمم الماضية والقرون السالفة حتى بعث محمداً فصنع ما وصفناه وما قد علمتوه. فهكذا أراد الله لهما حتى يبعث قائمنا».

الهفت والأظلة تح تامر وخليفة، ص ١٢٩، س٢٠ وما يليه = تح مصطفى غالب، ص ١٩٣، س١٤ وما يليه:

«قال الصادق ‹ابن الباقر›: دخلت عليه ‹الباقر› فسألني ما عندك، يا بني، من الأحاديث؟ فسألته عن السبعة الآدميين..».

الفصل الرابع
رؤيا جابر في «أم الكتاب»

(١) اكتشاف هذا الكتاب

بعدما خضعت خانية بخارى في عام ١٨٦٨ تحت الحماية الروسية وبعد أن كانت خانية خوقند الواقعة على حوض وادي فرغانة قد ضمت في سنة ١٨٧٦ إلى الإمبراطورية القيصرية سقطت كذلك الوديان العالية المتفرعة عن نهر آمودَريا « جيحون » « Oxus » في منطقة پامير تحت النفوذ الروسي. فهكذا كان الموظفون الروس هم من حصل ما بين عام ١٩٠٠ و١٩١٨ على عدة نسخ لكتاب مصنف باللغة الفارسية يحمل عنوانا عربيا وهو « أم الكتاب » يبجل تبجيلا لدى الطائفة الإسماعيلية هنالك.

لقد وصلت أول نسخة من هذا الكتاب في عام ١٩٠٠ إلى بطرسبرج من خلال الموظف الروسي « أ. پولوڤتسيف A. Polowzew ». وأحضر في عام ١٩١٠ « ي. لوتش J. Lutsch» – وهو موظف روسي كذلك – إلى بطرسبرج مخطوطاً كتب سنة ١٩٠٦ اقتناه في وخان، في وادي نهر وخان ما بين پامير وهوندوكوش الواقعة في أقصى شمال شرق أفغانستان. وكان رئيس « المتحف الأسيوي في الأكاديمية الروسية القيصرية » في مدينة بطرسبرج، السيد « س. ساليمان C. Salemann »، يُحضر لتحقيق هذا النص معتمداً على المخطوطين، إلا أن موته في عام ١٩١٦ حال دون ذلك. وأضيف في سنة ١٩١٤ مخطوط ثالث إلى السابقين. وهو أقدم من الكل (يرجع إلى عام ١٨٧٩). لقد اقتناه الباحث في الإتنولوجيا واللّسانيات « إ. زاروبين I. Zarubin » في شُغنان، الريف الواقع غربي پامير الكبرى ما بين الرافدين الرئيسين لنهر آمودَريا، بين البنج والمرغب[١٩٣] (التابع اليوم للجمهورية السوڤياتية طجكستان). لقد أعلن ڤلادمير إيڤانوف الذي كان عاملاً في متحف بطرسبوج في نشرة الأكاديمية سنة ١٩١٧ عن اقتناء المخطوط[١٩٤]. وألحقت في سنة ١٩١٨ نسخة رابعة أيضاً، اشتراها الموظف « أ. سيمونوف »[١٩٥] إلا أن إڤانوف لم يطلع عليها لأنه كان قد غادر روسيا في ذلك الحين.

لقد نشر إڤانوف الذي أقام بعد الثورة الروسية في المنفى الهندي والذي أصبح الرائد الأهم في دراسات الآداب الإسماعيلية، سنة ١٩٣٢ ملاحظاته حول *«أم الكتاب» لإسماعيلية وسط آسيا* Notes sur l'«Umm'l-Kitāb» des Ismaēliens de l'Asie centrale[١٩٦] وقد قام في تلك الملاحظات، بمحاولة أولى لتصنيف النص في تعاقب زمني وترتيبه طائفيا من الوجهة التأريخية. وقد وجد لدى الإسماعيليين الهنود نسخاً أخرى للكتاب إلاّ أنها أحدث نَسخا، منها مخطوطان في سنة ١٩٣١ في بومباي ثم نسخة مؤرخة في سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م من الوادي العالي تشيترال الذي يصب في نهر كابول (التابع اليوم لمنطقة الحدود الباكستانية الشمالية الغربية)؛ وأخيراً نسخة ترجع إلى سنة ١٩٣٢م من منطقة هُنزة في بَلتستان الواقعة عند جلجات المطل على جبال كراكورام (شمالي نهر الهندوس الأعلى)[١٩٧].

ونشر إڤانوف في عام ١٩٣٦ النص كاملا في دورية الإسلام «Der Islam»[١٩٨] مع مقدمة مسهبة، وكان معتمدا قبل كل شيء على مخطوط زاروبين «Zarubin». وترجم النص في عام ١٩٦٦ الباحث في علم الأديان «پيو فيليپاني-رونكوني Pio Filippani-Ronconi» إلى الإيطالية[١٩٩]؛ ومنذ ذلك الوقت أبدى المختصون كلهم آراءهم في معضلة إدراج هذا النص المدهش وترتيبه[٢٠٠] في العديد من المراجعات الناقدة لهذه الترجمة المعلق عليها باستفاضة. وبذل الهولندي «إ.ف. تيدنز E. F. Tijdens» المحاولة الأولى الشاملة (لكن غير المقنعة قط) للفصل في بيان مصادر هذا النص المعقد؛ وقد نشرت دراسته غير التامة «الأصل المثولوجي الغنوصي لأم الكتاب» سنة ١٩٧٧ بعد وفاته «postum» في المجلد السابع من الملف الإيراني «Acta Iranica»[٢٠١].

(٢) محاولات لتصنيف النص

تتوارث «أم الكتاب» الطوائف الإسماعيلية في منطقة پامير-هوندوكوش-كراكورام. لقد شهد شمال شرق أفغانستان إرسالات إسماعيلية في القرن الحادي عشر. وكان المؤلف الإسماعيلي المهم ناصر خسرو يقيم في تلك الفترة في جمغان «Jumghān» في منطقة بَدَخشان - أي ليس بعيداً عن تشيترال وواخان / كوكچه «Kökča». إلاّ أن ڤلادمير إڤانوف قد أكد في ملاحظاته Notes أن الأمر لا يتعلق بكتاب إسماعيلي. ولذكر اسم الزنديق الكوفي أبي الخطاب (أنظر ص ١٣٩) فيه بصيغة البركة مرارا وتكرارا، فقد أثبت إڤانوف

قائلا : « Il n'y a donc pour ainsi dire aucun doute: ce livre reflète la doctrine primitive des sectes du grroupe des Khattabiya. يمكن القول بلا شك : أن هذا الكتاب يعكس المذهب الأصلي لفرقة الخطابية » ملاحظا تشابه بين تعاليم النصيرية السورية وبين الله علي إلهي » أو « أهل الحق »(٢٠٢).

لكن **إڤانوڤ** قد عبر في مقدمة طبعته للنص بحذر أكثر : إذ أنه يفترض أن النص يصنف في عداد « to an extremely early period of Shi'ite evolution المرحلة المبكرة جداً من تطور الشيعة » و« to the circle of ideas of a sect which differed widely both from early Ismailism and the Twelvers »(٢٠٣)؛ ومع ذلك يفترض من ثم أن الأصل كان في مكان ما بالقرب من الإسماعيلية : «It may possibly reflect the beliefs of some branch of the Qarmathians [204] near the Persian Gulf, where it was most probably composed من الممكن أن يعكس اعتقادات أحد فروع القرامطة بالقرب من خليج فارس حيث أنه يجب أن يكون قد صُنِفَ »(٢٠٥). لقد رأى إڤانوڤ في الملاحظات أن جنوب ما بين النهرين هو الوطن المحتمل للنص أيضا، مستنداً قبل كل شيء على الأفق الجغرافي الذي يظهره الكتاب(٢٠٦). استدل إڤانوڤ على زمن تصنيف النص من خلال ذكر امبراطورية الخزر في جنوب روسيا وأرخه – على أبعد تقدير – في القرن ٤هـ/ ١٠م أو ٥هـ/ ١١م(٢٠٧). وثم قدّم في مقالته « Brief Survey of Ismailism » (عرض قصير للإسماعيلية) المؤرخة في سنة ١٩٥٢ فترة النشوء إلى القرن ٢هـ/ ٨م وكانت حجته على ذلك أنه لم يتم ذكر مدينة بغداد المبنية سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٢م ولا بأي كلمة(٢٠٨).

لقد حاول **فيليپاني - رونكوني** « Filippani-Ronconi » سنة ١٩٦٤ ، وكان ذلك قبل عامين من نشر ترجمته، في مقالته « Note sulla Soteriologia e sul Simbolismo cosmico dell«Ummu'l-Kitāb» »(٢٠٩) أن يتتبع أثر تأثيرات غير إسلامية من ضروب عديدة ويكتشفها وقبل كل شيء تأثيرات مانوية : إذ أن معارك سلمان السبعة (أنظر ضمن ص ١١٤) هي قدوة بالمعارك السبعة للـ« روح الحية Spiritus vivens »؛ وأثبت إلى جانب ذلك عناصر غنوصية–قبلانية في مبحث نشأة الكون (خرافي الطابع)، تأثيرات إيرانية–مجوسية في الأنجولوجيا [علم الملائكة ووصفهم] وإلى جانب ذلك - وقبل كل شيء - في نظام الأخاميس، مقتديات بوذية، على وجه التقريب في دهيانيات بوذا الخمسة [أي الزهاد من تلاميذه . م.المترجم] . ثم أن فيليپاني–رونكوني كثيرا ما أشار في ملاحظات ترجمته إلى

متوازيات لتصورات هندية-بوذية. إلاّ أنه يخمن وجود تأثيرات للغلو الكوفي خلف النص أيضاً، مبنية بلا شك في نظرية معقدة حول نشأة الكتاب. يخمن فيليپاني-رونكوني أن أصل الكتاب يعود إلى ماقبل الإسلام ويفترض «وجود مذهب فارسي ذي أصل مانوي-مجوسي لأصل الكتاب... متوسط ما بين غنوصية يرجح أن يكون أصلها سورياً -<بابلياً> وبين تقنية سوتريولوجية تنتسب إلى شيڤا الآلهة الهندية». إذا فإن كل هذه التأثيرات قد صبت قبل الزمن الإسلامي في شرقي إيران. ومن ثم فإن الفرقة قد أُسلِمَت بتأثير من الغلو الكوفي إسلاما سطحيا: «إذ يجب أن تكون اللحظة الزمنية التأريخية لأبي الخطاب[٢١٠] قد أتاحت للفرقة – وإن كان نظرياً فقط – الدخول في الإسلام». ثم قادت هذه الأسلمة «إلى تقارب ما بين المذهبين الأصليين (من جهة) وبين ذلك المذهب الذي... جلب عن طريق إحدى جماعات الخطابية الفارة أياً كانت إلى ذلك الطرف النائي في شرقي إيران. ويصح أن التبعية الشكلية للإسماعيلية قد تمت في عهد لاحق، أي أنها عقبت إرسالية ناصر خسرو (أنظر ص ٨٢)»[٢١١]. إذاً: قيام الفرقة الما قبل إسلامية المانوية-البوذية في شرقي إيران، ثم أسلمة عن طريق زنادقة كوفيين مهاجرين، ومن ثم بعد ذلك التأقلم مع المذهب الإسماعيلي. إلاّ أن فيليپاني-رونكوني يعتبر مجرد ذكر أبي الخطاب المتكرر، لا يكفي لوصف الكتاب كله بصفة الخطابية ولا سيما أن تعاليم أبي الخطاب تمحورت في الإمام *السادس* جعفر الصادق في حين يتصدر نصنا الإمام الخامس محمد الباقر. لذلك فهو يعقد صلة ما بين طبقة الشيعة الغلاة والمغيرة: «لقد اتُخذَت المسالة المغيرية-الخطابية كسبب لأسلمة أم الكتاب وعلى الأرجح أنها كانت فرصة لجمع موجز من بنية أوسع بكثير من التعاليم لمثل هذه العقيدة الباطنة»[٢١٢].

كان يوسف فان إس أول من أعرب في مراجعته لترجمة فيليپاني-رونكوني[٢١٣] عن شكه في تركيب الأفكار المعقد هذا: «يبدو أن المؤلف قد استبعد انتقال النص وكما استبعد وجود نموذج عربي له». لكن المفروض الأخذ بهما. ومما يدل على أن النص قد نقل عن العربية ليس فقط بقاء العديد من المصطلحات العربية في السياق الفارسي التي يستدل عليها في آداب الغلاة العَرب أيضا، إنما وقبل كل شيء من موقع في النص أيضا أُسيءَ فيه فهم الحرف الثالث من الأبجدية العربية ألا وهو «الجيم» بلا شك، إذ أن ما فهم منه فهما مغلوطا هو «جمل» وتم نقله إلى الفارسية بصورة لا مدلول لها «أشتُر» أي «جمل»[٢١٤].

ومثلما يذكر «ف. ماديلونغ W. Madelung» في مراجعته للترجمة فإن هذا الكتاب

بجملة تعاليمه ومصطلحاته مرتبط ارتباطا وثيقا مع آراء الغلاة الشيعة، ولا سيما آراء النصيريين و« كتاب الأظلة »[٢١٥] الذي يتناقلونه. إن الرجوع إلى قرائن هندية-بوذية غير ضروري في أي من مواقع النص؛ إذ ينقص لذلك مصطلحات أصلية من ذلك الوسط نقصانا تاما، في حين يظهر قاموس الغلاة الكوفيين المعروف على كلِ وفرته. إن هذا الكتاب - وفي أجزائه القديمة أيضاً - نتاج للغلاة الكوفيين واضح الدلالة وضوحا بينا.

(٣) تكون النص

لم ينشأ أم الكتاب (سنشير له فيما يلي بـ«أك») دفعةً واحدة. ويقر اقرارا عاما بأن الآثار القليلة للتأثير الإسماعيلي هي ثانوية[٢١٦]. ولكن لا يظهر كذلك أن باقي النص متجانس قط؛ إذ أن هذا يجعل التاريخ المضبوط للنص صعباً جداً. فإذا كان ف. ماديلونغ لا يريد تحديد نشوء الكتاب قبل بداية القرن ٦هـ/ ١٢م[٢١٧] فإنه سيعد كذلك في عداد الصيغة النهائية الإسماعيلية. إن مادلونغ ذاته يفترض حقا «استخدام نماذج قديمة».

لقد حملت تعددية طبقات النص الطبيب والباحث في علم الأديان الهولندي «إ. ف. تايدنس E. F. Tijdens» على إجراء محاولة للفصل الدقيق في مصادر الكتاب وإلحاق الطبقات التي جنيت من وراء ذلك بفرق عينة. ومع أننا مدينون لهذا الفصل بإرشادات قيمة إلى أمثلة غنوصية وإيرانية للجزئيات المفردة، إلاّ أن تحليل تايدنس الذي يفك النص بين موضع وآخر فكاً إلى ذرات، لا يصمد إزاء بحث نقدي. يفترض تيدنس فرقة يهودية مسيحية ذات سجايا معتزلية - إله عديم الصفات - كمصنفة لطبقته « ب » (يبدو أن الطبقة « أ » مقتصرة على المقدمة العربية)؛ وتنسب في المقابل الطبقة « جـ »، بتأثير من نظام ابن سينا الكوني ومذهب الفيضية الأفلاطونية المحدثة و« خليط الحضارات الهيلينة »، إلى فرقة أُخرى انقلبت على سابقتها مفندة إياها وقد غيرت من مفهوما اللاهوتي - كثيرا، سطرا تلو الآخر - تغييراً جذرياً. ولكن بغض النظر عن أن الكتب لا تتكون عادة على هذه الصورة فإن تايدنس يترك « فرقتيه » عديمتي اللقب معلقتين في الهواء تعليقا مبهما أيضا، من دون أن يحاول أن يرتبهما في تأريخ الفرق الإسلامية المعروف؛ ولا يلحقهما بمجموعات-غالية عيّنة. وتبقى « الفرقتان » المفترضتان خياليتين[٢١٨].

إلاّ أنه يجب التشبث بنقطة هامة في فرضية تايدنس: في الحقيقة يتكون « أك » على الأقل من طبقتين ذاتيْ مصطلحات مختلفة؛ إلا أن مواقعهما المتقاربة تتجه في اتجاه آخر غير الذي

يفترضه تايدنس.

ومن ثم إذا حاولنا أن نقسم الكتاب من حيث محتواه - بشكل أفقي - فسينتج عن ذلك بغير ما كلفة أربعة فصول متتالية:

١- العنوان والمقدمة (أك ١ - ١٢).

٢- «الطرفة المدرسية»: الإمام الباقر يعلن في ربيعه الخامس عن نفسه لمعلمه عبد الله بن سبأ في معجزة تجلي أنه هو الله (أك ١٢ - ٥٣)؛ وينتج بذلك سؤال مع جواب مطابق («أك» ٥٣ - ٥٩).

٣- «رؤيا جابر»: يبيح الإمام الباقر لتلميذه جابر بأسرار خلق الكون وهبوط الأرواح على الأرض وخلاصها («أك» ٦٠ - ٢٤٨).

٤- ويتكون الباقي الوفير (أك ٢٤٨ - ٤١٩) من عدد من الأسئلة ليس لها علاقة ببعضها البعض موجهة للإمام حول كل المسائل الممكنة.

يرتبط الجزء الثاني بالجزء الثالث ارتباطا غير وثيق قط؛ يظهر الجزء الرابع بوضوح أنه مجموع مضاف لاحقا من مصنف ما، جمهرة أحاديث جمعت تنقصها الصلة الداخلية المتينة مع الجزء الثالث نقصانا تاما[٢١٩].

يجب عدم الخلط فيما بين الفصول الأربعة «الأفقية» من حيث المحتوى مع الطبقات «العمودية» مختلفة القدم التي يتكون منها القسم الثالث قبل كل شيء، جوهر «أك». سنشير لها فيما يلي بحروف كبيرة.

(أ) يقدم القسم الثالث «**أك** ٦٠-٢٤٨»، **رؤيا جابر**، رواية متسلسلة: يكشف الإمام باقر عن سر الغنوص: خاموس الخالق، وخشوع أمير الأرواح سلمان، تكبر العدو عزازئيل، وخلق قبب السموات السبع (ديوانه)، وخلق الأرض من خلال ملائكة الكواكب السبعة، وهبوط الأرواح النورانية المرتابة على الأرض، وانتقالها الفردوسي في «أشباح» - أجساد نورانية، تضليلها بالجنس، وظلامها الذي عقب ذلك إلى «أظلة» وتكثيفها في أبدان من لحم ودم. تنتهي الرواية برجاء الأرواح المحبوسة في الأبدان كي تخلص (للنجاة) وبوعد الله لها أن تعاد بشروط عيّنة إلى ملكوت النور.

إن هذه الرواية الخيالية المفصلة مترابطة ترابطا رائعا وذات منطقية؛ ولا يصح تجزئتها قط بالشكل الذي يفعله تايدنس. على الأرجح أن جوهر «أك» هذا هو أقدم نواة للكتاب. إن

المستمع الذي يوحي له باقر بالأسرار هو في أصله «جابر الجعفي» (جابر بن يزيد الجعفي؛ أنظر ٦٩) الذي يتحول فيما بعد - ربما بتأثير من «الطرفة المدرسية» - في بعض من المواقع إلى صحابيّ الرسول جابر بن عبد الله الأنصاري أو جعفر الجعفي[٢٢٠]. ولكن أغلب الظن أن رؤيا-باقر-جابر هذه هي ذلك «الكتاب» ذاته أو «تفسير جابر للقرآن» الذي يتداركه التراث الأقدم للغلاة[٢٢١]؛ وحقا إن «أك» يتقمص في بعض مواقعه بقميص التفسير[٢٢٢]. ولأن الأحاديث قد نقلت وجود «كتاب» جابر هذا عن معاصره جعفر الصادق (ت ١٤٨هـ/ ٧٦٥م) **فمن الممكن إرجاع «رؤيا جابر» إلى منتصف القرن ٢هـ/ ٨م** - فرضية ليس ثمة ما يقف في سبيلها من حيث مضمونها[٢٢٣].

ترتبط طرفة الجزء الثاني المدرسية بـ«رؤيا-جابر» من خلال شخص الإمام باقر فقط؛ إذ أنها تمثل وحدة مستقلة لا يتسنى تحديد قدمها تحديداً دقيقاً. وتستند إلى رأس الزنادقة عبد الله بن سبأ (أنظر ص ٢٥) وابنه طالب المجهول لدى المؤلفين الإماميين تماما بعد أن أطلق على تعاليم الفرقة اسم المذهب الطالبي «[بالفارسي] (مزهبى طالبى)» (أك عدد ٥٢؛ أنظر ضمن ص ٩٨).

(ب) لقد تم تطعيم «رؤيا-جابر» المستقيمة والبسيطة فيما بعد **بتكهنات حول العالم الأصغر والعالم الأكبر** معقدة للغاية، كثيرا ما يساق عالم أرواح هذة التكهنات عنوة إلى حد ما مع مثولوجيا الرواية القديمة. سنشير ضمن الترجمة التالية (أنظر ص ٩١ وما يليها) إلى الأطراف المعدة في عداد هذه الطبقة بطبع نصوصها بحروف أصغر حجما، فبهذا يمكن تركها أثناء المطالعة المتواصلة إذاً والانتقال إلى الطبقة «أ» بسهولة. ولا تُكوِّن هذه الأطراف نصا مستقلا بذاته إنما لها طابع ملحق طويل («أك» ٢١٩-٢٤٨) وإضافات عديدة شارحة أضيفت إلى الطرفة المدرسية و«رؤيا-جابر» (وبناءً على ذلك يجب أن تكونا أقدم). يصف الملحق الطويل خلاص العالم الأصغر (يرد الخلاص في الرؤيا ذاتها كمجرد أمل مرجو مناله). والإضافات مثل الملحق لا يستدل عليه من مفرداته الملفتة للنظر من حيث تقنيتها، إنما أيضا يستدل عليها من دلالتها: إذ أنها تقدم للأحداث المثولوجية الكونية في الرؤيا القديمة تأويلاً آخر بمعنى العالم الأكبر والعالم الأصغر، فهما يتطابقان ويتآلفان. بيد أنه كثيرا ما تسهل معرفة المواقع المتقاربة في النص (قارن بين أعداد «أك» ١٤٧ و١٥١).

إن العقيدة الأحدث سنًا لهذه الطبقة تفترض بشكل عابر أن أحداث العالم الأكبر المثولوجية لها مماثلاتها في العالم الأصغر، أي في الجسد البشري، أو بالأحرى أن هذه الأحداث تدور فيه: قبة السماء العليا هي عقل الإنسان، والأرض هي قلبه. وتسكن روحان في بطيني القلب: ففي *بطين الماء* (أو ماء الدم) تقبع *الروح الحسية*، المعتقد الشرير المضلل في الحياة الدنيا - والمسمى كذلك *بآدم المذموم* -؛ أما في بطين *الريح* فتسكن *الروح المعترضة* التي أُنزلت إلى الأرض بسبب عصيانها، إلاّ أنها قابلة للخلاص (والتي تسمى كذلك بروح القلوب). وأن الحاكم في العالم الأعلى هي روح الحياة الناطقة التي تتم المساواة بينها وبين الملك تعالى، بينها وبين الإله الأول في رؤيا جابر. وتحول مظاهر الإله الأعلى الخمسة - محمد، علي، فاطمة، الحسن والحسين - في الطبقة «ب» إلى خمسة مجردات:

«مزاجى غايتى»	غاية المزج
«دمشى الاهى»	النفس الإلهي
«تابشى خورشيدى»	بريق الشمس
«وصلتى ايزدى»	الوصل الإلهي
«نگاهى مؤمنى»	نظر المؤمن

وكما هو مألوف فإن بريق هذه الأنوار الخمسة ينير الأرض (= القلب) لكن عندما تندس غيمة الشر بينها - أي عندما يرفع المقصرون الكلمة - يظلم قلب المؤمنين، وتتغلب الروح الحسية على مقابلتها، وتؤدي الشهوة إلى التناسل وبهذا إلى تكاثر الأجسام المكروه. ويتم الخلاص بالتعلم الذي يتلقاه المتعلم من متم الغنوص «العارف»: ومن ثم تتتالى الأرواح في الصعود من كل سماء من السموات السبع ومن الـ«ديوان» الأعلى، التي تشكل جسد الله وتجلس في صدر المستمع فوق بعضها البعض حتى تصعد «روح القلوب» إلى اللسان وتنطق بالشهادة المطلوبة.

لا تميّز مصطلحات الطبقة «ب» الإضافات في «رؤيا-جابر» فقط إنما تميز كذلك الفصل الرابع المذكور أعلاه (ص ٨٦)، الأسئلة المنفردة المضافة في «أك» الأعداد ٢٤٨-٤١٩. وبهذا نحصل على الصورة التالية: لقد عالج محرر الطبقة «ب» القسمين القديمين «الطرفة المدرسية» و«رؤيا-جابر» بالإضافات، وقلب من معناها، ذيل «أك» ٢١٩-٢٤٨ وربما جمع الأسئلة الواردة بعد «أك» ٢٤٨ أيضا أو ألفها هو ذاته.

يصعب تحديد قدم الطبقة «ب». على الأرجح أن فقرات «أك» ١٢-٩٦ تشير إلى أن المقصود بـ«ناكري صفات» الله ربما هم المعتزلون [أتباع المعتزلة. م. المترجم] وعليه يمكن أن يكون قد ألف على أقرب حد بعد نهاية القرن ٢هـ/٨م. وعلاوة على ذلك يرد موقع في المقدمة («أك» ٨) يذكر فيه: «أورده (أي أك) علي بن عبد العظيم في عهد هارون إلى العراق وسلمه للمؤمنين والمرسلين عند وفاته». وعلى ما يبدو فقد تم في هذه الفقرة (أنظر ص ٩٢) ربط الأحداث الوهمية - الإيحاء به من قبل الإمام الباقر في مكة (لقد عاش في الحقيقة في المدينة!) - والظهور الحقيقي للكتاب في الكوفة في فترة زمنية لاحقة (في عهد هارون الرشيد) بعضها مع الآخر ربطا قصرياً؛ إذ يشير هذا الربط إلى التناقض - طبقا لصيغة الكتاب - بأن الكتاب ورد إلى العراق مرتين[٢٢٤]. إذا انطلقنا من هذه الفرضية **فسيكون الكتاب قد ظهر في عهد الخليفة هارون الرشيد (حكم ١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م) في الكوفة** وسلم بعد فترة قصيرة من قبل المدعو علي بن عبد العظيم لاتباع فرقته. **أما علي بن عبد العظيم[٢٢٥] هذا الذي لا يثبت في مكان آخر فسيكون، إن صح تعبيرنا، هو جامع الكتاب، أي مؤلف الطبقة «ب»**. من الممكن أن تتوافق هذه الحقيقة مع الفرضية الزمنية بأن الشخص الأحدث سنا المذكور في «أك» هو الغالي محمد ابن المفضل الجعفي (أنظر ص ٢١٤) وهو معاصر للإمام موسى الكاظم (ت ١٨٣هـ/٧٩٩م) وعلي الرضا (ت ٢٠٣هـ/٨١٨م)[٢٢٦].

(جـ) وأما الآن فيجب ترتيب الآثار الخطابيّة المؤكدة من قبل كل المراقبين: لقد علق اسم الغالي أبو الخطاب (أنظر ص ١٣٩) على بعض مواقع الكتاب، لكن ليس على الكل، إنما على مواقع تمجيد جابر[٢٢٧]. وخلا ذلك فإن «أك» عدد ٥٢ وما يليه يتناول التعاليم «الإسماعيلية» «التي أسسها أبناء أبي الخطاب الذين فدوا أنفسهم لأبناء جعفر الصادق <و> إسماعيل». ويجب أن يكون المقصود بهذا تلك الفرقة الخطابية التي انضمت - طبقا لشهادة النوبختي والقمي - بعد وفاة إسماعيل بن جعفر الصادق إلى أتباع محمد بن إسماعيل[٢٢٨]. وثالثا لقد أُدخلت إضافات إلى الخاموس السائد بصفة عامة في «أك» للتخميس الإلهي في ثلاثة مواقع، إذ تم إضافة اسمَيْ أبي محمد [ﷺ] وعلي: عبد الله وأبو طالب، على الرغم من أن الصيغة تتطلب العدد خمسة[٢٢٩]. إن مفاد ذلك آثار تنقيح بمفهوم فرقة خطابية عينة، ألا وهي المعمَرية (أنظر ص ١٤٦). إذاً لقد وصلنا «أك» **بتحرير**

معمري - خطابي. وخلا ذلك فمن غير المؤكد إذا ما كانت هذه الإضافات الخطابية تشكل طبقة خاصة؛ إذ قد تكون متطابقة مع الطبقة «ب».

(د) لقد تبنى هذا الكتاب في تأريخ زمني لا نعرفه النزاريون-الإسماعيليون[٢٣٠] الذين ما زالوا يتناقلونه حتى يومنا هذا على الرغم من أنه لا يمت إلى مذهبهم بشيء تقريبا - إنه القدر الذي كثيراً ما يصيب هذا الضرب من الكتب الباطنة. ولا يكاد النص يحتوي على إضافات إسماعيلية بينة؛ وخلا الخماسية الإسماعيلية «العقل، والنفس، والجد، والفتح، والخيال»[٢٣١] يجدر ربما أيضا ذكر «أك» عدد ٥٢ حيث أنه خلط على الأرجح بين **فرقة** «الفدائيين» وبين الفدائيين النزاريين، أي الحشاشين في «دمشق والشآم». وليس مستحيلا أن يكون الإسماعيلون قد أخذوا الكتاب في سوريا حيث كانت الفرق الغالية ذات الأصل الكوفي، الاسحاقيون والنصيريون قد اتصلوا منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، بالنزاريين اتصالا وطيدا (أنظر ص ١٩٩)؛ وبناءً على ذلك **يجب أن يكون الدعاة النزاريون هم الذين أحضروه إلى منطقة البامير**.

(هـ) على الأرجح أن أول ما **نقل «أك» إلى الفارسية** لدى النزاريين في الشرق حيث يتم تداوله حتى اليوم (ويجب ترك السؤال إذا ما كانت الخواص اللغوية تفسر بهذه الصورة، للأخصائيين). ومن الممكن طبعا أن تكون الإضافات والإلحاقات قد أضيفت إليه في هذه المرحلة. لم تترجم فقرة (أك ١٧٩-١٨٣) على الأقل من العربية إنما هي فارسية في أصلها، إذ أن التلاعب بالألفاظ المستخدم فيها يصح فقط بالفارسية. وعدا ذلك فمن السهل استقطاع هذا الجزء من سياق النص بدون الإخلال بسرد الأحداث.

(٤) أم الكتاب: مقدمة وطرفة مدرسية

[لقد أُفسدت بداية المقدمة العربية («أك» ٢-٤) من قبل النساخ الذين كانوا لا يتقنون العربية افسادا لا يرجى منه أمل. إن اعادة صياغة النص هي مغامرة لا أمل فيها؛ ولا سيما أن المحاولات التي أجراها إڤانوف وتايدنس[٢٣٢] مقنعة قليلا. ويأخذ النص بعد الصيغة المقدمة «بسم الله وبالله ومن الله، هذا عهد مناجاة الله...»، شكلا مبهما. ومهما يكن من الأمر فإن المرء يستطيع فهم بعض المواقع الواضحة قليلا أو كثيرا والاستدلال على المقصود بها: «قال جابر بن عبد الله...» (الأنصاري، صحابي يبجله الشيعة[٢٣٣])؛ ويمكن على الأقل حدس ما يقوله: فهو يروي كيف جالس الإمام محمد

الباقر في مكتبته (خزانته) وذكر له الإمام كتابا أعطي له « كتاب الدقائق » أو (الأسرار الخفية)]:

« إني أنا حكيم معطيكم مما أعطاني (الله) فلا يكشفه إلاّ لملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن ممتحن، ﴿ يَا أَيُّهَا النَبِي إِذَا جَاءَكَ الْمُؤمِنَاتُ مُهَاجِرات فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾ (بحسب القرآن، الممتحنة: ١٠) . وعلمنا دقيق عميق صعب متصعب، لا يحتمله إلا ملك مقرب أو صديق أو موحد (بالله؟) ممتحن مطمئن في الملكوت [٤] والناسوت. وهو آية مكنونة ﴿ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ، مَرفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ، بِأَيدِي سَفَرَةٍ، كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ (القرآن، عبس: ١٣-١٦) وعلمه رفيع عظيم في العالمين ومنه ﴿ إِلَىَ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (القرآن، القيامة: ٢٣) وللشيطان قاهرة، وتكشف الأسرار الهاشمية (؟) بقطب الأرض، والله واسع بغير علم[٢٣٤]، والله العلي العظيم »

[ثم يبدأ النص الفارسي]:

يسمى هذا الكتاب بأم الكتاب لأنه نبع الكتب كلها ولأنه يحتوي على كل العلم الموجود في العالم. هذا الكتاب اسمه « أُم الكتاب » [٥] بمعنى أن كل من يقرؤه لن يحتاج بعد لنشود علم (آخر) . هذا الكتاب يسمى بروح الكتاب لأنه الروح والمعنى لكل الكتب، وموجودة في هذا الكتاب كذلك صفات الرؤية. هذا الكتاب يسمى بـ« نور الكتاب » لأنه يحتوي على نور السماء ونور الأرض. هذا الكتاب يسمى بـ« المقالات السبع »[٢٣٥] لأنه يكشف سبع مقالات إلهيه (هفت) . هذا الكتاب [٦] يسمى بـ« السبع مجادلات » لأنه يحتوى على المجادلات السبع بين إبليس وآدم. هذا الكتاب يسمى بـ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ﴾ (القرآن، غافر: ١٥[٢٣٦]) لأنه يكشف عن درجة وعلم المؤمنين والكافرين وكذلك روحها وأرواحها. هذا الكتاب يسمى بـ« بشير المبشرات » لأن المرء يحصل منه على بشارة المؤمنين ونجاتهم وخلاصهم.

[هذا الكتاب يسمى بـ« المقالات العشر » لأن المرء يعرف منه وصف « الديوانات » العشر (كذا)[٢٣٧] وضروب مخلوقات الأرواح العشرة.]

[٧] هذا الكتاب يسمى بـ« الظهورات السبعة » لأنه يحتوي على وصف الأدوار الجسدية والروحانية السبعة بالمعنى والحقيقة. هذا الكتاب يسمى بـ« كتاب المجازات » لأنه يتكلم عن مجازات ومكافآت الكافرين والمؤمنين في العالم الأصغر والعالم الأكبر (عالم كوچك وعالم بزرگ) . هذا الكتاب يسمى بـ« كتاب الأمهات » لأنه يتكلم عن أصل وماهية التوراة

والإنجيل والزبور والفرقان (= أي القرآن) وكل الكتب الموجودة في هذا العالم [٨] قيلت فيه من جديد .

لقـد أُملي هـذا الكتـاب في مـدينة مكة في مـحلة قـريش بن هاشم في بيت عـبـد مناف[٢٣٨] وكان متواجدا في مكتبة (خزانة) الباقر عليه السلام . أخرجه جعفر الجعفي[٢٣٩] وأُحضر (در كوفة آ ورده اند[٢٤٠]؟) إلى الكوفة، إلى أن أورده في عهد هارون علي بن عبد العظيم إلى العراق وعندما توفى سلمه للمؤمنين والمرسلين وأخذ عليهم به عهد الحذر والأمانة أن لا يعطي المؤمنون والموحدون و[٩] الرؤساء هذا الكتاب[٢٤١] لمعترض[٢٤٢] ولا يقولون عنه لأي مخلوق، على أن يشع العلم في هذا البريق على المؤمنين كلهم[٢٤٣]، فهذا علم يقع خارج فهمنا وخيالنا؛ خلا أنه يحتمله مؤمن موحد ‹بالله›، أو نبي مرسل أو ملاك مقرب ممتلئ قلبهم بنور الوحدانية الإلهية . ولا يقدر الآخرون غير المؤمنين على احتمال علم عالم الأسرار من دون أن يقصروا من أعمارهم وينقصوا من حياتهم .

[١٠] من هذا الكتاب يعرف المرء صفة وحدانية الباري جل جلاله، وحقيقة أن الحق (= الله) صنع الحجاب العالي وحجاب المؤمنين[٢٤٤]، وصفة العرش والكرسي واللوح والقلم وحجاب أرواح المؤمنين والكافرين والمعترضين، واللاكيفية وعدم الوضوح (بيچونى وبيچگونگى)؛ ويعرف المرء معرفة الملك تعالى جلت عظمته والملائكة الخمسة مع الأدوار السبعة الإلهية والأدوار السبعة البشرية، [١١] ومجادلات إبليس وآدم السبع وخلق كل ما يحيط به الفهم والوهم وفكر القلب وما لا يحيط به – كل هذا مدلول عليه في هذا الكتاب حسب مقالات الباقر علينا منه السلام . (كه) ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ (القرآن، آل عمران : ٧) . هذا الكتاب سماه الباقر بـ« أم الكتاب »، وكان كتاب باقر العلم علينا منه السلام[٢٤٥][١٢] فهو ذا الباقر وُلد من أمه وجاء من أم المؤمنين آمنة إلى الدنيا [٢٤٦]، قال : آيات محكمات هن أم الكتاب .

باقر يفسر الأبجدية

عندما أرسلوه (= أي الإمام الباقر) إلى الكتّاب (= المدرسة) بان عليه (فرا ايزدى) ... إلاهي[٢٤٧] وحكمة وعلم مؤيدات ‹من الله› لم يشهد مثلهما أي كتّاب . هكذا روى جابر بن عبد الله الأنصاري[٢٤٨] أنه عندما كان باقر العلم علينا منه السلام طفلاً ابن خمسة أعوام أرسلوه إلى مدرسة عبد الله بن سبأ [٢٤٩]. و[١٣] كعادة الكُتّاب (= المعلمين) كتب عبد

الله الحروف التسع والعشرين[250] على لوح من الفضة الصافية[251] وسلمه لباقر العلم باليد وطلب منه: «قل ألف»، فقال الباقر: «ألف»، فقال عبد الله: «قل باء». لكن الباقر قال: «إذا لم تقل لي معنى الألف فلن أقول باء!» فقال عبد الله: «يا قرة عيون المؤمنين، *فقل ألف يا باقر*» فقال: «*الألف الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم*»[252] وأكمل: «يا عبد الله، الألف هي الله واللام المكتوبة بعدها هي محمد؛ ومعنى الألف روح محمد[253] وتتكون الـ«ألف» من ثلاثة حروف[١٤] ونقطة واحدة: ألف ولام وفاء ونقطة. ألف محمد، ولام علي، وفاء فاطمة، ونون ‹أي أول حرف في مفردة نقطة› الحسن والحسين إذ أن آخر حسن وحسين نون، وفي آخر الألف نقطة». فتعجب عبد الله وقال: «يا ضياء عيون المؤمنين، هذا الذي ذكرته عن طبيعة وصفة الألف لمعجزة غير مكتوبة في أي كتاب مخلوق». وقال الباقر: «كان كتابنا نحن أهل البيت هكذا في كل دور وزمان».

[«يا عبد الله، الف كرسي وعرش الله عز وجل، [١٥] واسمه روح الحياة الناطقة، وهو موجود على عقل المؤمنين. ولام روح الضياء (روحِ روشنى) وفاء روح الجبروت، ونون روح الفكر. وعلى الألف روح صورتها (بيكرى حجاب؟) حجاب علي علينا منه السلام[254]. وألف روح علي، ولام لؤلؤتان لتلالؤ علي، فاء فكرُ روحِ وحي عليٍ، ونقطة نطق علي؛ و‹هو؟› النورانية التي على الحروف الثلاثين».]

لكن عبد الله بن سبأ استغرب وقال: «يا ابن رسول الله، والله بالله [١٦] العلي العظيم ‹هذا› توجيه إلهي فأنا لم أسمع مثل هذا العلم من أي معلم قط. يا للروعة أنك أُرسِلت إلي مدرستي ولم تجلس في مدرسة أخرى قط ولم تقرأ كتابا ولم تر مُتَعلما. يا فاكهة قلب المؤمنين ما معنى أن (چگونه حال است) يعلم واحدٌ الناس العلم وهو نفسه لا يملكه. أردت أن أعلمك الـ«ألف» وأنا لا أعرفها حتى أني الآن تعلمتها منك. يا عينيَّ محمد وعلي،[١٧] أكمل الرحمة واقرأ كذلك الباء والتاء – ليرحمن والدك ووالدتك».

فقال الباقر: «يا معلم، «باء» باب الألف، فالألف محمد، و«باء» علي والنقطة تحت ‹الـ› «ب»‹ء› نطق علي.

[ألف هي روح البريق و«باء» هي روح حياة العقل ‹البشري›، والنقطة هي النطق.]

يا معلم، قل، أيهما الأول من هذين الحرفين!» فقال عبد الله: «ألف». فقال الباقر: «يا عبد الله، وما الدليل؟» فقال عبد الله: «يا عيني المؤمنين، لا علم لي أكثر». فقال الباقر: «يا عبد الله، كل هؤلاء المعلمين [١٨] يُعَلمون بلا علم ولا يفقهون إذا كانت الألف أول أم «باء».

إن أول هذه الحروف هو ‹الـ›«باء» ثم ألف، فالباء علي وألف محمد ومحمد يتقدم ظاهراً. علي هو باب محمد، ومن الباب يدخل المرء إلى القصر (در سراى)، ومن علي يصل المرء إلى محمد. محمد وعلي هما واحد، وألف و«باء» هما واحد، ونقطة ألف المحجوبة هي نطق محمد المحجوب. ونقطة «ب» الجلية هي نطق علي الجلي الذي [١٩] هو جلي بعلم (= غنوص) النور. الكفار الذين أصلهم من قدْر أهريمن (= الشيطان) متعارفون على شريعة محمد ويعملون بها، ومن شريعة علي ليس عندهم خبر، فمحمد هو الدنيا وعلي الآخرة، تصديقا لقوله تعالى: ﴿يَعلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحَيَواةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (القرآن، الروم: ٧). يا عبد الله، والآن ما هو الأول من هذا الحرف النقطة أم الـ«ب»؟»

أجاب عبد الله: «يا عيني محمد، لا أعلمه إذ لم أسمعه منك». فقال باقر: «أول هذه الحروف [٢٠] هو النقطة، والنقطة نطق المؤمنين، فبالنطق أبلغ (؟)؛ و«ب» روح بين الحاجبين(٢٥٥) وألف الوعاء (كالبد). النقطة أولاً ثم ‹الـ›«ب» ومن ثم ألف».

[يقطع شرح الـ«ب»‹ـاء› بإضافة طويلة («أك» ٢٠-٢٤) تعد في عداد الطبقة الحديثة. يؤول في هذه الفقرة حرف الجيم - سابقا لأوانه في هذا الموقع - بمعنى مذهب الأرواح للطبقة الأحدث. ثم يلي النص القديم: باقر يقول بإن العالم كله - سماء الإله المتعالي الخارجية وتجلياتها الخمس وكذلك السبعة والاثنا عشر - موجود في الحرف «ب»:]

«يا عبد الله، هل النقطة أكبر أم ‹الـ› ألف؟» فقال عبد الله: «يا نور عيني محمد وعلي، أتريد أن تقول بأن النقطة أكبر؟» فأجاب باقر: «نعم، فالسموات السبع والأرض متواجدات في هذه النقطة». - «يا فاكهة قلب المؤمنين، ما معنى هذا؟» فقال باقر: «يا عبد الله، حسب حقائق الحق (= الله) فإن النقطة تحت الباء هي ديوان الغاية الأزلية(٢٥٦) فهكذا يمكنك القول[٢٥] إن النقطة تتكون من خمس نقاط. تتكون «نقطة» من ثلاثة حروف ساكنة والنقاط الخمس(٢٥٧) هن المختصون من الملك تعالى: محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين. والحروف الثلاثة هن ديوانات سلمان ومقداد وبا (= أبي) ذر(٢٥٨). وتتكون النون في نقطة من ثلاثة حروف، والقاف من ثلاثة، والطاء من اثنين ومجموع هذا ثمانية، وثمانية هم الملائكة ذوو السبعة ألوان(٢٥٩) وثامنهم هو الملك تعالى جلت عظمته.

[هذه النقاط الخمس هي سمع ‹أي أُذنيّ› وبصر ‹أي عينيّ› الملك تعالى ومعاينته جل جلاله.]

[٢٦] يا عبد الله، إذا شرحتُ هذه النقاط شرحا تاما فسيتجاوز هذا كل حد وبعد. تنطوي

هذه النقطة على سبعة واثني عشر ديوانات (في الحجاب)!» فقال عبد الله: «أيا مولاي ومولى المؤمنين، كيف يمكن أن تكون هذه السبعة والاثنا عشر في نقطة واحدة؟» فقال الباقر: «تتكون نقطة من ثلاثة حروف، والنون ‹في حساب الجمل› خمسون أو خمسة، والقاف مائة أو عشرة، والتاء أربعة؛ ومجموع هذا تسعة عشر[٢٦٠]، إذاً سبعة واثنا عشر. تلكما السبعة والإثنا عشر المضيئات للعالم واللواتي يبقينه نيِّراً».

[تعد الفقرة الطويلة التي تلي العدد ٢٧ «أك» (من ٢٧إلى ٣٧) في عداد الطبقة الحديثة «ب» كلياً: إذ تفسر السبعة والاثنا عشر بمعنى مذهبهم الروحاني، وتعقد فيها الصلة بين الأرواح وأعضاء الله الاثني عشر وحجب السموات السبع عنوةً. ثم يلي النص القديم مع نداء تعجب عبد الله بن سبأ:]

[٣٨] فقبَّلَ عبد الله بن سبأ رأس ووجه باقر العلم وقفز على الأقدام ودعا وحمد وقال: «سبوح قدوس، قدوس وسبوح محمد وعلي حقاً حقاً، علي ومحمد بآلائه ونعمائه، أنصتوا يا مؤمنين ويا مسلمين. يا رحمان يا رب يا رحيم، أشهد أنك إله المؤمنين كلهم وخالق الأرض والسماء. أنصتوا. يا رب ‹ويا› خالق ‹لتكن› سبوحاً وقدوساً». هكذا قال [٣٩] وسقط على الأرض.

الباقر يتجلى بالخاموس الإلهي

عندما رجع إلى وعيه لم ير محمد الباقر إنما محمد المصطفى وكان يشع من وجهه نورٌ براق وسقطت خصلتان منيرتان، وقال: «أنا سبحان الله»، يعني أنا الله الطاهر الطهور والمنزه عن كل صفة ووصف، ولما رأى عبد الله هذا سقط عدة مرات على الأرض.

عندما رجع إلى وعيه رأى أمير المؤمنين علي، وقال: «أنا الحمد لله» يعني أنا ذلك الإله الذي تحمده السماء والأرض وتثنيان عليه؛ ﴿وإن [٤٠] مِنْ شيءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (القرآن، الإسراء: ٤٤).

فسقط عبد الله عدة مرات على الأرض. ولما رفع رأسه لم ير علياً إنما فاطمة ساترة رأسها بحجاب أخضر ومرتدية لباساً من ﴿سُنْدُسٍ واسْتَبْرَق﴾ (القرآن، الكهف: ٣١) يشع بألف ألف نور وشعاع؛ وقالت: «لا إله إلاّ أنا الله» يعني لا يوجد سواي أنا إله في أي مكان، لا في الألوهية ولا في البشرية، لا في السماء ولا على الأرض إلا أنا، أنا فاطمة الفاطر وخالق أرواح المؤمنين أنا. [٤١] إنّي ﴿الخالِقُ البَارِئُ لهُ الأسماءُ الحُسْنَى﴾ (القرآن، الحشر: ٢٤).

وعندما رجع إلى وعيه لم ير فاطمة إنما الحسن بن علي كبدر في ليلته الرابعة عشرة يرمي

ببريقه وأشعته؛ وقال: «أنا الله أكبر» يعني أنا الله أكبر من السموات والأرض، أنا الأكبر، ﴿أنا اللهُ لا إلهَ إلاّ هُوَ... لَهُ الأسماءُ الحُسنى﴾ (القرآن، الحشر: ٢٣ و٢٤).
وعندما رجع عبد الله إلى وعيه لم ير الحسن إنما الحسين بن علي، ينير من شفتاه وأسنانه البدر والمشتري [٤٢] وتشع من وجهه شمسٌ، شمسُ العالم الأكبر وتثير الجزع كأنها ستحرق عبد الله. وقال: «لا حَولَ ولا قُوةَ إلاّ باللهِ العَليِّ العَظيم، يعني لا إله غيري فأنا معذب الكافرين ومخلص المؤمنين أنا الحسين بن علي وأنا الحسن بن علي وأنا فاطمة الزهراء وأنا علي الأعلى، وأنا محمد المصطفى». وسقط عبد الله مرة أُخرى على الأرض. ولما رجع إلى وعيه لم يعد يرى الحسين بن علي إنما رأى باقر العلم علينا منه السلام، تماماً مثلما رآه أول ما رآه، ينافس الضياء [٤٣] والشمس وتخرج الكلمات من بين أسنانه كأنها النجوم اللامعة. ولما رأى عبد الله هذه المعجزة فقد وعيه.
وعندما عاد إلى وعيه قال: «أشهده[٢٦١]، سبوحٌ وقدوسٌ محمد وعلي حقاً حقاً، الله المحمود المصطفى، وواليه[٢٦٢]، السلسبيل (السلسل= سلمان الفارسي[٢٦٣]) [وأبو الخطاب[٢٦٤]]». هذا هو (اين است) [نص عربي:] أنت الأول وأنت الآخر أنت الظاهر وأنت الباطن وأنت بكل شيءٍ عليم.

شهادة عبد الله بن سبأ وقربان موته

فترك الباقر وخرج إلى مدينة مكة وقال: «أيا أهل [٤٤] مكة والمدينة، أيا أهل العراق العربي والعجمي، أيا أهل فارس وكرمان، أيا أهل البصرة والكوفة، كونوا شهدائي أن لا إله لي في السماء وعلى الأرض إلا محمد الباقر، ابن علي زين العابدين الصغير. أشهد أنه هو إله الثمانية عشر ألف عالم، (نص عربي:) هو الأول وهو الآخر، هو الظاهر هو الباطن وهو بكل شيءٍ عليم».
(نص فارسي:) فسار الناس جماعات جماعات مع بعضهم البعض وقام فيما بينهم الخلاف، وقالوا: [٤٥] «خرف عبد الله بن سبأ أصبح رجلاً ضالاً ممسوساً». فامر علي زين العابدين وابنه الصغير باقر العلم بقتل عبد الله بن سبأ وحرقه بالنار[٢٦٥]. فقالا: «جن هذا الرجل» كي لا ينشب انقسام ولا ‹تكونن› غوغاء ولا لغط في الخلق (= الأمة).
ولما رجع باقر العلم إلى البيت أحاط به أولئك المستنيرون الذين شاطروه قدره ‹؟› وعمره، مثل جابر بن عبد الله الأنصاري[٢٦٦]، وجابر الجعفي[٢٦٧]، [٤٦] وجعفر

الجعفي[٢٦٨]، وصعصعة بن صوحان[٢٦٩]، ترحموا وحمدوا وقالوا للباقر: «يا ولي الزمان، إن عبد الله بن سبأ قال الحقيقة، لكنك أمرت بقتله وحرقه بالنار، ولم يستحق هذا لقوله فنحن نشهد بنفس الشهادة التي شهدها. ولا ندري ما هو معنى هذا». فقال باقر العلم: «يا مستنيرون، إن إناطة الحجاب عنا تنطوي على مخاطرة عظيمة إذ لم يُنط الحجاب عني خلال الستة آلاف سنة من دور الشريعة ولم يتحدث علناً؛ إلى [٤٧] أن يظهر القائم[٢٧٠] فسيُنطق حينها بمعنى أن الملك تعالى سيظهر كالقائم. أما أن تشهد الشهادة اليوم فهذا تقصير. عبد الله أناط الحجاب عنا. وكل من ينيط عنا الحجاب نُنيط عنه الحجاب. يا مستنيرون ويا إخوان، أنتم تعلمون أن في أيام مولانا أمير المؤمنين علي لما يظهر ومعه الولاية وتسقط له الخلافة ستسجد له المأذنة في مدينة الكوفة ولن تقدر على القيام ثانيةً وستبقى هكذا، [٤٨] وسيشهد الناس كلهم سراً أو علانية من يقين القلب باقرار قاطع. لقد بشر أبو الخطاب[٢٧١] وحده علناً بهذا النور وهذا البيان: يا أيها العرب والعجم، كونوا شهدائي أنه لا إله في الثمانية عشر ألف عالم إلاّ علي بن أبي طالب، حتى أمر مولانا، جدي، بقتل أبي الخطاب وحرقه. يا مستنيرون، لو لم يقتل جدنا أبا الخطاب ولم يحرقه فكان سيقول ما يجب أن يقال بعد تسع مائة وأربعين سنة»[٢٧٢]. [٤٩] فطلب المؤمنون كلهم العفو، وقام جابر بن عبد الله الأنصاري وقال (نص عربي:) «ما شاء الله، كان ولم يكن إلاّ أن يشاء، (نص فارسي:) إن أمر الله حق، كل ما يشاؤه يكون». فعفا الباقر ‹عنهم› وذكر الآية ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَومِهِ مِنَ المِحرابِ فَأَوحىَ إليهِم أنْ سَبحوا بُكرةً وَعَشياً، يا يَحيىَ خُذ الكتابَ بِقوةٍ وآتَيْناهُ الحُكمَ صَبياً﴾ (القرآن، مريم: ١١-١٢)» ولما تلا باقر العلم هذه الآية [٥٠] خرج شخص ليس بميت ولا بحي، ﴿لا يَموتُ فيها ولا يَحيا﴾ (القرآن، طه: ٧٤) من جدار حجرة فاطمة. نفخ الباقر العلم عليه نفساً، ولما صارت الروح ظاهرة بين شفتي وأسنان الطفل الشبيه بالقمر (= المقصود هو الباقر) دخلت إلى حلقوم الشخص، وقام ‹بمظهر عبد الله بن سبأ› وتلا من جديد: ﴿عالمُ الغيبِ والشَهادةِ الكَبيرُ المُتَعَالِ﴾ (القرآن، الرعد: ٩) وشهد بألوهية الباقر أمام كل المستنيرين. فقال باقر: «يا عبد الله، ماذا رأيت وما أصابك؟» فقال عبد الله: «يا إله جميع الآلهة [٥١] ونور كل الأنوار، رأيت نفسي في الحلم في الجنة بين الحور، جالساً في قصور، في خيام نورانية وروحانية مع ولدانٍ وغلمان (القرآن، الواقعة: ١٧) ‹و› ﴿حورٌ مَقصوراتٌ في الخِيامِ﴾ (القرآن، الرحمن: ٧٢)، ورأيت محمداً وعلياً وفاطمةً والحسن والحسين يشهد كل أهل الجنة بألوهيتهم؛ وأنا أيضا شهدت عدة مرات

وقلت: ﴿ شَـــهِــدَ اللهُ أنَـهُ لا إلـهَ إلاّ هوَ، الحَيُ القَــيــومُ ﴾ (القــرآن، آل عـــمـــران :١٨، والبقـرة :٢٥٥). ورأيتك يا مولاي، كـيف خرج مائة ألف قـمر وشـمس من بين شفـتيك [٥٢] وأسنانك. ولما صحوت من النوم لم أر شيئاً من ذلك إنما رأيتك تنفخ لي في فـمي نفساً وكان بدني كله ينطق ويشهد ».

فقـام طالب بن عبـد الله وقـال: « أنا أريد أن أفـدي نفسي لله بـاقر (بفداى خـداوند... مى كنـم)، كي أرى الشيء عـينه الذي رآه والدي ». وهذا المذهب الفـدائي والطالبي (واين مزهبِ فدائى وطالبى) في دمشق والشام[٢٧٣] هو المذهب الذي أسسه طالب.

[المذهب الإسماعيلي هو ذاك الذي أسسه أبناء أبي [٥٣] الخطاب الذين فدوا أبدانهم لأبناء جعفر الصادق ‹و› إسماعيل[٢٧٤]]

الذي استمر على مدار كل الأدوار ﴿وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ (القرآن، طه: ٤٧)

تنقسم الطبيعة في مؤمنين وجاحدين

[٥٣] روى جابر بن عبد الله الأنصاري: سألت مولى الزمان، المولى باقر العلم، ما معنى أن المئذنة سجدت في مدينة الكوفة مصلية لعلي بن أبي طالب، ما أمرها وهي لا يوجد فيها حياة تسجد. فقال الباقر: « يا جابر، لقد كان ذلك هو الظهور الإلهي الذي ظهر للمئذنة إبان ولاية علي [٥٤]، وأخـذت (المئـذنـة) الظهـور الإلـهي إبان ولاية علي، ســجــدت وأطاعت. يا جابر، في ذاك اليوم، لما ظهر أمير المؤمنين علي بكرامة المولى والخليفة عُرِضَ ظهوره على كل الكون، على السماء والأرض والجبال، والبحر والنبات وكل ما يشبه ذلك. وعـرضـت هذه الظهـورات كـذلك على ‹الملائكة› الموكلين، على جـبـرائيل ومـيكائيل وعزرائيل وإسرافيل. وكل من قبل بالظهور الإلهي لولاية عليّ له [٥٥] خير راحة، وكل من لم يقبل به له عذاب وعقوبة.

أول ما عرض الظهور الإلهي إبان ولاية علي، عرض على السماوات، وقد قبلت به كلها ومنه خرجت كل النجوم النيرة الجميلة والشمس والقمر والملائكة. ثم عرض الظهور الإلهي إبان ولاية علي على الجَبال، ويوجد على كل الجبـال التي قبلت به شياهٌ وثمار من كل الضروب وأعشاب يأكلها الإنسان، وأعشاب طبية [٥٦] من كل الضروب، وأحجار كريمة قيمة، ودواب وطيور يستنفع بها الإنسان. بينما كل الجبال التي لم تقبل، حالت إلى جبلٍ وصخرةٍ ‹؟› وغطيت بأعشاب شوكية ووحوش ضارة.

ثم عرض الظهور الإلهي إبان ولاية علي على البحار. وكل البحار التي قبلت به ‹لها› ماءٌ جيد ‹أي عذب› وصيد نافع والعديد مما ينفع الناس مثل الحيتان (= حرفيا: حيتان العنبر) وأحجار كريمة قيمة في قعر البحر، والدر والصدف واللؤلؤ والكثير مما يشبه ذلك. [٥٧] ولكن كل البحار التي لم تقبل به مياهها مالحة ومرة، مضجرة ونتنة؛ وما يُصطاد فيها هو ضار مثل التماسيح والأفاعي والتنانين والكثير مما يشبه ذلك.

ثم عرض الظهور الإلهي إبان ولاية علي على الصحاري، ومُلئت كل التي قبلت به بنباتات وأعشاب من كل الضروب، بخضار جميل وأزهار غنَّاء. ولكن كل الصحاري التي لم تقبل به أصبحت صحاري مالحة ومستنقعات مالحة ذات نباتات ليس بها منفعة.

ثم عرض الظهور الإلهي إبان ولاية علي على [٥٨] الحيوانات البرية والبهائم. كل التي أقرت به هي التي يمكن للإنسان أكلها، ولكن التي لم تقر به ليست ذوات أي منفعة، فهي كلها من آكلي الجيف مثل الفهد والضبع والخنزير والدب والقرد والكثير مما يشبه ذلك. لا يصلح لحمها كطعام للإنسان.

ثم عرض الظهور الإلهي إبان ولاية علي على معادن الأرض. وكل التي قبلت به هي كريمة وثمينة مثل الذهب والفضة والياقوت والفيروز والزبرجد والأحجار الكريمة ‹الأُخرى›. ولكن كل التي لم تقر به ‹حالت إلى أشياء› مثل الخبث (؟) والكلس والكثير [٥٩] مما يشبه ذلك.

ثم عرض الظهور الإلهي إبان ولاية علي على المدن والقرى، إن كل المدن والقرى التي قبلت بهذه الولاية ‹ممتلئة› بأُناس أتقياء. ولكن كل التي أنكرتها ‹سكانها› كافرون وضالون ومنحرفون عن سواء السبيل.

يا جابر، بهذا تنطق آية القرآن - قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ (القرآن، الحج: ١٨)».

(٥) أم الكتاب: رؤيا جابر

تفسير البسملة[٢٧٥]

[٦٠] فقام جابر الجعفي وقال: «يا مولاي، ما هو معنى ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ المكتوبة في بداية سور القرآن والتي يقولها كل من يشرع بعمل ما والتي يعتبرها الكل عزيزة

كريمة؟» فقال الباقر: «إن تفسير بسم الله الرحمن الرحيم كالتالي: لقد كتبها الملك تعالى على سطر غاية الغايات [٦١] الأعلى من كل العلو. فهي تعني تلك السبع والإثني عشر اللواتي جعلهن الملك تعالى جوارحه. لقد خلق على نفسه بحراً من ألف لون وخلق تحته بحراً ‹آخر› اسمه أُلوهية، ووضع الملك تعالى بينهما الأنوار السبعة والإثني عشر القديمة اللامخلوقة اللافريدة كسمعه وبصره، تصديقاً لقوله تعالى ﴿ مَرَجَ البَحرينِ يَلتَقِيان بينَهُما بَرْزَخٌ لا يَبغِيانِ ﴾ (القرآن، الرحمن: ١٩–٢٠) [٦٢] يا جابر الجعفي، «البحران الكبيران» هما البحران ‹المذكوران›، والبرزخ هو الملك تعالى، واللؤلؤ والمرجان ‹فيهما› هم الملكان والملائكة والنقباء والنجباء[٢٧٦]، والمنيرة النيرة ‹؟› والقناديل المربوطة من ديوان إلى ديوان بقلوب المؤمنين. ووَالله بالله العلي العظيم إن هذا لهو ذلك العلم (=الغنوص) الذي يسيل من جنة إلى جنة ومن جهنم إلى جهنم والذي لم تُقل عنه أي كلمة في أي كتاب.

[[٢٧٧]يا جابر، تماماً مثل السبعة والإثني عشر المشعة على شخصنا [٦٣] وهيكلنا هذا، فبهذا يعني العقل (مغز) بحر البيضاء والروح الناطقة تعني الملك تعالى المتواجدة في نخاع العقل، والعينان والأُذنان والمنخران والفم تعني تلك السبعة التي هي جوارح الملك تعالى؛ واليدان مع الأصابع ‹العشرة› تعني تلك الإثني عشر التي في وسط بحر البيضاء وقبة غاية الأزلي؛ وقبة غاية الأزلي هي قبة الملك تعالى على رؤوسنا. هذه القبة هي الروح الأعظم ذات الألف لون [٦٤] والعقل كأنه هو الأرض البيضاء التي على السموات السبع كمثل بحر البيضاء على ديوانات القصر ‹السماوي› السبعة. تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ تَنزيلاً ممَّن خَلَقَ الأرضَ والسَمَوات العُلي، الرَحمَنُ عَلَى العَرْشِ استَوى، لَهُ ما في السَموات ومَا في الأرْضِ ومَا بَينَهُما ومَا تَحْتَ الثَرى ﴾ (القرآن، طه: ٤–٦). يعني أن الله على بحر البيضاء وبحر البيضاء هو عرش [٦٥] الملك تعالى جلت عظمته، أنبت في القبة البيضاء الحور والقصور والمشعل والسراج والغلمان ﴿ وولدانٌ مُخَلَّدُونَ... لُؤلُؤاً مَنْثوراً ﴾ (القرآن، الإنسان ومريم).]

يا جابر، إن ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ على القرآن ‹هي› قصر ‹إلهي›، الباء، والسين، والميم والنقطة تحت الباء تعني أربعة ملائكة يسمون باللسان البشري سلمان والمقداد وأبا ذر وعمار، وتعنيان اللام والهاء وهما دليل وتصديق للملائكة الثلاثة ‹الآخرين› أبو كُميل وأبو هُريرة وأبو جُندُب[٢٧٨] [٦٦] وتعني الألف في وسط الحروف السبعة هذه الملك تعالى جلت عظمته.

[وخُلقَت القسمات على رأسنا ‹البشري› دليلاً وحجةً لذلك، فالأذن اليمنى والعين اليمنى والمنخر الأيمن والنطق تعني الباء والسين والميم بينما يعني النطق النقطة ‹تحت الباء›. والأذن اليسرى والعين اليسرى والمنخر الأيسر تعني اللام والميم والهاء. ومكتوبة روح الحياة على الجبهة كدليل وحجة للألف في الوسط فهذه الجوارح على [٦٧] رأسنا كلها أدوات هذه الروح.

والأذنان موجودتان لكل زمان إزاء بعضهما لكي تعلما روح الحياة عندما يسمع المرء أسرع من إغلاقه الرموش. والعيون والأنف والفم مثلهم كمثل سلمان القدرة والمقداد وعمار وأبي ذر وجندب وأبي هريرة وأبي كميل مطيعين للملك تعالى وخاشعين له وواقفين أمامه مقلدين ﴿... الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ (القرآن، غافر: ٧).]

[٦٨] يا جابر[٢٧٩] الجعفي، إن بسم الله الرحمن الرحيم هذه أكبر مما يقوله الناس: أي أن هذا هو اسم الإله، بل هو عرش الله، تلك الألوهية التي لا يدركها لا فهم ولا وهم ولا فكر القلب. إنها جملة كل صفات عظمة الملك تعالى ففي حروف بسم الله الرحمن الرحيم تظهر خاصيات الملك تعالى الخاصة السبع والاثنا عشر وتحجب في حجابها. والثمانية والعشرون نور النجيب[٢٨٠] ونور الملائكة الأربعة الذين [٦٩] يمنحون السماء والأرض حياة ويأخذون حياة، محجوبون[٢٨١] في حجاب حروف ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ الاثني عشر، بينما ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ هو عرش الله والرحمن الرحيم عرش بسم الله». وعلى ذلك قال باقر العلم: «إن هذه الكلمة بهذا المثال مكتوبة على لوح الفضة الصافية: بسم الله الرحمن الرحيم».

فقال جابر الجعفي: يا مولاي، اشرح هذا لعبدك الضعيف، لتفدينَّ ألف حياة و<كل> مال وملك لحياة الإله. فقال باقر العلم: «عليٌّ الحرس [٧٠] لرقبتك، الأمان الأمان، الحذر يا جابر الجعفي، بسم الله تعني ديوان غاية الغايات، والرحمن الرحيم تعني القبة البيضاء، وبسم الله تسعة عشر حرفاً: باء حرفان، سين ثلاثة حروف، ميم ثلاثة حروف، ألف ثلاثة حروف، لام ثلاثة حروف، واللام الثانية ثلاثة حروف وها<ء> حرفان، وجملة ذلك تسعة عشر حرفاً.

[السبعة هي جوارح الملك تعالى: محمد المحمود، وعلي الأعلى، وفاطمة الفاطر، وحسن الأحسن، وحسين الرفيع [٧١] الأعلى، وعبد الله العالي، وأبوطالب الأطلاب[٢٨٢]. هؤلاء السبعة هم الذين لا شيء عليهم (ولا شيء مَعَهُم)[٢٨٣]. ويظهر <هذا السابوع> بمئة ألف نور وشعاع ووهيج من كل لون وضرب في بحر البيضاء. والاثنا عشر الآخرى هي الأنوار الاثنا عشر لأهل البيت المصفوفين مع بعضهم البعض والذين هم جوارح هذا الديوان من دون مثل. ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (القرآن، الفتح: ٧).]

إن هؤلاء السبعة والإثني عشر [٧٢] هم <المحجوبون> في حجاب الملائكة السبعة الذين يعنون حروف بسم الله السبعة، يعني سلمان والمقداد وأبو ذر وعمار وأبو هريرة وأبو جندب وأبو كميل. والحجب السبعة والأغطية (پرده= أغطية السماوات السبعة) أصلهم من تلك السبعة والاثنا عشر مثل أصل بسم الله من تلك السبعة والاثنا عشر. وإن الحروف السرية السبعة والاثنا عشر محجوبات في هؤلاء السبعة ولا أحد في شرق أو غرب العالم يقدر

على احتمال درجتهم إلاّ الذي يقرأ هذا الكتاب أو الذي تعرف عليه من حديث المؤمنين.
وهذه الرحمن الرحيم تعني [٧٣] نقباء بحر البيضاء الإثني عشر ‹المحجوب› في بيتهم النجباء الثمانية وعشرين[٢٨٤] والملائكة الأربعة المقربون. وهم الآن محجوبون في الحكمة، فإن أخذت في بسم الله الحروف على حدة فستحصل على أربعة وثلاثين حرفاً[٢٨٥]: الثمانية والعشرون نجيباً واليتيمان [٢٨٦] والملائكة الأربعة ‹المقربون›.

ومفاد معنى الحروف الإثني عشر المحجوبة بسم الله، ومثلما بسم الله مكتوبة قبل الرحمن الرحيم فهكذا يتواجد ديوان غاية الغايات ذاك ‹ك› قبة الملك تعالى على بحر البيضاء، [٧٤] والنقباء الاثنا عشر خاصيون حاضر الملك تعالى هم حملة بحر البيضاء، لقوله تعالى: ﴿ ويَحمِلُ عَرشَ رَبِّكَ فَوقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ ﴾ (القرآن، الحاقة:١٧)، يعني هذه أركان ‹عرش› الألوهية الأربعة والعشرون هم النقباء الاثنا عشر وملائكة العرش السبعة والخمسة ‹السبعة؟› الخاصيون

[من محمد إلى أبي طالب اللذين هما السابوعان مثلما قد ذُكر[٢٨٧]، ﴿ ولَقَدْ آتَيناكَ سَبعاً مِنَ المَثاني والقُرآنَ العَظِيمَ ﴾ (القرآن، الحج:٨٧). والاثنا عشر هم نحن أهل البيت (بعد) ملائكة [٧٥] العرش السبعة، هذه سبعة واثنا عشر. قوله: ﴿ في سِتَّةِ أيَّامٍ ثُمَّ استَوى عَلَى العَرْشِ ﴾ (القرآن، الأعراف:٥٤). يا جابر، إن هذا العالم الأصغر (عالم كوچك) محسوب تماماً كذلك.

فقال جابر الجعفي: «يا مولاي، اشرح هذا». فقال باقر العلم: إن هذه السبعة أنوار التي ذكرتها تدور على وجه المؤمنين وأئمة الزمان، محجوب فيهم سبع واثنا عشر خاصية فإذا نقصت واحدة فقط يصبح الهيكل والقالب غير تامّين. تسمع الأذن اليمنى كلمات العلم (= الغنوص) الثلاث، وترى العين اليمنى [٧٦] الآلات الثلاث ‹؟› البيضاء والصفراء والسوداء، ويشم المنخر الأيمن الروائح الثلاث الجيدة والسيئة والممتزجة. والأُذن اليسرى والمنخر الأيسر محسوبان كذلك، و‹أخيراً› اللسان الذي ينطق بكلمات العلم (= الغنوص) الثلاث، فجملة ذلك تسعة عشر. قوله: ﴿ لَوّاحَةٌ لِلبَشَرِ، عَلَيها تِسعَةَ عَشَرَ ﴾ (القرآن، المدثر:٢٩-٣٠) والنجباء الثمانية وعشرون المحجوبون في الأصابع العشرة واليدين الاثنتين يصدقون كذلك على الثمانية والعشرين لبحر البيضاء.]

هذا هو تفسير بسم الله [٧٧] الرحمن الرحيم. يا جابر، إن هذا لهو العلم (= الغنوص) الذي لا تقدر لا السماء ولا الأرض على إدراكه والذي لا يوجد له في أي كتاب شرح».

فقام جابر الجعفي[٢٨٨] ومسح بيده على وجهه وقال: «يا مولاي، هل الخالق في السماء أم على الأرض؟ كيف هو ومن أي نوع؟ كيف [هو] وَصْفه وصِفَتُه وكيف وُجدَ؟ من ماذا طلع وماذا خرج منه؟» فقال باقر العلم علينا منه السلام: «يا جابر، إن هذا لسؤال صعب لتتخطاه [٧٨] وتنساه. إذ لا يليق إناطة الحجاب عن الملك تعالىٰ، فإن هذه فتنة عظيمة. ولم ينط لا رسول ولا ظهور الحجاب عن الملك تعالى ولو حتى قليلاً، وهذا المقال غير مكتوب في أي كتاب. إئتمن عليه <فقط> لك <؟>[٢٨٩] ولأولئك المؤمنين الذين يؤول هذا الكتاب لهم كإرث». فصمت جابر برهة و<ثم> قام ودعا وأثنى <على الله> وقال: «يا مولاي ومولى كل الموالي، لتأتمن به لعبد<ك> هذا الضعيف المستغيث [٧٩] ولا ترفض <الإجابة على> سؤال طرحته». وكذلك قام الأمناء (خاصگيان) المخصوصون وطلبوا الشفاعة عدة مرات. فقال باقر العلم: «يا جابر، أيليق رفع الستار والحجاب عن الملك تعالى جلت عظمته سيما وأن روح كل من يفضي بهذه الكلمات إلى منافق <غير أهل بها> ستغادر مع كلماته في الوقت ذاته قالبه وستحل في ذلك الشخص الذي يتلقى هذا المقال. يا جابر، لا يجوز لامرىءٍ نطق هذه الكلمات ولا حتى تلفظها باللسان. فهذه مخاطرة [٨٠] عظيمة. يا جابر، الأمان الأمان سأكتب هذه الكلمات على لوح. برعاية الله والرسول ومحمد وعلي وسلمان والمقداد وأبي ذر والنقباء والنجباء. أودعه في مسؤوليتك على أن تقرأه <لنفسك> ولا تنطقه بلسانك كي يتناقله كذلك المؤمنون الذين يمكون هذا الكتاب ويقرؤونه – حذرين – لأنفسهم فلا يشيعونه في اللازمن». فكتبه باقر العلم علينا منه السلام على لوح وسلمه لجابر باليد.

كتب أولا [٨١]: «مولانا وخالقنا جل جلاله هو في السماء وعلى الأرض.

[يعني أنه في الديوانات العليا (= السموات) وكذلك هو في العالم الأصغر لحجاب المؤمنين وأئمة الزمان (= أي على الأرض)]،

وقبل أن يكون هناك سماء وأرض أو أي مخلوق موجوداً كان هناك خمسة أنوار قديمة ذات خمسة ألوان كمثل قوس قزح. يخرج من أشعتها شيء مثل شمس في الهواء، فكان <لما كانت> السماء والأرض هواءً لطيفاً. وكانت هذه الأنوار الخمسة في هذا الهواء. [٨٢] وظهر من وسطها، لكل الأزمنة، نور غاية الغايات جلت عظمته كشخص نور. وكانت الألوان الخمسة جوارحهم: السمع، والبصر، والشم، والذوق، والنطق جل جلاله. هذه

الأنوار الخمسة هي من يسميهم البشر محمداً وعلياً وفاطمةً والحسنَ والحسينَ؛ فهم خرجوا من اللاشيء، تصديقاً لقوله تعالى: ﴿قُل هُوَ اللَّهُ أحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ، ولَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أحَدُ﴾ (القرآن، الإخلاص: ١-٤)[٢٩٠]. [٨٣] فهكذا إذاً تدور هذه الأنوار الخمسة حول العرش الإلهي بسر المؤمنين.

[وتجلس الروح الناطقة تحتهم وهي إله الحقيقة، وهي التي خلقت الخليقة والتي تظهر في كل اسم من أعلى العليين إلى أسفل السافلين. يا جابر، إن المولى جل جلاله – مثلما قد ذكر– هو بقدرة أُلوهيتـ‹ـه› وبقدرة نورانيتـ‹ـه› هو الشمس، وبروحانية اسمه الناطقة. يجلس في البحر الأبيض (بحر البيضاء) على عقل المؤمنين ولونه لون البرق و[٨٤] الغيمة والقمر.

هكذا هو منظر شخص المولى جل جلاله: يده اليمنى هي روح الحفظ تقبض ولونها لون الشمس. ويده اليسرى هي روح الفكر منها أصل وفرة وانبعاث كل الأنوار. ﴿بَل يَدَاهُ مَبسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيفَ يَشاءُ﴾ (القرآن، المائدة: ٦٤) هذه الروح لونها لون بنفسجي. ورأس المولى هو الروح الأعظم. له من كل ضروب الألوان عددها ألف[٢٩١] لا يوجد ما هو أعلى منه [٨٥] لا في السماوات ولا على الأرض. ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ (القرآن، الشورى: ١١). وعينه اليمنى هي الروح الكبرى لونها لون البلور الأبيض. وعينه اليسرى هي روح العقل لونها لون النار الشقراء. الروحان يريان كل السماء والأرض والدنيا والآخرة. قوله: ﴿واللَّهُ بَصِيرٌ بِما يَعمَلُونَ﴾ (القرآن، البقرة: ٩٦) هكذا مثلما يقول في موقع آخر: ﴿لا تُدرِكُهُ الأبصَارُ وهُوَ يُدرِكُ الأبصَارَ﴾ (القرآن، الأنعام: ١٠٣). وأُذناه [٨٦] هما غاية المزج واللمعان الإلهي لهما لون الحجاب الإلهي، وتسمعان أصوات كل الكائنات وتحضرانها من كل الديوانات والقصور إلى هذه الروح التي هي شخص الله. تصديقاً لقوله الله عز وجل: ﴿وجَعَلنا لَهُم سَمْعاً وأبصاراً وأفئِدةً فَمَا أغنى عَنهُم سَمْعُهُم ولا أبصَارُهُم ولا أفئِدَتُهُم مِن شَيءٍ إذ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ﴾ (القرآن، الأحقاف: ٢٦).

[٨٧] ومنخرا المولى هما روح العلم لونهما لون العقيق الأحمر الذي يظهر في كل مكان هناك حيث يعبق عطر العلم الإلهي. والمنخر الآخر هو روح الجبروت لونه مخضر ومرتبط بالطريق (براه) ومنه أصل نَفَس ولمعان الأُلوهية. ولسانه الناطق هو الروح القدس لونه لون الياقوت الأحمر ومنه حدث كل الخلق، قوله: ﴿فَسُبحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيءٍ وإلَيْهِ تُرجَعُونَ﴾ (القرآن، يس: ٨٣). وقلب المولى [٨٨] جل جلاله هو روح الإيمان الذي اسمه مُوَحِد والذي له لون قبة القمر ومن خلاله يتألق إيمان كل المؤمنين وعليه يكون تولي وتوكل كل المؤمنين. قوله: ﴿ومَنْ يَتَوَكَّل عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسبُهُ إنَ اللهَ بالِغُ أمرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيءٍ قَدَراً﴾ (القرآن، الطلاق: ٣).

وقَدَمُ المولى هو الظهور الإلهي ونظر المؤمنين (نگاه مؤمنى) في بيت النطق هذا. وهو مرتبط من هذا البيت بالقلب وبروح الحياة الجسمية. هكذا [٨٩] يُقال، أن المولى سيضع القدم يوم

القيامة على جهنم لتغدو باردةً، يعني أن القلب لا يقوم على علم (معرفة) ولا يشهد بشهادة قاطعة إلى أن يظهر الظهور الإلهي ونَظَرُ المؤمنين فيه. ويشهد بشهادة حقة وحاضرة وموجودة للمولى (نص عربي:) قائم الليل وصائم الدهر[٢٩٢]. ﴿شَهِدَ اللهُ أنَ لا إلهَ إلاَّ هُوَ والملائكَةُ وأُولُوا العِلمِ قَائماً بالقِسطِ﴾ (القرآن، آل عمران:١٨). وعرش المولى جل جلاله هذا السرير الإلهي يعني الدماغ ‹البشري› الذي في نصفه الأيمن الروح الذكية (روح الخرد، كذا)[٢٩٣] [٩٠] وفي نصفه الآخر روح الذخر (=السمن). ويجلس المولى بهذه العظمة عليه. تصديقاً لقوله عز وجل: ﴿الرَحمَنُ عَلى العَرشِ استَوَى﴾ (القرآن، طه:٥) وتكون هذه الأنوار الخمسة التي تغدوا ظاهرة في ثماني نواحٍ والتي تنعكس على وجوه المؤمنين، عرش المولى جل جلاله: العينان والأذنان والمنخران والنطق والروح التي تحس بالطعم.]

والله وبالله العلي العظيم، نحن لم نكتب هذه الكلمات ‹بعد› في أي كتاب ‹آخر›. يا جابر، الأمان الأمان [٩١] الحذر الحذر يا جابر، إن كل من ينطق بهذه الكلمات علناً تنتقل روحه من قالبه».

فقرأ جابر اللوح وسقط على الأرض وخر ساجداً وقال: «أشهد به[٢٩٤]. سبوحٌ قدوسٌ، قدوسٌ سبوحٌ محمد وعلي ربُّ الملائكة والروح ‹؟›[٢٩٥] محمد والمصطفى وواليه السلسل[٢٩٦] [وأبا الخطاب][٢٩٧]». فقال باقر: «يا جابر، يجب على المؤمنين الذين يتلقون هذا الكتاب كإرث ويرد إليهم - الحذر - أن يقرؤه لأنفسهم وفي الليل ‹فقط›، لكن في النهار التالي أن يحترسوا. فكل [٩٢] مؤمن يعرف مولاه ويعرف عنه[٢٩٨] ويشهد له بشهادة يحظى بالخلاص من سجن القلب. يا جابر، وخاصة المؤمن الذي يعرف مولاه بتلك الجلالة ويشهد له بشهادة ويفدي الحياة والمال والملك».

ناكرو النعوت الإلهية[٢٩٩]

[قال جابر الجعفي: «يا مولاي، ما معنى أن الخلائق المنكوسة تقول إن الله لا يصف ذاته بصفة وليس له صفات؟» فأجاب باقر: يا جابر، إن هذه [٩٣] كلمة سخط الله، فالملك تعالى قريب ويسمى عن كثب لأنه لم يقبل بعبادة إبليس اللعين ﴿إنَّهُم يَرَونَهُ بَعيداً، ونَرَاهُ قَريباً﴾ (القرآن، المعارج:٦-٧). يا جابر إحترس، فأنا أقول أن ‹الآية القرآنية› ﴿قُل هُوَ اللهُ أحَدٌ﴾ (الإخلاص:١) هي قول... ‹=الكفار؟›، فما تقولون في ذلك؟» فقال جابر: «يا مولى كل الموالي، أنت أفضل من يعرف ذلك». فقال باقر: «هكذا هو الله مثلما وصفناه إذ ظهر لإبليس ‹قال له› إبليسُ اللعينُ بكل نفور: «أنت لست مولانا. لكن ثمة إله و[٩٤] أُلوهية (حق است) ‹لكن› في السماء وليس له مثيل وتشبيه». ‹إلا أن› هذا التفسير الظاهر فقط ‹للآية›

﴿قُل هُوَ اللهُ﴾. إلا أنه يعني سخطٍ عظيمٍ. اللهم ابعده عنكم وعن المؤمنين والمسلمين. يا جابر، لكنه للكافرين بعيد وصعب وللمؤمنين قريب وسهل. والمؤمنون يشهدون بشيءٍ موجود، لكن الكافرون يشهدون بشيءٍ معدوم. ومهما عبدت المعدوم فإنه لا يتلقى العبادة، فلدى المعدوم لا يكون قبول. قوله تعالى: [٩٥] ﴿لا يَقبَلُ التَّوبَةَ عَنْ الكافِرين﴾ (القرآن، التوبة:١٠٤ وردت محرفة. م. المترجم). يا جابر لا يوجد لنا مكان في المعدوم. ونحن لا نرى إله آخراً مع الإله الذي وصفناه. فالملك تعالى هو تلك الروح[٣٠٠] التي في الألوهية والنورانة الشمس التي أصلها من الله. مرتبط من ديوان إلى ديوان نور بنور ‹نزولاً› إلى مقعد دماغ المؤمنين الإلهي مثل حبل أو طريق؛ وفي كل وقت لما يغيبا الروح والنور يتوحد ‹المؤمن› من خلال هذه الأنوار مع معدن الحقيقة و‹ثم› يعود [٩٦] إلى القالب»]

الديوانات (القبب) السماوية السبع

ثم قال جعفر الجعفي[٣٠١]: «يا مولاي، إذا لم يبد لك الأمر صعباً جداً فأوضح واشرح لعبد‹ك› هذا صفة وشرح وعظمة الديوانات الألوهية والأنوار التي تتوالى من ديوان إلى ديوان». فقال باقر: «في ‹البدء› ستار غاية[*] الأزل الذي هو فوق بحر البيضاء وشخص الملك تعالى. إن محمداً وعليًا وفاطمةً والحسنَ والحسينَ هم جوارح هذا الديوان [باتمام أبي طالب وعبد الله العلي[٣٠٢]]. إن الأنوار الخمسة [٩٧] للملائكة الخمسة هؤلاء متحّدون في بحر البيضاء مثل أشجار الجنة.

[التي تنبعث فروعها وأوراقها من نور البريق الإلهي.]

ويجلس في قمم هذه الأشجار الخمس الأسد والبُراق والباز الأبيض والعنقاء الملكية (هماى همايون) وذاك الدُلدُل كدليل على الأُلوهية[٣٠٣]. ينادون من قمم الأشجار حمدا وتسبيحا وتهليلا وتعظيما: ﴿يُسَبِحُ للهِ ما فِي السَماواتِ ومَا فِي الأرضِ المَلِكِ القُدُّوسِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾ (القرآن، الجمعة:١). [٩٨] أصل البراق من نور محمد، والدلدل من نور علي، والأسد من نور فاطمة، والباز الأبيض من نور الحسن، والعنقاء الملكية من نور الحسين. وزُيّن بهم بحر البيضاء. فيه كل الكبر الذي هو في القبة البيضاء التي عرضها ألف مرة وأكثر ‹بكثير› من عرض الديوانات الأخرى. ﴿وجَنَّةٌ عَرْضُها كَعَرضِ السَّماءِ والأرضِ﴾ (القرآن، الحديد:٢١). والدُلدُل العالي هو دليل (= حجة) المؤمنين، والنقيب والنجيب للملك تعالى. وهذا البراق [٩٩] يقدم في هذا البحر إلى الأُلوهية نوراً ووهيجا تحت الملائكة السبعة. وللأسد وللباز مائة ألف لون من نور موضوعات على بعضها البعض وينير

التوهج الألوهي القبة البيضاء. ومدت العنقاء الملكية بظل على رؤوس النقباء والنجباء، ويجري جدول ماء الحياة (آبِ حيات) ﴿وظلٍ مَمدُودٍ، ومَاءٍ مَّسكُوبٍ﴾ (القرآن، الواقعة: ٣٠-٣١). وتحت هذه القبة البيضاء ستار ياقوتي أحمر اللون. وإن في هذا الستار الخمسة أشخاص ظاهرون في الخمسة[٣٠٤] [١٠٠] أشجار الطوبى[٣٠٥]. ومن خلال ذلك يصدق ديوان غاية الغايات ذاك في الحجاب الياقوتي الأحمر. وكان مائة وأربع وعشرون ألف ضوء بألوان متعددة كمثل قوس قزح ظاهرين من ديوان غاية الغايات في بحر البيضاء و‹منهم› نزل مائة وأربع وعشرون ألف نور أبيض في هذا الحجاب الذي لونه كلون الياقوت الأحمر. قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَمَاوات طِبَاقاً، وجَعَلَ القَمَرَ فيهنَّ نُوراً وجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً، واللهُ أنبتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتاً﴾ (القرآن، نوح: ١٥-١٧). يعني أن الملك تعالى خلق في هذا الديوان بهذا القَدَرا أنوار وأرواح و‹فيه› وضع الشمس والقمر والأشجار المضيئة كزينة.

وتحت هذا الحجاب حجاب آخر لونه لون النار. وظهر في هذا الحجاب من الحجاب ذي اللون الياقوتي الأحمر الشخوص الخمسة الذين يسمون جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وصورائيل؛ وظهرت الأنوار [١٠٢] المائة وأربع وعشرون الف لمرة أخرى من الحجاب الأحمر الياقوتي في هذا الديوان. قوله تعالى: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ويَضرِبُ اللهُ الأَمْثالَ لَلنَّاسِ﴾ (القرآن، النور: ٣٥). ووصفَ هذا النور بأنه ذا لون ناري. والبحر الناري اللون مثل محيط يتوهج فيه شعاع هذه النار في بلور أبيض لا يوصف وليس له وصف إزاء جماله. وفي هذا الديوان الكثير من الأنوار والأرواح لا تدع إلى الحديث [١٠٣] وتحت هذا الديوان حجاب لونه لون العقيق. ظهرت من الديوان الناري اللون الأنوار الخمسة والملائكة الخمسة في هذا الديوان العقيقي اللون. وما زالوا في هذا الديوان كصُوَرٍ باهرةٍ خمس يسميها الناس عقل ونفس وفتح وجَدّ وخيال[٣٠٦]. ﴿والمَلَكُ صَفاً صَفّاً﴾ (القرآن، الفجر: ٢٢). وخلطت تلك الهالات ‹؟› النورانية المائة وأربع وعشرين ألف في هذا الديوان ‹و›كذلك المنيرة والنيرة مثل عشرة آلاف شمس وقمر بالأحمر.

[والظهور الإلهي [١٠٤] غذاؤها وطعامها، قوله تعالى: ﴿عَيناً يَشرَبُ بِها عِبادُ اللهِ يُفَجِرُونَها تَفجِيراً﴾ (القرآن، الإنسان: ٦).]

وتحت هذا الديوان ديوانٌ لونه لون الزبرجد الأخضر. وظهر كذلك في هذا الديوان مائة

وأربع وعشرون ألف قنديل وشمع منير بلون أخضر وتصطف في هذا الديوان الأنوار الخمسة الكبيرة[٣٠٧] من الديوان العقيقي اللون. ومائة ألف طير متعددة وطواويس منيرة خلابة [١٠٥] صفوا الريش على الريش ويشعون ويسبحون ويهللون الملك تعالى بألف صفير ونفير وبألف نوع (وبهزار گونه)، تصديقاً لقول الله تعالى: ﴿ أوَلَمْ يَرَوا إلى الطَّيرِ فَوقَهُم صافَّاتٍ ويَقبِضْنَ ما يُمسكنَّ إلاَّ الرَحمٰنُ ﴾ (القرآن، الملك : ١٩). وتحتها قبةٌ بَنفسجية تسمى بجنات الفردوس. وعشرة آلاف نهر مضيء <؟>[٣٠٨] ورياحين ذات أنهار. وقصور هذه الجنة [١٠٦] التي تجري من تحتها أربعة أنهار: خمر وحليب وعسل وماء صاف يسمى بماء الحياة. وأنوار هذا الديوان الخمسة الكبيرة[٣٠٩] التي تسمى حوري معلقة على هذه القصور. قوله تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقصوراتٌ في الخِيامِ ﴾ (القرآن، الرحمان: ٧٢). وماء الحياة هو نطقهم في حمد الملك تعالى جلت عظمته. ونهر الخمر هو علمهم النافع، ونهر الحليب علمهم الباطن، ونهر العسل علم وحيهم[٣١٠] من ديوان [١٠٧] غاية الغايات الأزلي. قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ الجَنَةِ الَّتي وعِدَ المُتَقونَ فيهَا أنهارٌ مِن ماءٍ غَيرِ أسِنٍ وأنهارٌ مِن لَّبَنٍ لَّم يَتَغَيَّر طَعمُهُ وأنهارٌ مِن خَمرٍ لَّذَّةٍ للشارِبينَ وأنهَارٌ مِن عَسَلٍ مُّصَفى ﴾ (القرآن، محمد : ١٥). ويشع في هذا الحجاب مائة وأربع وعشرون ألف قنديل براق. وتحت هذا الديوان حجابٌ لونه لون الشمس. وظهر مائة وأربع وعشرون ألف شمعة باهرة وأنوار من هذا [١٠٨] الحجاب البنفسجي في هذا الحجاب الشمسي اللون. وخمسة أنوار أُخرى هي في هذا الديوان رؤوس وأمراء هذا النور. ﴿ فِيها مِصبَاحٌ المِصبَاحُ في زُجاجَةٍ الزُجاجَةُ كَأنَّها كَوكَبٌ ﴾ (القرآن، النور : ٣٥). هذا الديوان مثل بحر وجوهر من النور الإلهي. وصبت في هذا البحر مائة وأربع وعشرون الف شمس بحيث أن الدنيا لا تستطيع تحمل ظهور حرارتهن. قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلنا الشَمسَ [١٠٩] عَلَيه دَليلاً، ثُمَّ قَبَضناهُ إلَينا قَبضاً، وهُوَ الَّذي جَعَلَ لَكُم اللَيلَ لِباساً ﴾ (القرآن، الفرقان: ٤٥-٤٧). ونزلت من هذا الحجاب خمسة ألوان إلى الحجاب <التالي> ذي لون القمر. ومعلق مائة وأربعة وعشرون ألف نور مثل قوس قزح بسلسلة نورانية وهالات شمسية على هذا الحجاب الذي لونه من لون القمر. وصُفَ في هذا الحجاب مائة ألف قمر وأربعة وعشرون ألف بدر في ليلتها الرابعة عشر، وكلها تسبح بهذه الأنوار الخمسة. تصديقا لقول الله عز وجل [١١٠]: ﴿ أن تُدرِكَ القَمَرَ ولا اللَيلُ سابِقُ النَهارِ وكُلٌ في فَلَكٍ يَسبَحُونَ ﴾ (القرآن، يس: ٤٠). ورضوان ملاك الجنة - هذه هي الأنوار الخمسة.

وتَسبَح عليها الألوان الخمسة لأُولئك الملائكة. تصديقا لقول الله عز وجل: ﴿ ومَسَاكِنَ طَيِّبَةً في جَنَاتِ عَدَنٍ ورِضوانٌ مِنَ اللَّهِ أكبَرُ ذَلكَ هُوَ الفوزُ العَظِيمُ ﴾ (القرآن، التوبة: ٧٢). وكذلك ظهرت من الحجاب (چادر) القمري اللون الأنوار الخمسة في الديوان ‹التالي› ذي اللون اللازوردي ومائة ألف نور وروح وأرواح [١١١] يهتفون بتسبيحها وتهليلها. وتطوف هذه النجوم والكواكب المنيرة كلها حول هؤلاء ‹الخمسة›. وظهر مائة وأربع وعشرون ألف نور من الحجاب الأزرق في هذه الدنيا وتواصلت مع أفئدة الأنبياء والأولياء والأوصياء. وأُنيرت أفئدتهم من هذه الأنوار حتى أُنيط الحجاب بهم فهم قادرون على كل ما يريدون [١١٢] ويتمنون.

[إن الله يا جعفر الجعفي هو النور المتواصل مع أفئدة أئمة الزمان[٣١١] الموصول من قبة غاية الغايات الأزلي من ديوان بديوان والموصول من عقل القبة الزرقاء إلى روح الحياة الناطقة. ومن العقل نشر ظلاً على الفؤاد الأسود. إلاّ أن المترفين يقولون إن ظل الله لا يسقط على الأرض. الأرض هي الفؤاد، والله [١١٣] هو هذا الضوء الموصول بالفؤاد. والروح الناطقة التي تعني الملك تعالى[٣١٢] هي من هذا النور. وإن شاء رجع إلى الفؤاد وإن شاء رجع إلى قبة الملك تعالى ورجع إلى قبة غاية الغايات. إن الأنوار الخمسة لهذه القبة الزرقاء موصولات مع الروح الناطقة. ويسموا بغاية المزج ونفس الله (دمشى الهى[٣١٣]) وبريق الشمس (تابشى خورشيدى) والوصال الإلهي (وصلتِ ايزدى) ونظرة المؤمنين (نگاهِ مؤمنى). إن كل خاموس (پينجى) موجود في هذا الكون أصله من هذا النور، ‹تحديدا› محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين الذين يسقط ظلهم على الأرض[٣١٤]. هؤلاء الأنوار الخمسة هم المرتبطون بالروح الناطقة و‹الروح› الناطقة التي هي الله [١١٤] رمت ظلاً على هذه الأرض التي تسمى فؤاد (دل = قلب). وإن الروح الحسية التي في بيت الماء[٣١٥] والروح المعترضة التي في بيت الهواء النقي متزينتان بهذا النور. هما موصولتان من القصور والديوانات والسموات السبعة ‹نزولا› إلى الفؤاد بمثل حبل بسلسلة نورانية. وأمرت الآن الروح الناطقة هاتان الروحان ‹البشريتان›: «لُمّا هذا الزنجير الإلهي واتخذا بالمعراج مجلساً». تصديقا لقول الله عز وجل: ﴿ فَقَدِ استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقَى ﴾ (القرآن، البقرة: ٢٥٦). والفؤاد يعني [١١٥] الأرض أي مقر المعترضين. نصفه كفر وظلمة ونصفه الآخر نور ورحمة. ومعنى الروح الحسية كفر وآدم المذموم هو الظلمة. والروح المعترضة في دار (= أي بطين القلب) الريح والشمس. والروح الحسية في دار الماء والقمر. قوله تعالى: ﴿ الشَمسَ بَازِغَةً ﴾ و﴿ القَمَرَ بَازِغاً ﴾ (القرآن، الأنعام: ٧٨ وما يليها). والمعراج من المقر موصول بهذه الروح مثلما كان محمد موصولاً بعلي. تماما مثلما تتكون عروة من الحجاب الأزرق ‹صعودا› إلى روح المؤمنين الناطقة هكذا هم كلهم موصولون ‹بعضهم ببعض؟› بتصاعد إلى الألوهية. وهذا ‹يعني› [١١٦] أنه يقال أن الـ«پاد شاه» هو ظل الله. وهي روح حياة العقل التي ترمي بظل على الفؤاد. (نص عربي:) «وكان الله على

العرش وظلُ الله في الأرض»[٣١٦]. والمخصوصون الخمسة يرمون ديوان بديوان ظلاً على الروح الممتحنة.]

ولا يغيب أولاء الخمسة قط. وفي كل ‹ديوان؟› يسمون محمد [١١٧ / ١١٨] وعلي وفاطمة والحسن والحسين. ومن فوق العرش حتى إلى تحت الثرى لا يوجد شيء ولا أحد منهم حر. وكل خاموس موجود في العالم أصله من نور وبريق هؤلاء الخمسة. والأنوار الخمسة التي تتكون في وجه الإنسان هي دليل على ذلك، ‹مثلما› أن اليد لها خمسة أصابع وطبقات العين الخمسة وفرائض محمد الخمسة – هي كلها مثلما يقال. قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَبِيُّ إِنَّا أَرْسَلنَاكَ شَاهِداً ومُبَشِّراً ونَذيراً، ودَاعِياً إلى الله بإذنِهِ [١١٩] وسِراجاً مُنِيراً، وبَشِرِ المُؤمِنِينَ ﴾ (القرآن، الأحزاب: ٤٥–٤٧). إن هذا هو شرح الديوانات الإلهية.»

بداية الخلق؛ وتَكَبُّر عزازيل

فقام جابر بن عبد الله الأنصاري[٣١٧] ودعى وقال: «يا مولاي، كيف عمل الملك تعالى الخلق وهذه الديوانات والقصور؟ ومما خلق الأرواح؟ وما هو سبب الخلق؟»

فقال باقر العلم علينا منه السلام: إن خلق هذه الديوانات صعب. وليس كل طالب يستطيع لهذا العلم سبيلا. الأمان الأمان كم هو مستور هذا السر. يا جابر، في بداية البدء [١٢٠] كان[٣١٨] الله الأزلي (خداوند جاود) ولا شيء غيره قط مع تلك الأنوار الخمسة الخاصة التي ظهر الملك تعالى في وسطهم مثلما روي في أول هذا الكتاب. وكان كل هذا الذي هو الآن السماء والأرض ‹ليس إلا› هواء نقي وصافي ولطيف وروحاني. فخرجت من هذه الخواص الخاصة الخمس الألوان الخمسة لديوان غاية الغايات الأزلي مع مائة وأربعة وعشرين ألف لون ‹آخر› فكان في كل لحظة لون آخر. وكانت تلك الخواص الخاصة جوارح قبة [١٢١] غاية الغايات. وخرج مائة الف قنديل منير وشموع وأنوار من خاصِ الملك تعالى إلى تلك القبة بحيث أنهم دخلوا من اللاكينونة إلى الكينونة كلمح البصر. قوله تعالى: ﴿ وَمَا أمرُ السَّاعَةِ إلاَّ كَلَمحِ البَصَرِ ﴾ (القرآن، النحل: ٧٧)، فلا يدرك أحد من الملائكة و(فرشتگان) والمخلوقات صفتها وعظمتها. ولو تحولت البحار إلى حبر والأشجار إلى أقلام والسموات السبع إلى قرطاس ولو أخذت الأرواح والمخلوقات النورانية والجن والإنس تكتب وتكتب وصف وعظمة قبة غاية الغايات الأزلية [١٢٢] فهذه ستفنى ولن تكتب حتى واحد

بالألف. تصديقا لقول الله عز وجل: ﴿قُل لَّو كانَ البَحرُ مداداً لِكَلِمات رَبّي لَنَفِدَ البَحرُ﴾ الآية (القرآن، الكهف: ١٠٩). فأدوى الملك تعالى هتافاً في الجانب الأيمن وهتافاً في الجانب الأيسر. وتحول الهتافان إلى أشعة وأصل الشعاعين روح وأرواح كثيرة لم تكن لتجد مكاناً لا في عدد ولا في رقم. وكل روح من هذه الأرواح أصلها من سبعة ألوان. وكل لون تحول إلى ألف ألف لون [١٢٣] مثل الياقوت الأحمر من البَدَخشان والعقيق والمرجان والفيروز والزبرجد والجوهر (وگوهر ومرواريد). وينير من كل مفصل نورها مثل نجوم نيرة ومثلما الآن أظافرنا ظهر عليهم <؟> قمر أو شمس من كل ظفر. وقد اصطفوا في ستة دوائر. وكان لدى كل جمع رأس واحد (يكى سالار= قائد) وشيخ واحد (يكى مهتر [= طاعن في السن]) وأكبرهم كان يسمى عزازئيل و<ثم> كان هنا شيخ ثاني وثالث ورابع وخامس وسادس لهذه المنازل. وعزازئيل [١٢٤] حصل من الملك تعالى على نور أعاره اياه،.وخلق بقوة هذا النور خلقاً <خاصاً> وخلق أرواحاً على صورته (مثل خويش). هكذا مثلما أدوى الملك تعالى هتافَ الخلق صنع <؟> من صراخ عزازئيل الشيء عينه، فنشأ كثير من الأماكن والأزمان وخرج من صراخ عزازئيل روح وأرواح كثيرة لا يعرف أحد عددها إلاّ الملك تعالى. فقال الملك تعالى لعزازئيل: «يا شيخ، أخبرني ماذا أنت وما أنا وما هي هذه المخلوقات (گوهران) كلها!» [١٢٥] فقال عزازئيل: «أنت إله (تو خداوندى) وأنا كذلك إله وهذه الأرواح الأُخرى هي مخلوقاتي ومخلوقاتك (آفريدهء من وتواند)». لكن الملك تعالى قال: «لا يمكن أن يكون ثمة إلهان اثنان. أنت مخلوقي وأنا خلقت هذه الأرواح». تصديقاً لقوله تعالى: ﴿إنّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ﴾ (القرآن، ص: ٧١).

فقال عزازئيل: «إن مخلوقاتي أكثر عدداً من مخلوقاتك. لقد خلقت أرواحاً بعشر اضعاف ما خلقتَ أنت. كيف يمكنك أن تدعي الألوهية (تو دعوىِ خداوندى كنى)؟» لكن الملك تعالى قال: «إن هذه المخلوقات التي خلقتها أنت [١٢٦] هي كذلك من خلقي أنا. لو جردتك الآن من عاريتي كيف لك أن تخلق هذه المخلوقات؟» وجرد عزازئيل من ذاك النور المعار الذي خُلِقَت به هذه المخلوقات وخلق منها قبة بحر البيضاء <أكبر> ألف مرة <من> هذه القبة الزرقاء (= أي السماء الدنيا).

وأظهر مائة وأربع وعشرين ألف قنديل منير وشمعاً براقاً وأنواراً مشعةً باهرةً ورسم قصوراً وصروحاً مثل البلور الأبيض في مائة ألف لون وزين<ها> بأنهر جارية [١٢٧] بماء الحياة

وبشجرة الطوبا (ودرخت طوبا) على ضفة الجداول، وكانت العنقاء الملكية تجلس على قممها وكانت تظل بظلها ولداناً وغلماناً. وكذلك كان الباز الأبيض والدُلدُل والبُراق والأسد زينةً في ديوان البيضاء هذا [٣١٩] . وخلق على الأغصان الطيور مثل حمام الطوق والحمام الساجع وقمري [وهزار داستان (؟) . م. المترجم] فريدة من نوعها قَصية عن كل صفة ووصف. ﴿لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ (القرآن، الشورى:١١). ولما أخرج الملك تعالى قبة البيضاء على هذه [١٢٨] الزينة والجمال قال لعزازئيل: «إخلق كذلك الآن بحراً آخر بذات الحجم كما خلقته أنا!» ولما قال الملك تعالى ذلك ارتبك عزازئيل حرجاً. إذ لم يكن قادراً على مثل هذا الخلق. قوله تعالى: ﴿فَحَبِطَتْ الَّذِينَ كَفَروا﴾ (إشارة إلى القرآن، الكهف:١٠٥؟) ﴿وأنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَومَ الكَافِرِينَ﴾ (القرآن، النحل:١٠٧).

المنازل الخمس تقر بالله خالقاً

ثم كان الملك تعالى يريد أن يخلق مخلوقات أُخرى (قومِ ديگر بيآ فريند). ولتصديق ذلك أدوى هتافًا في الأسفل وهتافًا في الأعلى. [١٢٩] كذلك مثلما اتجه نحو آفاق الألوهية [٣٢٠] (= أي نحو القبة التي تحيط بديوان غاية غايات الألوهية). فعكس الكل صدى أولاءِ الدويين وخرج منهما ستة منازل أرواح أظرف وأطهر بألف مرة، ومزينة بدُر ومرجان وبياقوت و<...إلخ>. وبرق من ذاك عضو نور وتوهجت شمس من كل جوارح الـ..<؟>[٣٢١] وأرسل قمرٌ بدلا عن الصرة ببريقه، وبدلاً عن كل عضو أشعت الشمس والقمر. فسبح الملك تعالى ذاته [١٣٠] وتعلموا كلهم التسبيح من الملك تعالى وأصبحوا مسبحين. وكان شيخ هذه المنازل سلمان. فقالوا جميعهم: «ما أجمل المقام وما أجمل الصورة التي أعطانا إياها الله. آه لو ترينا هذه الألوهية (آن خدائيكه) التي خلقتنا شكلها على أن نشهد بأنه وهبنا هذه الجنة على أن يبقى هذا القالب الندي <لنا> حتى أبد الزمان (بما ندى تاجا ويد زمان) ». فتوجه الملك تعالى إليهم وقال: «أنا اللّهُ أكبَرُ. أنا اللّهُ أكبَرُ». فتحيرت هذه الأرواح كلها ولم تعرف إذا ما قد تكلم الملك تعالى عن نفسه أم عن أحد آخر. ولما انصرم زمان قال الملك تعالى عدةِ مرات: «أنا اللّهُ أكبَرُ. أنا اللّهُ أكبَرُ». يعني أنا الإله الكبير وأنا خالقكم. ففهم بعد ساعة سلمان القدرة[٣٢٢] واتجه للملك تعالى وقال (نص عربي:) «أنا أشهد أن لا إله إلا الله. (نص فارسي:) أشهد أنك إلهنا وأن لا أحد في أي مقام حاضر وموجود سواك». <لكن> لم تستطع روح أخرى إدراك ذلك. فكرر هذه

الكلمة [١٣٢] (نص عربي :) « أشهد أن لا إله إلاّ الله » .
وأدركه مقداد الكبير(٣٢٣) وقال (نص عربي) : « أنا أشهَدُ أنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله » . يعني (نص فارسي) : « أشهد أنك أنت اللهُ وأن هذا الذي حمد وسبح وسبق هو سلمان القدرة وهو نبيك الذي سبق وجعل نداءك يصل إلى أذننا » . لكن لم تشهد أي روح أخرى . وكرر هذه الكلمة عدة مرات : « أنا أشهدُ أنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله » .

فادرك أبو ذر القدرة وقام [١٣٣] والتفت إلى اليمين واليسار وقال (نص عربي) : « حَيَّ عَلى الصَّلواة . (نص فارسي :) يا أيها الأرواح والإخوان، هلموا بسرعة واشهدوا بخالقكم وبأوصيائه (داور)(٣٢٤) الذين أشهد بهم بأن ذاك هو إلهنا وأن هذا سلمان وصيه وبأن مقداد وصيه (= أي وصي سلمان) » . ثم ردد أبو ذر هذه الكلمة عدة مرات : « حَيَّ عَلى الصَّلاة » . اثنا عشر روح يسمون نقباء قالوا في ذات الوقت (نص عربي) : « حَيَّ عَلى الفَلاح(٣٢٥) . (نص فارسي :) هلموا بسرعة واسمعوا واشهدوا حتى تنالوا الخلاص (رستگاري) [١٣٤] مثلما شهدنا بما شهد به سلمان ومقداد وأبوذر » . أنصتوا برهة <لكن> لم يجبهم أحد . فرددوا هذه الكلمة : « حَيَّ عَلى الصَلاة »(٣٢٦) .
فاتجهت ثمانية وعشرون روحا (نجيب) طاهرة نقية إلى الملك تعالى وقالت (نص عربي) : « اللهُ أكبر . اللهُ أكبر . (نص فارسي :) أنت الإله الأكبر ولا ألوهية سواك » . وقوى هذا من هذه المنازل الخمس بلا أدنى شك . قوله تعالى : ﴿ والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ(٣٢٧) . أُلائِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ (القرآن، الواقعة : ١٠-١١) . و[١٣٥] كان المقربون للملك تعالى هم هذه المنازل الخمس . وبعد مضي زمان قالت الأرواح المعترضة المائة وأربع وعشرون ألف في ذات الوقت، يعني التي أدبرت ووقعت في الشبهة : « من الممكن أننا تعلمنا التسبيح والتهليل منه وأننا تمكنا من الكلام والنطق من خلاله » . لكنهم قالوا في ذات الوقت : « لا يليق أن يكون واحد مثلنا إلهنا » . قوله تعالى : ﴿ <مُذَبْذَبِينَ> بَيْنَ ذَلِكَ لا إلى هَؤُلاءِ ولا إلى هَؤُلاء ﴾ (القرآن، النساء : ١٤٣) . ولعاقبة الأمر الحسنة شهدوا كذلك من دون شك ولا شبهة [١٣٦] وقالوا هذه الكلمة (نص عربي) : « لا إلهَ إلاّ الله »، وقاموا وقالوا جميعهم كعادة الأذان . هذه الكلمة تسببت <في> وقوفهم وأن المنازل صارت ستاً : المنزلة الأولى سلمان والمنزلة الثانية مقداد والمنزلة الثالثة أبي ذر والمنزلة الرابعة النقباء والمنزلة الخامسة النجباء . ويسمى السابقون بالمنازل الخمس الخاصة . وكانت السادسة هي منزلة المعترضين . وهكذا أقر الخاصون بالباري تعالى اقراراً قاطعاً .

عصيان عزازئيل وهبوطه

فقال الملك تعالى لعزازئيل: «يا عزازئيل، لتسجدن [١٣٧] لسلمان ولتسجد كل جماعاتك هذه للسابقين الذين شهدوا من بعد سلمان أو لأنزلنكم من هذا المكان خارجاً». قوله تعالى ﴿وإذا قُلنا للمَلائكَة اسجُدوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبليسَ أبَى واستَكبَرَ وكَانَ مِنَ الكَافِرينَ﴾ (القرآن، البقرة٣٤). فاتجه عزازئيل نحو الملك تعالى. وارتكب حماقةً إذ ادعى الألوهية. وقام مخلوق ثان وثالث وأتيا لمساعدة عزازئيل. وادعى الثلاثة كلهم الألوهية. [١٣٨] وسموا الملك تعالى كذاباً حقيراً وطراراً ومكاراً (را نجار وكذاب وطرار ومكار). <وقالوا>: ﴿إنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ (القرآن، المائدة: ٧٣).

واتجهت المنازل المنكرة ضد سلمان وجاءته بمجادلة صعبة عظيمة وقابلوه بالاستكبار. فقال الملك تعالى جلت عظمته: «يا أيها الكافرين والنجسين والشياطين والعصاة، أنتم تريدون حكم هذه الديوانات وحكم بحر غاية الغايات الأزلي هذا وبحر البيضاء. [١٣٩] ولا تستطيعون الحكم إلا بشهادتكم لي ولأوصيائي». تصديقا لقول الله عز وجل: ﴿يا مَعشَرَ الجِنِ والإنسِ إن استَطَعتُم أن تَنفُذُوا مِن أقطَارِ السَماوَاتِ والأرضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذوا إلاّ بِسُلطَانٍ﴾ (القرآن، الرحمن: ٣٣). ثم أمر الملك تعالى سلمان القدرة: «لا يجوز ترك هؤلاء هكذا على هذا الحال. خذ من الأنوار السبعة الموجودة في هيكل هؤلاء الكافرين التي خلقتها أنا، النور الأحمر الياقوتي اللون واصنع منه حجاباً (پرد) أحمر ياقوتي اللون. [١٤٠] وكذلك خذ النور الناري اللون واخلق منه حجاباً ناريَ اللونِ واسجن كل أولاء المخلوقات ما بين الحجابين. واحجب بحر البيضاء هذا وبحر غاية الغايات الأزلي بهذا الحجاب الأحمر الياقوتي اللون». قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهبِطُوا مِنها جَميعاً﴾ (القرآن، البقرة: ٣٨).

وفي الحال أهابهم سلمان القدرة وسلخ النور الأحمر الياقوتي اللون عنهم وبسط<ه> قبة ذات لون ياقوتي أحمر عليهم وغطى بحر البيضاء [١٤١] وقبة غاية الغايات. وانتزع منهم النور الناري اللون وبسطه من تحتهم. وبقوا ما بين هؤلاء الحجابين ألف سنة.

ظهور الملك من جديد؛ هبوط الكافرين والعصاة

وظهر في نهاية هذه الألفية الملك تعالى جل جلاله من حجاب سلمان مع كل الخاصين والخالصين والنقباء والنجباء والمعترضين[٣٢٨] وتكلم إليهم (=أي إلى الكفار المنبوذين)

بصوت مرتفع: «إن هؤلاء هنا هم مخلوقاتي. اسجدوا لهم. آمركم إنني مولاكم ومولاهم». ﴿<وإذ أخَذَ ربُّكَ من بَني آدَمَ> مِن ظُهُورِهِم ذُرِّيَتَهُم [١٤٢] وأشهَدَهُم عَلى أنفُسِهِم ألَستُ بِرَبِّكُم﴾ (القرآن، الأعراف: ١٧٢). فشهد الخاصون والخالصون للملك تعالى: «آمنّا وصَدَّقنا». وشهدت فرقة من المُعترضين شهادة قاطعة: ﴿وأشهَدَهُم على أنفُسِهِم﴾ (القرآن، الأعراف: ١٧٢). وكان كل الآخرين متشككين. وعنصت منازل الكافرين الست سلمان العظيم ووقفوا في مواجهة الملك تعالى مرة أخرى واشعلوا الحرب من جديد <و> الجدال الذي كانوا قد خاضوه من قبل ذلك. تصديقاً لقول الله عز وجل: ﴿ولَقَد خَلَقناكُم ثُمَّ صَوَّرْناكُم ثُمَّ [١٤٣] قُلنا لِلمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبلَيسَ لَم يَكُن مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (القرآن، الأعراف: ١١). فأمر الملك تعالى سلمان: «أنزل هؤلاء المخلوقات من البحر الناري اللون. وانزع عنهم النور العقيقي اللون وابسطه من تحتهم». فاهابهم سلمان القدرة وقذف بهم[٣٢٩] إلى تحت الحجاب الناري اللون. وانتزع منهم النور العقيقي اللون، وكذلك بقدر ما قد بكوا[٣٣٠]، وبسطه كأرض من تحتهم. وجعل القبة النارية اللون سماءً [١٤٤] وحجب عنهم القبة الياقوتية الحمراء اللون. وبقيت هذه المخلوقات ما بين الحجابين ألف سنة <أخرى>.

وفي ذات السنة والشهر الذي حدث فيه هذا نسوا في هذا الديوان <الجديد> كل ما فعلوا في الديوان الناري اللون. وتلاشت الحرب والجدال من حرم<هم> يعني من ذاكرتهم، حتى أنهم هبطوا كل ألف سنة من ديوان إلى ديوان إلى أن هبطوا أخيراً في هذه الدنيا الغدارة من دون أن يعرفوا أين قد كانوا فجأة. قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَالِكَ أتَتْكَ آياتُنَا فَنَسِيتَها وكَذَالِكَ اليَومَ [١٤٥] تُنسَى﴾ (القرآن، طه: ١٢٦). فظهر الملك تعالى مع كل من شهدوا من حجاب سلمان في الديوان العقيقي اللون وطلب الإقرار بألوهيت<ه> وقال: «لتسجدوا كلكم لوصييّ الذي هو يدي اليمنى». شهد بعض من المعترضين لسلمان وقد نجوا إلاّ إبليس الكافر عصى <؟> مع الثاني والثالث ومع كل أتباعه وكفر وتهور مائة ألف مرة في ذاك اليوم. إنكار هذا الديوان هو ذلك الذي ذكر في سورة الحجر. [١٤٦] قوله تعالى: ﴿ولَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (القرآن، الحجر: ٢٦) إلى آخر الآية. فقال الملك تعالى لسلمان: «جرّد هؤلاء الكفار وغير المنصفين وكل جماعاتهم اللّباسَ الزبرجدي اللون الصافي[٣٣١] واجعله أرضهم؛ لكن هذا الديوان العقيقي اللون الذي هو أرضهم <الآن> اجعله سماءهم واسجن هذه المخلوقات البائسة هناك». فأهابهم سلمان

القدرة وجردهم من النور الصافي[٣٣٢] الأخضر مرة أخرى. وخلق من ذلك حجاباً أخضر زبرجدي اللون وسجنهم هناك. وحُجِبَ (محتجب گشت) الديوان الناري اللون.

ولما انقضت ألفيتهم من السنين ظهر الباري تعالى إبان ‹؟› ذاك التصديق الأول وطلب الإقرار بألوهيت‹ـه›. لكن عزازئيل قال: «لن أفعلن هذا قط فأنت مثلي لا يمكنك أن تكون إلهنا. ثمة إله حقّ ولكنه في ذاك الديوان العالي».

[هو من دون متى وكيف. وراء كل وصف وصفة. لا يخرج من أحد [١٤٨] ولا يخرج منه أحدٌ. وهذه السورة ﴿قُل هُوَ اللَّهُ...﴾ (القرآن،الإخلاص) قول... ‹عزازئيل؟› المعنى الظاهر في ذلك الديوان الزبرجدي اللون. ولذلك فإن صلاة المقربين بالعدميات تقوم على ﴿قل هو اللَّه﴾ وأن الـ﴿قل هو الله﴾ تصلح لكل العدمين. ‹لكن كذلك› تقوم صلاة الموحدين والموجودين على الـ﴿قل هو الله﴾ و﴿قل هو الله﴾ تصلح لكل الموجودين[٣٣٣]».

فقال جابر بن عبد الله الانصاري: «يا مولاي، اشرح ما معنى هذا كي ننجو نحن العبيد من الشك والشبهة». فقال باقر العلم علينا منه السلام: «يا جابر، إن [١٤٩] ﴿قُل هُوَ اللَّه﴾ الموجودة هي الملائكة الخمسة الذين ذكروا عدة مرات: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين كقبلةٍ للمؤمنين يعني يظهرون على وجوه المؤمنين. إنهم الأنوار الخمسة الموصولة بروح المؤمنين الناطقة. و﴿قُل هُوَ اللَّه أحدٌ﴾ المعدومة هي الظهورات... (عنكوري)[٣٣٤] بعلم علماء الظاهر بمعنى أنه لا إله في أي مكان ومقام لا في السماء ولا على الأرض إلا هذا الإله الموجود والحاضر الذي ذكر في هذا الكتاب. ولكن الكافرين يرون بعيونهم [١٥٠] أن السموات السبع والأرض خرجت منه. يقول (خداوند) تبارك وتعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (القرآن، الإخلاص: ٣) أنه لم يخرج من أحد ولا يخرج منه أحد. فلا يجب عليهم أن يَتَوَلَّهُو بأنفسهم أنه خرج من لذة أو تذوق (چاشنى) طعام أو من نطفة قذرة (پليد) وأنه صور ذاته من ذلك، هو موجود في السماء والأرض[٣٣٥]. والنطفة هي ذلك الماء الضار الذي أخرجه من المخلوقات التي أحالها كلها إلى ماء وطين وذرات تراب[٣٣٦]. وأخرج السموات السبع والأرض من ذلك. يا جابر صحيح [١٥١] أن هذا يخالف الحقيقة».

قال جابر: «يا مولاي، اشرح الآن لعبد‹ك› هذا قصة إبليس[٣٣٧] وأتم ‹قصة› المخلوقات». قال باقر: «يا جابر، لقد قال أقدم المخلوقات للألوهية جل جلالها: إن الله حق لكنه في ذلك الديوان العالي»[٣٣٨].]

وكون الآخرون الجماعة تلو جماعة واصطفوا في ست منازل. وسموا الملك تعالى مراوغاً وأتت كل منزلة بشتيمة أخرى (لوم[٣٣٩]) للملك تعالى. فاستحوذ الغضب على الملك تعالى وأمر سلمان أن يرمي المخلوقات [١٥٢] من البحر الأخضر. وانتزع منهم اللباس البنفسجي اللون وبسطه من تحتهم وجعله أرضاً تحت أقدامهم. وخلق منه البحر البنفسجي

وزينه بألف ألف روح ونور بجبال من البلور وأنهر متدفقة وسماه الفردوس (بهشت فردوس). وهو الجنة الرابعة. ثلاثة ديوانات من فوقهم: البحر الياقوتي اللون، جنة دار الجلال والبحر الناري اللون وجنة دار المُلك [١٥٣] والبحر الزبرجدي الأخضر كجنة دار الخُلد. وتسمى الديوانات الثلاثة التي من تحُتهم بدار الملك (كذا) وجنات عدن وجنات المأوى. والبحر الشمسي اللون [٣٤٠] هو دار المُلك، والبحر القمري اللون هو جنة جنات المأوى والبحر الأزرق هو جنات عدن. وكانت هذه الديوانات جميعها سماوات تلك المخلوقات ومن ثم أمست أرضهم[٣٤١]. ولكن جنة المَلك تعالى هي التي ليس لها لا حد ولا نهاية. تصديقاً لقول لله عز وجل: [١٥٤] ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ والأَرْضِ ﴾ (القرآن، الحديد: ٢١). وبقي عزازئيل مع مجموعات المخلوقات الستة تلك ألف عام في هذه الجنة، جنة الفردوس. ‹و›ظهر الباري تعالى في نهاية الألفية من حجاب سلمان القدرة وقال في وضوح: « أنا لله (من خدايم) ». لكن أنكر عزازئيل كعادته وجازف مجازفةً. ويرد هذا الإنكار في سورة بني إسرائيل. قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلنَا لِلمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدوا إِلاَّ [١٥٥] إبليسَ قَالَ أأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طيناً، قَالَ أرأَيْتَكَ هَذَا الَّذي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِن أخرْتَنِ إلى يَوْمِ القيامَةِ لأَحتَنكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلاَّ قَليلاً، قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزاءً مَّوْفُوراً، وَاستَفزِزْ مَنِ استَطَعْتَ مِنهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأموَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ [١٥٦] وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً، إنَ عِبَادي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ (القرآن، الإسراء: ٦١-٦٥). وجادلو الملك تعالى مجادلةً صعبة وعظيمة. لكن الباري تعالى أمر سلمان القدرة: « لا يستفيدنّ أُولئك من هذه الجنة. انتزع عنهم النور الشمسي اللون وابسطه تحتهم ». سلمان القدرة أهابهم ونزع عنهم النور الشمسي اللون وخلق منه بحراً شمسي اللون [١٥٧] وبسطه من تحتهم وزينه بألف ألف نورٍ ولونٍ، بقمر وشمس. وسجن هناك عزازئيل مع كل المخلوقات. ولكنه حجب الديوان البنفسجي اللون بالديوان الشمسي اللون. وبقيت هذه المخلوقات ألف سنة في هذا الحجاب الشمسي اللون. ثم ظهر الملك تعالى من تحتهم: « أنا إلهكم وهذا سلمان وصيّي وحجابي (= من خداوند شما ام وسلمان داور است وحجاب من است) ». فأنكر عزازئيل والمخلوقات وبدأوا كلهم [١٥٨] مجادلةً من جديد وقالوا: «إن سلمان هذا ليس وصيّ الملك تعالى ولا هو لله. خالقنا في تلك القبة العالية ». قوله تعالى: ﴿ إِنَهُمْ يَرَوْنَهُ بَعيداً، وَنَرَاهُ قَرِيباً ﴾ (القرآن، المعارج: ٦-٧). وظلوا على الإنكار والكفر. والمجادلة في هذا الديوان

هي تلك التي ترد في سورة الكهف حيث يقال: ﴿ وَإذا قُلْنا للْمَلائكة اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبْليسَ كَانَ منَ الجنِّ فَفسَقَ عَنْ أمْرِ رَبِّه أفَتَتَّخذُونَهُ وَذُرِّيَتَهُ أوْلِيَاءَ مِن دُوني وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بئْسَ للظَّالمينَ بَدَلاً ﴾ (القرآن، الكهف: ٥٠). فأهابهم سلمان القدرة بإجازة الباري تعالى وصاح بهم ورماهم وخلع عنهم النور القمري اللون وبسط منه حجاباً وجره من تحتهم إلى أن انقضت ألفية زمان هذا الديوان.

فظهر الملك تعالى ‹عدة مرات› طالبًا الأقرار بألوهيته وقال: «أنا إلهكم، اشهدوا بي». فشهد البعض متضرعين ‹؟› وأصبحوا طهورين [١٦٠] وأنقياء (وصافى ببودند). ونجا بعض المعترضين القويين في كل ديوان من الشك الذي كان موجوداً فيهم. إلاّ أن إنكار الكافرين كان يشتد في هذا الديوان. وقصة إنكار هذا الديوان القمري اللون هي تلك التي ترد في سورة طه، تصديقاً لقول الله عز وجل: ﴿ وَلَقَد عَهدْنَا إلى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسيَ وَلَمْ نَجدْ لَهُ عَزْماً، وَإذْ قُلْنَا للْمَلائكَة اسْجَدوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبْليسَ أبَى، ... فَوَسْوَسَ إلَيْه الشَّيْطانُ قَالَ يَا آدَمُ [١٦١] هَلْ أدُلُّكَ عَلى شَجَرَة الخُلْد وَمُلْك لاَ يَبْلى ﴾ (القرآن، طه: ١١٥–١١٦ و١٢٠). فأمر الملك تعالى سلمان: «انزع عنهم اللباس الفيروزي اللون واجعله مكان إقامتهم». نظر إليهم سلمان بسخط شديد ونزع اللباس الفيروزي اللون عنهم وجلب عليهم تلك الحال الأولى وأحوال الديوانات الأخرى. تصديقاً لقول الله عز وجل: ﴿ كَذَلكَ أتَتْكَ آياتُنا فَنَسيتَها وَكَذَلكَ اليَوْمَ تُنْسَى ﴾ (القرآن، طه: ١٢٦). إلى أن كانت الألف سنة ‹من› هذا الدور [١٦٢] قد مضت؛ فظهر الملك تعالى من حجاب سلمان مع كل الخاصين والمخلصين في هذا الديوان وقال في وسطهم وبوضوح: «إني أنا إلهكم إنني قد طلبت منكم في كل ديوان وقصر الإخلاص. اللهُ رَبَّكُم وَرَبَّ آبَائكُمُ الأوَّلينَ (القرآن، الصافات: ١٢٦). اشهدوا بألوهيتي على أن لا تهبطوا أسفل من هذا الديوان. فلقد أزلت عنكم ستة ألوان ولم يتبقى لكم إلاّ هذا اللون ‹الأزرق›. إذا نزعته عنكم فستهبطون من أعلى العليين إلى أسفل السافلين».

هكذا تكلم أمير المؤمنين[٣٤٢]. وخرجت روح من سلمان الكبير [١٦٣] وسميت بسلمان الأصغر وفي ذات الساعة أجاب الملك تعالى وقال: «آمنّا ‹به› وَصَدَّقْنَا‹ه›. أشهد أنك إلهنا وأن لا إله غيرك في أي مقام حاضر وموجود. وأشهد حقاً حقاً محمد وعلي المحمود والمصطفى وواليه السلسل[٣٤٣] والخيرات. النور الأكبر[٣٤٤]. (نص عربي:) إني

أشهَدُ أنَ لا إلـهَ إلاّ هُوَ العَلِيُّ العَظيمُ». لما شهـد سلمان الصـغير شهـد كذلك مقداد وأبو ذر (با ذر) والنقـبـاء والنجـبـاء المخلصـون وبعض من المعتـرضين شـهـادةً قـاطعـةً. وبالخـشـوع (وتهتك[٣٤٥]) قد نجت هذه المجموعة من المعترضين [١٦٤]. فـأمسى عزازئيل وكل من ‹خرجوا› منه كـافرين سويةً مع الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس. وأثبتت منازل المنكرين الست جـميـعهـا ككافرين وضـالين وسمـوا الملك تعالى ساحراً وكـذاباً. وهؤلاء المنكرون والجاحدون هم المذكورون في سورة صاد والقرآن. تصديقاً لقول لله تعالى: ﴿إذْ قَالَ رَبُّكَ للمَلائكَةِ إنّي خَالِقٌ بَشَراً من طِينٍ، فَإذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فيـه من رُوحي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدينَ، فَسَجَدَ المَلائكَةُ كُلُّهُمْ أجْمَعُونَ، إلاّ إبْليسَ [١٦٥] اسْتَكْبَرَ وَكَانَ منْ الكَافرينَ﴾ (القرآن، ص: ٧١-٧٤). وقد أنكر قديم الكفار سبع مرات أكثر مما قد فعل في الديوانات الأخرى. وتلك الألوان السبعة المتوهجة التي يتكون كل لون منها من ألف ألف لون، نزعها سلمان عنه في كلٍ من الديوانات السبعة ‹واحداً تلو الأخر›: واحداً في ديوان الألوهية. وواحداً في ديوان وحجاب ظهور الملكية. وواحـداً في حجاب الربوبية. وواحـداً في بحر الجبروتيـة. وواحـداً في بحـار اللاهوتيـة. وواحـداً ببسـاط النورانيـة. وواحـداً في ظهـور الروحانية. إذ أن عزازئيل الملعون والذين ‹خرجوا› من صراخه قد أُهبطوا من الملك تعالى جلت عظمته إلى الحجاب. وهبطوا سبعة آلاف سنة [١٦٦] لسبب من الجحود والإنكار السبعة المذكورة في السور القرآنية السبعة: إنكار الألوهية في سورة البقرة وإنكار الملكوتية في سورة الأعراف وإنكار الربوبية في سورة الحجر وإنكار الجبروتية في سورة بني إسرائيل وإنكار اللاهوتية في سورة الكهف وإنكار النورانية في سورة طـه وإنكار الروحانية في سورة «ص» في القرآن. والملك تعالى أعطى ذرة نوره الخاص تلك للملعون الذي خلق بها خلقه. وخلقا من الصراخ الذي أطلقاه معـاً روحاً وأرواحاً مثلما كـانوا يخلقـون كـذلك الآن من الكفر والضلال والمنكر والمعصية [١٦٧] والكذب (ودروغ) والفساد والشهوة[٣٤٦]. وكان اسم هذا الملعون في كل ديوان اسم آخـر. سـمـي في ديوان الأُلوهيـة بعـزازئيل وفي زمـان البـشـرية حـارث[٣٤٧]. وزمن آدم أهريمن. وزمن نوح وداوود سُواع[٣٤٨]. وفي زمن ابراهيم نمرود. وفي زمن موسى فرعون. و‹كان يسمى› في زمن ظهور عيسى بالوسواس (وردت: سحر [٣٤٩]). وبدور محمد أبو جهل[٣٥٠]. ويسمى في زمننا ‹بـ›الشيطان. إن أصل كل هؤلاء من الملعون وقد خرجوا منه، هو ينكر وكل قومه في هذا الديوان الفيروزي اللون (في ديواننا). في حين أقر أُولئك السابقون الذين رأسهم هو سلمان بظهور الملك تعالى».

فقال جابر: « يا مولاي [١٦٨] ما قولك في تفسير الآية التالية: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴾ (القرآن، الأحزاب: ٧٢) ». قال باقر: « يا جابر يقول الملك تعالى في هذه الآية: إنا وضعنا الأمانة في السموات وقبلت بها ووضعناها على الأراضي وقبلت بها. ووضعناها على الجبال وقبلت بها وكل ما هو بينهما (السموات والأرض) قبل وكان مشفق وهارب بسبب من تحذير الباري تعالى. إلا بنو البشر قبلوا بمشقة وهؤلاء الآخرون الكافرون [١٦٩] والمنافقون والمشركون لم يقبلوا بتحذير الملك تعالى إذ قذفهم الملك تعالى في العذاب الذي جاء منه طيلة أربعة آلاف سنة. وإذا نطق بنو البشر من جديد رجعوا إلى الملك تعالى حيث سيعفوا عنهم برحمته. إن هذا لهو التحذير والأمانة التي أُودعت لنا. يا جابر، لقد حدث ظهور أمير المؤمنين في مقام الألوهية <إذ> أضاف لذاته التاليه (خداوندى) (؟). وكانت السموات سلمان وأبا ذر وعمار وجندب وهريرة وكُميل[٣٥١] الذين قبلوا به. و<كانت> الأرض النقباء الذين أسفل درجة [١٧٠] من هؤلاء الملائكة <السبعة>. وكانت الجبال النجباء وبضعة من المعترضين الذين كانوا للإنسان مثالاً. لقد قبلوا كلهم بذاك الظهور. والست منازل الكافرين مع قائدهم عليهم اللعنة والعذاب، لم يقبلوا بالظهور الإلهي. لذا جعلهم كلهم يظهرون <على شكل> جبالٍ وصخور وأحالهم إلى حيوانات ونسخهم بحيث لا يجدون خلاصاً قط. لكن عندما يلتزم المؤمنون والمعترضون الذين تبقوا في هذه الدنيا بعهد الملك تعالى ويقبلون بالظهور الإلهي فلسوف يجدون الخلاص من العذاب. إن هذا تفسير الآية.

ولما هذه المخلوقات وكل الكفار [١٧١] أنكروا وحاربوا وجادلوا الملك تعالى مرة أخرى أهابهم: « يا أيها الكافرون والنجسون (پليدان) والجاحدون (ناسپاسان). إن مرادكم هو الاستيلاء على هذه الديوانات الإلهية وحكمها والتسلط عليها. إلاّ أنكم لا تقدرون على ذلك إذا ما لم تشهدوا شهادةً قاطعةً بإيمانٍ تامٍ لي أنا المولى ». قوله تعالى: ﴿ يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أن تَنفُذُوا مِنْ أقطَارِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ فَانفُذُوا لاَ تَنفُذُوا إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴾ (القرآن، الرحمن: ٣٣). هذه هي الحجة البيِّنة والشهادة القاطعة. ثم خاطب الملك تعالى جلت [١٧٢] عظمته سلمانَ القدرة: « يا سلمان، أنت بابي وكتابي. القرآن كلامُ اللهِ. وأنت يدي اليمنى. (نص عربي:) أنت يد اللهِ (فارسي:) في كل قصوري وديواناتي

وحجبي. ورسلي أنت وعرشي أنت. أنا هو المولى. أنت الأمانة وأمانة أمانتي. روحي ظهرت من حجابك ومنك (= من خلالك؟ از جانب تو). أنا مولاك وأنت مولى كل المؤمنين. ووضعت حكم السماء والأرض في يدك. أنا مولاك وأنت مولى كل السموات والأرضين. وأولاء الكافرون الذين ‹تصرفوا إزائي› من دون أدب [١٧٣] ومن دون حياء وحاربوني وجادلوني لتجعل منهم كلهم جبالاً وصخوراً وأنهاراً، لتخلق حيوانات ووحوشاً وطيوراً. أنت الذي هو أنت سلمان سوية مع مقداد وأبي ذر وعمار وجندب وهريرة [كذا] وكميل – لتخلقوا منهم سبعة أقاليم». وأمر النقَبَاءَ: «لتخلقوا منهم بلاد الأرض السوداء اللون (خاكِ سيله) الاثنا عشر». وأمر النجباء: «لتخرجوا من أطرافهم ثماني وعشرين جزيرةً». وفي الحال أهابهم سلمان العظيم [١٧٤] وقذف بصراخ عليهم وخرج منهم عويل وكأنما قد تلاطمت ألف طاسة وقدر ذهب (طشت زرين). وطار منهم النور كله والروح وبسط الحجاب الأزرق منها. وفي عين الوقت لأن المعترضين طلبوا من الملك تعالى معجزات ذهبت هذه الأنوار عن الكافرين وجعل يخرج منها الجمهرة[٣٥٢] المعترضين هذا الحجاب. تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ ... يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴾ (القرآن، الدخان: ١٠). وكل المخلوقات [١٧٥] حالت إلى ماءٍ بهيبة سلمان القدرة والماء إلى بحر. والذرات الصغيرة إلى صلصال. وخلق من جوهر الملائكة السبعة أقاليم الأرض السبعة. أولا أخرج سلمان القدرة من منازل الذين آمنوا في البدء إقليمَ زنگ وزنگيان[٣٥٣] مع كل الجبال والأنهار الموجودة هناك. وخلق مقداد من المنزلة الثانية هندوستان. وخلق أبو ذر من المنزلة الثالثة تركستان. وخلق عمار من المنزلة الرابعة خرسان. و جُندب [١٧٦] خلق إقليم العراق من المنزلة الخامسة. وخلق أبو هريرة إقليم مصر من المنزلة السادسة. وأخرج أبو كُميل إقليم الروم من المنزلة السابعة. وبأبي كميل أُتم خلق الدنيا وأُكمِل. والنقباء الاثنا عشر خلقوا البلدان الاثنا عشر: السند والهند[٣٥٤] والتبت والبربر وروس[٣٥٥] والحبشة والخزر[٣٥٦] وتركستان والبحرين وكوهستان[٣٥٧] وأرمينيا وپارس[٣٥٨] والمغرب واقلان[٣٥٩]. وخلق النجباء الثمانية وعشرون من(از آن كل وتولِ ايشان؟)هم[٣٦٠] الجزر الثماني وعشرين في وسط البحر العظيم [١٧٧] مثل جزيرة الهند والسند وجزيرة سيلان (سرنديب) وإسكندرية وقسطنطينية وبرقيوس (؟) وفرغانة وأراجن[٣٦١] والسواد[٣٦٢] وماچين[٣٦٣] وبرقة[٣٦٤] وجزيرة يونان وگيلان[٣٦٥] وأفريقية[٣٦٦] وعسقلان ونصبين[٣٦٧] وملطية وسغود[٣٦٨] وأنطاكية وطرطوس[٣٦٩] وكيش[٣٧٠] وعُمان وجزيرة كرك (= خارك في

الخليج الفارسي؟) ومسقط. وخلق (سلمان؟) منهم كذلك حول الجبال البحار السبعة الكبيرة. ومن أجزائهم أخرج النفط والكبريت والقطران والقير والطاعون(؟) والزاك(؟) والملح والجير. وكل جبل [١٧٨] وصخرة وحصى وكل معدن (گوهري) موجود في هذه الدنيا أخرجه من اللذين لم يراعوا الملك تعالى والذين جادلوا أوصياءه (داور) علينا منه السلام. قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّه وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى، أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنْ القُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ﴾ (القرآن، طه: ١٢٧ وما يليها). وكل الماء الموجود في الدنيا هو مصنوع من أجزائهم الرئيسة. وإن لم تكن المياه الموجودة في العالم ليست تلك التي خلقها أوصياء الملك تعالى من تلك المخلوقات [١٧٩] مثلما يدعي أتباع الظاهر أن الماء يمطر من السماء - لو أنها أمطرت ألف سنة بهذا القدر من السماء فلكانت الدنيا قد امتلأت بماء منذ عهد بعيد. إلاّ أن الماء هو الماء الذي خلقه سلمان القدرة من الكافرين وصبه في الدنيا ووضعه في بحار الأرض. لكن شرايين الأرض تنشره[٣٧١] وبواسطة الطبائع الأربعة (وبيارى چهار طبع) يتصاعد في الهواء ثم تمطر مرة ثانية على الأرض ويبقيها رطبة يانعة. إن كل هذا هو ما قد خلقه سلمان وكل ما هو موجود على الأرض من جبال وصخور وحيوانات من كل الضروب ونباتات ومزروعات.

[وكل[٣٧٢] من جادل الباري تعالى مرة أخرى [١٨٠] أظهرهم[٣٧٣] باذلال. وكل الذين أخذوا على الملك تعالى مآخذ جعلهم صلصالاً دقيقاً (گل ذره كرد). وكل من انقلبوا على الملك تعالى أخرج منهم البرونز. وكل من تداولوا العرافة (كاهنى) معه أحالهم[٣٧٤] إلى حديد (بآهن). وجعل كل من سموا الملك تعالى بمكار جبالاً وصخوراً. وكل من سموا الملك تعالى بساحر أخرج منهم صحراء العالم. وجعل كل من سموا الملك تعالى بجاهل (نادان) ناراً. وكل من رموا الملك تعالى بوفرة (شتائم؟) في الطريق جعلهم كلهم ذهباً إذ يضربون في هذا [١٨١] العالم (قطعاً نقدية). وكل من انقلبوا عليه في الديوانات الستة أخرج منهم الدينار (ديناری) في ستة دانگ[٣٧٥]. وكل من اعتبروا الملك تعالى مشعوذاً (سيميائى؟) جعل منهم فضةً (سيم). وكل من طرحوا للملك تعالى سؤالاً (مسئل) جعل منهم نحاساً (مس). وكل من اعتبروا الملك تعالى...[٣٧٦] جعل منهم رصاصاً وكل من حاسبوه (داراری كردند) جعلهم جذوعاً (دار) وشجراً. وكل من جاروا على الملك تعالى جعلهم معادن (جواهر) [١٨٢] ذات ألوان مختلفة. وكل من ضحكوا عليه (بشاد ديهاى؟) جعلهم بهائم وسباعاً وحيوانات متوحشةً. وكل من سموا الله تعالى بغشاش (طرار) جعلهم طيوراً. وكل من كانوا وقحين إزاء المولى جعلهم دوبا (؟). وكل من لم يأخذوا كلمة الملك تعالى مآخذ جد (؟بماريدند) جعلهم أفاعي (مار). وكل من سموا الملك تعالى بمباهي جعلهم أسماكاً

(ماهى) . وكل من قالوا ‹عنه› شناعةً جعلهم حشرات (بازره كرد) . وكل من تقدموا باستهزاء لادغ جعلهم ذئاباً وضباعاً . وكل من مسوه بسوء (ناخوبى) جعلهم خنازير (خوك) ودببةً (خرس) . وكل من جعلوا الشر إزاء الملك تعالى [١٨٣] حلواً (شيرين) لانفسهم جعل منهم أُسُوداً (شير) . وكل من قالوا عنه ‹أية› مقولات جعلهم ‹طبقاً لـ› أقوالـ‹ـهم› أو ما يشبه . وإذا عددنا كل شيء فلسوف يجتاز هذا الكتاب ‹كل› حدٍ ومقدار .]

هكذا خلق هذة الدنيا مثلما هي – بجبالـ‹ـها› المرعبة وصحارٍ واسعة ممتدة وبحار عميقة وحيوانات ووحوش وطيور – من جواهر المنازل ‹الكافرة› الست . وأخذ اللون من هذه الدنيا فانقضى زمان طويل في هذه الدنيا من دون أن يكون ثمة ضياء ولا ظلمة . إلاّ أنه لم يكن ثمة وقت ولا اسم ولا نفس على الأرض [١٨٤] ‹و›كانت جافة وذابلة .

أرسل الملك تعالى بعضاً من تلك الأرواح المنكرة التي كانت في كفر شديد والتي كانت قد بقيت في الملكوت الأعلى إلى الأرض ونفخ‹ها› مثل روح العالم، وصارت أحياء وخرجت النباتات والمزروعات من الأرض وبقوته طلعت النباتات والمزروعات كلها من جوهر الملعونين الذين[٣٧٧] كانوا قد خرجوا من صراخ عزازئيل . وانتشرت هذه الروح النباتية (روح نامیه) على الأرض بجملتها . رأى الملك تعالى أنه ضروري أن يخرج الجوهر الذي نزعه من عزازئيل [١٨٥] في سبعة ألوان مجدداً : أحمر وأسود وأزرق وبنفسجي وأزرق نيلي وأصفر [وأبيض؟] . وسماها غيمة على أن تجلب الماء إلى الأنهار وينشروها على الأرض لتبقي الأرض رطبة وطرية . أما البخار فهو في عالم روحانية أولئك الملائكة الذي أوكل به الملك تعالى للغيمة . تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ [سبحان من] وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ (القرآن، الرعد : ١٣) . وإلاّ أن أصل هذه الحيوانات والوحوش والجبال والصخور والنباتات والمزروعات والأبدان كلها من قذر (كندو) [١٨٦] أهريمن . وكذلك ظهر الآن أهريمن مع غيمة ورعد ويرزق مخلوقاته بأمر الملك تعالى الخبز اليومي » .

[فقال جابر : « يا مولاي ما هو الدليل على ما يُقال بأن الغيمة هي الأمر الأعلى؟ » فقال باقر : « ما يُقال هو الحقيقة . إن ذرة النور الإلهي المرسلة بواسطة هذه الغيمة على صراط هذا العالم الروحاني[٣٧٨] هي ذلك الأمر الأعلى . والغيمة ‹بذاتها› هي جوهر عزازئيل . يا جابر، لو لم تكن هذه الغيمة من جوهر عزازئيل لكان القمر والشمس على صراط الديوانين غير محجوبين عن المعترضين . [١٨٧] إنه (عزازئيل) يظهر في العالم الأصغر بسبعة وجوه : الظن الشرير، والطمع، والشهوة، والشك، والشبهة (...[٣٧٩]) . وجمر روح الإيمان والشمس العقلية محجوبتان عن روح القلوب . وغيمة العالم الأكبر مرتبطة على نفس النحو بنور الملك تعالى مثلما الجسم الجسيم (كثيف) مرتبط بالروح . وأما الغيمة ‹الأخرى› التي هي الأمر الأعلى

فهي روح الحياة الناطقة من لون الغيمة والرعد والبرق والقمر. ومطرها علم (=غنوص) النور وأرضه <التي ينزل عليها> هو القلب وسماؤه <التي ينزل منها> هي روح الإيمان وفلك<ـه> هونطق - ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (القرآن، يس: ٤٠) ». جابر [١٨٨] قال: « يا مولاي، ارو الآن مرة أُخرى رواية معنى العالم الأكبر حتى النهاية؛ الرواية التي لم تتممها ». قال باقر« يا جابر - [٣٨٠]]

خلق الإنس والجن. العهد مع الله

لما كانت هذه الغيمة تُبقي على العلم رطباً وطرياً وصار أخضراً وأصفراً وأخرجت النباتات والزرع لم يكن من يأكل هذا الزرع،

[الذي كان مرتبطاً بالقوة النباتية. وذاك المخلوق الذي عصى الملك تعالى للمرة الثانية استولى على <القوة> النباتية وجلس في قلوب البهائم. وكل ما أخرجته هذه <الأرض> أكلته الروح الحسية. فقامتا <الروح الحسية والروح المعترضة[٣٨١]> بهوى (= شهوة) روح المنكرين [١٨٩].]

والمعترضون الذين كانوا في الحجاب الأزرق وسبّحوا الملك تعالى - لم يكن من الجائز لعدل الملك تعالى أن يكون الخالصون والمخلصون مع الشكاكين والمعترضين على بساط القدرة ذاك في عين المكان. فقال الباري تعالى للمعترضين: « إني خالقٌ في هذا العالم بشراً ومانحهم السلطان على هذا العالم ». تصديقا لقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ [١٩٠] فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ (القرآن، البقرة: ٣٠). فقال سلمانُ الكبير وأبو ذر الكبير ومقداد وعمار وجندب وأبو هريرة وأبو كُميل والنقباء والنجباء: ﴿ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (القرآن، آل عمران: ٤٠) و﴿ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ (القرآن، المائدة: ١) [يلي اعادة التعبير بالفارسية]. وظل المعترضون السبعة الذين شهد بعضهم في كل حجاب، كلهم صامتين. وقد لاقى أُولاء [١٩١] الفَلاح. (نص عربي:) قالَ النَبيُ عَلَيه السَلام: « مَن صَمَتَ نَجَا ». لكن قال المعترضون الآخرون: « يا مولانا، ليس من الصلاح أن تخلق في هذا العالم من يرتكبون الرذيلة والفساد وسفك الدماء. إذا كان الغرض ذلك التسبيح فلسوف نسبح ونهلل ونقدس بحيث تكتفي ». فقال الملك تعالى: « <لا زال> [م.المترجم.] إثمكم بعد بعيداً. يجب أن <تقذفوا> من الحجاب الأزرق إلى أسفل. إني أعلم حالكم وكذلك إن لم تعلموه. ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (القرآن، البقرة: ٣٠) ». فصرخ [١٩٢] المعترضون آه وويلاه: « لما

أعطينا هذه النصيحة التي تبينت كمعصية؟» وأترعت جماعة منهم ندماً وتوبة وطلبوا الشفاعة وتحسروا للملك تعالى. ﴿لاَ تَدْعُوا اليَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً﴾ (القرآن، الفرقان: ١٤). الملك تعالى عفا عنهم ونزع الشك عنهم وخلق منه الجان (جان وتن[٣٨٢]) ونشرهم على الأرض كلها. قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الجَانَ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ (القرآن، الرحمن: ١٥). ونال [١٩٣] هؤلاء المعترضون الاسم موحدين. ومنهم خلق الذل. 〈و〉كان عددهم أربع مائة وكانوا أقل درجة من النجباء.
〈أما〉 المعترضون الآخرون الذين تبقوا فلم يتحسروا ويشكوا كذلك لم يطلبوا الشفاعة. ولكن سبحوا الملك تعالى إلى أن اتجهوا بعد بعض الزمن إلى الملك تعالى: «ربنا ماذا ترضى لنا – نحن الذين ظلمنا أنفسنا – أن نفعل؟ ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أنفُسَنَا وَإن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ (القرآن، الأعراف: ٢٣) يا خالقنا، لتكونن 〈هكذا〉 حتى نرجع [١٩٤] وأعفو عنا بعفوك أو سيكونن جزاؤنا كذلك». من ذاته السموحة قال الملك تعالى لسلمان: «إرم أولاء المعترضين من هذه القبة الزرقاء في هيكل سماوي وهوائي». فوضعهم سلمان القدرة في قالب من هواء وحبسهم في وسط الهواء. وشكلوا كل اثنين واثنين أزواجاً وأخرجوا مماثليهم بضروب فاقت الحد والمقدار.

ظهر اللهُ تعالى مسبحاً ذاته فيهم لذاك التصديق الذي قدمه في الملكوت الأعلى لكي يتعلموا التسبيح [١٩٥]. 〈فـ〉قالوا للملك تعالى: «أنت ناطقنا وقديمـ〈ـنا〉 لترينا ذلك الإله الذي أنت مسبحه». قال الملك تعالى: «سأُرِيَنَّكُم مولاكم بشرط أن تعقدوا عهداً معي على أن ترونه – جلت عظمته – وتشهدوا له لينقُلَنَّكُم إلى مكان الخالصين. لكن من يشك وينكر فعليه الهبوط على الأرض». فعقد أُولاء المعترضون معه جلت عظمته عهداً وكانوا راضين. فقال الملك تعالى: «أنَا اللهُ أكبر [١٩٦] ذاك الإله الكبير الذي تطلبونه هو أنا». فتقدمت تسع مائة وتسع وتسعون روحاً وشهدت للإله تعالى وقالت: «آمنا وصدقنا. نشهد أنك الإله الرحمن الرحيم وأنك أنت الذي كان ظاهراً في الديوانات السبعة والقصور. آمنا وصدقنا. 〈و〉 شهدنا». ولقد نُجّت بهذا الإقرار عدة مرات. (نص عربي:) من قال لا إله إلاّ الله خالصاً مُخلصاً دَخلَ الجَنَّةَ. [١٩٧] وأما الذل الذي كان موجوداً فيهم، نزعه عنهم وخلق منه جماعة من العفاريت (ديو) والجنيات. (نص عربي:) خلق اللهُ الكافرين من ذلة المؤمنين.

[<و> خلق <الـ> (؟ جـان بن الجـان [٣٨٣]) من ذلة المؤمنين والعفـاريت (ديو) من ذلة الممتحنين[٣٨٤].]

﴿ وثُلَّةٌ مِّنَ الأوَّلِينَ، وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ، وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ، فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ، وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴾ (القرآن، الواقعة: ٣٩-٤٣) . وهؤلاء سموا بالممتحنين [نالوا الاسم ممتحنون] [١٩٨] وحبسهم دون منزلة الموحدين. وعلى هذه الصورة صار السابقون سبعة منازل: الأولى منزلة سلمان، والثانية منزلة مقداد، والثالثة منزلة أبي ذر، والرابعة منزلة النقباء، والخامسة منزلة النجباء، والسادسة منزلة الموحدين، والسابعة منزلة الممتحنين. تصديقاً لقوله تعالى: ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾ (القرآن، آل عمران: ١٧) . أما فيما يخص أولئك المعترضين [١٩٩] الذين تبقوا، فقد أمر الملك تعالى سلمان القدرة: «لتُهبطَنَّ هؤلاء ولتسجننَّهم على الأرض». ﴿ قُلْنَا إهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى... ﴾ (القرآن، البقرة: ٣٨) . وفي الحال بكى ثلاثمائة وثلاثة عشر منهم وصرخوا الآه والويلاه؛ هكذا مثل من يبكي في السجن (زندان) هكذا بكوا بأعلى ما كانوا عليه قادرين. <و> عفى الإله تعالى عنهم مراراً وتكراراً وفصل عنهم الشك والشبهة. سبعين [٢٠٠] ألف ملاك خلق منهم، وهؤلاء المعترضون الذين غدو أنقياء نالوا الاسم «مُرْسَلٌ». وصاروا برحمة الملك تعالى ومغفرته وعفوه وقورين. ﴿ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (القرآن، الشعراء: ٢١) .

[وظهر في وسط هؤلاء الذليلين الذين قد نالوا الاسم «ملاك» إبليس اللعين. فهو من أولائك أصحاب الذلة إلا أن مشيئته تعالى قضت أن تقع الأرواح والجان بن الجان في يده. فأمر الملك تعالى هؤلاء [٢٠١] المذلولين أن يذهبوا <أسفلاً> على الأرض. وبعد زمن طويل أمر إبليساً أن يهلك جان بن الجان. فتحارب إبليس وكل الملائكة والمذلولون والجان بن الجان. وصبوا أنفسهم كلهم في البحار. صار البعض حيوانات بحرية، والبعض حيتاناً وحيات وأسماكاً، والبعض وحوشاً وطيوراً، والبعض يأجوجاً ومأجوجاً، والبعض صدفاً وخنازيراً وجيراً (= كلك) . وكل ما هو في البحار من ذاك الجوهر. و[٢٠٢] تقدم إبليسُ في وسط الملائكة ورسم كل قوالبه وهياكله بكل الألوان التي في السموات السبعة والأرض وعرضها.]

وكان هيكل وقوالب هؤلاء الملائكة كمثل نار. وكانوا مفتخرين ومتكبرين بهذا القالب. ولكن كان عزازئل مفتخراً أكثر منهم بألف مرة.

فقال الملك تعالى لهم: «إني خالق على الأرض قوماً ومعطيه الولاية على العالم». ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرْضِ خَلِيفَةً﴾ (القرآن، القرة: ٣٠). [٢٠٣] فصاروا ثلاثة جماعات. جماعة قالت: «﴿يَفعَلُ اللّهُ مَا يَشاءُ﴾ ﴿يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (القرآن، آل عمران: ٤٠ والمائدة: ١) [تلي اعادة التعبير بالفارسية]» ﴿وَمَا تَشَاؤنَ إِلاَّ مَا أَن يَشَاءَ اللّهُ﴾ (القرآن، الإنسان: ٣٠). وقال القوم الآخر: «وما الحاجة في خلق أحدٍ في هذه الدنيا يسفك الدماء من غير حق ويفسد فيها»[٣٨٥]. وعزازئيل عصى وقام الآخرون بهوى بلوته وقالوا: «إذا أخرجت في هذا العالم أحداً آخر فلن نسجُدَنَ له». الملك تعالى [٢٠٤] قال: «لتَسبقُوا المعترضين. كل ما هو أفضل منكم وليتقدمَّنَ علم السموات والأرض والزرع والنباتات، إنكم له لساجدين». فلم يكن لهؤلاء الملائكة أي علم. ولكن المعترضون بينوا علم السماوات والأرض وأسماء الزرع والنبات والجبال وكل ما هو على الأرض. قوله تعالى: ﴿وعَلَّمَ آدمَ الأسْماءَ كُلَّها ثم عرضَهُم على المَلائكة﴾ (القرآن، البقرة: ٣١). فعَصى إبليسُ وقومهُ الذي كان قالبهم مثل النار [٢٠٥] وكفروا: «لن نسجدن لهؤلاء. نحن خير منهم». ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (القرآن، الأعراف: ١٢). فامتعض الملك تعالى منهم وقال: «إهبطوا كلكم من هذه الهياكل –وهذا هو الجحيم– كي لا تتصرفوا بفخر، واسكنوا في ذلك القالب الأسود والضيق (سياه وتنگ) والكثيف المظلم». فقال إبليس وقومه: «إنا كنا لك مسبحين. كيف تضيعن تعب أحد بها؟» فقال الملك تعالى: [٢٠٦] «أنا لا أعوض أجركم. إني جاعلكم نساء جميلات في وسط الشكاكين والأذلاء كي تفتنوهم ولا تدعوهم على السراط المستقيم. وعليكم أن تظهروا عن جنبهم اليمين والشمال[٣٨٦]. ومن ثم سأُرسلنكم لاثمكم هذا إلى الجحيم. وستبقون سبعة آلاف سنة في قوالب من لحم ودم ومن كل ضروب الحيوانات». قوله تعالى: ﴿ولقَد خَلقناكُم ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ثم قُلْنَا لِلْمَلآئكَة اسْجُدوا لآدمَ فسَجَدوا [٢٠٧] إلاَّ إبْلِيسَ لم يَكُن من السَاجدينَ، قال ما مَنعَكَ ألاَّ تَسْجُدَ إِذْ أمَرتُكَ قال أنَا خَيْرٌ مِّنهُ خَلَقتَني مِن نَّارٍ وخلقْتَهُ من طِينٍ، قال فَاهْبط منْها فَما يَكُونُ لَكَ أن تَتَكبَّرَ فيهَا فَاخْرُج إنَكَ من الصَّاغرِينَ، قال أنظِرْني إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، قال إنَّكَ من المُنظَرِينَ، قال فَبِمَا أغْوَيْتَني لأَقْعُدَنَّ لهُم صِراطَكَ المُستَقيمَ، ثم [٢٠٨] لآتِيَنَّهُم من بين أيْديهم ومن خَلْفِهِم وعن أيْمَانِهِمْ وعن شَمَآئِلهِم ولا تَجدُ أكثَرَهُم شَاكرِينَ، قال اخرُج منها مَذْؤوماً مَّدْحُوراً﴾ (القرآن، الأعراف: ١١–١٨). فنقل الملك تعالى جماعات إبليس

في قوالب الأظلة. وأصل جحيم الأظلة أنه حبسهم فيها. وأما المعترضون فقد نقلهم في قوالب الأشباح. قوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (القرآن، الشورى: ٧).

[وتعني الجنة (فردوس) في [٢٠٩] هذا الموقع قوالب الأشباح. أما جهنم ‹فـ›قوالب الأظلة. وهي مخلوقة من ذل المؤمنين وهي عذابهم. لو لم يكن قالب الأظلة موجوداً فما وجد هؤلاء مكاناً. لو لم تكن الأرض موجودةً فما وجد الأشباحيون مكاناً في هذه الدنيا. وكذلك لو لم يكن في هذه الأبدان قلب (دل) فما استطاعت الروح المعترضة أن تأخذ مكاناً في هذا القالب. ولو لم يكن بيت الدم في هذا القلب لما وجد آدم المذموم مكاناً]

فقال الملك تعالى للجواهر [٢١٠] المعترضة: «ها أنتم في جنة الأشباح ذا وكلوا من كل شيء امركم به. إلاّ من هذه الشجرة لا تأكلوا». يعني لا ترتكبوا الزنى. وعقد معهم عهداً: «إني لكم مرسلا جبرائيل». يعني الهداية الإلهية. ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِم ولا هُم يَحْزَنُونَ﴾ (القرآن، البقرة: ٣٨). وأنتم تبقون في هذه الفردوس، أي في قوالب الأشباح. لكن إذا ما تحول هؤلاء الذين لهم قالب الأظلة إلى نساء جميلات [٢١١] فلا تقربوهن». قوله تعالى: ﴿وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (القرآن، البقرة: ٣٥). ثم هدا‹هم› جبرائيل روح الوحي إلى موقعهم في الفردوس وقد شاهدوا صورة مرسومة بألف ألف لون جالسة على ذاك العرش وتاجاً على الرأس وحلقتين في الأضنين وسيفاً معلقاً على الحمالة كجنة الفردوس أشعت من ظهور نور هذه الصورة. وما أشد ما أراد المعترضون لو يعرفوا [٢١٢] ما هي هذه الصورة. روح الوحي[٣٨٧] ظهرت لهم: «إن ‹أصل› هذه الصورة من ديوان غاية الغايات الأزلي، وإن صورة فاطمة من هذه العظمة العليا التي ظهرت في هذه الجنة، وتاجها هو محمد وحلقاها الحسن والحسين وهذا السيف المحمول هو أمير المؤمنين علي وعرشها مكان القدرة الذي يجلس عليه الملك تعالى جلت عظمته». فسبحوا وهللوا كلهم هذه الصورة. ولما كان زمن طويل مضى تحول إبليس إلى امرأة جميلة [٢١٣] وكل من تعصبوا له تحولوا كذلك إلى نساء جميلات وظهروا للمعترضين. فَفُتِّنَ جميع هؤلاء فلا يُعَذِّبَن الرجل أكثر من أن يضع يده على امرأة. وتهيجت فيهم الشهوة الشهوانية لتمد الأيدي إليهم ولتلمسهم. ولما انقضت تسعة شهور خرج منهم مخلوق آخر. وكانت الحية والطاووس في جنة الثاني والثالث الذين اتبعوا هوى إبليس. وبظهور...[٣٨٨] الملك تعالى صرخ بهم صرخةً: [٢١٤] ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً﴾ (القرآن، البقرة: ٣٨). [نص فارسي:] «أُخرجوا كلكم الآن من هذه الجنة إذ يجب عليكم الآن أخذ قوالب الأظلة الضيقة والمظلمة». فقذفهم من قالب الأظلة ذلك

وظهر عليهم الفرج والنهدان. ‹و›لما كان المعترضون هابطين في هيكل الأظلة بكوا الليل والنهار. ‹و›ظهر أمير المؤمنين مرة أخرى في وسطهم كامرأة جميلة وغواهم ومدوا اليد إلى الفساد. الملك تعالى صاح بهم الصيحة ذاتها: ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ، [٢١٥] وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (القرآن، ص: ٧٧–٧٨). يُعني أن عليكم ‹الخروج› من قوالب الأظلة هذه إلى قوالب من لحم ودم وجلد وشعر!...[٣٨٩]

شروط الخلاص من الأبدان

فبكى كل المعترضون وقالوا: «يا مولانا، لو أنك تتكرم بالأمر فلسوف نتطهر من هذه المعصية وحتى في ‹= من› هذا الهيكل والقالب». قال المولى تعالى: «لا يقبل التكفير عن مثل هذا المعصية في هذا القالب. إن الشك ‹لا يزال› موجوداً فيكم». فقالوا: «ماذا يجب أن نصنع كي نتطهر من جديد في هذا القالب؟» [٢١٦] ‹ف›قال الملك تعالى: «يجب عليكم أن تؤدوا أربعة شروط لي لكي لا تكونوا بعيدين عني. الشرط الأول هو أن تشهدوا لي في كل صورة وقالب ترونني فيه ظاهراً، في كل لغة وبكل لسان موجود – في العربي والفارسي واليوناني والهندي والسندي والجورجي (گرجى) والسلافي (سقلانى[٣٩٠]) أو السرياني (صورتى[٣٩١])، بلا شك وشبهة وأن تقدموا حجة وأن تصدقوا. ‹و›الشرط الثاني هو أن تقروا بائمة الزمان[٣٩٢] وبالغانصين (عالمان) الربانيين والمتنورين وأن تتعلموا منهم غنوصي (علم) وصفتي ووصفي [٢١٧] وأن تشهدوا للألوهية في نطقهم وروحهم. الشرط الثالث هو أن تكونوا كلكم إخوة بعضكم للآخر ولا تمنعوا المال والحياة بعضكم عن بعض وأن تفدوا (بفداى[٣٩٣]) الدين وإخوتكم بالدين (دينيان) بملككم وبمالكم، وأن تحافظوا على الدين و‹الحياة› الدنيا، ولا تأخذوا سبيل السيئين والظالمين على أي نحو، ولا ‹تقاسموا› هم في الظاهر والباطن لا طعاماً ولا غذاءاً ولا تعاشروهم، اشهدوا بالألوهية وبالروح بعض ببعض(؟) وكونوا سموحين قدر استطاعتكم حتى تغدو الأخوة [٢١٨] مأثرةً في اللحظة إذ تشهدوا. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (القرآن، الحجرات: ١٠). وهذه الشروط الثلاثة هي الشهادة ثلاث مرات إزاء الملك تعالى: واحدة إزاء النبي وواحدة إزاء أئمة الزمان وواحدة إزاء الإخوة المؤمنين. والشرط الرابع هو ألا تعيشوا في لذة وكسب هذه الدنيا ولا تتمتعوا بكل ما تشتهون. وإذا أديتم هذه الشهادات الثلاثة التي أوردتها لكم كثلاثة شروط فكذلك سوف أحل لكم هذه المتعة ‹الأخيرة› وسأغفر لكم وأعيد لكم جنة

الخلد». قوله تعالى: [٢١٩] ﴿ ‹وَالَّذِينَ آمَنُوا وَ› عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهارُ خَالِدِينَ فِهَا أَبَداً ﴾ (القرآن، النساء: ٥٧). وموقع آخر يقول: ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ﴾ (القرآن، الكهف: ١١٠). وفي موقع آخر: ﴿ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ (القرآن، الكهف: ٣٠). إذا بقيتم على عهدي هذا فكذلك سأحافظ على عهدي. ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ (القرآن، البقرة: ٤٠)».

(٦) أم الكتاب: خلاص العالم الأصغر

تنتهي رؤيا باقر وجابر الأصلية بوعد الخلاص من سجن البدن. يتعلق الأمر في النص التالي بتوسيع أحدث تعلقاً واضحاً. يبدأ الملحق بتكرار واضح الدلالة: إذ تعاد رواية الهبوط على الأرض والخطيئة والحجز في أبدان من لحم، للمرة الثانية. ويتم إبدال وعد الخلاص الذي تنتهي معه رؤيا جابر، بعملية تنوير وخلاص شاذة ومعقدة ليست مفهومة جيداً على الدوام، تدور في العالم الأصغر؛ تعطى فيها الرحلة السماوية للأرواح عبر قبب السموات السبع (= ديوانات) تفسيراً آخر في معراج الروح المعترضة أو روح القلب من بطين القلب إلى اللسان[٣٩٤].

[«وبعد أن أخذوا على أنفسهم هذا العهد تملك عليهم النسيان وهبطوا كلهم على الأرض في وسط هذه الدنيا. ولما كانت أربعين سنة قد انقضت ترك بعض‹هم› الشروط [٢٢٠] وبأمر أهريمن حادوا عن السبيل ومدوا اليد إلى الشجرة وأكلوا وتلذذوا منها. فأثرت حلاوة الشهوة فيهم وظهر على كل من كانوا في الأشباح قالبٌ من لحم ودم ذو (؟) سبع آلات. وكل آلة لها لون ديواني ‹=سماوي›: العظم ذو ‹الديوان› الألوهي، والدم ذو الملكوتية، واللحم ذو الربوبية، والشرايين ذات اللاهوتية، والجلد ذو النورانية، والشعر ذو الروحانية. [٢٢١] ولكن ظهر على كل الذين كان لهم قالب الأظلة وصاروا نساءً، الفرج والنهدين. وأنبت القلبَ في وسط هذه القوالب كمثل الأرض التي حضّرت من أربعة عناصر، وأنبت في القلب أربع حجر. ووضع روح المعترضين المطمئنة و﴿ النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة ﴾ (القرآن، الفجر: ٢٧) في حجرة الريح. ووضع الروح التي جعلها تخرج من ذلة المرسلين، في الوسط اليسار من القلب في حجرة الدم. وتسمى هذه الروح في الوسط اليسار[٣٩٥] عفريت (ديو) وشيطان وروح حسية. والروح التي من أولئك المعترضَين الذين [٢٢٢] شهدوا عند سر قبة الزرقاء بالباري تعالى والذين يسمون بالسابقين، أرسلهم في وسط القلب الأيمن في حجرة الماء ليكونوا مرتبطين بالروح الحسية. وأبعد ظهور الشهوة والمذلة عن المعترضين مثل السد الذي شيد في وجه يأجوج ومأجوج. وحبس روح المذنبين المنتظرة في وسط القلب الأيسر، حجرة ماء الدم (خونابه). وهذه الروح من أولئك المعترضين الذين جنحهم إبليس عن السبيل. ‹وصنع كل هذا› لكي يتوافق قلب

العالم الأصغر وأرض العالم الأكبر [٢٢٣] مع بعضهما البعض ويتجانسا.

ثم تصورت الروح الحسية التي ‹خرجت من› ذلة المعترضين، بصورة عروس شابة وحادت بظهور الشهوة تلك الروح التي خرجت من ديوان السابقين عن السبيل. فليس أسهل من إغواء رجل بالنساء، وخاصة إذا كن عفيفات ودؤوبات (عف ورف بخويشتن) ويمارسن العابهن مع الرجال. وفي الحال يجنحن الرجال عن السبيل وهؤلاء يمدون أيديهم نحوهن. وتركت هذه الروح ‹الحسية› بدنها تظهر في كل لون وصورة موجودة في هذه الدنيا [٢٢٤] لتوقظ اللهفة ‹و› الشهوة لهذه الروح الحسية ولتجنح بلذة الشهوة ‹الروح المعترضة›. قوله تعالى: ﴿ هَلْ أدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى ﴾ (القرآن، طه: ١٢٠). إذ كانت الروح الحسية تدري أنها سوف تجنحه إليها بالهوى عن السبيل. وأن الروح المعترضة التي فيها حجرة الريح ممتلئة بالشهوة – رغبت أم لا – وستتوحد معها ‹الرورح الحسية؟›. ولأن هذه الروح لم تتوحد معها[٢٩٦] فقد بقيت في حجرة الريح إلى أن انقضت ألف سنة على المعترضين.

واللذة والطعم في الشهوة [٢٢٥] ظهرا على عضو الذكر و‹راح› هذا يطلب النساء، فلا بد من أن ينزل المطر على الأرض[٢٩٧] مثلما هي الغيمة التي وصفناها في العالم الأكبر: فاللذة والطعم هما تلك القوة التي في الغيمة. ولو لم تكن هذه القوة لما استطاع أي رجل على معاشرة النساء وما وجدت بذور التولد في هذه الدنيا. ولو لم تكن هذه القوة في الغيمة لما هطل ثلج ولا نزل مطر ولأمست الدنيا خراباً».

فقال جابر بن عبد الله الأنصاري: «يا مولاي، [٢٢٦] أتم الوصف». فقال باقر العلم علينا منه السلام: «ثمة غيمتان: الأولى من عنصر نقي ‹في› الهواء اللطيف، وغيمة ثانية أخرى من عنصر عزازئيل. يا جابر، لما جعل سلمان القدرة بأمر وبطلب الملك تعالى كل هؤلاء المنكرين جبالاً وصخوراً خلق من نفس وجوهر عزازئيل حرارةً روحانيةً ذات سبعة ألوان، وأرسل له (سلمان) بخار الأرض ليساعده ليسحب من كل الأراضي والبحار الجمال والظرافة. [٢٢٧] فأخرج الماء الذي ‹أصله› من جوهر المنكرين، من البحار وجعله بقوة الطبيعات الأربع يمطر على الأرض فتلقى كل ‹المخلوقات› من جوهر المنكرين. إن هذه المياه من جوهر المنكرين وكل مَن طلعوا من صراخ الملعون وحولهم سلمان التندرة إلى جبال وصخور وزرع ونباتات. وتُبقي الغيمة هؤلاء كلهم رطبين ومنتعشين وتجلب ‹لهم› الخبز اليومي من جوهرها ذاته، لقد منحهم الملك تعالى[٢٩٨] الأمان حتى يوم القيامة.

وكذلك أصل [٢٢٨] لذة وطعم الشهوة من الروح الحسية، من مثل روح الشهوة والأخيرة هي قالب تلك اللذة والطعم والشهوة. مثل الجسم والجسد الذي هو قالب الروح، مثل الغيمة التي هي قالب النور الروحاني، مثل الجوهر الخلاق الذي أعطاه الملك تعالى في الملكوت الأعلى لعزازئيل كذلك أعطاه (= أي الجوهر) لروح الشهوة هذه. وهذه اللذة وطعم الشهوة تساعد حجر القلب الأربعة لتنزع عن كل الجسد [٢٢٩] جمالاً وظرافةً. وهتان الروحان في منتصف القلب الأيمن والأيسر تجلبان لـ‹النفس؟› المعترضة الحسية مساعدةً (؟). ولو لم يكونا

ممنوحتان فما استطاع هذا الماء المخلوط أن يجري في العمود الفقري. وإذا نشأ بهواه[٣٩٩] فيجري بقوة لذة وطعم هذا الماء من الظهر الذكوري - الذي هو السماء - إلى الأرض[٤٠٠] حتى يخرج بطلب النساء جسماً وجسداً آخران و...[٤٠١]. يا جابر، إن كل مرة تطلع بها الغيمة[٤٠٢] تغطي القمر والشمس والنجوم. [٢٣٠] ذرات الهواء النوراني التي تأتي لمساعدته لتسحبه إلى أعلى، هي[٤٠٣] ذلك الملاك الذي يطرد الغيمة وسوطه هو البرق. ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالملائِكَةُ مِن خِيفَتِهِ ﴾ (القرآن، الرعد: ١٣) يعني أن نار حرارة الشهوة هي برق هذه الغيمة. والألوان السبعة: الأسود والأبيض والأحمر والأزرق والأصفر والبنفسجي والأخضر هي ذات الألوان التي رآها ‹عزازئيل؟› على تلك الديوانات السبعة وعلى نفسه. وما زالت تلك العلامة ‹علامة أصله السماوي؟› عليه.

يا جابر، [٢٣١] لو أن هذه الغيمة ‹محتجبة› في الحجاب فما رُئيَت في أي مكان ولأنار القمر والشمس في العالم و‹لكان› العالم منيراً ومضيئاً ونورانياً. ثم تخرج الغيمة من الحجاب وتغطي السماء والشمس والقمر. ويدخل بردٌ قاص ليغدو هلاك البشرية متوقعاً. مثلما تظهر العوالم الربانية وأئمة الزمان و‹مثلما› تظهر الكلمات كالشمس والقمر منها[٤٠٤]. ولكن إذا ظهر[٤٠٥] واحدٌ من صفوف المقصرين[٤٠٦] [٢٣٢] ينيط المؤمن الحجاب ويظهر في فلك الكلام (فلكِ گويائے) غضب شديد. وفي كل وقت لما تكون روح الحياة في القلب... (= درهاى اين روح تاب كند كه برنگ ما هتاب بالاى روح الحياة مغز استوا راست. كذا غير مفهومة؟) فتأتي روح الفكر للمساعدة على أن يظهر الغنوص الإلهي (= علم إلهي) منه ومن غاية المزج (مزاجِ غايتے). لكن عزازئيل الذي يسمى كذلك بالروح الحسية، يقذف في هذا القلب ظناً وتمنياً، وكأنه يجر بحجاب ما بين روح القلوب وبين روح الإيمان، ويحجب هذا الوحي الإلهي عن روح القلوب و[٢٣٣] يسبب السعي لتحقيق الشهوة. ويغلي القلب، فتمسي الأرواح الأربعة كلها والقلب واحدةً ويمضي ظهور الشهوة مثل غيمة من على القلب. قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ (القرآن، النور: ٤٠)».

فقال جابر بن عبد الله: «يا مولاي، متى ستخلص هذه الروح وهذا القلب؟» قال باقر: [٢٣٤] «‹إن› هذه الروح المطمئنة القاعدة في القلب، تشهد لألوهيتها ذاتها ‹و› تنتقل من القلب إلى مقام الدماغ بشرط أن يشهد هذه الشهادة القاطعة. وكذلك إذا قدم حتى السماء العليا وعلى طول الأرض عبادةً فلن يقبل (= أي الله) منه أي شيء إلا هذه الشهادة القاطعة التي وصفها محمد في القرآن بالعمل الصالح: ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ﴾ (القرآن، الكهف: ١١٠) يعني ‹أن› يشهد شهادة قاطعة لأئمة الزمان الذين وجههم جنة الملك تعالى. ونطقهم هو باب للجنة ومقر سلمان. ومكان سجود [٢٣٥] اليتيمين[٤٠٧] وحيث يقيم الملائكة السبعة صلاتهم. وديوان النقباء. ودار ملك (= قصر) النجباء. وقبة آدم. وسفينة نوح. وحلة ابراهيم (؟). وسفر موسى. وجناح قلعة عيسى (وكنگرهء دژِ عيسى است)[٤٠٨]. وعرش محمد

المصطفى. والكرسي ذو الثلاثين قدماً لأمير المؤمنين علي وحديقة (بوستان) فاطمة وجنة الحسن والحسين. وصراط المؤمنين. ومأوى الكروبيم « Cherubim »[*] (ومأواى كروبيان) . وأفلاك النورانيين. وقبلة الروحانيين.

ويقول الملك تعالى ليس ما أرغب<ه> [٢٣٦] وأقدر<ه هو> أن تتجه صوب الشرق والغرب وتقيم الصلاة، إنما ما يحبه الملك تعالى هو أن تتجه إلى أئمة الزمان وتؤمن بنورهم النبوي[٤٠٩] وفي كل ظهور نوراني وكل قصر وديوان وكور[٤١٠] ودور، في كل مقام الألوهية والملكوتية والجبروتية والربوبية والأزلية واللاهوتية والنورانية والروحانية والناسوتية والبشرية والإمامية – يجب عليك في كل ظهور أن تشهد به (= أي بالله) وأن تقدم مالك ودمك وملكك [٢٣٧] فديةً له (در فداى و كنى) و<أن> تقيم أمام متاعب هذه الدنيا سداً – أمام الموت والمصيبة والقحط والفقر والأمراض العضال وكوارث هذه الدنيا. وكن صبوراً مهما يحدث لك من أي نوع كان و<كن> طويل الاحتمال في كل الحساب المتقى وتقرب إلى الله وصرّ في هذه الدنيا الغدارة أميناً ومطمئناً. تصديقاً لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ [٢٣٨] وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ (القرآن، البقرة: ١٧٧) . الآخرة هي يوم كبير، يعني آمنوا بهذا القول (نطق) وبنور أوصياء الملك تعالى بسلمان القدرة[٤١١] كتاب الله فكل ما يرد في السماء والأرض يرد كذلك في كتب الله. ولا يوجد شيء على البحر والبر ليس في هذا النطق ﴿وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (القرآن، الأنعام: ٥٩) » .

فقال جابر بن عبد الله <الـ>أنصاري: « يا مولاي، أتحدث الشهادة القاطعة بنا أم بإرادة وبريق الملك تعالى؟ يعني في أي وقت [٢٣٩] سيجلس الغنوصيون النورانيون (عالمان نورانى) على بساط القدرة وسيرفع حجاب النور وسيستطيع متعلموهم إدلاء هذه الشهادة – ثم من أين نزل هذا المعنى السري؟ » قال باقر: « تجنبوا عدم إتمام المتعلمين وكذلك بخل العالمين (الغنوصيين) » . قال جابر: « يا مولاي، اشرح لهذا العبد الضعيف ما معنى ذلك » . قال باقر: « الأمان الأمان، الحذر، كم هي صعبة هذه الكلمة. بمحمدٍ المحمود وبعلي الأعلى، إن هذه الكلمة ليست في أي كتاب. يجب ابقاؤها سراً. [٢٤٠] يا جابر، إذا قال إمام الزمان والعالم النوراني (= الغنوصي المستنير) كلمة الحق للمتعلم فلن يقبل بها[٤١٢] المتعلم ولن تستوعبها روح القلوب خاصته فروح حياته الناطقة منفردة جداً. لكن بأمر الملك تعالى وبإرادة ونية إمام الزمان تنزل من القبة الزرقاء روحٌ لونها لون البرق في دماغ المتعلم على روح القلوب خاصته. وروح القلوب تعتبر كلام وقول عالمها (غنوصيّها) حقيقي وتشهد بصدق ويقين حتى أن تأتي الروح المنيرة (روح روشنى) بإرادة الملك تعالى من [٣٤١] الحجاب القمري اللون وتجلس على الروح الممتحنة التي هي نطق المعلم. وتسمع روح قلوب المتعلم هذه الكلمة وتشهد بألوهية العَالِم (الغنوصي) ولكن لا تقدر درجته (أي المتعلم) على حفظ هذه الكلمة في دير<ه> وحرم<ه>[٤١٣] .

ومن ثم تنزل بمشيئة العالم (الغنوصي) روح الحفظ من الحجاب الشمسي اللون وتجلس على روح الإيمان خاصته. وتبقى الكلمة في ديره ولكن قوتها لا تكفي للفكر. والآن تنزل بمشيئة الملك تعالى روح الفكر من الحجاب البنفسجي اللون وتجلس فوق على [٢٤٢] روح الحفظ. أما روح القلوب تفكر الآن هذا التفكير وتدرك تماماً ما هي كلمة العالم (الغنوصي) ولكن لا تكفي قوتها للتكلم في حضرة العالم (الغنوصي).

ومن ثم تنزل روح الجبروت من الحجاب الزبرجدي اللون وتجلس على روح الفكر. تطير روح القلوب خاصة المتعلم في الجوارح هائمة وتحدث وضوحاً في ديوان الألوهية[٤١٤]، إلى أن تتضح هذه الكلمة في هذه الروح. ولكن لا تخرج من الحجاب حتى ينزل بريق روح العلم بمشيئة العالم (الغنوصي) من الديوان العقيقي اللون و[٢٤٣] تحط على روح الجبروت. وتُوهَبُ هذه الروح اللّغةَ ويتحدث نور العلم (الغنوص) في حضرة العالم (الغنوصي). ولكن لم يتم ‹بعد› ولا يرتضيه العالم (الغنوصي). ثم تنزل روح العقل من الديوان الناري اللون وتجلس على روح العلم. تتضح روح المتعلم[٤١٥] لبرهة وتنجلي وتغدو تامةً وكاملةً وتسمع كلمة العالم (الغنوصي). ولكن لا تكون قد صارت على هذا الخلق بعد بحيث تستطيع إخضاع النفس الحسية وروح الشهوة وآدم المذموم حتى تظهر الروح القدس من القبة الياقوتية اللون وتأخذ لها مقاماً على هذه الروح. [٢٤٤] وتخضع الآن روح قلوب المتعلم النفوسَ الثلاثةَ الأمارات بالمعصية ‹اللواتي› في القلب وتهلكها وتهلك السبعة أجزاء: القلب والرأس والرئة والكبد والطحال والكليتين والـ..[٤١٦] الكافرين السبعة الذين مقامهم فيهم ‹= تلك الأجزاء› وينتهي دور إبليس. يعني ‹أن› الشهوة تموت في الذكر وفي الخصيتين وتصبح روح القلوب قائمةَ الليل وصائمة النهار[٤١٧]. ولكن لا تكون قد [٢٤٥] صارت على هذا الخلق بحيث تستطيع العروج إلى السماء. فهي لا تصل إلى هناك حتى تنزل روح الأكبر الكلي بمشيئة الملك تعالى وبتوهج العالم (الغنوصي) وبهمة المتعلم، من قبة البيضاء وتحط على روح قدس المتعلم. وتصعد روح قلوب المتعلم من بيت الريح بعض الدرجات وتبقى في حبل الوريد في الصدر. ويصبح الجسم والجسد بنور الألوهية نيّران ومنيران. يعني بالظهور الإلهي. قوله تعالى: ﴿ أفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ [٢٤٦] عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ (القرآن، الزمر: ٢٢). لكن لا تستطيع روح القلوب أن تصل إلى الدماغ.

ثم بأمر ومشيئة الملك تعالى وبإرادة إمام الزمان تنزل الروح الأعظم من ديوان غاية الغايات لقبة الملك تعالى وتحِط على روح الأكبر الكلي. ثم تصل روح القلوب من الصدر إلى الشفة إلى اللسان والفيه (= فم) وتحط على هذا العرش الإلهي. فعندئذ يقوم العالم (الغنوصي) ويشهد لها و‹يكون› ذلك هكذا تماماً وكأنما قد شهد هو لنفسه. [٢٤٧] فيصير المتعلم تاماً بالأرواح العشرة التي نتحدث عنها. قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ (القرآن، البقرة: ١٩٦).

وآيات القرآن العشرة ترمز إلى هذه العشرة. والدرجات الإسلامية (السلمانية؟) العشرة والعشرة أيام من عاشوراء[٤١٨] والعد والحساب الذي لا يتعدى العشرة وإذا وصل إلى عشرة

يبدء من جديد، وكل عاشور موجود على الدنيا ترمز كذلك لهذا. لذا نسمي هذا الكتاب كذلك بالمقامات العشر فهذا الوصف موجود فيه فقط ‹و› ليس ‹في› آخر.» فقال جابر: [٢٤٨] «أشهده (بس جابر گفت سجده)[٤١٩]. سبوحٌ قدوسٌ محمد وعلي حقاً حقاً. محمد المصطفى وواليه[٤٢٠] السلسل وأبو الخطاب».]

(٧) المواضيع الغنوصية في أم الكتاب

إن رؤيا جابر في أم الكتاب أسطورة فنية غنوصية تامة في زي شيعي. وتبعية هذا النص للغلو الكوفي بديهية. إذ أن أغلب جزئيات ومصطلحات تعاليم الفرق الكوفية الغالية المروية بعزل عن بعضها البعض من قبل المؤرخين الإماميين والسنة للمذاهب والفرق تتواجد هنا مرة أخرى في سياق يجعلها لأول مرة ذات مغزى وبذلك يمكن فهمها.

إن متلقي الوحي السري هو جابر (بن يزيد) الجعفي والموحي هو «إمام الزمان» محمد الباقر «باقر العلم». بيد أن الإمام مجرد كائن صوري، تجسد لتلك الألوهية العلية عديمة الاسم ومن هنا لا يسمى إلاّ بـ«الإله الأزلي» (خداوندِ جاويد) – لدى الغلاة الكوفيين: الإله القديم أو الأزلي[٤٢١]–. يظهر نوره في خمس جوارح، في الأنوار القديمة الخمسة (پنج نورِ قديم) أو الـ«خواص الخاصة الخمس» (پنج خاص الخاص): محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين – لا يحظى علي فيهم كما يظهر بمكان الصدارة –. لقد وجد موضوع جوارح الله الخمس في المانوية طابعه المميز (خمسة شْكَنَس škinas) إلا أنه خلا ذلك قول الله الغنوصي المنتشر كثيراً: كذلك فإن باسيليدس، *ملفات توما* («خمس جوارح») أو *السفر القبطي المنحول ليوحنا* «Apokryphon des Johannes» («خاموس أزليات الأب») تظهر الإله الأعلى كخاموس[٤٢٢]. وتوجز كتب الفرق الإمامية العديد من فرق–الغلاة طبقاً لهذه السمة الملفتة للنظر مطلقة عليهم اسم «المخمسة» (أنظر ضمن ص ١٥٣).

ومع أن تصور جلوس الله على العرش فوق بحر البيضاء (أك عدد ٩٦ وما يليه) متأثراً بالقرآن في سورة الرحمن الآية ١٩ وما يليها، لكن نشأته على كل حال وليدة موضوع غنوصي: إذ يحيط الله في *السفر المنحول ليوحنا* «Apokryphon des Johannes» «ماء النور الخالص»[٤٢٣]؛ وأخيرا يعود هذا التصور على الأرجح إلى سفر التكوين الإصحاح الأول العدد الثاني. يحجب هذا النور أخيراً بحجاب (يرد في أك على التناوب بالعربية حجاب وبالفارسية پرده)، «katapétasma» الغنوصيين. وكذلك إن هذا الحجاب الذي يرمي في العديد من الأنظمة الغنوصية «الظل» هو: «حجاب متكون ما بين الفترات الزمنية السماوية

وبين السفلية. وظل تكون تحت الحجاب، وأصبح ذلك الظل مادة» مثلما تقول مدونات نجع حمادي غير المعنونة وتماماً مثلما ينص أقنوم الأرخيين «Hypostase der Archonten»[٤٢٤].

إن الموضوع الرئيس لمأساة التحول (الصيرورة Devolutionsdrama) الغنوصية هو تكبر المعترض الذي يطلق عليه هنا أحد أسماء الباطنية اليهودية المستعارة «عزازئيل» وثم يحمل في صيغة ظهوره الأرضية الاسم القرآني «إبليس»[٤٢٥]. إن لـ«عزائيل Azzaēl» المعترض، ملاك «الهاچادا Haggada» وأخنوخ نصيب كذلك في البنى الغنوصية أحيانا - على وجه التقريب لدى المندائيين[٤٢٦] -. يقوم تكبره في أم الكتاب على العدد الكبير من الأرواح التي خلقها بالنور الذي مُنِحَ إليه. إذ واجه الملك تعالى قائلا له: «إن مخلوقاتي أكثر عدداً من مخلوقاتك» و« لقد خلقت أرواحاً بعشرة أضعاف ما خلقتَ أنت». (أك عدد ١٢٥). إن «يالدَبواث» المقابل له في *السفر المنحول ليوحنا*، يعتبر نفسه إلهاً بسبب «عدد الملائكة [...] الذين خرجوا منه»[٤٢٧].

وسبّب عصيان المخلوق خالقه صدور الكون: كان عقابه أن حرم من النظر إلى الله بتجريده الحجاب الأول، السماء الأولى، وتم إبعاده بصحبة شركائه في العصيان إلى أسفل. بيد أنه لا يتم هنا إسناد القيام بدور الصانع، خالق الكون والأرض - على خلاف لمعظم الطُرُق الغنوصية - إلى المعترض المنكر إنما إلى أول من شهد بالألوهية. إن سلمان - الولي المحلي للمدائن/قطيسفون - هو الملاك الأول للأقمار السبعة؛ وهؤلاء عينهم هم أصحاب علي الذين حُوِّلوا لأسطورة. وهذا موضوع غنوصي قديم وعلى كل حال فهنا «الأرخيون Archonten[*]» السبعة ليسوا مخلوقات وأعوان الشيطان، إنما وكلاء الله.

يكون سلمان في وقت واحد مثال الإنسان المنجى والمخلص: فهو أول من حظى بالمعرفة الحقة وأدلى بالشهادة. يبدو أن دوره في طرق تعاليم الغلاة قد أسيء فهمه من قبل الإماميين؛ إذ يخبر القمي مثلاً عن فرقة غلاة زعمت أن سلمانَ إله[٤٢٨]. حتى أنه كانت توجد كتابات تفنيدية لمواجهة عبدة سلمان، فلقد ألف شخص يدعى عبد الله بن العباس الخُراذيني الرازي كتاباً يسمى «الرد على السلمانية»[٤٢٩]. ويحذو الجدل ما بين عزازئيل وسلمان المعتبر بذلك أميراً للأرواح والإنسان الأول/«آدم التشبيهي Anthropos» حذو المثال الهاچادي في النزاع ما بين عزائيل وأخنوخ/ميتاترون «Metatron» الذي تمت ترقيته إلى أمير الملائكة. ومثلما ينتقد عزازئيل في أم الكتاب خلق البشر ينتقده كذلك عزائيل في المدراش: «يا رب العالم، ألم يكن الأولون محقين حقا في قولهم عنك بأنه لا ينبغي

عليك كذلك خلق آدم؟»[٤٣٠]. وحتى أن الآية القرآنية عدد ٣٠ من سورة البقرة - ﴿ [...] أتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ؟ ﴾ - التي تأثرت في المدراش، يمكن إرجاعها إلى بيئتها القديمة بلا عناء. إذ أن الغلاة الكوفيين يذكرون هذه الآية كحجة على تعاليمهم[٤٣١].

إن النفوس البشرية في أم الكتاب هي ومضات ضوئية ساقطة، مائة وأربع وعشرون ألف نور أو قنديل في أصلها. كان نفيها في جسد العالم عقابا لها على «نسيانها»[٤٣٢]: فهم ينسون (فراموش كردند) في كل سماء من السموات السبع ما قد رأوه وشهدوا به في السماء السابقة (أك عدد ١٤٤)، ويترددون عند كل ظهور للملك تعالى في حيرة ما إذا كان هو حقاً مولاهم وخالقهم. وأخيراً يقررون الشهادة. تماماً في السفر المنحول ليوحنا تسكن «النفوس التي عرفت كمالها ولم تسرع إلى التوبة» في الزمن المطلق السفلي[٤٣٣]. وحتى أنه يتوجب على قسم منهم في أم الكتاب (عددهم لدى النصيريين/العلويين مائة وتسعة عشر ألف من المائة وأربع وعشرين ألف الأصليين[٤٣٤]) النزول إلى الأرض لكي يوضعون إلى حين الخلاص في تناسخ الأرواح، وتحديداً في ذلك النوع من تناسخ النفوس مثلما هو متبع في طرق العديد من الفرق الغنوصية[٤٣٥].

والقفل على نفوس النور في قوالب (بالفارسية: قالب ها) مفاده عملية تظليم متتالٍ وتكثيف؛ ومن ثم حولوا إلى أشباح «نورية». وجعلوا أولاً من خلال التضليل بالظل الشيطاني هم أنفسهم مظلمين في أظلة وكثفوا أخيراً في أبدان. تكمن خطيئتهم في العصيان والشهوة الجنسية؛ لقد سقطوا إزاء التضليل من خلال الأجساد الأنثوية. إن هذا واحد من المعالم الغنوصية المألوفة تبالغ بعض الطرق الغنوصية مثل المانوية في جعله عداءً للجسد. لقد حافظ النصيريون/العلويون إلى اليوم على خوف نساءٍ (= جينوفوبيا Gynophobie) روادهم العِراقيين (أنظر ص ٢١٣). ويبدو أن «الأشباح» و«الأظلة» في أسطورة رؤيا جابر تقفت في موضعها الأصلي المحكوم بهذا النظام. بعض التقاليد المذكورة أعلاه في ص ٧٨ ليست سوى انعكاسات التعاليم الغنوصية (كذلك غدت وظائفها الأصل في كتاب الأظلة -أنظر ص ١٧٥ وما يليها - غامضة بعض الشيء).

ولا يذكر كيف سيتم صعود أومضة النور المخلصة الذي يبشر به في نهاية أم الكتاب، إلا أننا نستطيع افتراض أن عملية التحول كلها [الصيرورة Devolution] سترجع خطوة بخطوة. إذ يمكن أن يكون خبر الناشئ-«المزيف» عن تعاليم الحربيين عن الخلاص (أنظر

ص ٥١ وما يليها أعلاه) يبين كيف على المرء تصور الرجعة .

وفي المقابل يثبت الملحق وإضافات الطبقة « ب » كشروح متأخرة تضع كل عملية الصعود في داخل العالم الأصغر البشري : إذ أن النور الإلهي قد أظلم من خلال تعاليم المقصرة مثلما يظلم من خلال غيمة . وتحدث الإنارة من خلال التعاليم التي يمنحها العالم أو الغنوصي إلى المتعلم . وتصعد بهذا الأرواح التي تُكوِّن جسد الله (الأعداد ٨٣-٩٠ من الإضافة في أك) واحدة تلو الأخرى إلى أعلى وتقتعد واحدة تلو الأخرى في صدر المتعلم وتكوِّن بهذا نوعاً من سلم يمكن أن تصعد عليه « الروح المعترضة » أو « روح القلوب » حتى اللّسان . وثم ينطق اللّسان بالشهادة التي أبى إلى ذلك الحين عن نطقها ، فيغدو المتعلم كاملا (تمام) .

الفصل الخامس
الخطابيون

(١) أبو الخطاب

إن الزنديق الذي يشتد الطعن به في الكتب الإمامية إلى جانب ابن سبأ هو الكوفي أبو الخطاب. وهو واحد من الغلاة القليلين الذين حاولوا خلق التغيير الذي كانوا يرجونه، في الأوضاع السياسية بقوة السلاح. اسمه الكامل أبوالخطاب[٤٣٦] محمد بن أبي زينب مقلاص الأسدي، الملقب بـ« الأجدع ». وكان مولى لبني أسد. خوطب في أحد الأحاديث المنسوبة للإمام جعفر الصادق كـ« عبد بني أسد ». لا يسهل تحديد حرفته بوضوح إذ أن المخطوطات تسمح بثلاث قراءات: برّاد « صانع أوانٍ لتبريد الماء »[٤٣٧]، وبزّاز « تاجر البز [الأقمشة] » أو زرّاد « صانع الزرَد [الدرع المزرودة] »[٤٣٨]. لقد كان معاصراً للإمام السادس جعفر الصادق المتوفى عام ١٤٨هـ/٧٦٥م الذي كان يقدسه معتبره تجسد الله. ولا نعرف كيف كان موقف جعفر من ذلك. من الممكن جداً أن يكون كبير الاتجاه الحسيني القاطن في المدينة (المولود عام ٨٠هـ/٦٩٩م أو ٨٣هـ/٧٠٢م) قد اعتبره على الأقل مؤقتاً من بين أتباعه الكوفيين. ولا ندري إذا ما كان قد تنصل لتعاليمه الزنديقية أو أنه قد أعلن في زمن لاحق عدم علاقته بالثائر الذي لاقى الفشل. يعتبر أبو الخطاب مع ابن سبأ بالنسبة للتراث الإمامي رأساً للزنادقة على الإطلاق. جُمع في رجال الكشي حوالي خمسين حكما عليه باللعن يُزعم أنها صدرت عن جعفر الصادق[٤٣٩].

ومع أن تأريخ عصيان أبي الخطاب لا يحدد بدقة إلا أنه يقدر على نحو ما. فقد قام، طبقاً للشهادة المجمع عليها في المصادر، في عهد الوالي الكوفي عيسى بن موسى. كان هذا الأمير العباسي، وهو ابن أخ أول خليفتين عباسيين السفاح والمنصور، في سنة ١٣٢هـ/ ٧٤٩-٧٥٠م، أي في السنة الأولى للأسرة العباسية، واليا على الكوفة وقد تولى الولاية عليها مدة ثلاثة عشر عاما إلى أن خلعه المنصور في عام ١٤٧هـ/٧٦٤م[٤٤٠]. لقد توقفت،

حسب حديث إمامي نقل لدى الكشي، زيارات الخطابيين للإمام جعفر الصادق في المدينة في عام ١٣٨هـ/ ٧٥٥م (أنظر ص ١٤١). إلا أنه لا يمكننا القول اليقين بأن هذا كان نتيجة للعصيان الفاشل. لقد قام العصيان طبقاً للنوبختي إبان فترة حكم المنصور (منذ ١٣٦هـ/ ٧٥٤م).

النوبختي، ص٥٨-٦٠ [ط النجف ص٦٣-٦٥] (= القمي، ص ٨١-٨٣) بتصرف(*):

« ... الخطابية أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع (...) وهؤلاء هم *الذين خرجوا في عهد الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر*؛

وقاتلوا عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله بن العباس فبلغه خبرهم وكان عاملا لأبي جعفر المنصور على الكوفة، وأنهم قد أظهروا الإباحات ودعوا الناس إلى نبوة أبي الخطاب، وأنهم مجتمعون في مسجد الكوفة... فبعث إليهم رجلاً من أصحابه في خيل ورَجّالة ليأخذهم ويأتيه بهم فامتنعوا عليه وحاربوه. وكانوا سبعين رجلاً. فقتلهم جميعاً ولم يفلت منهم أحد إلاّ رجل واحد أصابته جراحات فسقط بين القتلى فعد فيهم. فلما جنَّ الليل خرج من بينهم فتخلص، وهو أبو مسلمة سالم بن مكرم الجمال الملقب بأبي خديجة[٤٤١]، وذكر بعد ذلك أنه قد تاب وقد مات ورجع، وكان ممن يروي الحديث، وكانت بينهم حرب شديدة بالقصب والحجارة والسكاكين كانت مع بعضهم وجعلوا القصب مكان الرماح وقد كان أبو الخطاب قال لهم قاتلوهم فإن قصبكم يعمل فيهم عمل الرماح وسائر السلاح ورماحهم وسيوفهم وسلاحهم لا يضرّكم ولا يعمل فيكم ولا يحتك في أبدانكم. فجعل يقدمهم عشرة عشرة للمحاربة. فلما قتل منهم نحو ثلاثين رجلا صاحوا إليه: يا سيدنا ما ترى ما يحل بنا من هؤلاء القوم؟ ولا ترى قصبنا يعمل فيهم ولا يؤثر، وقد يكسر كله؟ وقد عمل فينا وقتل من ترى منا؟ فذكر رواة العامة إنه قال لهم: يا قوم إن كان بدا الله فيكم فما ذنبي.

وقال رواة الشيعة إنه قال لهم: يا قوم قد بليتم وامتحنتم وأذن في قتلكم وشهادتكم، فقاتلوا على دينكم واحسابكم ولا تعطوا بأيديكم[٤٤٢] فتذلوا، مع أنكم لا تتخلصون من القتل فتموتوا كراماً أعزاء واصبروا.

... فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم. فأسر أبا الخطاب فأتى به عيسى بن موسى فأمر بقتله فضربت عنقه في دار الرزق على شاطيء الفرات[٤٤٣] وأمر بصلبه وصلب أصحابه فصلبوا ثم أمر بعد مدة باحراقهم فأحرقوا. وبعث برؤوسهم إلى المنصور فأمر بها فصلبت على باب

مدينة بغداد ثلاثة أيام ثم أحرقت.

فلما فعل ذلك بهم قال بعض أصحابه إن أبا الخطاب لم يقتل ولا أسر ولا قتل أحد من أصحابه وإنما لبس على القوم وشبه عليهم لأنه وأصحابه إنما حاربوا بأمر أبي عبد الله جعفر <الصادق> بن محمد، وإنهم خرجوا متفرقين من أبواب المسجد ولم يرهم أحد ولم يجرح منهم أحد، وأقبل القوم على قتلهم بعضهم بعضاً على أنهم يقتلون أصحاب أبي الخطاب وهم يقتلون أنفسهم حتى جنّ عليهم الليل فلما أصبحوا نظروا في القتلى فوجدوهم كلهم منهم ولم يجدوا من أصحاب أبي الخطاب فيهم قتيلا ولا جريحاً ولا وجدوا منهم أحداً.

وهذه الفرقة هي التي قالت إن أبا الخطاب كان نبياً مرسلا أرسله جعفر بن محمد ثم أنه صيره بعد [ما] حدث هذا الأمر من الملائكة - لعن الله كل من يقول بذلك».

الكشي، ص ٢٩٦، فقرة ٥٢٤ [ط كربلاء، ص٢٥١ وما يليها]:

حمدويه قال: حدثنا أيوب بن نوح عن حنان بن سُدَير عن أبي عبد الله (ع) قال: «كنت جالسا عند أبي عبد الله <جعفر الصادق> (ع) وميسر عنده ونحن في سنة ثمان وثلاثين ومائة، فقال ميسر بياع الزطي [قماش. م. المترجم] جعلت فداك عجبت لقوم كانوا يأتون معنا إلى هذا الموضع فانقطعت آثارهم وفنيت آجالهم. قال <الإمام>: ومن هم؟ قلت: أبو الخطاب وأصحابه، وكان متكئاً فجلس فرفع اصبعه [صوب] السماء ثم قال: على أبي الخطاب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فاشهد بالله أنه كافر فاسق مشرك وأنه يحشر مع فرعون في أشد العذاب غدواً وعشيا. ثم قال: أما والله إني لانفس[٤٤٤] على أجساد أصيبت معه بالنار».

القمي، ص ٥٠-٥٢:

«وأما أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأجدع الأسدي ومن قال بقولهم، فإنهم زعموا أنه لا بد من رسولين في كل عصر ولا تخلو الأرض منهما: واحد ناطق وآخر صامت، فكان محمد صلى الله عليه وسلم ناطقاً وعلي صامتاً، وتأولوا في ذلك قول الله: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ﴾ (القرآن، المؤمنون: ٤٤)، ثم ارتفعوا عن هذه المقالة إلى أن قال بعضهم هما آلهة، وتشاهدوا بالزور، ثم أنهم افترقوا لما بلغهم أن <الإمام> جعفر بن محمد (ع) لعنهم ولعن أبا الخطاب وبرئ منه ومنهم، فصاروا أربع فرق. وكان أبو الخطاب يدعي

أن جعفر بن محمد قد جعله قيّمه ووصيّه من بعده وأنه علمه اسم الله الأعظم، ثم تراقى إلى أن ادعى النبوة، ثم ادعى الرسالة، ثم ادعى أنه من الملائكة وأنه رسول الله إلى أهل الأرض والحجة عليهم. وذلك بعد دعواه أنه جعفر بن محمد وأنه يتصوّر في أي صورة شاء. وذكر بعض الخطابية أن رجلا سأل جعفر بن محمد عن مسألة وهو بالمدينة فأجابه فيها ثم انصرف إلى الكوفة [و] سأل أبا الخطاب عنها فقال له أولم تسألني عن هذه المسألة بالمدينة فأجبتك فيها؟

ففرقة منهم قالت: إن جعفر بن محمد هو الله وإن أبا الخطاب نبي مرسل أرسله جعفر وأمر بطاعته، وأباحوا المحارم كلها من الزنا واللّواط والسرقة وشرب الخمور وتركوا الصلاة والزكاة والصوم والحج، وأباحوا الشهادات بعضهم لبعض. وقالوا من سأله أخوه في دينه أن يشهد له على ما خالفه فليصدقه وليشهد له بكل ما سأله، وإن ذلك فرض واجب عليه. فإن لم يفعل فقد ترك أعظم فريضة من فرائض الله بعد المعرفة، ومن ترك فريضة فقد كفر وأشرك.

وجعلوا الفرائض التي فرض الله تعالى رجالاً سموهم وأنهم أمروا بمعرفتهم وولايتهم. وجعلوا المعاصي رجالا أمروا بالبراءة منهم ولعنهم واجتنابهم وتأولوا على ما استحلوا من ذلك قول الله جل وعز: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ﴾ (القرآن، الناس: ٢٨). وقالوا خفف عنا بأبي الخطاب ووضعت عنا به الأغلال والآصار، يعني الصلاة والزكاة والحج والصيام وجميع الأعمال؛ فمن عرف الرسول النبي الإمام فذلك عنه موضوع، فليصنع ما أحب».

القمي، ص٥٤ ما يليها:

«وتأول الخطابية قول الله: ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أن أُعِيبَهَا ﴾ (القرآن، الكهف: ٧٩) - لكي لا تعطب أهلها -، أن السفينة أبو الخطاب وأن المساكين أصحابه وأن الملك الذي وراءهم عيسى بن موسى العباسي، وهو الذي قتل أبا الخطاب، وأن <الإمام> أبا عبد الله <جعفر> أراد أن يعنينا بلعنه إيانا في الظاهر وفي الباطن عنى أضدادنا ومن خالفنا».

**

لقد تم هنا التنويه بقلب تفسير أسطورة حكمة الله المحتملة التي تجعل الصيادين يبوءون

بالفشل كي ينجوا من الشر الأكبر، من قبضة الملك القرصان، إلى أبي الخطاب: فافترض على الـ« سفينة »، أبي الخطاب، تكبد الخسائر كي ينجو طاقمه – أي الخطابيون – من الطاغية؛ هكذا شاءت المشيئة المقدرة من قبل الإمام جعفر- أي مشيئة الله –. ويتم حتى اليوم تناقل النص عينه من قبل النصيريين/العلويين[٤٤٥].

بقيت تعاليم أبي الخطاب – بقدر ما أطلعنا على ذلك – مستمرة ضمن الإطار التقليدي للغلو الكوفي. لقد واجهنا التمييز ما بين إمام « ناطق » وآخر « صامت » لدى أبي منصور العجلي (أنظر ص ٦٤). وسيظهر لاحقاً لدى الإسماعيليين. وعدا ذلك تحفظ المصادر الإمامية ذكرى تجديد شعائري خطابي، أي تأخير صلاة المغرب إلى وقت الظلام – على فكرة، برهان على أنه لا ينبغي لنا أن نعتبر، بصورة عامة، المآخذ التقليدية بالتخلي عن كل الفرائض الشعائرية حقيقة حقة، إذ أن التغيير لا يعني الإلغاء.

الكشي، ص ٢٩٣ وما يليها، فقرة ٥١٨ [ط كربلاء، ص ٢٤٩]:

« محمد بن مسعود قال: حدثني علي بن الحسن عن معمر بن خلاد قال: قال أبو الحسن (ع) ‹الإمام السابع موسى الكاظم› إن أبا الخطاب أفسد أهل الكوفة فصاروا لا يصلون المغرب حتى يغيب الشفق، ولم يكن ذلك وإنما ذاك للمسافر وصاحب العلة ».

الكشي، ص ٢٩٠، فقرة ٥١٠ [ط كربلاء، ص ٢٤٦ وما يليها]:

« حمدويه وابراهيم ابنا نصير قالا: حدثنا الحسن بن موسى عن ابراهيم ابن عبد الحميد عن عيسى بن أبي منصور... وبهذا الإسناد عن ابراهيم عن أبي أسامة قال: قال رجل لأبي عبد الله (ع) ‹جعفر›: أُؤخر حتى تستبين النجوم. فقال: خطابية، إن جبريل أنزلها على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سقط القرص ».

**

من الممكن الاستدلال من تعاليم الفرق التي تلت الخطابية، على ما يجوز أنه قد كان وراء هذا التجديد المثير للانتباه: كان أتباع الخطابي بزيغ (أنظر الصفحة التالية) يعتقدون أنهم يستطيعون رؤية موتاهم « في الصباح والمساء » بعيونهم. ولا زال العلويون يعتقدون حتى يومنا هذا بعين الشيء لأنهم يستطيعون رؤية الأرواح النورانية المحررة من الجسد عند صعودها في قبة السماء الدنيا كنجوم. فمن الممكن أن يكون تأخير صلاة المغرب حتى

تلاشي الشفق الأحمر، «حتى تستبين النجوم»، قد كان كذلك لدى الخطابيين مشروطا بهذه التصورات الغنوصية[٤٤٦].

(٢) بزيغ بن موسىٰ

يذكر مؤرخو الملل والفرق فرقة الكوفي الحائك بزيغ بن موسى كأول نحلة تلت الخطابية. ولا تتوفر لدينا معلومات دقيقة حول هذا الرجل. من الممكن أنه مطابق لبزيغ الكوفي، مولى عمرو بن خالد الذي يذكره الطوسي في كتاب رجاله بين معاصري جعفر الصادق[٤٤٧]. يفترض أن بزيغ قد قتل طبقا لحديث إمامي في عهد جعفر (ت ١٤٨هـ/ ٧٦٥م).

النوبختي، ص ٣٨ [ط النجف، ص ٦٤]:

«وفرقة قالت بزيغ نبي رسول مثل أبي الخطاب، أرسله جعفر بن محمد. وشهد <بزيغ> لأبي الخطاب بالرسالة وبريء <أبو الخطاب> وأصحابه من (بزيغ)».

القمي، ص ٥٢، فقرة ١٠٣:

«وفرقة منهم قالت إن بزيغاً[٤٤٩]، وكان حائكاً من حاكة الكوفة، هو نبي رسول مثل أبي الخطاب وشريكه أرسله جعفر بن محمد وجعله شريك أبي الخطاب في النبوة والرسالة كما أشرك الله بين موسى وهارون (ع). فلما بلغ ذلك <الإمام> برئ من بزيغ وأصحابه وبرئ منهم جماعة أصحاب أبي الخطاب».

القمي، ص ٥٤، فقرة ١٠٧:

«**والبزيغية** كلها يزعم أن كل ما يقذف في قلوبهم فهو وحي، وأنه يوحى إليهم وتأولوا في ذلك قول الله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أن تُؤمِنَ إلاّ بِإِذْنِ الله﴾ (القرآن، يونس: ١٠٠)؛ فأذن الله وحيه».

الأشعري، ص ١٢:

«والفرقة الثالثة من الخطابية وهي الثامنة من الغالية يقال لهم البزيغية، أصحاب بزيغ بن

موسى. يزعمون أن جعفر بن محمد هو الله وأنه ليس بالذي يرون وأنه تشبّه للناس بهذه الصورة. وزعموا أن كل ما يحدث في قلوبهم وحيٌ وأن كل مؤمن يُوحى إليه وتأولوا في ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أن تَمُوتَ إلاّ بِإِذْنِ اللهِ﴾ (آل عمران: ١٤٥). أي بوحيٍ من الله، وقوله: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلى النَحْلِ﴾ (النحل: ٦٨). و: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلى الحَوَارِيِّين﴾ (المائدة: ١١١). وزعموا أن منهم من هو خير من جبريل وميكائيل ومحمد. وزعموا أنه لا يموت منهم أحدٌ وأن أحدهم إذا بلغت عبادته رُفِعَ إلى الملكوت، وادعوا معاينة أمواتهم وزعموا أنهم يرونهم بكرةً وعشيةً».

**

يُسند التعليم القائل بالوحي العام للمؤمنين فيما يسند بالآية القرآنية للنحل الموحى إليه. بقيت هذه النزعة الخاصة في تراث النصيريين/العلويين حتى الآن مجودة إلى يومنا هذا. إذ أنه حتى اللقب التقليدي لعلي «أمير المؤمنين» حُوّل لديهم إلى «أمير النحل» (أنظر في ص ٢٣٨). وكذلك يتجانس الاعتقاد بأن المرء يستطيع رؤية الأموات بالعيون صباحاً ومساءً - أي كنجوم، أرواح نورانية مخلصة تمكث أثناء صعودها إلى ملكوت الله فترة من الزمن في السماء السفلى، الدنيا(٤٥٠).

(٣) السَري الأقصم

النوبختي، ص ٣٩ [ط النجف، ص ٦٤ و٦٥] (= القمي، ص ٥٢):

«وفرقة قالت السَري رسول، مثل أبي الخطاب أرسله جعفر وقال إنه قوي أمين وهو موسى القوي الأمين وفيه تلك الروح وجعفر هو الإسلام والإسلام هو السلام وهو الله عز وجل ونحن بنو الإسلام كما قالت اليهود: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ (المائدة: ١٨). وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سلمان ابن الإسلام» فدعوا إلى نبوة السري ورسالته وصلوا وصاموا وحجوا لجعفر بن محمد ولبوا له فقالوا لبيك يا جعفر لبيك»(٤٥١).

القمي، ص ٥٢:

«وأمر السري وأصحابه أن يتبرأوا من نوح وابراهيم وموسى وعيسى ويكونون(٤٥٢) بهم (عليهم السلام) وأن يظهروا بينهم الجفوة».

**

لعدم ذكر السَري – الملقب لدى القمي بـ« الأقصم » – من قبل المؤلفين السنة، فقد خمن إڤانوف أن أبا الخطاب نفسه قد توارى باسم « السِّري » (كذا)[٤٥٣]. إلا أن هذا مجرد تكهن. وعهد الكشي بالسَري كشخص فريد كذلك[٤٥٤]. يُذكَرُ السري مع أبي الخطاب في خبر القمي عن المخمسة (أنظر في ص ١٥٤) كواحد من إعادات تجسيم الباب سلمان. ولا تخبر المصادر عن الدور الذي ربما يكون قد لعبه سلمان في تعاليمه الخاصة به. ويبقى كذلك معنى الإعراض عن الأنبياء الأوائل مبهماً؛ ربما يقومون، باعتبارهم ناقلي الشريعة المكروهة، بدور مشابه – كما في طرق غنوصية عَيِّنة – لدور ناقلي الشريعة المرسلين من قبل الأرخيين والذين عليهم استعباد البشر. إلاّ أن معنى النص غير مؤكد.

(٤) مَعمَر

النوبختي، ص ٣٩–٤١ [ط النجف، ص٦٥–٦٦] (= القمي، ص ٥٣ وما يليها):

« وفرقة قالت « جعفر بن محمد » هو الله عز وجل – وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – وإنما هو نور يدخل في أبدان الأوصياء فيحل فيها فكان ذلك النور في جعفر ثم خرج منه فدخل في أبي الخطاب فصار جعفر من الملائكة، ثم خرج من أبي الخطاب فدخل في معمر وصار أبو الخطاب من الملائكة فمعمر هو الله عز وجل. فخرج ابن اللبان يدعو إلى معمر وقال إنه الله عز وجل وصلى له وصام وأحل الشهوات كلها ما حل منها وما حرم وليس عنده شيء محرم. وقال: لم يخلق الله هذا إلاّ لخلقه فكيف يكون محرماً وأحل الزنا والسرقة وشرب الخمر والميتة والدم ولحم الخنزير ونكاح الأمهات والبنات والأخوات ونكاح الرجال، ووضع عن أصحابه غسل الجنابة وقال كيف أغتسل من نطفة خلقت منها. وزعم أن كل شيء أحله الله في القرآن وحرمه فإنما هو أسماء رجال.

فخاصمه قوم من الشيعة وقالوا لهم ‹أي للمعمريين› إن اللذين زعمتم أنهما صارا من الملائكة قد برئا من معمر وبزيع وشهدا عليهما إنهما كافران شيطانان وقد لعناهما. فقالوا إن اللذين ترونهما جعفراً وأبا الخطاب شيطانان تمثلا في صورة جعفر وأبي الخطاب يصدان الناس عن الحق، وجعفر وأبو الخطاب ملكان عظيمان عند الإله الأعظم، إله السماء ومعمر إله الأرض وهو مطيع لإله السماء يعرف فُضائله وقدره. فقالوا لهم كيف يكون هذا ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يزل مقراً بأنه عبد الله وأن إله الخلق أجمعين إله واحد وهو الله وهو رب السماء والأرض وإلههما لا إله غيره. فقالوا إن محمداً صلى الله عليه وسلم

كان يوم قال هذا عبداً رسولاً أرسله أبو طالب ‹أب علي وعم محمد›، وكان النور الذي هو الله في عبد المطلب ‹جد محمد وعلي›، ثم صار في أبي طالب، ثم صار في محمد، ثم صار في علي بن أبي طالب عليه السلام؛ فهم آلهة كلهم. قالوا ‹الخصوم› لهم: كيف هذا وقد دعا محمد صلى الله عليه وسلم أبا طالب إلى الإسلام والإيمان فامتنع أبو طالب عن ذلك وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: إني مستوهبه من ربي وإنه واهبه لي. قالوا ‹المعمريون› إن محمداً وأبا طالب كانا يسخران بالناس قال الله عز وجل: ﴿إن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ (هود: ٣٨) وقال تعالى: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ (التوبة: ٧٩)؛ وأبو طالب هو الله عز وجل – وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً – فلما مضى أبو طالب خرجت الروح وسكنت في محمد صلى الله عليه وآله وكان هو الله عز وجل في الحق وكان علي بن أبي طالب هو الرسول فلما مضى محمد صلى الله عليه وسلم خرجت منه الروح وصارت في علي فلم تزل تتناسخ في واحد بعد واحد حتى صارت في معمر».

القمي، ص ٥٤، فقرة ١٠٦:

«والمعمرية يزعمون أن قوالب هذه الروح وبيوتها لا تموت ولا تفنى ولا تخرب ولا تتلاشى، ولكنها تتحول ملائكة وأنهم يرفعون إلى السماء، ولا يموتون، يرفعون بأبدانهم وأرواحهم وإنما يوقعون الأسماء على الأبدان والقوالب ولا يسمون الروح إلاّ باسمين: الله والخالق، وما سواها فهي أسماء الأبدان والبيوت التي تسكنها هذه الروح».

**

من الصعب تصنيف مَعمَر – بفتح الميم أو بضمها، لدى القمي: معمر بن الحمَر بياع الطعام – تصنيفاً دقيقاً ضمن تعاقب زمني، إلا أن ادعاءه بانتقال النور الإلهي أو الروح من أبي الخطاب إليه هو بمثابة إشارة إلى إمكانية تحديده كذلك في وسط القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي. فهو ذاته، مثل أتباعه، إله الأرض المقر كذلك بفضيلة إله السماء. ولا يمكن بكل تأكيد القطع فيما إذا كان الاسمان اللذان أقرهما للروح وحدها – «الله» و«الخالق» – قد توزعا على شكل ظهور الله، أي أنهما منحا «إله الأرض» نوعية خلاقة.

والمهم هو كلام القمي حول التصورات المعمرية عن صعود الأرواح. ففي حين يغلب القول لدى الطوائف الغنوصية–الشيعية الأخرى في أن «القوالب» الجسدية الحاضنة للروح

تتحلل بالموت، يؤكد القمي على أن المعمريين يؤمّنون كذلك برحلة هذه القوالب والبيوت إلى السماء. يكاد هذا أن يكون قد أُسيءَ فهمه، إلا أن المؤلفين السنة يؤكدون على هذه النزعة المثيرة للانتباه. إذ أن الأشعري يذكر: «وقالوا... إنهم لا يموتون ولكن يُرفعون بأبدانهم إلى الملكوت وتوضع للناس أجسادٌ شبه أجسادهم ‹الدنيوية؟›»[٤٥٥]. يذكر هذا باعتقادات الكثير من الفرق الغنوصية – مثلا المندائيين كذلك –، القائلة بالرغم من أن الأرواح النورانية تغادر حال موت الإنسان الجسد المادي إلا أنها تلبس من أجل صعودها عبر السموات جسداً روحياً «pneumatisch» جديداً[٤٥٦]. وليس من المؤكد إذا ما كان ثمة نزعة غنوصية قديمة كامنة خلف تقدير معمر لمني الرجل[٤٥٧].

وتؤكد التفاصيل التي تروي أن معمر نقل كذلك جملة جوهر النور الإلهي إلى أجداد محمد وعلي غير المباشرين، من قبل أطراف أخرى أيضا؛ إذ يخبر الإسماعيلي أبو حاتم الرازي في مؤلفه «كتاب الزينة» أن معمر قد أوسع خاموس الأسرة المقدسة، «أهل الكساء» في عبد الله والد محمد، وأبي طالب والد علي[٤٥٨].

تتواجد هذه النزعة الغريبة عينها القائلة بتوسيع الخاموس الإلهي إلى أبي طالب وعبد الله، في ثلاثة مواقع من أم الكتاب. وعلى كل حال تتوازى هذه العشرات من المواقع التي يبقى الخاموس فيها كما هو. ويقابل الأنوار الخمسة القديمة (پنج نورى قديم) التي تظهر هناك الواحدة تلو الأخرى في معجزة التجلي (أنظر ص ٩٥) والتي تُكون الجوارح الخمس للصورة النورانية وتجدد ظهورها كخاموس في كل واحدة من الديوانات [القبب] السبعة، فقط في موقعين: «جوارح الملك تعالى السبع»، علي العالي، وفاطمة الفاطر، والحسن الأحسن، والحسين الرفيع، وعبد الله العالي، وأبوطالب الأطلاب، أو «الخواص السبع الخاصة لمحمد وأبي طالب»[٤٥٩]. ويتواجد مد الخاموس إلى سابوع في موقع واحد آخر لا غير (في أم الكتاب عدد ٩٦): «إن محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين هم جوارح هذا الديوان يتممهم *أبو طالب وعبد الله العلي*. الأنوار الخمسة لهؤلاء الملائكة الخمسة...» إلخ. ويبين السياق والصيغة أننا نتناول هنا بلا أدنى شك زيادة ثانوية أدخلت على النص، ذات آثار صياغة معمرية لرؤيا جابر على الأرجح.

من الممكن كذلك أن تنسب النزعات الخطابية القليلة في أم الكتاب التي أثبتت من قبل إڤانوف، إلى هذه الصياغة الخطابية–المعمرية. إذ يتعلق الأمر قبل كل شيء بالمواقع الستة حيث أضيف إلى تمجيد أهل البيت وسلمان ذكر «أبي الخطاب»[٤٦٠]، مثلا أك عدد ٢٤٨:

«فقال جابر: أشهده. سبوحٌ قدوسٌ محمد وعلي حقاً حقاً. محمد المصطفى وواليه السلسل وأبا الخطاب». وعدا ذلك يفسر الموت الشنيع الذي لاقاه أبو الخطاب – كما في بيان ذكر الخطابية لدى القمي (أنظر في ص ١٤٢) – على أنه إجراء اتخذ من قبل العناية الإلهية لحماية الدين الحق: «أبو الخطاب فقطُ بشر علناً بهذا النور وهذا البيان: «يا أيها العرب والعجم، كونوا شهدائي أنه لا إله في الثمانية عشر ألف عالم إلاَّ علي بن أبي طالب»، حتى أمر مولانا، جدي، بقتل أبي الخطاب وحرقه. يا مستنيرين، لو لم يقتل جدنا أبا الخطاب ولم يحرقه فكان سيقول ما يجب أن يقال بعد تسعمائة وأربعين سنة» (أك عدد٤٨، أنظر في ص ٩٧). لقد زعم أن الإمام الباقر تفوه بهذا التفسير. والإدراج في زمن آخر هو دليل ثانٍ على أننا نتعامل هنا مع إضافات «خطابية» حديثة السن.

(٥) عُمَير بن بيان العجلي

الأشعري، ص ١٢ وما يليها:

«والفرقة الرابعة من الخطابية وهي التاسعة من الغالية يقال لهم «العميرية» أصحاب «عمير بن بيان العجلي» وهذه الفرقة تكذب من قال منهم إنهم لا يموتون ويزعمون أنهم لا يموتون ولا يزال خَلَفٌ منهم في الأرض أيمةً [= أئمة] أنبياء، وعبدوا جعفراً كما عبده اليعمريون وزعموا أنه ربُّهم وقد كانوا ضربوا خيمةً في كناسة الكوفة ثم اجتمعوا إلى عبادة جعفر، فأخذ يزيد بن عمر بن هبيرة «عمير بن البيان» فقتله في الكناسة وحبس بعضهم»[٤٦١].

**

لقد وقع هذا الحدث في عهد الأمويين. كان يزيد بن عمر آخر ولاة الأمويين على الكوفة. لقد أعدم في سنة ١٣٢هـ/٧٤٩ أو ٧٥٠م من قبل العباسيين المكللين بالنصر وأبدل بعيسى بن موسى الذي ذكرناه والذي قام ضده تمرد أبي الخطاب. يظهر أن تفنيد الداعين إلى تعاليم تقول بعدم الموت قد سوغت ضد الآراء المعمرية القائلة بقيام الأجساد (الروحية؟).

(٦) المفضل بن عمر الجعفي

يذكر المؤلفون السنة بين المجموعات الخطابية الفرعية فرقةً-مفضلية إلا أنهم لا يخبرون عنها شيئا دقيقاً.

الأشعري، ص١٣:

«والفرقة الخامسة من الخطابية وهي العاشرة من الغالية يقال لهم «المفضلية» لأن رئيسهم كان صيرفيّاً يقال له المفضل، يقولون بربوبية جعفر كما قال غيرهم من أصناف الخطابية، وانتحلوا النبوة والرسالة وإنما خالفوا في البراءة من أبي الخطاب لأن جعفراً أظهر البراءة منه.»[٤٦٢].

**

ومع أن المؤلفين الإماميين لا يذكرون فرقة مفضلية إلا أنهم يعتبرون المفضل زنديقاً مشهوراً. ويصنفونه بين معاصري الإمام جعفر الصادق (ت ١٤٨هـ/٧٦٥م) وموسى الكاظم (ت ١٨٣هـ/٧٩٩م)[٤٦٣]. ويبدو أنه توفي قبل الكاظم لأن الغلاة يتواترون أن الإمام موسى قد حفظ له ذكراً حسناً.

وما نعرفه عن ظروف حياة المفضل قليلا. كان الصيرفي مثله كمثل جابر بن يزيد سيّيء السمعة، دخيلاً على بني جعف كمولى لهم. ويظهر مراراً وتكراراً في إسنادات الرواة كراوٍ لأحاديث-باقر-جابر الهرطقية[٤٦٤]. لذلك لا يدع الإماميون له خصلة حسنة ويتواترون أن جعفر الصادق قد لعنه عدة مرات ككافر ومشرك[٤٦٥]. لكن حفظ الكشي مجموعة كاملة من أحاديث الغلاة الأصل التي ينصب فيهم المفضل كما يقال مرتبة أمين سر جعفر في الكوفة (كشي فقرة ٥٩٢ب) [= ط كربلاء ١٥٤] وينفي فيها من قبل الإمام افتراءات خصومه التي تفترى عليه (كشي الفقرات ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٩٢أ، ٥٩٨) [ط كربلاء١٥٤]. وتقول أحاديث أخرى إنه قد زار الإمام السابع موسى الكاظم الذي نقل من قبل الخليفة هارون إلى بغداد، في السجن وعنى باطعامه وسقايته (فقرة ٥٩٥ و٥٩٦) [ط كربلاء، ص ٢٧٨]. وإن موسى قد وصفه كأبيه الثاني وتأسف عليه (فقرة ٥٨٢، ٥٩٤ و٥٩٧) [ط كربلاء، فقرة١٥٤][٤٦٦].

بيد أن معنى المفضل يكمن بشكل أقل في أعماله التأريخية بصفته راوياً عن جابر في الكوفة، بل في إرقائه في فترة لاحقة إلى مُتلقٍ مزعوم لوحي جعفر الصادق السري: إذ يلعب لدى الغلاة الأوائل دوراً مشابهاً مثلما في الأحاديث القديمة لمعلمه جابر باعتباره موضع سر الباقر. ولم يندر أننا قد تعرفنا على وحي - باقر - جابر وقد أسندت ببساطة إلى الثنائي

صادق – مفضل. إذ يغير هكذا الحديث حول الأرواح الخمسة الذي ينقله المنخل عن جابر عن باقر (أنظر ص ٧٩) تغييراً طفيفاً ويجعل الآن موحى به إلى المفضل من جعفر الصادق[٤٦٧]. ويسأل المفضل في حديث آخر جعفراً: « كيف كنتم [أي الأئمة] حيث كنتم بالأظلة؟ »[٤٦٨]. وعلى كل حال يسند كذلك الآن التعليم عن الآدميين السبعة (أنظر ص ٧٩ و٨٠) إلى المفضل؛ ويطابق هذا التعليم بكل الجزئيات مذهب الحربيين (أنظر ص ٥٢).

الهفت والأظلة، تح تامر وخليفه، ص ١٢٥ (=تح غالب، ص ١٨٦ وما يليها):

« قال المفضل: قلت لمولاي الصادق: إني قد سمعت من الشيعة أشياء لا يقوى عليها قلبي. قال الصادق: أردت يا مفضل أن تقول أنهم يقولون كان في الأرض سبعة أوادم قبل أن يخلق الله آدم. قال المفضل: نعم يا مولاي، إن ذلك لمن قولهم يعني الشيعة. قال الصادق: صدقوا، لأنه كان في الأرض سبعة آدميين قبل أن يخلق الله آدم. وإن جبريل من القرن الأول وميكائيل من القرن الثاني وإن الدور خمسين ألف عاماً فإذا بدأ اللهُ يخلق آدميين، كان كيف يثبتهم في الجنة خمسين ألف عاماً. فإذا بدأ الله أن يخلق آدميين جعل أهل الجنة ‹السابقين› ملائكة، وجعل أهل النار في مكان آخر. ثم خلق الآدميين، وكنا ‹الأئمةً› أول المبعوثين إلى ذلك الخلق حججاً ».

**

إذاً يرتقي المفضل من مجرد راوٍ لأحاديث جابر بعينه إلى متلقي وحي سري ويأخذ دور جابر، بيد أنه لا يبعده كلياً من تراث الغلاة. وسيواجهنا من جديد قائماً في هذا الدور كالشخص الرئيس في كتاب الغلاة الثاني الذي سنعنى به، في « كتاب الأظلة ».

(٧) يونس بن ظبيان

يعتبر الإماميون الكوفي يونس بن ظبيان، وهو معاصر للإمام جعفر الصادق[٤٦٩]، زنديقاً مشهوراً من جماعة أبي الخطاب[٤٧٠]. ينقل الكشي قصة مفادها أن يونس بن ظبيان قال على قبر بنت أبي الخطاب: « السلام عليك يا بنت رسول الله »[٤٧١]. ويعلن التراث الإمامي أن ما يسمعه من عمل الشيطان ويراه هذا التراث محشوراً مع فرعون وأبي الخطاب يشوى بجهنم[٤٧٢]. وفي المقابل يقول الإمام جعفر في تراث الغلاة عن يونس: « رحمه الله وبنى له

بيتاً في الجنة، كان والله مأموناً في الحديث » [٤٧٣]. ويذكر في فهرست الطوسي (ص ٢١٢) كمؤلف لكتاب؛ اكتشف ماسنيون عنوانه: « حقائق أسرار الدين »[٤٧٤]. وكثيراً ما يظهر في أدب الغلاة المتأخر كالمتلقي للمعارف السرية من الإمام جعفر[٤٧٥].

الفصل السادس
المخمسة والمفوضة

(١) المخمسة

إذا ما بحث المرء لدى المؤرخين الإماميين للملل والفرق عن فرقة يمكن أن يلحق بها كتاب مثل أم الكتاب، فسيقع لدى القمي على الفرقة المسماة بالـ« مُخَمسة » التي لا تشترك تعاليمها مع تعاليم أم الكتاب من حيث عقيدتها الأساسية القائلة بعرض الإله الأعلى ذاته بأجزائه خاموساً فحسب، إنما كذلك تُظهر العديد من التطابقات في المصطلحات. بيد أن خبر القمي يشير إلى أن المخمسة لم تكن فرقة واحدة إنما قد تشتت شملها كما يبدو في العديد من المجموعات المتعادية. ومع أنه ليس من الممكن إلحاق أم الكتاب بواحدة من هذه المجموعات إلحاقاً جلياً، إلا أنه لا يمكن الشك في أن هذا الكتاب من ثمرات نفس التراث مثله كمثل تعاليم المخمسة.

القمي، ص ٥٦-٥٩، فقرة ١١١-١١٣ :

« والمخمسة هم أصحاب أبي الخطاب (أنظر في ص ١٣٩)، وإنما سموا المخمسة لأنهم زعموا أن الله جل وعز هو محمد وأنه ظهر في خمسة أشباح وخمس صور مختلفة. ظهر في صورة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين. وزعموا أن أربعة من هذه الخمسة تلتبس لا حقيقة لها والمعنى شخص محمد وصورته لأنه أول شخص ظهر وأول ناطق نطق، لم يزل بين خلقه موجوداً بذاته يتكون في أي صورة شاء. يظهر نفسه لخلقه في صور شتى من صورة الذكران والإناث والشيوخ والشبان والكهول والأطفال. يظهر مرة والداً ومرة ولداً وما هو بوالد ولا بمولود (قرآن ١١٢ :٣)، ويظهر في الزوج والزوجة. وإنما أظهر نفسه بالإنسانية والبشرانية لكي يكون لخلقه به أنس ولا يستوحشوا ربهم.

وزعموا أن محمداً كان آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى، لم يظل[٤٧٦] ظاهراً في

العرب والعجم. وكما أنه في العرب ظهر كذلك هو في العجم ظاهر في صورة غير صورته في العرب، في صورة الأكاسرة والملوك الذين ملكوا الدنيا وإنما معناهم محمد لا غيره - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وأنه كان يظهر نفسه لخلقه في كل الأدوار والدهور، وأنه تراءى لهم بالنورانية فدعاهم إلى الإقرار بوحدانيته، فأنكروه، فتراءى لهم من باب النبوة والرسالة فأنكروه، فتراءى لهم من باب الإمامة <أي بصورة الأئمة> فقبلوه. فظاهر الله عز وجل عندهم الإمامة، وباطنه الله الذي معناه محمد يدركه من كان من صفوته بالنورانية ومن لم يكن من صفوته بدرجة بالبشرانية اللحمية الدموية؛ وهو الإمام وإنما هو بغير جسم وبتبديل اسم فيصيروا كل الأنبياء والرسل والأكاسرة والملوك من لدن آدم إلى ظهور محمد ﷺ مقامهم مقام محمد. وهو الرب وكذلك الأئمة من بعده مقامهم مقام محمد صلى الله عليه، وكذلك فاطمة زعموا أنها هي محمد وهي الرب وجعلوا سورة التوحيد لها ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ (السورة ١١٢). إنها واحدية مهدية ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ الحسن ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ الحسين ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدُ﴾. كذلك نزلهم[٤٧٧] في خديجة أمّ سلمة من بين أزواجه، أنه كان يظهر في صورة الزوج والزوجة، كما ظهر في الوالد والولد. وأن كل من كان من الأوائل مثل أبي الخطاب وبيان وصائد والمغيرة وحمزة بن عمار و<بزيغ> والسري[٤٧٨] ومحمد بن بشير[٤٧٩] هم أنبياء أبواب بتغيير الجسم وتبديل الاسم. وأن المعنى واحد وهو سلمان وهو الباب الرسول يظهر مع محمد في كل حال من الأحوال، في العرب والعجم، فهذه الأبواب يظهر مع محمد أبداً في أي صورة ظهر ظهروا فأقاموا معه الأبواب والأيتام والنجباء والنقباء والمصطفين والمختصين والممتحنين والمؤمنين، فمعنى الباب هو سلمان وهو رسول محمد متصل به ومحمد الرب. ومعنى اليتيم المقداد سمي يتيماً لقربه من الباب وتفرده بالاتصال بهما. وهما يتيمان يتيم صغير ويتيم كبير؛ فالكبير المقداد، والصغير أبو ذر. وزعموا أن من عرف هؤلاء بهذه المعاني فهو مؤمن ممتحن، موضوع عنه جميع الشرائع والاستعباد، محلل مباح له جميع ما حرم الله في كتابه وعلى لسان نبيه. وأن هذه المحرمات رجال ونساء من أهل الجحود والإنكار الذي أقروا هم به[٤٨٠]. وأن جميع ما أمر الله به من صلوة وزكوة وحج وصوم وعبادة هي الآصار والأغلال. فهي على أهل الجحود دونهم عقوبة لهم. وأن المحرمات من الزنا والخمر والربا والسرقة واللواط وكل الكبائر، وكذلك الوضوء وغسل الجنابة والتيمم، فكل ذلك اجتناب رجال ونساء وتوليتهم، فإذا حرمت على نفسك توليتهم واجتنابهم فقد اجتنبت ما حرم الله عليك.

وأباحوا الفروج كلها وأبطلوا النكاح والطلاق، وزعموا أن النكاح باطنه مواصلة أخيك المؤمن، فإذا وصلته فقد نكحته. والصداق أن تطلع أخاك المؤمن على ما عندك من العلم [أي الغنوص] والمعرفة. والطلاق أن تعتزل أضدادك المقصرة[٤٨١] ولا تطلعهم على أمرك. وأن المرأة بمنزلة الريحانة النابتة تقطعها إذا اشتهيت فإذا شممتها حييت بها أخاك المؤمن.

وجعلوا امتحان الناس بينهم على آيات من كتاب الله تأولوها فيما يمتحن به بعضهم بعضاً ويمتحنون بها المسترشد الطالب لمذهبهم قول الله في الدَّين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ (البقرة: ٢٨٢). فإذا جاء مسترشد فلا تطلعه على أمرك حتى تأنس منه رشداً. وتأولوا في ذلك قول الله: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ (النساء: ٥). إلى قوله: ﴿فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ (النساء: ٦)، فانبذ إليه الشيء فهو الكاتب بالعدل. فإذا عرفت منه صحة الطلب وآنست منه الرشد فخذ رهانه كما قال الله: ﴿فَرِهَانٌ[٤٨٢] مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٣) ولا يبخس منه شيئاً. والرهان أن يشرب الخمر على الاستحلال لها فإذا شرب فاعرض عليه معرفة باطن الصلوة فإذا عرف باطن الصلوة وهو معرفة الولي [كذا ربما الصحيح الوصي؟] وأقر إقراراً به فاعرض عليه المؤاساة فإن هو جعلك شريكه في جميع ما يملكه وأنه ليس بشيء من ملكه أولى عنك فاخرج إليه الوعاء[٤٨٣] وليخرج إليك وعاءه فليطأ ما عندك ولتطأ ما عنده فإن لم يكن له أهل أو بنت أو أخت أو قرابة ذات رحم فذلك هو الرهان المقبوضة، فاتق الله ربك حينئذ ولا تبخسه ديناً ولا دنيا فهو أخوك وشريكك.

وقالوا هؤلاء بالتناسخ على خلاف غيرهم من الغلاة وذلك أنهم زعموا أن أرواح من جحد أمرهم يجري في كل الأنشاء [كذا والمقصود: في كل المخلوقات. م. المترجم] في الإنسانية وغير الإنسانية، وإنما يجري في كل ذي روح وفي جميع ذي المأكولات والمشروبات والملبوسات والمنكوحات[٤٨٤]، وفي كل رطب ويابس. حتى لا يبقى في السموات والأرضين دواب ولا ساكن ولا متحرك إلا جرت فيه الأرواح. حتى النجوم والكواكب فإذا جرى في ذلك كله صار جماداً صخرة أو مدرة أو حديداً. وتأولوا في ذلك قول الله: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الله الذي خلقكم﴾ [في القرآن: الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ] (الإسراء: ٥٠ وما يليها). فذلك عندهم جهنم يعذب بذلك أبد الآبدين.

وزعموا أن المؤمن العارف (=الغنوصي /العرفاني) منهم لا ينتقل روحه في شيء من الأشياء، وأن روح المؤمن منهم ألبس سبعة أبدان بمنزلة سبعة أقمصة يكون للإنسان. فمتى تعدى من قميص فيقمص آخر. وزعموا أن الإيمان سبع درجات فالدرجة السابعة الإرتقاء إلى معرفة الغاية فيكشف الغطاء حتى تراه بالنورانية. وأن المؤمن يلبس في كل دور قميصاً، وهو قالب غير القالب الأول، والدور عشرة آلاف سنة وهي سبعة أدوار، والسبعة إذا دار هو كور، والكور سبعون ألف سنة، ففي سبعين ألف سنة يصير عارفاً (=غانصاً) فيكشف له الغطاء ويرفع عنه التلبيس فيدرك الله الذي هو محمد بذاته بالنورانية لا بالبشرية اللحمانية - تعالى الله عما يقولون لعنهم الله».

**

إن الخاموس الذي استمدت المخمسة كنيتها الساخرة منه هو عين الذي في أم الكتاب. بيد أن القمي يبرز نزعة لا تتواجد هناك. تحديداً أن محمداً يحظى في الخاموس بمكانة خاصة: فهو المعنى الحقيقي؛ أما شخوص التخميس الآخرون فيوصفون بأنهم أشباح.
والألوهية العلية هي صورة نورانية مستترة. وتتم تسميتها مرة بـ«**الغاية**» - مصطلح واجهنا في أم الكتاب خطوة تلو الأخرى. يمر القمي بالخطيئة الأولى مروراً عابراً: إذ يظهر إله النور لمخلوقاته مراراً وتكراراً؛ في البداية بـ«نورانيته» ويطلب منهم الإقرار بوحدانيته إلا أنهم ينكرونه (أنظر في ص ١٥٤). يمكن للمرء افتراض أن هذا الإنكار المتكرر أدى إلى الهبوط خلال السموات السبع وإلى خلق الأرض، حتى وإن كان خبر القمي لا يتطرق إلى ذلك.

وتجسد [حل] إله النور على الأرض في الملوك والأنبياء، وأخيراً في الأئمة. وفي حين أن كل إمام هو مجرد اسم للمعنى الحقيقي الكامن فيه، أي لله، فإن بابه المرافق له في كل مرة بأسماء متغيرة هو إعادة لتجسيد سلمان (إلا أننا لا نسمع هنا عن دوره كأول مؤمن وكخالق «Demiurg»). ويذكر الغلاة الكوفيون المعروفون باعتبارهم التجسيد الذي تجسد فيه سلمان؛ إذ يسمى مع الأوائل كلٌّ من حمزة بن عمارة وبيان وصائد والمغيرة كذلك الزنادقة المعاصرون لجعفرِ الصادق وموسى الكاظم وعلي الرضا (توفى عام ٢٠٣هـ/٨١٨م)، فهكذا يمكن ترتيب الفرقة الموصوفة من قبل القمي ترتيباً زمنياً.

يظهر مع تجسد الله وبابه كل سلسلة «المنازل»، مثلما تسمى في أم الكتاب: اليتيمان مقداد وأبو ذر، والنقباء والنجباء، والمختصون، والمصطفون (=تسمية للمخلصين في أم الكتاب)، والممتحنون أو المؤمنون.

إن المذهب القائل بتناسخ الأرواح هو نفسه الذي ذهب إليه الحربيون قبل ذلك ونفسه الذي يقول به النصيريون/العلويون إلى يومنا هذا. وتتكرر الإشارة إليه في أم الكتاب. لقد تم من قبل القمي ذكر المصطلحات المعروفة: «قالب» و«قميص». ويمكن أن يطابق ارتقاء الغانص (=العارف) عبر سبعة أدوار كل واحد منهم مدته عشرة آلاف سنة حتى يكون الاتصال النهائي مع النور الأزلي، الهبوط تراجعاً بعد الخطيئة الأولى الذي لم يذكر لدى القمي.

إن الفرقة التي يسهب القمي هنا في وصفها والتي تقر بأولوية محمد في الخاموس، هي مجرد ضرب من ضروب الـ«مخمسة» - مثلما يبين في مصادر أخرى. إذ تعطي فرق أخرى - كما سنرى - الأولوية لعليّ. إن القمي يحتفظ باسم المخمسة لهؤلاء من بين مبجلي محمد. وفي المقابل يسميهم المؤرخ المسعودي (توفى سنة ٣٥٤هـ/٩٥٦م) بالـ«محمدين»؛ إذ أنه يعرف كذلك اثنين من مؤلفيهم بالاسم: الفياض بن علي بن محمد بن الفياض الذي أعدم في عهد الخليفة المعتضد (حكم ما بين ٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠٢م)، وآخر يدعى النهكيني[٤٨٥]. ويُسمى المحمديون في كتاب الملل والنحل للشهرستاني بالـ«ميميين» - طبقاً لأول حرف في اسم محمد - في حين يطلق على مبجلي علي تسمية الـ«عينيين»[٤٨٦].

(٢) بشار الشعيري والعليائيون

يذكر القمي في نهاية خبره حول المخمسة ضرباً من ضروب العقيدة المضللة ذاتها يُقَدَم فيها عليٌّ على محمد في الخاموس:

القمي، ص ٥٩ وما يليها، فقرة ١١٤:

«وأما العليائية[٤٨٧] وهم أصحاب بشار بن الشعيري - لعنهم الله. فقالوا: إن علياً هو الرب الخالق ظهر بالعلوية الهاشمية، وأظهر وليّه وعبده ورسوله بالمحمدية. فوافقوا المخمسة في أربع أشخاص: شخص علي وفاطمة والحسن والحسين [وأن معنى الأشخاص الثلاثة فاطمة والحسن والحسين تلبيس[٤٨٨]]. والحقيقة شخص علي لأنه أول هذه الأشخاص في الإمامة، وأنكروا شخص محمد وزعموا أن محمداً عبد لعلي، وعلي الرب وأقاموا محمداً مقام ما أقامت المخمسة سلمان. وجعلوه رسولاً لمحمد. ووافقوا في الإباحات والتعطيل [أي إنكار الصفات الربوبية. م. المترجم] والتناسخ. والعليائية سمتها المخمسة عليائية. وزعموا

أن بشاراً الشعيري لما أنكر ربوبية محمد وجعلها في علي وجعل محمداً عبداً لعلي وأنكر رسالة سلمان، مُسخ في صورة طير يقال له علبا يكون في البحر، – لعنهم الله جميعاً فلذلك سموهم بالعلبائية».

القمي، ص ٦٠، فقرة ١١٧:

«وأما المخمسة أصحاب أبي الخطاب وبشار الشعيري فإنهم زعموا أن كل من انتسب إلى أنه من آل محمد فهو مبطل وفي نسبه مفترٍ على الله كاذب، وأنهم الذين قال الله فيهم وجعلهم يهوداً ونصارى بقوله: ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ (المائدة: ١٨) أمير المؤمنين <علي>، فهم من خلقه كاذبين فيما ادعوا من نسبهم[٤٨٩] إذ كان محمد عندهم، وعلي هو الربّ والربّ لا يلّد ولم يولد، – تعالى الله ربنا عما يصفون».

القمي، ص ٦٣، فقرة ١٢٤:

«ووافقوا المخمسة والعلبائية (=العليائية) في الإباحات وتعطيل الفرائض والسنن فلم يكن بينهم فرق أكثر من أنهم أنكروا أبا الحسن الرضى[٤٩٠] وأنكروا نبوة أبي الخطاب وغيره ممن ادعى النبوة من الغلاة».

الكشي، ص ٣٩٨ وما يليها، فقرة ٤٤٧ [=ط كربلاء، ص ٣٤٠ وما يليها، فقرة٢٥٩]:

«حمدويه وابراهيم ابنا نصير قالا: حدثنا محمد بن عيسى عن صفوان عن مرازم قال: قال لي أبو عبد الله <=جعفر الصادق> (ع): أتعرف مبشر بشير؟[٤٩١] – يتوهم الاسم – قال: الشعيري. فقلت: بشار. قال: بشار؟ قلت: نعم خالي[٤٩٢]. قال: إن اليهود قالوا ما قالوا ووحدوا الله، وإن النصارى قالوا ما قالوا ووحدوا الله، وإن بشاراً قال قولاً عظيماً، فإذا قدمت الكوفة فاته وقل له: يقول لك جعفر: يا كافر يا فاسق يا مشرك أنا بريءٌ منك.

قال مرازم: فلما قدمت الكوفة فوضعت متاعي وجئت إليه ودعوت الجارية فقلت: قولي لأبي إسماعيل هذا مرازم. فخرج إليّ فقلت له: يقول لك جعفر بن محمد يا كافر يا فاسق يا مشرك أنا بريءٌ منك. فقال لي: وقد ذكرني سيدي؟ قال: قلت نعم ذكرك بهذا الذي قلت لك. فقال: جزاك الله خيراً وفعل بك. وأقبل يدعو لي».

الكشي، ص ٤٠٠، فقرة ٧٤٥ [= ط كربلاء، ص ٣٤٢]:

« وحدثني الحسين بن الحسن بن بندار قال: حدثني سعيد بن عبد الله بن أبي خلف النمري الأشعري القمي قال: حدثني محمد بُن الحسين بن أبي الخطاب والحسن بن موسى الخشاب عن صفوان بن يحي عن اسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله <=جعفر الصادق> (ع) إن بشاراً الشعيري شيطانٌ ابن شيطان خرج من البحر فاغوى أصحابي ».

الأشعري، ص ١٤ وما يليها (=البغدادي، ص ٢٥٢ [ط بيروت، ص ٢٣٩]):

« والصنف الثاني عشر من أصناف الغالية يزعمون أن علياً هو الله ويكذبون النبي ﷺ ويشتمونه ويقولون إن علياً وجّه به ليبيّن أمره فادعى الأمر لنفسه. والصنف الثالث عشر من أصناف الغالية هم أصحاب « الشريعي »[٤٩٣] يزعمون أن الله حل في خمسة أشخاص: في النبي وفي علي وفي الحسن وفي الحسين وفي فاطمة، فهؤلاء آلهةٌ عندهم. وليس يطعن أصحاب الشريعي على النبي ﷺ ولا يقولون عنه ما حكيناه عن الصنف الذي ذكرناه قبلهم وقالوا: لهذه الأشخاص الخمسة التي حل فيها الإله خمسة أضداد، فالأضداد أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعمرو ابن العاص[٤٩٤]. وافترقوا في الأضداد على مقالتين: فزعم بعضهم أن الأضداد محمودة لأنه لا يعرف فضل الأشخاص الخمسة إلاّ بأضدادها فهي محمودة من هذا الوجه، وزعم بعضهم أن الأضداد مذمومة وأنها لا تُحْمَد بحال من الأحوال. وحُكي أن الشريعي كان يزعم أن البارئ جل جلاله يحل فيه ».

الشهرستاني، تَح كوريلتون، ص ١٣٤ =تَح الوكيل، ج١، ص ١٧٥ وما يليها:

« العلبائية (كذا) أصحاب العلباء بن ذراع الدوسي. وقال قوم: هو الأسدي[٤٩٥]. وكان يفضل علياً على النبي ﷺ. وزعم أنه بعث محمداً؛ يعني عليا، وسماه إلهاً. وكان يقول بذم محمد ﷺ، وزعم أنه بعث ليدعو إلى علي فدعا نفسه. ويسمون هذه الفرقة الذمية. ومنهم من قال بإلهيتهما جمعاً، ويقدمون علياً في أحكام الإلهية، ويسمونهم العينية. ومنهم من قال بإلهيتهما جميعاً، ويفضلون محمداً في الإلهية، ويسمونهم الميمية. ومنهم من قال بالإلهية لجملة « أشخاص أصحاب الكساء »[٤٩٦]: محمد، وعلي، وفاطمة، والحسن والحسين. وقالوا خمستهم شيء واحد. والروح حالّة فيهم بالسوية: لا فضل لواحد منهم على الآخر. وكرهوا أن يقولوا فاطمة بالتأنيث، بل قالوا فاطم، بلا هاء. وفي ذلك يقول بعض شعرائهم:

تَوَلَّيْتُ بَـعْدَ اللـهِ في الدِّينِ خَمْسَـةً
نَـبيًّا، وسِـبْطَيْهِ، وشَـيْخاً، وفَـاطِما ».

**

كان بشار بياع الشعير (الشعيري، هكذا يقرأ بصورة مؤكدة بدلاً من الشريعي المذكور في المصادر السنية)، يعيش في الكوفة إبان عهد الإمام السادس جعفر الصادق (توفى سنة ١٤٨هـ/ ٧٦٥م) . وعلى الأرجح أن القراءة السليمة لاسم فرقته المروي بصورة لا تخلو من الأخطاء الطباعية الكثيرة، هي الـ« عليائية » ومن الممكن أن يكون لها صلة مع علي المُؤلَه. إن الاشتقاق الذي يقدمه الشهرستاني حديث العهد، وهو العلباء بن ذراع وهو شيعي تقي سليم النية عاش في عهد الباقر وكان عاملاً للأمويين على البحرين، مبني على سوء الفهم. والأرجح أن الصيغة المتناقلة من قبل المؤلفين الإماميين التي مفادها أن بشاراً مسخ في صورة طير بحري يقال له علياء ليست إلا تنميقاً من أمثلة–جعفر المقتضبة، وأن بشاراً هو شيطان خرج من البحر (أنظر ص ١٥٩).

لم يقر العليائيون طبقاً لرواية القمي لا بأبي الخطاب ولا بالإمام علي الرضى (توفى سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م)، في حين أن المخمسة « الخطابية » استمروا – كما يبدو – في اتباعهم اتجاه الأئمة الحسيني. ويمكن أن يكون للأمر صلةً بادعاء بشار حلول الإله فيه (مثلما يذكر الأشعري) أو بما قد قيل به في فترة لاحقة من قبل أتباعه.

وخلا هذا إذا سمعنا كذلك إلى العديد من الاتجاهات، فتظهر لنا تعاليم العليائيين وكأنها قد تطابقت مع تعاليم المخمسة « الخطابية » إلى حد بعيد. إن ظهور فاطمة في صيغة المذكر هو نزعة مثيرة للانتباه تستحق الذكر. وحقا تظهر سواء في « أم الكتاب » أو في « كتاب الأظلة » (أنظر في ص ١٦٩) أو لدى النصيريين/العلويين كـ« فاطر »، أي خالق، وكذلك كثيراً في « مجموع الأعياد النصيرية » كـ« فاطم »[٤٩٧].

يصف المؤرخ المسعودي الغالي المعروف اسحاق الأحمر (أنظر ص ١٩٥) كعليائي دَوَّنَ تعاليمه في كتاب خاص به، في « كتاب الصراط »[٤٩٨]. وكذلك يوصف محمد بن نصير، معبود النصيريين المسمى الثاني بعد الله (أنظر في ص ١٩٨)، كواحد من أصحاب بشار[٤٩٩]. يمكن لنا من خلال ما استنتج من الجزئيات المروية حول تعاليم بشار، أن نرى – في واقع الأمر – في فرقته رائدة النصيريين/العلويين الحاليين.

(٣) المفوضة

إن المفوضة، أصحاب القول بالـ« تفويض » مرتبطون مع المخمسة ارتباطاً وثيقاً، وكذلك هم متوازون معهم إلى أبعد الحدود ـ طبقاً للقمي. ويبدو أن الأمر لم يكن متعلقاً بفرقة خاصة إنما أكثر من ذلك بضرب معين من ضروب الهرطقة يظهر لدى العديد من الفرق خارجاً من بيئة المخمسة: فقد فوض الإله الأعلى صانعاً خاضعاً من أجل خلق العالم.

القمي، ص ٦٠ وما يليها، فقرة ١١٨–١٢٠:

« وأما الذين قالوا بالتفويض فإنهم زعموا أن الواحد الأزلي أقام شخصاً واحداً كاملاً لا زيادة فيه ولا نقصان، ففوض إليه التدبير والخلق، فهو محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وسائر الأئمة، ومعناهم واحد والعدد يلبس وأبطلوا الولادات، وأسقطوا عن أنفسهم طلب الواحد الأزلي الذي أقام هذا الواحد الكامل، الذي فوّض إليه وهو محمد. وأنه الذي خلق السموات والأرضين، والجبال والأنس والجن والعالم بما فيه.

وزعموا أنه لا يجب عليهم معرفة القديم الأزلي وإنما كلفوا معرفة محمد وأنه الخالق المفوض إليه، خلق الخلق وأن هذه الأسماء التي يسمى الله بها، ويسمى به في كتابه أسماء المخلوقين المفوض إليهم؛ فإن القديم الأزلي خلقهم ولم يخلق شيئاً غيرهم. فهذه الأسماء ساقطة عن القديم مثل الله الواحد الصمد القاهر الخالق البارئ الحي الدائم (=أي أنها اسماء الصانع/الخالق « des Demiurgen »).

وصنف منهم أقاموا الصلاة وشرائع الدين مقام التأديب، وألزموا ذلك أنفسهم في الخلا والملا وجعلوا عبادتهم لمحمد وعلي، وأن جميع ما فعلوه من ذلك فمنزلته منزلة اللباس ستراً عليهم، يستترون به من الأعداء.

وصنف منهم زعموا أن ذلك (=أي فرائض العبادة) إنما يجب على المقصرة (أنظر ص ١٩) إذ لم يقروا بأن محمداً هو الخالق البارئ المنشئ المفوض إليه خلق الخلق. فلما أبوا ذلك أُلزموا الأعمال وهي الأغلال والآصار. وأُلزموا ذلك عقوبة وتأوّلوا قول الله: ﴿ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ ﴾ (المجادلة: ١٣) فذللوا بالركوع والسجود والخضوع للجدران ».

**

يظهر في خبر القمي مقولة الله الغنوصية الناصة على إله أعلى مستتر ومنشئ/خالق أقل منه منزلة، بكل وضوح: إذ أن الأزلي قد أُقصي تماماً عن بحث الإنسان، حتى أنه لا يمتلك ولو اسماً؛ والله القرآني هو - مثلما هو يهوه/إلوهيم اليهودي في بعض الطرق الغنوصية - مجرد المنشيء «المفوض إليه» وكونه إله القرآن فهو كذلك بالطبع إله الشريعة المكروهة التي يأخذ المؤمنون الحقيقيون بمتاعبها أخذاً ظاهراً أو يدعوها كلياً للمقصرة - سيقول الغنوصي في هذا الصدد: لذوي النفوس المريضة.

ومثلما قد نوهنا، فمن الواضح أن التفويض لم يكن صفةً خاصة بفرقة عينة. وكذلك إن أم الكتاب الذي يعهد فيه إلى سلمان والمنازل الأخرى بخلق العالم، يتميز بالتفويض. إذ يبدو أنه كان، مثل «التخميس»، علامة مميزة لمجموعات الغلو الكوفي.

الفصل السابع
محمد بن بشير

كان جعفر الصادق آخر إمام لم يتعرض لمضايقات من قبل سلطة الدولة، عاش عيشة هادئة في المدينة. وقد عاصر الثورة العباسية التي أسقطت في عام ١٣٢هـ/٧٤٩ أو ٧٥٠م الأسرة الأموية المكروهة إلى الشيعة، لكنها حطمت آمال الشيعة في آن. لقد استحوذ العباسيون أنفسهم على الخلافة ولم يفكروا في تقليد واحد من أهل بيت علي رئاسة الدولة. كانت الكوفة، مركز الشيعة، لفترة قصيرة فقط مقراً للأسرة الحاكمة الجديدة. إذ أن الخليفة العباسي قد وضع في عام ١٤٥هـ/٧٦٢م حجر أساس مقر حكمه الجديد على دجلة، بغداد مدينة السلام.

حدد موت جعفر الصادق في سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م تأريخاً هاماً للشيعة فقد كانت ولاية الإمامة من بعده موضع خلاف وجدال وقد أصبحت دافعاً لتشكيل العديد من الفرق الشيعية. كان إسماعيل ابن جعفر باعتباره مرشحاً لخلافة والده في الإمامة قد توفى قبل والده. كما توفى النجل الأكبر بعد فترة قصيرة من وفاة والده من دون أن يترك أبناءً. ومع أنه كان لدى الاثنين أتباعهما إلا أن غالبية الشيعة اتبعت الابن الثالث موسى الكاظم الذي تعده الشيعة الإمامية – على خلاف الإسماعيلية – الإمام السابع. ولكي يبقى مسيطراً على التطلعات الشيعية ويتسنى له كسر شوكة المؤامرات الممكن حدوثها أحضر الخليفة هارون الرشيد في عام ١٧٩هـ/٧٩٥ أو ٧٩٦م الإمام موسى من المدينة إلى بغداد حيث ظل مقيماً حتى وفاته في سنة ١٨٣هـ/٧٩٩م تحت الرقابة الأشبه بالسجن. إن قبره يقع – مثل قبر حفيده محمد الجواد (توفى عام ٢٢٠هـ/٨٣٥م) – عند أبواب بغداد التي تسمى ضاحيتها بالكاظمين (أي الكاظم والجواد) إلى يومنا هذا بحسب مقامي الإمامين.

لقد طلع ابن موسى الكاظم الرضا (الذي يقصد باسمه «القبول والقناعة» أي أن الأمة قبلت به[...]) لفترة قصيرة من الوجود الخفي، إذ أرغم الأئمة من خلال ما يشبه الأسر على البقاء مختفين. إذ أن الخليفة العباسي نادى به في عام ٢٠١هـ/٨١٧م ولياً للعهد. وبدا

بذلك أن الآمال الشيعية قد أصبحت توشك على التحقيق. إن الدوافع التي أدت بالعباسيين إلى اتخاذ هذه الخطوة غير المتوقعة لن تتضح وضوحاً تاماً على الإطلاق[501]. إلا أن نجل أهل بيت علي لم يرتق العرش؛ فقد توفى علي الرضا في سنة ٢٠٣هـ/٨١٨م في خراسان حيث كان قد توجب عليه مرافقة الخليفة إلى هناك. ليس من المثبت أن المأمون قد عمل على القضاء عليه مثلما يشك الشيعة. إن مقامه (=مشهده) بالقرب من طوس شرقي إيران هو واحد من أهم المقدسات الشيعية. إذ تستمد منه مدينة مشهد وجودها واسمها.

لقد اشتهر من بين غنوصيي ذلك الزمن محمد بن بَشير (بفتح الباء أو بضمها)، وهو مولى لبني أسد خرج بعد موت الإمام موسى الكاظم (١٨٣هـ/٧٩٩م) مدعياً أن له الحق في الوكالة والوصاية عنه. ودار النزاع في خلافة علي الرضا؛ وبدل ذلك قام ابن بشير نفسه – وبعد وفاته نجله سميع – بدور وصي الإمام الغائب موسى. ولا ندري كم استمرت الفرقة إلا أن الأنباء تخبر أن أحد القائلين بها ودعاتها وهو شخص يدعى هاشم بن هاشم قد لعن من قبل الإمام التاسع محمد الجواد (توفى سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م)[502].

إن الأخبار عن تعاليم ابن بشير زهيدةٌ جداً. وكثيرا ما تنزع القصص المروية من قبل الإماميين إلى وضعه موضع المشعوذ وصاحب المخارق. أما القول بأنه طالب بمنصب قيادي في البلاط فإن ذلك أسطوري بلا شك. ويعد اكتشافه للآلة المنتجة حركة دائمة من دون أن تستهلك طاقة «perpetuum mobile» (أنظر ص ١٦٦) في عداد الأساطير. ويعتبره النوبختي بصراحة من بين أتباع التفويض (أنظر ص ١٦١). وعلى ما يبدو ينبغي عده في جماعة المحمديين (أنظر ص ١٥٧) لأنه كان يقول إن محمداً يحل في الأئمة. أما النزغات الغنوصية فتكمن في تمييز أبناء النور من أبناء الكدرة (الظلام)، تمييز الباطن الأزلي للإنسان من قالبه الظاهر الدنيوي. ويتفق مذهب الثنوية «Dualismus» الذي ذاد عنه في مناظرة علنية مع التفويض الذي اتهم بالقول به.

النوبختي، ص ٧٠ وما يليها [=ط النجف، ص ١٠٤ وما يليها] (=القمي، ص ٩١ وما يليها، فقرة ١٧٨):

«وفرقة منهم يقال لها «البشرية»، أصحاب «محمد بن بشير» مولى بني أسد من أهل الكوفة، قالت إن موسى بن جعفر لم يمت ولم يحبس وإنه حي غائب وإنه القائم المهدي. في وقت غيبته استخلف على الأمر محمد بن بشير وجعله وصيه وأعطاه خاتمه وعلمه

جميع ما يحتاج [كذا. تحتاج] إليه رعيته وفوض إليه أموره وأقامه مقام نفسه؛ فمحمد بن بشير الإمام بعده وأن محمد بن بشير لما توفي أوصى إلى ابنه « سميع بن محمد بن بشير »، فهو الإمام ومن أوصى إليه (سميع) فهو الإمام المفترض الطاعة على الأمة إلى وقت خروج موسى وظهوره، فما يلزم الناس من حقوقه في اموالهم وغير ذلك مما يتقربون به إلى الله عز وجل فالفرض عليهم[٥٠٣] أداؤه إلى هؤلاء إلى قيام القائم. وزعموا أن علي بن موسى ومن ادعى الإمامة من ولد موسى بعده فغير طيب الولادة ونفوهم عن أنسابهم وكفّروهم في دعواهم الإمامة وكفروا القائلين بإمامتهم واستحلوا دماءهم وأموالهم وزعموا أن الفرض من الله عليهم إقامة الصلواة الخمس وصوم شهر رمضان، وأنكروا الزكواة والحج وسائر الفرائض وقالوا بإباحة المحارم من الفروج والغلمان. واعتلوا في ذلك بقول الله عز وجل: ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً ﴾ (الشورى: ٥٠). وقالوا بالتناسخ وإن الأئمة عندهم واحد إنما هم منتقلون من بدن إلى بدن. والمواساة بينهم واجبة في كل ما ملكوه من مال وكل شيء أوصى به رجل منهم في سبيل الله فهو لسميع بن محمد وأوصيائه من بعده. ومذاهبهم مذاهب الغالية المفوضة في التفويض ».

القمي، ص٦٢ وما يليها، فقرة ١٢٣ (= الكشي، ص٤٧٧ وما يليها، فقرة ٩٠٦) [= ط كربلاء، ص ٤٠٥]:

« وأما محمد بن بشير فإن محمد بن عيسى بن عبيد حكى أن يونس بن عبد الرحمن[٥٠٤] أخبره أن محمد بن بشير لما مضى أبو الحسن موسى <الكاظم> بن جعفر وتوقفت الواقفة[٥٠٥] عليه، جاء محمد بن بشير وكان صاحب شعبذة ومخارق فادّعى أنه يفعل بالتوقف[٥٠٦] وأن موسى بن جعفر هو الله كان ظاهراً بين الخلق يراه الخلق جميعاً، يتراءى لأهل النور بالنور، ولأهل الكدورة بالكدورة، بمثل خلقهم بالإنسانية والبشرية، واللحمانية. ثم حجب الخلق جميعاً عن ادراكه وهو قائم فيهم موجود كما كان؛ غير أنهم محجوبون عنه وعن ادراكه كالذي كانوا يدركونه. وأنكروا إمامة أبي الحسن الرضى وكذبوا دعوته في الإمامة. ووقف محمد بن بشير ومن تابعه على رؤية موسى بن جعفر، وادعى أنه غير محجوب عن رؤيته، وأنه يراه في كل وقت ويشافهه بالأمر والنّهي. وأنه يراه كل من شاء محمد بن بشير، وادعى في نفسه النبوة وأتى بشعبذة كان يستعملها ومخارق أحسنها. فمالت بذلك إليه طائفة وصدقوه وقالوا بنبوته ».

القمي، ص ٩١ (=الكشي، ص ٤٧٨، فقرة ٩٠٧) [=ط كربلاء، ص ٤٠٥]:

« حدثني محمد بن عيسى بن عبيد عن عثمان بن عيسى الكلابي أنه سمع محمد بن بشير يقول: الظاهر من الإنسان أرضي(٥٠٧) والباطن أزلي. وقال إنه كان يقول بالاثنين وإن هشام بن سالم ناظره عليه فاقر به ولم ينكر».

الكشي، ص ٤٨٠ وما يليها [=ط كربلاء، ص ٤٠٦-٤٠٧]:

« وكان سبب قتل محمد بن بشير لعنه الله لأنه كان معه شعبذة ومخارق فكان يظهر الواقفة(٥٠٨) أنه ممن وقف على علي الرضى بن موسى (ع)، وكان يقول في موسى بالربوبية ويدعي لنفسه أنه نبي. وكان عنده صورة قد عملها وأقامها شخصاً كأنه صورة أبي الحسن (ع) ‹موسى الكاظم› من ثياب حرير وقد طلاها بالأدوية وعالجها بحيل عملها فيها حتى صارت شبه صورة إنسان. وكان يطويها فإذا أراد الشعبذة نفخ فيها ‹؟› فأقامها فكان يقول لأصحابه: إن أبا الحسن عندي فإن أحببتم أن تروه وتعلمون أني نبي فهلموا أعرضه عليكم. وكان يدخلهم البيت والصورة مطوية معه فيقول لهم: هل ترون في البيت مقيماً أو ترون غيري وغيركم؟ فيقولون: لا وليس في البيت أحد. فيقول: فاخرجوا، فيخرجون من البيت. فيصير هو وراء الستر بينه وبينهم ثم يقدم تلك الصورة ثم يرفع الستر بينهم وبينه فينظرون إلى صورة قائمة وشخص كأنه شخص أبي الحسن [الكاظم]، لا ينكرون منه شيئاً. ويقف هو معه بالقرب ‹من الصورة› فيريهم من طريق الشعبذة أنه يكلمه ويناجيه ويدنو منه كأنه يساره [أي يسر له سراً. م. المترجم]، ثم يغمزهم أن يتنحوا فيتنحون ويسبل الستر بينه وبينهم فلا يرون شيئاً.

وكانت معه أشياء عجيبة من صنوف الشعبذة ما لم يروا مثلها فهلكوا بها، فكانت هذه حاله مدة حتى رفع خبره إلى بعض الخلفاء - أحسبه هارون أو غيره ممن كان بعده من الخلفاء - أنه زنديق. فأخذه وأراد ضرب عنقه فقال له: يا أمير المؤمنين استبقني فإني أتخذ لك أشياء يرغب الملوك فيها. فأطلقه فكان أول ما اتخذ له الدوالي [أي نواعير الماء. م. المترجم.] فإنه عمد إلى الدوالي فسواها وعلقها وجعل الزيبق بين تلك الألواح، فكانت الدوالي تمتلئ من الماء وتملي الألواح وينقلب الزيبق من تلك الألواح وينقلب الزيبق من تلك الألواح فيتسع الدوالي لذلك، فكانت تعمل من غير مستعمل لها وتصب الماء في البستان.

فأعجبه <أي الخليفة> ذلك مع أشياء عملها يضاهي الله بها في خلقه الجنة فقواه وجعل له مرتبة، ثم أن يوماً من الأيام انكسر بعض تلك الألواح فخرج منها الزيبق فتعطلت فاستراب <أي الخليفة> أمره وظهر عليه التعطيل [أي الإلحاد. م. المترجم] والإباحات، وقد كان أبو عبد الله <جعفر الصادق> (ع) وأبو الحسن <موسى الكاظم> (ع) يدعوان الله عليه ويسألانه أن يذيقه حر الحديد، فأذاقه الله حر الحديد بعد أن عذب بأنواع العذاب[٥٠٩]».



الفصل الثامن
كتاب الأظلة

(١) رواية النص

تتواتر الطائفتان النصيرية/العلوية والإسماعيلية في سورية كتاباً يحمل عنواناً يدعو للاستغراب نصفه عربي ونصفه الآخر فارسي: « كتاب الهفت الشريف » (=كتاب السابوع الشريف) (من الفارسية: هفت = سبعة)، أو « كتاب الهفت والأظلة »، ويرد كذلك العنوان: « كتاب الأشباح والأظلة »[٥١٠]. إن هذا الكتاب العربي هو رؤيا لنهاية العالم تشبه تلك التي في أم الكتاب: إذ يكشف الإمام جعفر الصادق للمفضل بن عمر الجعفي (أنظر ص ١٤٩ وما يلي) عن أسرار الغنوص [المعرفة].

صدر النص في طبعتين. وأول ما تم تحقيقه عام ١٩٦٠ من قبل العلامة الإسماعيلي عارف تامر والأب أ. خليفة اليسوعي في بيروت. لقد استند تحريره على مخطوط من مدينة مصياف السورية الواقعة على الساحل الغربي لمنحدر–نهر العاصي الذي أصبح في سنة ٥٣٥هـ/١١٤٠م إسماعيلياً وعلى الأرجح أنه كان قبل ذلك نصيرياً. وطبعت الطبعة الثانية في سنة ١٩٧٠ في بيروت (سنشير له فيما يلي بـ: **هـ ش١**).

لقد أصدر الإسماعيلي مصطفى غالب النص بعنوان « كتاب الهفت الشريف » في عام ١٩٦٤ كذلك في بيروت. يستند تحقيقه إلى مخطوطين سوريين: واحد من قرية القدموس الواقعة في الجبال شرقي بانياس، وهو مؤرخ بتأريخ الأول من محرم من سنة ١١١٣هـ (٨ حزيران ١٧٠١)، والمخطوط الآخر – يبدو أنه أحدث – هو جزء من مجموعة مخطوطات إسماعيلية من قرية بري القريبة من سلمية الواقعة إلى الشرق الجنوبي من حماة (سنشير له فيما يلي بـ: **هـ ش ٢**)[٥١١].

ينم التحقيقان عن نص مفسد جدا في بعض مواقعه. ويبدو أن نص مخطوط من مدينة حمص والذي كان آخر ما كان في حوزة ر. شتروتمان (هامبورغ)، قد نقل بصورة أفضل

جداً. لقد ذكره شتروتمان في سنة ١٩٥١ في مجلة المشرق «Oriens»، مجلد ١٢، ص٩٠. وكما يخبر في رسالة موجهة إلى م. غالب[٥١٢] فقد كان يجهز لتحرير النص مع ترجمة ألمانية، إلا أنه أجل طباعته منتظراً صدور تحقيق غالب. يبدو أن المخطوط تحرير شتروتمان قد ضاع في الحرب. وكما يتضح فقد سلمت أرملة شتروتمان المخطوط نفسه إلى م. غالب. إلا أن ف. ماديلونغ الذي كان في ذلك الحين مساعداً لشتروتمان في هامبورغ، قد أنجز قبل ذلك فهرسة لكل ضروب مخطوطات شتروتمان (سنشير لها فيما يلي بـ: هـش) بالمقارنة مع تحقيق تامر/خليفة ط١ (لقد تكرم ف. ماديلونغ بوضع هذه القائمة غير المنشورة تحت تصرفي). تم إنهاء نسخ هـش في الأول من ربيع الثاني لعام ١٢٣٠ (١١ آذار ١٨١٥م) في حمص وناسخها هو «الشيخ حيدر بن الشيخ عبيد بن الحج حيدر»[٥١٣].

من البديهي أن مضمون الكتاب لا يمتّ بعلاقة مع التعاليم الإسماعيلية؛ إذ أنه يعد بكل وضوح في تراث النصيرية. لقد ذكره المرتد النصيري سليمان أفندي الأضني الذي كشف في كتاب طبع عام ١٨٦٣ في بيروت عن أسرار معتقدات أبناء طائفته، عدة مرات بعنوان «كتاب الأظلة»[٥١٤]. ولكن الأمر لا يتعلق كذلك بكتاب نصيري بالمعنى الصحيح، إذ أن الميزات المهمة غير المتغيرة للعقيدة النصيرية ناقصة تماماً أو تظهر فقط في إضافات ألحقت به. أشار ف. ماديلونغ[٥١٥] إلى أن ثمة كتاب عنوانه «كتاب الأظلة» ينحل إلى المؤلف النصيري المعروف أبي سعيد ميمون الطبراني (المتوفى عام ٤٢٦هـ/١٠٣٥م)[٥١٦]، لكن إن كان حقا هو مصنف نصنا فسيفترض على المرء أن يجد فيه بطبيعة الحال نموذج تعاليم النصيرية المتبلور تبلوراً تاماً الذي نعرفه من كتبه الأخرى والذي ينعدم وجوده في «كتاب الهفت والأظلة». وعلى كل حال يمكن أن يكون الطبراني محرر الكتاب إذ أن النص الذي بين أيدينا – مثله كمثل نص أم الكتاب – ليس متجانساً: إذ تتقدم الرؤيا الأصل المشيرة إلى نهاية العالم، أي أجوبة الإمام جعفر الصادق على أسئلة المفضل (الأبواب ١-٥٩)، مقدمة نصيرية واضحة. وعلاوة على ذلك ذيل بنواة النص مجموعة من أحاديث الغلاة تحتوي على متوازيات وضروب لنص الكتاب. لقد حاولت في مواضع أخرى[٥١٧] إظهار أن نواة «كتاب الهفت والأظلة» هي كتاب قديم يتمحور في محيط الغلاة الكوفيين يمكن بشيء من التأكيد الكشف عن مؤلفه.

(٢) محمد بن سنان

نقل الغالي الكوفي علي بن حماد الأزدي «كتاب الأظلة»، كما يبدو فهو معاصر للأئمة جعفر الصادق، وموسى الكاظم، وعلي الرضا[٥١٨]. تذكر لنا المصادر الإمامية مؤلفاً لكتاب الأظلة، الغالي الكوفي أبا جعفر محمد بن الحسن بن سنان الظاهري الذي عاش في الكوفة في نفس الزمن وكان معلما وتوفي سنة ٢٢٠ هـ/٨٣٥م، في السنة ذاتها مثل الإمام الثامن علي الرضا[٥١٩]. ينتمي محمد بن سنان - «توفي أبوه الحسن وهو ما زال طفلا، ورعاه جده سنان؛ حسب قوله»[٥٢٠] - إلى عائلة موالٍ كوفية. لقد كان معروفا حقا في الأوساط الإمامية في مدينة الكوفة وإن لم يكن محبوباً بصورة خاصة؛ إذ كان يعتبر زنديقا من بين «الطيارة»[= الزنادقة. م.م.] وراوياً مشبوهاً. ويُقال إنه اجتذب المستمعين في مسجد الكوفة من الإمامي صفوان بن يحيى وهو أحد من كان يثق بهم الإمام الرضا، بقوله: «من كان يُريد المعضلات فإليّ ومن أراد الحلال والحرام فعليه بالشيخ - يعني صفوان بن يحيى» فرد عليه صفوان بالمثل: «هذا ابن سنان لقد هم أن يطير غير مرة فقصصناه حتى ثبت معنا». [قافية للمفردتين طار وطيارة][٥٢١].

يظهر ابن سنان تقريباً في كل أحاديث الغلاة التي يسر الإمام فيهم للمفضل بن عمر بوحي سري، متصدراً لسلسلة الرواة، أي أنه هو الذي روج هذه الأحاديث[٥٢٢]. ويتفق مع هذا الخبر لدى الطوسي[٥٢٣] الناص على أن محمد بن سنان قد نقل وصية المفضل - على الأرجح أن المعني بذلك ليس إلا الكتاب الذي نتناوله، «كتاب الأظلة» الذي مفاده حصيلة ما أبيح به للمفضل من قبل الإمام جعفر. إذ يشار في مقدمة النص الذي وقع بين أيدينا، إلى المفضل بأنه: «أصل كل رواية باطنة عن أبي عبد الله عليه السلام» (جعفر الصادق)، كما أنه يشار إلى محمد بن سنان بأنه: «خازن هذا العلم [الغنوص]»[٥٢٤].

من البديهي أن يعتبر التراث الإمامي وحي الإمام الصادق إلى المفضل الذي روج عن طريق ابن سنان، منحولاً؛ إذ لم يستطع الإماميون أن يروا في هذا الوحي إلا «تشويشاً ومغالاة» وامتنعوا عن تواتر أحاديث من مثل هذا النوع. ومن الطبيعي كذلك أن «كتاب الأظلة» الذي يحتوي على خلاصة وحي جعفر الصادق المزعوم السري إلى المفضل، قد كان عرضة لحكمهم الذي لا يرحم عليه باللعنة. كذلك ضاع هذا الكتاب في بلده الأصل، العراق، مثل «أم الكتاب» المشابه له واستطاع فقط - مثله - الاستمرار في الحياة في منطقة انسحاب منعزلة جبلية حتى يومنا هذا.

(٣) الأسطورة الغنوصية في كتاب الأظلة

تقطع الرواية الأسطورية في « كتاب الأظلة » -كما هي في أم الكتاب - التي تحكي عن أصل الأرواح النورانية، وخلق السموات السبعة، ونشوء الشياطين، وحلول الأرواح النورانية الهابطة في أبدان بشرية، وتناسخ الأرواح، وأخيراً الخلاص، باضافات اسقطت على النص صادرة عن الأسئلة التي يطرحها المفضل. يجر النص الكثير من أنواع الملحقات الفرعية وأحياناً من التناقضات، إذ علينا هنا وهناك أن نأخذ الإضافات المسقطة في فترة لاحقة على النص، في الحسبان. سنورد فيما يلي (ص ١٧٣) الأبواب الجوهرية والضرورية لفهم المأساة السماوية التي تحكي عن الهبوط والخلاص. وقد أكملنا نص التحقيقين - اللذين يتطابقان مع بعضهما البعض تطابقاً شديدا - وصححناهما بمقارنتهما مع ما ورد من صيغ في مخطوط شتروتمان (هـ ش) الذي كثيراً ما يحتوي على القراءة الوحيدة المفيدة.

في البدء خلق الله « نوراً يلقي بظلاله »، قسم ظله إلى سبعة أظلة تطابق كما يبدو الأمراء السبعة للأرواح في أم الكتاب. وهم ليسوا بعارفين يُعلّمون لذلك العبادة الصحيحة من خلال تسبيح الله ذاته (قارن مع أك عدد ١٢٩ وما يليه). وصنع الله من تسبيحه لذاته السماء العلية السابعة التي يحتجب خلفها. وصنع من تسبيح الأظلة هذا الضرب من الألبسة غير الجسدية؛ فهكذا آلت إلى أشباح. وأخذ الله على سكان السماء العلية وآدم في مقدمتهم ميثاقاً تعهدوا فيه بأن يقروا به خالقاً قادراً.

وتخلق على نحو مشابه ستة سموات أخرى ومن تحتهم جنات في كل واحدةٍ آدم جديد. وإن لم يرد القول الصريح بأن ذلك كان نتيجة للعصيان، إلا أننا نستطيع أن نفترض ذلك افتراضاً ضمنياً. ويظهر الله مجدداً في كل سماء وحجاب لكي يؤدّب الناس. وتحصل الأشباح في الجنات على أبدان من نور يستريحون فيها كونهم أرواحاً. وكما يبدو فذلك لم يكن عقاباً لهم إنما جزء من وجودهم الفردوسي. ونالت الأبدان النورانية الأرواح حينما غمست في عيون [ينابيع] الجنة السلسبيل (عين الحياة).

ونعلم باسهاب لأي سبب تستمر الأرواح في الهبوط إلى أسفل فقط عند وصولها إلى الدرجة السفلى: لا يعهد الله للأرواح بأصلها وحسب إنما يطلعها كذلك على قدرها المستقبلي - الوجود على الأرض. والقصد من ذلك اختبارهم: إذ يجب عليهم أن يحترموا إرادته دون معارضة. إلا أنهم يلتجئون إلى الرجاء، لأنهم لا يريدون الهبوط إلى أسفل فلا يجتازون الامتحان بنجاح؛ يتوجب عقابهم لعصيانهم إرادة الله. وحجب الله السماء

السفلى عدة مرات عن نظرهم. والآن يجب أن ينزلوا إلى الأرض ويحصلوا على أبدان من طين.

وعند هذه المرحلة يظهر إبليس وذريته لأول مرة. إذ يرى الأبدان من لحم ودم فقط ولا يعرف أصل الأرواح المحبوسة فيها. فيرفض إذاً السجود «Proskynese» لآدم. وكذلك يحجز هو وقومه الآن عقاباً لهم في أبدان أرضية فلا يعد من الممكن تفريق الشياطين عن البشر. وتُخلق النساء من معصية الشياطين، وإذ ذاك يكون الاختلاط المفسد؛ وتُحبس الأرواح النورانية في المادة بمزج الشر – من خلال مشاركة النساء –. إذ كان تناسخ الأرواح نتيجة لذلك. وعلى كل حال فإن قدر «المؤمنين الممتحنين» – كما يسمى في أم الكتاب ولدى المخمسة – مختلف عن قدر ذرية إبليس المتجسدة: يتصفى المؤمن في كرة متعددة المرات في صورة إنسية يطلق عليها الـ« نسخ» أو النسوخية، في حين يخضع الشيطان الكافر إلى الـ« مسخ» أو المسوخية ويبقى يهبط باعادة الحلول في أبدان الحيوانات – تماماً مثلما عرفنا ذلك من طريقة ابن حرب (أنظر ص ٥٠ وما يليها).

ويُخبَر المؤمنون الذين نسوا كل ما عايشوه في السموات، من خلال رسل الله النورانيين المدثرين بأبدان ظاهرة والمولودين والمتوفين في الظاهر – علي والأئمة – عن أصلهم. وتصعد أرواحهم بعد تطهير متكرر، إلى الجنة السفلى، ويغمسون في عين الحياة ثم يردّ لهم بدنهم النوراني. وثم يتم الصعود إلى السماء السابعة تماماً مثل الهبوط السابق. وتطابق كل واحدة من السموات السبع منزلة؛ وتحمل المنازل – وإن كان الترتيب مغايرا تغايرا بسيطا – الأسماء عينها كما هي في أم الكتاب ولدى المخمسة. تحظى الأرواح النورانية في النهاية بالنجاة والانتهاء: «يعودون إلى حيث أتوا، يعني لله».

والمحصلة الضرورية لامتلاك العلم أو المعرفة هي أن المؤمن الحق محرر من أغلال وقيود فرائض العبادات الأرضية؛ إن صيغ الباب الثالث عشر تكاد تكون متواجدة حرفياً في خبر القمي عن المخمسة والمفوضة (قارن ص ١٦١ وما يليها).

(٤) النصوص

الباب الأول

في معرفة ابتداء الخليقة وأول شيء خلقه الله تعالى

قال المفضل رحمه الله:

قرأت على مولانا الصادق أبي عبد الله قول الله عز وجل: ﴿قُل سِيرُوا في الأرضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ ثُمَ اللهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إنَ اللهَ عَلى كُلِ شَيءٍ قَديرٌ، يُعَذِبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ (العنكبوت: ٢٠-٢١).

فقال أبو عبد الله الصادق: «يا مفضل، لو علم الناس مبتدأ أصل الخلق ما اختلف رجلان في الدين». قلت له يا مولاي، لا علم لي إلاّ ما علمتني فسّرها لي. فقال: «إنها مفسرة في الآية ‹ذاتها›، ولكن أكثر الناس لا يعقلون. ومن الناس من يقول وعن الله عز وجل[٥٢٥]: إن الثواب والعقاب في الدنيا، قوله عز وجل: «يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون». أما علمت أن العذاب والرحمة قبل أن يحشروا وينقلبوا في هذه الدنيا في الناسوتية والمسوخية والتراكيب ومن بعد إليه ينقلبون[٥٢٦]؟» قلت: صدق مولاي، ما عقلتُها إلاّ في يومي هذا.

ثم نظر مولانا عليه السلام إلى يونس بن ظبيان[٥٢٧] وقال: «يا يونس، ماذا تقول أهل الكوفة في ابتداء الخلق؟» قال:

يا مولاي، يقولون إن الله خلق إبليس قبل آدم. فقال الإمام أبو عبد الله عليه السلام ‹جعفر الصادق›: «بالله المستعان على ما يقولون، كذبوا على الله هكذا. إن الله سبحانه وتعالى خلق النور قبل الظلمة، وخلق الخير قبل الشر، وخلق الجنة قبل النار، وخلق الرحمة قبل العذاب، وخلق آدم قبل إبليس، وخلق الأظلة قبل الأشباح، وخلق الأشباح قبل الأرواح، وخلق الأرواح قبل الأبدان، وخلق الأبدان قبل الموت، وخلق الموت قبل الفناء، وخلق الفناء قبل التراكيب، وخلق التراكيب قبل القيامة ‹؟›، وخلق القيامة قبل النشر، وخلق النشر قبل القصاص، وخلق القصاص قبل الندامة، وخلق الندامة قبل الحشر، وخلق الحشر قبل أن تبدل الأرض غير الأرض والسموات، وبرز الله الواحد القهار».

قلت: يا مولاي، ما هو أول شيء خلقه الله عز وجل؟ قال الصادق منه السلام: «إن أول شيء خلقه الله تعالى ‹هو› النور الظلي[٥٢٨]». قلت ومن أي شيء خلقه؟ قال: «خلقه من مشيئته ثم قسمه. أما سمعت قوله تعالى في كتابه؟ ﴿ألَمْ تَرَ إلىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَ جَعَلْنَا الشَمْسَ عَلَيْهِ دَليلاً، ثُمَّ قَبَضناهُ إلَيْنَا قَبْضاً يَسيراً﴾ (الفرقان: ٤٥-٤٦). خلقه من قبل أن يخلق ماءً وأرضاً وعرشاً». قلت: يا مولاي، على أي مثال خلقه؟ قال الصادق: «خلقه على مثال صورته، ثم قسمه إلى أظلة، فنظرت الأظلة بعضها إلى بعض، فرأت نفسها وعرفت أنهم كانوا بعد أن لم يكونوا، وألهموا من المعرفة هذا

المقدار، ولم يلهموا معرفة شيء سواء من الخير أو الشر، ثم أدبهم الله». قلت: يا مولاي، فكيف أدبهم؟ قال الصادق عليه السلام: «سبح نفسه فسبحوه، وحمد نفسه فحمدوه؛ وحقق نفسه فحققوه. ولولا ذلك لم يكن يعرف الله[٥٢٩]: ولا يدري كيف يثني عليه ويشكره، ولم يدر كيف يتكلم وكيف يسكت[٥٣٠]». ثم قال: «تفقهوا عن الله الكلام». ثم قرأ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٣٠).

ثم قال الصادق: «فلم تزل الأظلة على ذلك تحمده وتهلله وتسبحه سبعة آلاف سنة. فشكر الله ذلك فخلق من ذلك التسبيح السماء السابعة. ثم خلق من تسبيح الأظلة الأشباح وجعلها لباس[٥٣١] الأظلة، وخلق من تسبيح نفسه الحجاب الأعلى». ثم قرأ مولانا الصادق: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أن يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاَّ وَحْياً أو مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أو يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: ٥١). يعني الأشباح التي خلقت من تسبيح الأظلة السبعة، وأما معنى قوله: ﴿أو من وراء حجاب﴾ يعني الأشباح التي خلقت من الأظلة. ثم خلق لهم الجنة السابعة من السماء السابعة. ثم قال: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ المَأْوَىٰ﴾ (النجم:١٥) وهي أعلى الجنان.

ثم خلق آدم الأول وأخذ عليه الميثاق وعلى ذريته، وقال عز وجل ‹لهم›: من ربكم؟ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾ (البقرة: ٣٢). وقال تعالى للحجاب الذي خلقه من تسبيح نفسه: «أنبئهم من أي شيء خلقوا» فأنبأهم[٥٣٢]؛ فكان الحجاب الأول أعلمهم، فمن هناك وجبت الحجة على الخلق.

ثم قال الله لهم: «أتعلمون أني ربكم؟ لأعلمكم أني في قدرتي وأني أستطيع خلق أمثالكم وتعجزون أن تخلقوا مثلي». فقالوا: «نعم لا إله إلا أنت». فذلك هو الميثاق الذي أخذه عليهم.

ثم أن الله تبارك وتعالى خلق على مثال ذلك سبعة آدميين وخلق لكل آدم سماءً وجنةً على ما أخبرتك. فأول من أجاب لأخذ الميثاق آدم الأول، ثم الثاني ‹وتتالوا› واحد بعد واحد ثم فضل الأول على الثاني. ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَٰئِكَ المُقَرَّبُونَ﴾ (الواقعة: ١٠-١١).

وخلق النور الثاني أفضل من الثالث وخلق الأظلة من إرادته على ما يشاء، ثم أدبهم على مثال الأول، وخلق لهم السماء الثانية والجنة الثانية. وقال: «أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم

صادقين»، قالوا: «لا علم لنا إلا ما علمتنا»، فقال للحجاب الثاني: «أنبئهم بأسمائهم»؛ فأنبأهم بأسمائهم ومن أي شيء خلقوا ومما خلقت السموات والجنة والأظلة والأشباح. وأخذ الميثاق من أهل السماء الأول[ى] للحجاب الأول، وأخذ الميثاق من أهل السماء الثانية للحجاب الثاني. ثم قرأ مولانا الصادق الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ٦٣). والطور هو الحجاب الأول، وأما قوله تعالى: خذوا ما آتيناكم بقوة، وهي المعرفة في الشهادة. فصار ما بين سماء وسماء هواء <هو؟>[٥٣٣]. وصار الحجاب الثاني مؤدبًا[٥٣٤] من الله إذ صعد إلى السماء السابعة وكذلك إذا نزل الرب إلى السماء الثانية أو الرابعة فكان تأديباً لهم. فمن ذلك صار الحجاب حجة على أهل السماء السابعة وهي أول الحجب. فصارت السموات أبواباً [...]

الباب الثاني

في معرفة علل الأظلة والأشباح وكيف أدبهم وعرفهم بنفسه

قال مولانا الصادق أبو عبد الله عليه السلام:

«ثم خلق الله في كل سماء جنة وفي كل جنة عيناً تسمى سلسبيلاً؛ لقوله تعالى: ﴿عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً﴾ (الإنسان: ١٨)». وقال عليه السلام: «فهي سبع سموات[٥٣٥] وسبع جنات وسبع أعين. وإنما احتملت كل سماء أهلها وصارت أوطاناً لهم تلائمهم، لأن الله خلق أعمالهم من العيون السبعة التي في الجنان؛ فإنها <أي الأعمال> خلقت من علوم أهلها.

ثم أن الله غمس الأظلة والأشباح في العيون وجعل لكل أهل سماء[٥٣٦] نوراً في عينه فصارت أرواحاً في الأبدان <أي أبدان الأشباح> [...]

وثم خلق الله سبعة ايام لكل سماء يوماً. ثم أن الله فرض على كل سماء جنساً من التسبيح والتهليل وجعل لكل سماء باباً وجعل الحجب رسله إلى أهل كل سماء. ثم سبح نفسه فسبحوه ومجد نفسه فمجدوه وهلل نفسه فهللوه. فمكث على ذلك بما أخبرتك يؤدبهم ليتخذ عليهم الحجة. ثم خلق الأرواح أبداناً من نوره وجعل كل نور في السماء على حدة ولكل روحٍ نورانيةٍ بدناً من نور[٥٣٧]. فإذا صعد نورٌ إلى السماء[٥٣٨] ألبس <ه الله> من الأبدان التي يفاضل بها بدناً وجعل له حجاباً نورانياً. فكان الله إذا نزل إلى السماء لبس حجاب تلك السماء، وحجابه من نور. فألبس الأرواح أبدانها من نور. وإنما ظهر لخلقه

بهذه الصفة تأديباً لهم ليفهموا عنه ما يقول. لأن الشيء لا يفهم عنه إلاّ من يكون بصورته ومن جنسه». ثم قرأ مولانا الصادق الآية: ﴿صِبْغَةُ اللهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ (البقرة: ١٣٨).

«فمكث كما أخبرتك يؤدبهم ويحدثهم كيف خلقهم وكيف ابتدائهم ومن أي شيء خلقهم. فلما علموا ذلك جعل يحدث أهل كل سماء كيف يخلق الأبدان الظلمانية يعني الجسمانية وكيف يخلق الأبالسة».

الباب الثالث

في معرفة الأدوار والأكوار والتراكيب في الناسوتية

قال مولاي الصادق:

«فلما عقلوا ذلك جعل يحدث أهل كل سماء[٥٣٩] بسمائها، كيف يخلق أبدان ظلمانية، وكيف يخلق الأبالسة وكيف أنه يكورهم ويركبهم، وكيف يكون الليل ليسكنوا فيه». ثم قرأ الإمام عليه السلام الآية: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (الأنعام: ٩٦). حتى يعلمهم كيف يجعل الليل سكناً، وكيف يخلق لهم شمساً ونهاراً وقمراً وليلاً. وكيف يكون الإيمان الخفي والكفر الظاهر، وكيف أحب الله عز وجل أن يعبد سراً وجهراً، وكيف يمزقون ويقتلون حتى لم يترك شيئاً عز وجل. فما يكون في هذه الدنيا شيء إلاّ حدثهم عنه وعرفهم به، وكيف يخطئون ويزلون ويعصون ومن عصى في أي شيء يُرد، ومن أطاع في أي شيء ينسخ وكيف سبب الأدوار السبعة؟

فأدبهم وعرفهم كيف الأوجاع، وأي علة تنزل بهم وقد بين لهم ذلك ليكون له حجة عليهم ‹لاحقا›. ثم خلق الأدوار الاثني عشر. وكان قد قدر خلقهم إلى أن خلق لهم الأبدان من الطين بخمس أدوار، وكل دور بخمسين ألف سنة، وبقيت سبعة أدوار. فكان من الأدوار السبعة دور الأبدان النورانية وستة ‹أخرى...؟› من أعدائه حتى يرجعوا إلى ما كانوا عليه». ثم قرأ الصادق منه السلام: ﴿مَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٤). (...)

الباب الرابع

في معرفة عصيان الخلق وعلله وكيف نسوا ما ذُكروا به

قال المفضل: قال مولانا الصادق منه السلام:

« فرغ الله من ذلك كله بمقدار خمسين ألف سنة ». ثم قال: « خلق خلقه من نور وكان أضعف يقيناً [٥٤٠] وقال تعالى: ﴿ الَّذي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (الملك: ٢)، وقوله: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذابٌ مُهِينٌ ﴾ (النساء: ١٤). فنظر بعضهم إلى بعض، فقالوا لأضعفهم يقيناً [٥٤١]: تعالوا حتى نجتمع إلى رئيسنا ونطيعه في سمواته، ولا نحتاج أن نسقط إلى الأرض. فلما قالوا ذلك وهم لا يعلمون أن في ذلك معصية ورداً على الله تعالى، واجتمعوا إليه، وكان الله ظاهراً لهم يرونه رؤيا العين، وقالوا: إلهنا وخالقنا، أخبرتنا بأنك تسكنّا في الأرض فتبلونا في الأرض وتخلق من معصيتنا عدواً لنا، لك المشيئة في أمرك والبدا في فعلك. لا تهبطنا إلى الأرض، ودعنا في السماء نحمدك ونشكرك ونعبدك. قال: ها قد عصيتموني بردكم على قولي أفلا قلتم إلهنا أنت أعلم ولا علم لنا، استسلمنا لأمرك واتبعنا رضاك؟ فقال: كنت أشكر ذلك من قولكم. ولكنكم رددتم على قولي وأمري. فعند ذلك خلق من معصيتهم حجاباً واحتجب عنهم به وخلق لكل واحد منهم سبعة أبدان يترددون فيها. ثم ينقلبون إلى غيرها. قال: فعند ذلك قد علموا أنهم قد أخطأوا وغلطوا على أنفسهم وضيعوا ما كان عهد الله إليهم في ترك مخالفتهم (...)

فاحتجب الله عنهم فندموا على ما فاتهم، وطافوا في ذلك الحجاب سبعة آلاف سنة نَدماً على ما قالوه، وأسفاً على ما فاتهم من رؤيته وعلمه وحرمانهم من النظر إليه وحلاوة كلامه، وكانوا يحدّثون لذة ذلك ما لا انتهاء له ولا غاية. فلما فقدوا الاستراح استوحشوا وبقوا حيارى لا يهتدون من أمرهم ما يفعلون وأدركتهم الحسرة والندامة ».

الباب الخامس

في معرفة بعث الرسل إلى الخلق

قال الصادق عليه السلام:

« فلما تحيروا في أمورهم وبهتوا وندموا رحمهم ربهم فأرسل إليهم الرسل وكان أول من أتاهم محمد صلى الله عليه وسلم رئيس الأنبياء وخاتم المرسلين في قديم الدهر وحديثه في

الأظلة والأشباح والروح والأرواح. فمن ذلك ما قاله مولانا أمير المؤمنين علي صلى الله عليه وسلم: بنا فتح الأمر وبنا يختم. وذلك أن رسول الله وأمير المؤمنين كانا على خلقة كالأظلة، واسم على الأشباح والأرواح <؟>. فكان بعد ذلك يكلمهم <الله؟> بالحجاب. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الحجب الشبحي، ثم <ظهر> في الحجاب الروحي، ثم في البدن، حين[٥٤٢] خلق لهم الأبدان اللحمية الدموية...»

الباب السادس

في معرفة إبليس ومن أي شيء خلقه <الله>

قال مولانا أبو عبد الله الصادق عليه السلام:

«خلق الله تعالى روحاً[٥٤٣] بلا بدن، وخلق إبليس من معاصي المؤمنين وزلاتهم وخطاياهم. فلما خلقه نظر إلى السماء من فوقه وهو قائم والرب محتجب والأرواح النورانية تختلف في الأبدان وتضيء ضياءً. فلم يعرف الملعون ابتداء الخلق أو من أي شيء خلقوا ولم يشهدها كما شهد <ها> الذين من قبله. ولم يخبره <الله> بشيء من ذلك، ولم يؤدب <ـه> كما يؤدب المؤمنون».

ثم تلا الصادق عليه السلام: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾ (الكهف: ٥١) «... وذلك هو إبليس وذريته قد شهدوا خلق الأرضين».

ثم قال: «يا مفضل، أتدري لما عصى إبليس؟» قلت: لا يا مولاي. قال منه السلام: «إن إبليس وذريته جاهلون، خلقوا من الجهل والمعصية فلا يطيعون الله أبداً ولا يعرفون سبيل الرشاد، ويتبعون سبيل الغي والورود إليه. ثم ردوا وما انتهوا. وخلق الله المؤمنين من روح الحياة. فإن شكوا رجعوا، وإن جهلوا وقفوا، حتى يعرفوا، وإن عصوا استغفروا. ومعصية المؤمن على تعمد لا تدوم، وإنما يعصي ويحذر لكي ينتبه». قلت: يا مولاي، من أين جُهِل الرب؟ قال عليه السلام «من جهة الحجب المختلفة».

الباب السابع

في معرفة الأبالسة وكيف صاروا شياطين

«إن إبليس لما خُلق نظر في خلقة المؤمنين وهو لا يعلم أنهم مؤمنين. فرآهم أبداناً قائمة.

فقال في نفسه: أنا خير منهم ومن هؤلاء. فلما صار ‹من بعد ذلك؟› في الخلقة الظلمانية إلى الشبح[٥٤٤]، أنكر ذلك. فقال: كيف هذا وأنا خير من هؤلاء القوم الذين خلقوا أبداناً؟ أجري في أبدانهم ولا يمكنهم أن يجروا فيّ. فأقبل هو وذريته يدخلون في الأبدان التي لا روح فيها. فقال: نحن خير من هؤلاء ولقد زينّا عليهم نملكهم ولا يملكوننا، وندخل في أبدانهم ولا يدخلون في أبداننا، وكيف خصصوا بالضياء وخصصنا بالظلمة؟ فاعتقد هو وذريته عداوة المؤمنين ولم يكن يومئذ يسمى إبليس». وقال مولانا الصادق عليه السلام:

«[لقد كان] له أسماء مختلفة[٥٤٥]، على قدر الظل والشبح والروح. فلما اعتقد هو وذريته عداوة المؤمنين بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم إلى النبيين والمؤمنين ‹في صورة؟› أنوار. وقد كان أسكنهم سماء الدنيا وخص أضعف خلقه سكان السموات الدنيا[٥٤٦]. فأيدهم الله بمحمد ليهديهم ويرشدهم. فقال الله: يا محمد، انزل إليهم ثم حذرهم من إبليس وذريته فإنهم قد أضمروا عداوة المؤمنين، وتقدم[٥٤٧] إلى المؤمنين بأن لا يخبروا إبليس بخلقهم ولا من أي شيء خلقوا. وأمرهم في الكتمان ‹كذا: كتمان علمهم›. فمن هنا أمرتم في الكتمان، وهو امتحان الطاعة والمعصية».

ثم قال مولانا أبو عبد الله منه السلام: «التقية ديني ودين آبائي وأجدادي ومن لا تقية له لا دين له. وقال الله للمؤمنين وهو يؤدبهم: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُواً إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر: ٦) أما في الدنيا ففي المسوخية وأما في الآخرة ففي النار». ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (السجدة: ٢١).

وقال عز من قال للمؤمنين: إني لست بجائر، ولا أظلم احداً من خلقي، ولا أعذب احداً إلاّ بذنبه. وإني أريد أن آخذ عليهم عهد الله وميثاقه بأن يُخلقهم ويُرزقهم ويحيوا ويموتوا بقدرته وسلطانه[٥٤٨]. إن هذه القدرة قدرته وقد أعطاهم إياها. وعلى هذا تم العهد والميثاق...»

فقلت: «يا مولاي، كيف حلفهم؟» قال الصادق منه السلام: «حلف الأنبياء بالله، وحلف الأوصياء بالله، وحلف المؤمنين بالله العظيم، وحلفهم بهذا الميثاق على المعرفة والأظلة والأشباح والأبدان بعد حلف الميثاق العظيم، قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظًا﴾ (القرآن، النساء: ٢١)[*]».

الباب الثامن

فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً؟

قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام:

« ثم أن الله عز وجل جمع أرواح الأنبياء والأوصياء والمؤمنين كلها وكتب على أرواحهم كتاباً وأشهد عليها محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يكن في ذلك اليوم شاهداً غير محمد. وكتب في لوح من نور واستودع ذلك اللوح سرداق عرشه». ثم تلا الصادق: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ شَهِيداً ﴾ (النساء: ٤١).

الباب العاشر

في معرفة أشباه الناس في البهائم والبهائم في الناس بالمسوخية ومن أي شيء ذلك

قال الصادق جعفر بن محمد الباقر عليه السلام:

« خلق الله عز وجل إبليس وذريته من النار». قلت: « يا مولاي، وآدم عليه السلام مم خلقه وذريته؟» قال: « خلقوا من النور والأظلة والأشباح والأرواح وخلقت أبدانهم من الطين، فلما أخذ الله على آدم وولده الميثاق، قال تعالى للأنبياء والأوصياء والمقربين: إني سأحتجب في حجب الآدمية ‹= يعني سأحل في آدم›. فإذا دعوتكم لآدم عليه السلام فاجعلوه قبلتكم، فإني جعلت آدم قبلة، وإني سآمر إبليس وذريته بالسجود له، ولكنه يستكبر ويعصي هو وذريته؛ فتحل عليهم عقوبتي وعذابي، وإني أنا الله لا إله إلا أنا، لا أظلم أحداً ولا أعذب أحدا إلا بحجة. فدعا الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم والملائكة المقربين والأنبياء والصدّيقين والأولياء والأصفياء والمؤمنين، فسجدوا كلهم أجمعين. فصار آدم قبلتهم. ودعا إبليس وذريته إلى السجود له فامتنع. فقال له: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ؟ قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ (ص: ٧٥ و٧٦). والنار تأكل الطين وهي أقوى من الطين، لأنها تشبه النور والطين يشبه التراب. ألم يعلم اللعين أن التراب فيه كذلك الماء. فصار من التراب والماء آدم عليه السلام؟

فعند ذلك خلق الله عز وجل من معصية إبليس النساء المخالفات[٥٤٩] وخلق من معصية ذريته المسوخية. فنظر إبليس إلى المسوخية فقال: ما هذا؟ فقال ‹الله›: هذا تركيبك أنت وذريتك في المذبوح والمركوب والمشروب، ومن كل صنف وجنس. ثم ألبس الله تعالى

إبليس وذريته الأبدان، كما ألبس آدم وذريته. فمن هناك اشتبه على الناس أمرهم في المسوخية».

قال مولانا الصادق عليه السلام: «وإنه ليلقاك الرجل في بدنه وأنت تظن أنه آدمي، وإنه يمكن أن يكون قرداً أو خنزيراً أو كلباً أو دباً وما أشبه ذلك. فاشتبه ذلك على الناس. فمن ذلك لا يعرف المؤمن من الكافر للصورة المركبة فيهم يعني الأبدان التي ألبسوها.

فلما رُكبوا <الأبالسة> في المسوخية سألوا بني آدم، قالوا: كيف خلق الله آدم وكيف خلق الأشياء[٥٥٠]. وبنو آدم لا يعرفون أنهم من ذرية إبليس، إنما يظنون أنهم مثلهم فجعلوا يخبرونهم كيف خلق الله آدم وذريته، وكيف خلق الأشياء حتى أخبروهم بخلق كل شيء من السموات والأرض والجنة والنار. ولما سجدت الملائكة لآدم عليه السلام علم إبليس عند ذلك أنه يُركّب في المسوخية هو وذريته، وحسد آدم وذريته لما رزق الجنة، ولما[٥٥١] فضله الله عليه، واعتقد هو وذريته عداوة آدم والمؤمنين إلى يوم القيامة. فأظهر إبليس السجود إلى كل شيء: للأحجار والأوثان والشمس والقمر».

الباب الحادي عشر

في معرفة علل المزاج بين المؤمن والكافر

قال مولانا الصادق عليه السلام:

«لم يوفق الله إبليس وذريته إلى السجود له وهو محتجب بآدم، لأن إبليس وذريته خلقوا من الظلمة والخطيئة. فخلق الهواء من أهوائهم وظلمتهم وعصيانهم، وخلق الأرض من كفرهم واعتدائهم. ثم اختلط المزاج حين[٥٥٢] تركبوا بالأبدان واختلطوا في التزويج والنكاح واشتباه الأبدان ووقع بينهم النسل وتوالدوا، ولهذه العلة يلد الكافر مؤمناً، ويلد المؤمن كافراً». ثم تلا قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ﴾ (يونس: ٣١).

«وكل من يخرج منَ الأصلاب من أصله الذي خلق منه ثم يكر سبع كرات في سبع أبدان. والمؤمن ينسخ نسخاً، والكافر يمسخ مسخاً في أصناف المسوخية[٥٥٣]». ثم تلا قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ (التين: ٤ و٥). يعني في الدورة التي لا عقب لها إلاّ الذين أمنوا وعملوا الصالحات، فإنهم لا يمسخون ولا

يكون ذلك فيهم وإنما يمسخ من كان من قبل إبليس وذريته ومن خلق من الظلمة والخطيئة».

[ثم يعلم المفضل من قبل جعفر الصادق أن المؤمنين يرتقون في عملية الخلاص العديد من الدرجات إلى درجة الصفاء والإصطفاء. ويُوضح في الباب الخامس عشر كيف ينكس الكافر درجة بعد درجة كالمؤمن الذي ترقى درجة درجة. وترفع معرفة هذه العملية عن المؤمنين أداء الفرائض، الواجبات العبادية الظاهرة – الصلاة والصوم والحج والزكاة.]

الباب الثالث عشر

في معرفة الصفاء والاصطفاء، وما يسقط عن المؤمن من الأعمال الظاهرة إذا ارتقى إلى هذه الدرجة

... تلا (الصادق) أيضاً قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ (الزخرف: ٣٢). قلت: يا مولاي، هل علينا نحن معرفة هذه الدرجات؟ قال الصادق: «نعم، من عرف هذا الباطن سقط عنه عمل <عبادة> الظاهر، ولا يحتاج *إلى إقامة* شيء منه، *وعليه اقامة الظاهر ما دام لا يعرفها*[٥٥٤]، يعني هذه الدرجات، ولا يبلغها بمعرفته، فهو في عالم الظاهر. ولكن إذا بلغها وعرفها منزلة منزلة، ودرجة درجة، فهو حينئذ حر قد سقطت عنه العبودية، وخرج من حد المملوكية إلى حد الحرية بانتهائه ومعرفته».

قلت: يا مولاي، فهل جاء ذلك في كتاب الله؟ قال: «نعم، أما سمعت قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ (النجم: ٤٢). فإذا عرف الرجل ربه فقد انتهى للمطلوب ولا شيء أبلغ إلى الله من الوحدانية والمعرفة، وإنما وضعت الأغلال [= أي: فرائض العبادة] على المقصرين. وأما من قد بلغ وعرف هذه الدرجات التي فسرتها[٥٥٥] لك فقد أعتق من الرق ورفعت عنه الأغلال والقيود وإقامة الظاهر». ثم تلا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ٩٣)...

الباب الخامس عشر

في معرفة نكس الكافر درجة بعد درجة كالمؤمن الذي ترقىٰ في الإيمان درجة درجة

قال المفضل:

سألت مولاي جعفر عليه السلام: «كيف يرتقي الكافر في الكفر ويبلغه[٥٥٦] حتى يصير

طاغياً ظالماً شيطاناً؟» قال الصادق منه السلام: «يا مفضل، إن لكل كافر سبعة أبدان آدمية يركب فيها ويعذب. فأول درجة الكافر أن يكون كافراً ممتحن بالكفر فيغلي قلبه بأعمال الفجور، كما يغلي قلب المؤمن بأعمال البر والخير. فإذا بلغ الكافر هذه الدرجة صار نقيباً في الطغيان، ثم إذا بلغ هذه الدرجة من الطغيان صار مخلصاً خالصاً في الإثم والبهتان، ثم يكون مخلصاً في بغية الشر واجتنابه الخير، ثم يصير مأوىٰ الطغاة، ثم يكون باباً فإذا ارتقى وكان باباً في الكفر وضع ديناً برأيه وقياسه(٥٥٧) و[صار] يدعوا إليه الناس يلقنهم ويعلمهم ذلك. وسبيل هذا الكافر في الشرور والمعاصي كسبيل المؤمن بالخير وأعمال الصالحات جميعاً.

وكلما ارتقىٰ المؤمن إلى الخير باباً ارتقى هذا الكافر في المعصية باباً، مثل بمثل، حتى ينتهي في الكفر والضلال والطغيان. فحينئذ يعادي الله عز وجل ويعادي أولياءه، ويصير باباً من أبواب الكفر. فإذا بلغ هذا المبلغ فقد انتهى عمله وصار إبليساً ملعوناً. فحينئذ يركب في المسوخية فأول ما يتركب فيه من التراكيب المذبوح الذي يحل أكله، فيبقى في هذه التراكيب ألف سنة. ثم يركب منها(٥٥٨) كلما خرج من تركيب المذبوح إلى تركيب آخر، حتى يكتمل ألف سنة أيضاً. ثم يركب في تركيب لا يحل أكله، ويدوم كذلك حتى يركب في سبع تراكيب في المسوخية. وكذلك يركب المؤمن في سبع تراكيب الناسوتية ولا يدخل المؤمن في المسوخية أصلاً، وإنما يركب في الناسوخية(٥٥٩) بذنوب سلفت منه».

الباب السادس عشر
في معرفة امتزاج المؤمن بالكافر وكيف اختلطوا

قلت: يا مولاي، هل تدلني على معرفة امتزاج المؤمن بالكافر وكيف اختلطا؟ قال الصادق: «ويحك، إن الله خلق الأرض من رضاء المؤمنين ومن عمل الكافرين. فجعل الأرض طيباً وخبيثاً، فما كان طيباً فهو من رائحة عمل المؤمن ومعرفته بربه واقراره بتوحيده ووحدانيته ومعرفة مولاه وأوليائه ومعاداة أعدائه ومن عادى أولياءه الطاهرين. وما كان في الأرض رديئاً فهو من عمل رائحة الكافر وجهالته بربه وإنكاره(٥٦٠) لوحدانيته ومعاداته لأوليائه وموالاته لأعداء الله عز وجل واخلاصه في الكفر.

وأما امتزاج بعضهم ببعض فهذا امتزاج التشبيه حين لبسوا الأبدان وهم في المسوخية

والناس لا يعلمون ذلك العلم؛ وربما أكل معك كلب وأنت تظن أنه إنسان.

فلما اختلطوا بالناس[٥٦١] وأكلوا معهم وشربوا معهم ووقع بينهم النكاح والامتزاج والتزويج... جرت الولادة على أصل امتزاج بعضهم ببعض في الظاهر. وأما الباطن فإن له شأناً عجيباً وأمراً غريباً مذكوراً في علومنا. وكذلك في الأظلة وامتزاج البحر المالح والبحر العذب. وهذا علم <=غنوص> يفهمه كل من اتبعنا، آل البيت والأئمة أجمعين...»

الباب الثاني والعشرون

في معرفة إبليس وهل هو ظاهر أم باطن؟

قال المفضل:

سألت مولانا الصادق عليه السلام عن إبليس هل هو ظاهراً أم باطن؟ فأجاب: «هو ظاهر بالتراكيب، باطن في المعرفة. ألم تر إلى ذريته في التراكيب وقد خفيت عليك معرفتهم وأنك تخالطهم ويخالطونك ولا تعرفهم ونحن الأئمة نعرفهم». ثم قال: «وإن رأيتك مكانهم أو معهم افعل ذلك، أو إذا خرجنا نحو الجبانة[٥٦٢]، يعني قبور الأموات، فذكرني».

فلما كان بعد ذلك كان همي الوحيد أن أسأله. وعندما اجتمعنا في قصر الربيع[٥٦٣] وهو ناحية الجبانة، وإذا الناس مقبلون ومدبرون، وقد كان معهم جنازة، فقلت: يا مولاي، جعلت فداك لقد وعدتني أنك تريني المسوخية وأمرتني أن أذكرك. فأجاب عليه السلام: «لك ذلك إن شاء الله». فتقدم فمسح بيده على عيني. ثم قال: «يا مفضل، أنظر إلى القوم». فنظرت إليهم وإذا بي أراهم مقبلين ومدبرين قد عادت صورهم الحقيقية وأكثرهم انقلب إلى كلاب وقردة وخنازير وثعالب وغير ذلك.

فقلت: يا مولاي، من هؤلاء؟ قال عليه السلام: «هؤلاء ذرية إبليس اللعين يخالطون الناس وهم في المسوخية». فقلت: تبارك الله تعالىٰ. ثم قال عليه السلام: «هل تعرف أحداً منهم؟» قلت: نعم يا مولاي، وما ظننتهم ممسوخين، إنّا لله وإنّا إليه راجعون. ثم قال: «إغمض عينيك يا مفضل». فاغمضتهم. فمسح بيده الكريمة على عينيَّ وقال: «أنظر إليهم». ففعلت. وإذا بهم قد عادوا لما كانوا عليه...

الباب الخامس والعشرون

في معرفة ابتداء الخلق المؤمن العارف <=الغنوصي>

قال الصادق عليه السلام:

« ... فإذا أراد الله أن يخلق بدناً من الأبدان الذي تسكن فيه الروح الطيبة يعني وهو في صلب أبيه إلى بطن أمه، فوفق الرجل إلى[٥٦٤] مأكولات الثمار الطيبة والطعام اللذيذ فيكون الماء فيه، فتجتمع النطفة؛ فإذا جامع الرجل امرأته وعلقت منه كملت في الجنين الأرواح الثلاثة: روح القوة، وروح الشهوة، وروح الحياة[٥٦٥][...] فإذا كان عند خروج الجنين نزلت الروح الطيبة وهي روح الإيمان النورانية التي هي من نور الله خلقت، فتثبت[٥٦٦] في البدن بعد سقوطها من الرحم والبطن. فعند ذلك يحزن ويبكي، وهذا من علامات الخير. لأن الروح الطيبة تنزل من الروح والريحان، ومن جوار الرحمان. فبصرت في هذا الجسد الذي هو سجن لروح المؤمن فحزن لذلك. فإذا رأيت الولد عند سقوطه تراه حزيناً فهذا أن ذلك من علامات الإيمان[٥٦٧].

فإذا تمت معرفته واحتمل المحنة بكاملها، ثم أخرج من هذا البدن، وظل عليه شيء من المحنة، فيكون مردوداً حتى يستكمل المعرفة... »

الباب الثلاثون

في معرفة النجوم الخمسة والنجوم الثابتة[٥٦٨] في السموات السبعة وسكانها وأحوالها

[...] قلت: يا مولاي، جعلت فداك، والنجوم الثابتة التي نراها بين السماء والأرض متفرقة معلقة؟

قال الصادق: « تلك هي الأبدان النورانية التي جعلت للمؤمنين من أعمالهم، فإن في السماء أبداناً من شمس وقمر يراها الذين هم من دونهم على مثل ما ترون، أبدان الآدميين النورانيين. وفي كل سماء من هذه السبعة آدم قائم ثابت، على مثل ما خلق الله من الخلق الأول. ولهم مراتب في السموات، ودرجات عرفوها حقّ معرفتها ».

قلت لمولاي منه السلام: أخبرني هل السموات السبعة كلها واحدة أم قد يتفاضل[٥٦٩] بعضها على بعض، ومن هم سكان كل سماء وأسمائهم؟ فقال: « أما السماء العليا يا

مفضل، فهي مساكن الأئمة، وأما الثانية فللنقباء، وأما الثالثة فللنجباء، وأما الرابعة فللمخلصين، وأما الخامسة فللأيتام، وأما السادسة فللحجب، وأما السابعة فللأبواب».

الباب الثالث والثلاثون
في معرفة آدم الآخر وعصره

قال المفضل:

قال لي مولاي الصادق: «أنزل ‹الله› آدم الآخر في آخر الأوقات والأعصار وخلق له ولذريته أرض وسماء وهواء وماء وجنة ونار، كما خلق للذي كان من قبلهم، لأن الله خلق في كل سماء جنة من صالح أعمال ‹كل› آدم وذريته، وخلق في كل أرض ناراً من معاصي إبليس وذريته والجنان في السماء والنار في الأرض. وخلق عيناً في الجنة يقال لها عين الحياة، والعين مستراح المؤمنين. فإذا مات المؤمن تحمل روحه حتى تصعد إلى السماء على قدر إيمانه. ثم تغمس في تلك العين، فينسى عندما ينغمس كل ما مرّ عليه في هذه الدنيا من الهم والغم، ويلبس بدنه النوري، ثم يقيم في الجنة مع الملائكة...»

الباب الأربعون
في معرفة قتل مولانا الحسين

[إن الأئمة لا يشملون في حقيقتهم بالولادة والموت لأنهم رسل نورانيون ولهم من الأبدان أبداناً ظاهرةً. وأمهاتهم في الواقع ملائكة (=الباب ٣٧)، وكان الذبح العظيم الذي تعرض له بعضهم - مثل صلب المسيح - مجرد ظاهراً (= الأبواب ٣٨-٤٠). فهكذا كانت نهاية الحسين عند كربلاء مخالفة تماماً لما تفترضه العامة [عوام الناس].
وكذلك بعد قصة كربلاء المزودة بنزعات خرافية، يكشف جعفر الصادق للمفضل المتعجّب عن الطبيعة الحقة لأبي الخطاب الذي يجالسهم مجلسهم مستمعاً والذي هو في الواقع الملاك جبرائيل؛ قارن مع خبر القمي عن المخمسة، ص ١٥٤ السالفة.]

قال المفضل:

أخبرني يا مولاي عن قصة الحسين كيف قتل وكيف اشتبه على الناس قتله وذبحه كما اشتبه على من كان قبلهم في قتل المسيح. قال الصادق: «يا مفضل، هذا سر من أسرار الله

أشكله على الناس ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيا من يحيا عن بيّنة، فعرفوه أولياؤه وعباده المؤمنون المختصون من خلقه. افهم، يا مفضل، إن الإمام يدخل في الأبدان طوعاً وكرهاً ويخرج منها إذا شاء طوعاً وكرهاً كما ينزع أحدكم جبته وقميصه بلا تكلف ولا ريب. فلما اجتمعوا على الحسين ليذبحوه، كما يقولون، خرج من بدنه ورفعه الله إليه، ومنع الأعداء الظالمين منه، وقد سخط سخطة جبار عنيد لا تقوم بعظمته السموات والأرض والجبال [...] وإن الحسين لما خرج إلى العراق وكان الله محتجباً به وصار لا ينزل منزلاً صلوات الله عليه إلاّ ويأتيه جبريل فيحدثه. حتى إذا كان اليوم الذي اجتمعت فيه العساكر عليه واصطفت الخيول لديه وقام الحرب، حينئذ دعا مولانا الحسين جبريل، وقال له: يا أخي من أنا؟ قال: أنت ولي الله لا إله إلاّ هو الحي القيوم المميت والمحي، أنت الذي يا ابن الزهراء تأمر السماء فتطيعك والأرض فتنتهي لأمرك والجبال فتجيبك والبحار فتسارع إلىٰ طاعتك، وأنت الذي لا يصل إليك كيد كائد ولا ضرر ضار[٥٧٠]، لبيك. فقال ‹الحيسن›: أفترى هذا الخلق المنكوس كيف تحدثهم أنفسهم أن يقتلوا سيدهم؟ فقال ‹جبريل›: سيدي؟ فقال: نعم، إن أنفسهم تحدثهم أن يقتلوا سيدهم، ولكنهم لن يصلوا إلى ذلك لأنهم ضعفاء، [ولا ليّ] ولا لأحد من أولياء الله كما أنهم لم يصلوا إلى عيسى ابن مريم ولا إلى يحي * وإلى أمير المؤمنين علي. ولكنهم عملوا ذلك ليحل عليهم العذاب بعد الحجة والبيان. وقال الحسين: يا جبريل! فقال جبريل: لبيك - انطلق إلى هذا الملعون الضال الجاحد المنكوس، وقل له: من تريد أن تحارب؟

- قال [الصادق] - فانطلق جبريل في صورة رجل غريب مجهول، فدخلْ على ‹الجنرال› عمر بن سعد[٥٧١] وهو جالس على كرسيه بين قواده وحراسه وأبوابه، فخرق صفوفهم حتى وصل إليه ووقف بين يديه. فلما نظر إليه عمر بن سعد ارتاب منه وارتعب وقال له: من أنت؟ قال جبريل: أنا عبد من عبيد الله، جئت أسألك عمن تريد أن تحارب؟ قال: أريد أن أحارب الحسين ابن علي، وهذا كتاب عبيد الله بن زياد[٥٧٢] يأمرني فيه أن أقتل الحسين بن علي. قال له: تقتل ولي رب العالمين وإله الأولين والآخرين وخالق السموات والأرض وما بينهما. فلما سمع عمر بن سعيد ذلك أخذه الخوف وقال لقواده: خذوه.

فتبادروا إليه بالأعمدة والسيوف». قال: «فتفل في وجوههم تفلة خروا على وجوههم من أثرها منكوسين، وخر الملعون ابن سعيد على وجهه من فوق كرسيه منكوساً. فلما أفاق وأصحابه طلبوا جبريل فما وجدوه ولم يروا شيئاً فازداد عمر بن سعد رعباً وخوفاً، ونظر إلى

أصحابه، وإذا بجبريل يدخل عليهم مرة ثانية ويقول لهم: الويل لكم هل سمعتم بمثل ما مرّ عليكم وهل رأيتم مثل ما رأيتم؟ فإنكم ملعونون وظالمون. ثم خرج جبريل ولم ينظروه.

فقال اللعين: هل رأيتم أو سمعتم مثل هذا؟ قالوا: ما رأينا ولا سمعنا أن رجلاً يدخل على ملك مثلك له بوابين وحجاب وعسكر وقواد، فيدخل عليه رجل غريب لا يعلم ولا يشعر به أحد حتى يتمثل بين يديك ويتكلم بمثل ما كلمك به. ثم أننا عندما هممنا أن نأخذه ونقتله تفل في وجوهنا تفلةً ضربنا على وجوهنا صاعقين. فقال اللعين عمر بن سعد: أخبروني ما هذا وكيف العمل؟

فتكلم شيخ من الحاضرين، وقال: أصلح الله الملك والأمير، لا يهولنك ما قد رأيت فقد يكون إبليس اللعين تزين لنا ولك، كي يخوّفنا. فقال عمر: ويحك، إن إبليس من أحد أعواننا، ونحن من حزبه وجنده متفقين على قتل ابن بنت رسول الله، فكيف يخوننا ويروعنا؟ وأما أمر هذا الرجل فقد أخلج صدري واشغلني عن أمري. فقال رجل من القوم: أصلح الله الأمير إنه تحقق عندي معرفة ذلك الرجل، ولا يعرفه غيري. قال: هات ما عندك؟ قال الرجل: أقول، لا شك أن الحسين واباه علي ابن أبي طالب كانا يشتغلان بشيء من السحر ولا بد قد بلغك عن علي شي كثير من هذا الفن، وكان يزعم أن سحره دلالة. قال اللعين: صدقت وأصبت، قد بلغني عنه شيء من ذلك السحر ولا يمكن أمرنا هذا إلاّ إلى السحر وما ذكرته إلى هذه الساعة ولولا أن تكون قد ذكرتني من سحره لكان قد بدا إليَّ عند محاربته، وكنت قد هممت باعتزالي وعسكري عنه. ولكن اتوني بقوسي فقد قوي قلبي وذهب عني رعبي، وأشهدكم عليَّ أنه بريء مما كان عليه علي بن أبي طالب وما عليه ولده الحسين. ثم رمى سهمه، وقال إلى رجاله وعسكره: «إني أول من يرمي سهمه في عسكر الساحر».

وأمر الناس أن يتهيأوا بسلاحهم إلى قتال ابن بنت رسول الله. وكان أول من أنقذ طليعة من عسكره رجلان حبشيان خِلقَتهما عظيمة وكأن عيونهما الجمر. فلما نظرهما الحسين قال: يا جبريل، أريد أن تأتيني بهذين الرجلين في تراكيبهما في المسوخية. فحينئذ مدَّ جبريل يده فأخذهما عن ظهر فرسيهما. فأحضرهما بين يدي مولانا الحسين. فإذا هما كبشان أملحان. قال فهتف الحسين هتفة وقال: ارجعا إلى ما تُعرفان به! فإذا هما رجلان أسودان ملعونان في دماغ كل واحد منهما حديدة فإذا هي تدخل في دماغ كل واحد منهما وتخرج من دبره. قال الحسين: يا أخي يا جبريل، من هذين اللعينين؟ قال: يا

مولاي، هذان سعد والأملح. قال الحسين: قربا مني أيها اللعينان؛ قال: كيف رأيتما عذابي ونقمتي في مسوخيتكما؟ قالا: لقد رأينا أشد العذاب. فأخرجنا من المسوخية إلى الأبدان البشرية فقد عرفنا سبيل الحق، فارحمنا برحمة منك، يا أرحم الراحمين. قال: لا رحمكما الله، هذا لكما، ومردودين ألف سنة بالمسوخية في قالب بعد قالب أُشدّد عليكما عذابي ونكالي جزاء لما كسبتما. فقالا: العفو، اغفر لنا. فقال: لا غفران لكما ولا رحمة، فإن رحمتي وغفراني لأوليائي وأصفيائي، وإن نقمتي وبأسي ونكالي لأعدائي الظالمين. ثم صاح بهما صيحة فساحا في الأرض».

قال المفضل: يا مولاي، إلى أين ذهبا؟ فقال الصادق: «قد عادا إلى أصحابهما يقاتلان الحسين». قال المفضل: هل كان مع الحسين يومئذ ‹في كربلاء› من المؤمنين الموحدين أحد؟ قال الصادق: «كان معه مؤمن موحد وستراه معنا». قال وحضر أبو الخطاب. فقلت: اسمع يا أبا الخطاب ما يقوله مولانا. فقال أبو الخطاب: «نعم كنت أنا معه وكنت أيضاً مع أمير المؤمنين ‹علي›». ثم رجع مولانا جعفر الصادق إلى حديثه. فقال: «إن الحسين لَما أحدقوا به طلب جبريل وميكائيل واسرافيل فأجابوه: لبيك يا ربنا. فقال: اعتلوني إلى الهواء. وعليّ معه ... [٥٧٣]».

قال المفضل: يا مولاي، أكان أصحاب الحسين يرون جبريل؟ قال الصادق: «نعم، ويرون ميكائيل واسرافيل وأنا أراهم وأنت تراهم». قال المفضل: يا مولاي، وأنا أرى جبْريل واسرافيل وميكائيل؟ قال: «نعم». قلت: يا مولاي، في صورة واحدة أم في صور شتى؟ قال عليه السلام: «بل في صور شتى». قال المفضل: يا مولاي، متى استطيع أنا أن أرى جبريل؟ قال: «تراه اليوم». قال المفضل: وأين؟ فقال: «في منزلنا هذا». قلت: وفي أي وقت؟ قال: «في ساعتك هذه. ‹أ›تحب أن يكلمك؟». قلت: أي والله[٥٧٤]. فقال الصادق: «يا أبا الخطاب ‹أ›أنت جبريل؟». قال أبو الخطاب: «والله أنا جبريل، وأنا والله الذي وجهني الحسين منه السلام إلى الملعون عمر بن سعد، وأنا الذي كلمته وأكببت وجهه في النار هو وأصحابه أجمعهم، وأنا المتولي بعذابهم بأمره، وأنا صاحب آدم الأول وأمرني فهتفت بالخلق هتفة واحدة، فطبعت[٥٧٥] منهم الأوصال وأوثقتهم بالسلاسل والأغلال، وأنا صاحب نوح وقد دعوت قومه إلى عبادة (الله ووحدانيته ففرقتهم بالطوفان وأنا والله

كنت صاحب ابراهيم حين جحدوه ورموه بالنار[٥٧٦]) وأنا والله كنت معه فما أصابني إلاّ وإياه من حر النار وألم العذاب، كما يقول الجاهلون: ذلك السر الإلهي وأنا صاحب دانيال والتابوت الصحف، وأنا والله كتبتها بيدي وخطي، وأنا لم أشك قط ولا أشك أبداً في ربوبيته: وهو العلي الأعلى، وأنا صاحب موسىٰ وعيسىٰ ومحمد، وأنا أبو الخطاب وأبو الطيبات[٥٧٧]، وأنا الذي صاح بأهل المؤتفكة صيحة فدمرتهم، وأنا بين يدي كل إمام في كل عصر وزمان على صور مختلفة وأسماء مختلفة، وأنا مع القائم بين يديه أنسف الظالمين بسيفه نسفاً، ويامرني فأطيعه؛ وأنا أحي وأميت وارزق بأمر ربي».



الفصل التاسع

هراطقة القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي

(١) علي بن حسكة والحسكيون

بعد محاولة الخليفة المأمون الفاشلة بتعيين الإمام الثامن علي الرضا ولياً للعهد (أنظر ص ١٦٣)، وضع الخلفاء العباسيون الأئمة الشيعة تحت رقابة شديدة. كان الإمام التاسع محمد الجواد (ولد عام ١٩٥ هـ/ ٨١١م) بعد موت أبيه علي الرضا (٢٠٣هـ/٨١٨م) قد أعيد إلى المدينة مرة ثانية، إلا أن الخليفة المعتصم قد رحّل في سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م «ابن الأربعة والعشرين عاماً» إلى العراق من جديد. وكذلك توفى الإمام في بغداد في السنة عينها ودفن أمام أبواب المدينة إلى جانب جده موسى الكاظم[٥٧٨].

لقد أُحضر ولده القاصر الذي تركه بعده، الإمام العاشر أبو الحسن علي الملقب بالعسكري أو الهادي (ولد سنة ٢١٤ هـ/٨٢٩م) في عام ٢٣٣هـ/٨٤٨م من قبل الخليفة المتوكل إلى مقر الحكم الجديد سامراء الواقعة على دجلة، حيث عاش حتى وفاته في سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م[٥٧٩]. ويعتبر ترحيله مرتبطاً مع سياسة المتوكل المعادية للشيعة: إذ أمر الخليفة في سنة ٢٣٦ هـ/٨٥٠م بهدم لحد الحسين الواقع عند كربلاء لكي يوقف حجيج الشيعة إلى أهم مزار من مزاراتهم.

استمد الإمام الحادي عشر أبو محمد الحسن لقبه «العسكري» الذي لقب به – مثل أبيه – من واقع أنه قد قضى كل حياته تقريباً في «العسكر»، أي في سامراء. لقد ولد في سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م، قبل فترة قصيرة من ترحيل أبيه إلى العراق. وقد توفى أخوه الأكبر محمد قبل أبيه. وولد له أخ صغير في سامراء. وعندما توفى الحسن العسكري في سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٤م عن عمر يناهز الثامنة والعشرين سنة لم يترك على كل حال لا نجلاً ولا وريثاً «ظاهراً»[٥٨٠] كما يؤكد المؤلفون الإماميون. فقسمت تركته بين أمه وأخيه الأصغر جعفر.

لقد أوقع موت الحسن العسكري الطائفة الشيعية في أزمة صعبة. إذ أدت معضلة خليفته في الإمامة إلى تشكيل فرق متنافسة متعددة كانت كلها تقدم ضروباً ممتنة لحل واحد[٥٨١]: العودة المنتظرة للحسن الغائب أو القائم نفسه، ونقل الإمامة إلى أخيه جعفر، والنيابة من خلال «وصي» ليس من أهل بيت علي، والإقرار بفترة من دون إمام وكذلك العديد من ضروب الإيمان بوجود نجل مولود للإمام الحسن سراً (أو بعد وفاته) يكون إذاً الإمام الثاني عشر المسمى بمحمد والمختفي أو المغيّب والذي سيرجع بعد فترة وجيزة كمهدي. ويبدو أن أول ما قد فرض هذا الاتجاه «الشيعي-الإثنا عشري» إرادته على منافسيه في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

استمر تراث الغلو في عهد آخر ثلاثة أئمة بصورة متواصلة. إذ يمكن إقامة شجرة متفرعة «Filiation» من رواة وحي-المفضل[٥٨٢]. ولم يعد الغلاة يظهرون في الكوفة فقط؛ إذ نجدهم كذلك في بغداد، وسامراء وفي المدينة الإيرانية الصغيرة قم حيث قامت منذ القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي طائفة شيعية نشطة جدا. يبدو أن الغلاة حصلوا إبان عهد الإمام العاشر أبي الحسن علي العسكري في قم بزعامة شخص يدعى ابن حسكة، على تأثير شديد في الطائفة. لقد حفظ المؤلفون الإماميون على نص العديد من الخطابات التي يبحث فيها أتباع الاتجاه المعتدل لدى الإمام في سامراء عن مناصرتهم على الزنادقة.

الكشي، رجال، ص ٥١٦ وما يليها، فقرة ٩٩٤ [ط كربلاء، ص٤٣٥]:

«في الغلاة في وقت علي بن محمد العسكري (ع)، منهم علي بن حسكة والقاسم بن يقطين القميان.

محمد بن مسعود قال: حدثني محمد بن نصير قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى: «كتبت إليه <الإمام> في قوم يتكلمون ويقرأون أحاديث ينسبونها إليك وإلى آبائك فيها ما تشمئز منها القلوب ولا يجوز لنا ردها إذ كانوا يروون عن آبائك عليهم السلام ولا قبولها لما فيها، وينسبون <خلق> الأرض إلى قوم يذكرون أنهم من مواليك[٥٨٣] وهو رجل يقال له علي بن حسكة وآخر يقال له القاسم اليقطيني، ومن أقاويلهم أنهم يقولون إن قول الله تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥) معناها رجل لا سجود ولا ركوع. وكذلك الزكاة معناها ذلك الرجل لا عدد دراهم ولا إخراج مال، وأشياء من الفرائض والسنن والمعاصي فأولوها وصيروها على هذا الحد الذي

ذكرت لك. فإن رأيت أن تبين لنا وأن تمن على مواليك بما فيه سلامتهم ونجاتهم من الأقاويل التي تصيرهم إلى المعطب والهلاك، والذين ادعوا هذه الأشياء ادعوا أنهم أولياء وادعوا إلى طاعتهم منهم علي بن حسكة والقاسم اليقطيني؛ فما تقول في القبول منهم جميعاً؟»

فكتب عليه السلام: «ليس هذا ديننا فاعتزله».

الكشي، رجال، ص ٥١٨ وما يليها، فقرة ٩٩٧ [ط كربلاء، ص ٤٣٦ وما يليها]:

«حدثني الحسين بن الحسن بن بندار القمي قال: حدثنا سهل بن زياد الآدمي قال: «كتب بعض أصحابنا إلى أبي الحسن العسكري (ع) جعلت فداك يا سيدي إن علي بن حسكة يدعي أنه من أوليائك وإنك أنت الأول القديم[٥٨٤] وإنه بابك ونبيك أمرته أن يدعوا إلى ذلك، ويزعم أن الصلاة والزكاة والحج والصوم كل ذلك معرفتك ومعرفة من كان في مثل حال ابن حسكة فيما يدعي من البابية والنبوة، فهو مؤمن كامل سقط عنه الاستعباد بالصلاة والصوم والحج وذكر جميع شرائع الدين أن معنى ذلك كله ما ثبت لك ومال الناس إليه كثيراً. فإن رأيت أن تمن على مواليك بجواب في ذلك تنجيهم من الهلكة؟» قال: فكتب عليه السلام: «كذب ابن حسكة عليه لعنة الله وبحسبك أني لا أعرفه في موالي، ماله؟ لعنه الله...»

(٢) اسحاق الأحمر والاسحاقية

كان البصري أبا يعقوب اسحاق بن محمد بن أحمد بن أبان النخاعي المدعو بالأحمر[٥٨٥] أحد أهم الغلاة ومن أهم رواة غنوصية المفضل إبان عهد الإمامين علي الهادي والحسن العسكري. لقد عاش في بغداد وكان له فيها قبل كل شيء تأثير حيث توفى فيها في سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م. هناك شهادات على فرقة الاسحاقية المسمات حسب اسمه في بغداد والمدائن[٥٨٦]. وعلاوة على ذلك يذكر الجغرافي ياقوت (توفى سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) اسحاقيي دائرة «الشرطة» لما يقع بين البصرة وواسط في جنوبي العراق. ويبدو أن الفرقة قد امتدت عبر حلب إلى السواحل السورية حتى اللاذقية وجبلة حيث أنها بلا شك قد أقصيت في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي من قبل فرقة النصيريين/ العلويين الشقيقة المنافسة لها[٥٨٧]. وكثيراً ما يُذكر اسحاق الأحمر في كتب النصيريين

باعتباره العدو الألد للإيمان الحق، إذ يصفونه بكل معاني الاشمئزاز.

يُقدِّم لنا اسحاق بكونه قائد ومؤلف العليائيين (أنظر ص ١٥٧) في زمانه[٥٨٨] الذي نشر تعاليم المفوضة المميزة والمسندة إسناداً مزعوماً إلى المفضل[٥٨٩]. إن أهم مؤلفاته «كتاب الصراط» مفقود. ونعرف فقط من مجاميع إمامية العديد من الأحاديث المروجة عن اسحاق ذوات طُرف مدرسية عن الإمام الحسن العسكري[٥٩٠] – مجموع أحاديث بريء أخذ به الإماميون من دون تردد. إلا أنهم لم يدعوا في مؤلفاتهم البيوغرافية [تراجمهم] والمؤرخة للفرق والأديان مجالا للشك في زندقة اسحاق.

النوبختي، (الرد على الغلاة)، [مقتبس لدى الخطيب البغدادي، تأريخ بغداد، ج ٦، ص٣٨٠]:

«وقد كان ممن جود الجنون في الغلو في عصرنا: اسحاق بن محمد المعروف بالأحمر، وكان ممن يزعم أن علياً هو الله، وأنه يظهر في كل وقت ‹على صور مختلفة› فهو الحسن في وقت الحسن، وكذلك هو الحسين وهو واحد، وأنه هو الذي بعث بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال في كتاب له: «لو كانوا ألفاً لكانوا واحداً». وكان راوية للحديث، وعمل كتاباً ذكر أنه «كتاب التوحيد»، فجاء فيه بجنون وتخليط لا يتوهمان، فضلاً من أن يُدَلُّ ‹هنا› عليهما. وكان ممن يقول باطن صلاة الظهر محمد صلى الله عليه وسلم لإظهاره الدعوى قال: «ولو كان باطنها هو هذه التي هي الركوع والسجود، لم يكن لقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥)، يعني لأن النهي لا يكون إلاّ من حيّ قادر»[٥٩١].

**

يتناول مؤرخ الفرق والأديان الشهرستاني (توفى عام ٥٤٨هـ/١١٥٣م) فرقتيّ الاسحاقية والنصيرية الشقيقتين في فصل مشترك يوضح فيه تحديداً الوضع الهرطقي المتشابه وليس التباينات بين الفرقتين.

الشهرستاني، الملل والنحل، (تح كوريلتون، ص ١٤٣–١٤٥ (=تح الوكيل، ج١، ص ١٨٨ وما يليها):

«النصيرية والاسحاقية من جملة غلاة الشيعة. ولهم جماعة ينصرون مذهبهم، ويذبّون [= يُدافعون] عن أصحاب مقالاتهم: وبينهم خلاف في كيفية إطلاق اسم الإلهية على الأئمة من أهل البيت. وقالوا: ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل. أما في جانب الخير فكظهور جبريل عليه السلام ببعض الأشخاص[٥٩٢]، والتصور بصورة أعرابي، والتمثل بصورة البشر. وأما في جانب الشر فكظهور الشيطان بصورة إنسان حتى يعمل الشر بصورته، وظهور الجن بصورة بشر حتى يتكلم بلسانه؛ فكذلك نقول إن الله تعالى ظهر بصورة أشخاص. ولما لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علي رضي الله عنه وبعده أولاده المخصوصون؛ وهم خير البَرية. فظهر الحق بصورتهم، ونطق بلسانهم، وأخذ بأيديهم. فعن هذا أطلقنا اسم الإلهية عليهم. وإنما أثبتنا هذا الاختصاص لعلي رضي الله عنه دون غيره، لأنه كان مخصوصاً بتأييد إلهي من عند الله تعالى فيما يتعلق بباطن الأسرار. قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿أَنَا أَحْكُمُ بِالظَّاهِرِ. وَاللهُ يَتَوَلَّىٰ السَّرَائِرَ﴾ وعن هذا كان قتال المشركين إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقتال المنافقين إلى عليّ رضي الله عنه. وعن هذا شبه بعيسى ابن مريم عليه السلام. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿لَولا أَنْ يَقولَ النَّاسُ فِيكَ مَا قَالوا في عِيسىٰ ابْنِ مَريمَ عليهِ السَّلاَمَ لَقُلْتُ فيك مَقالاً﴾.

وربما أثبتوا له شركة في الرسالة، إذ قال النبي عليه السلام: ﴿فِيكُم مَنْ يُقَاتِلُ علىٰ تَأْويلهِ كَمَا قَتَلْتُ علىٰ تَنْزِيلهِ، ألاَ وَهُو خَاصِفُ النَّعْلِ﴾[٥٩٣] فعلم التأويل، وقتال المنافقين، ومكالمة الجن، وقلع باب خيبر، لا بقوة جسدانية[٥٩٤]. من أول الدليل على أن فيه [أي علي] جزءاً إلهياً، وقوة ربانية. ويكون هو الذي ظهر الإله بصورته، وخلق بيديه، وأمر بلسانه. وعن هذا قالوا: كان موجوداً قبل خلق السموات والأرض. قال: كنا أظلة عن يمين العرش، فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا، فتلك الظلال، وتلك الصور التي تنبئ عن[٥٩٥] الظلال: هي حقيقته [= أي أنها في الحقيقة هو؟]. وهي مشرقة بنور الرب تعالى إشراقاً لا ينفصل عنها، سواء كانت في هذا العالم، أو في ذلك العالم. وعن هذا قال علي رضي الله عنه: أنا من أحمد [=محمد] كالضوء من الضوء. يعني لا فرق بين النورين إلاّ أن أحدهما سابق، والثاني لاحق به، تال له. قالوا: وهذا يدل على نوع من الشركة.

فالنصيرية أقرب إلى تقرير الجزء الإلهي. والاسحاقية أميل إلى تقرير الشركة في النبوة. ولهم اختلافات كثيرة لا نذكرها».

(٣) ابن نصير والنميرية

كان محمد بن نصير النميري الفهري مثل معاصره اسحاق الأحمر، عليائياً[٥٩٦]. وكما يبدو فقد لاقى تأييداً في حاشية القصر لدى شخص كاتب الدولة محمد بن موسى بن الحسن الفرات الجعفي[٥٩٧]. وقال ابن نصير بالوهية الإمام العاشر علي الهادي الذي يفترض أنه لعنه على ذلك[٥٩٨]. وبدءاً جُعل في تراث الفرقة النصيرية التي تسمي نفسها على حسب اسمه، متلقياً مزعوماً لوحي سري من الإمام الحادي عشر الحسن العسكري.

النوبختي، ص ٧٨ [= ط النجف، ص١١٥-١١٦] (=القمي، ص ١٠٠ وما يليها = الكشي، ص ٥٢٠، فقرة ١٠٠٠ [ط كربلاء، ص٤٣٨]):

«وقد شذت فرقة من القائلين بإمامة علي بن محمد في حياته فقالت بنبوة رجل يقال له محمد بن نصير النميري وكان يدعي أنه نبي بعثه ابو الحسن <علي> العسكري عليه السلام. وكان يقول بالتناسخ والغلو في ابي الحسن، ويقول فيه بالربوبية ويقول بالإباحة للمحارم ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضاً في أدبارهم ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل، وأنه إحدى الشهوات والطيبات وأن الله عز وجل لم يحرم شيئاً من ذلك.

وكان يقوي أسباب هذا النميري (محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات). فلما توفى <ابن نصير> قيل له في علته وكان اعتقل لسانه: لمن هذا الأمر من بعدك؟ فقال: لأحمد، فلم يدروا من هو فافترقوا ثلاث فرق: فرقة قالت: إنه أحمد ابنه، وفرقة قالت: هو أحمد <= محمد> بن موسى بن الحسن بن فرات، وفرقة قالت: <ابن بيت علي> أحمد بن أبي الحسن محمد بن بشر بن زيد. فتفرقوا فلا يرجعون إلى شيء وادعى هؤلاء النبوة عن <الإمام الحادي عشر> أبي محمد الحسن بن عليّ، فسميت هذه الفرقة النميرية».

البغدادي، ص ٢٥٥ وما يليها [ط دار الآفاق، بيروت، ص٢٣٩]:

«في ذكر الشريعية (أنظر ص ١٥٧) والنميرية من الرافضة

الشريعية أتباع رجلَ كان يعرف بالشريعي وهو الذي زعم أن الله تعالى حل في خمسة أشخاص وهم النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين. وزعموا أن هؤلاء الخمسة آلهة...»

الفصل العاشر
النصيريون أو العلويون

(١) العلويـون السوريـون

لقد منح ابن نصير الذي تناولناه في الفصل السابق، فرقة-الغلاة الوحيدة التي ما زالت حتى يومنا هذا قائمة، اسمها. ولكن يطلق النصيريون السوريون - الذين يستخدمون لأنفسهم تسميات أخرى (أنظر ص ٢٠٩) - على أنفسهم منذ زمن ليس ببعيد جداً، «العلويون» لكي يقدموا أنفسهم كجزء من الطائفة الشيعية الكبيرة ويبعدوا بذلك الشبهة المذهبية.

إن العلوية السورية غرس وبقية للغلو العراقي. إن الإستناد الصريح إلى الغالي ابن نصير ليس فقط ما هو دليل دامغ على ذلك، فكذلك تعاليم وتراث الفرقة السورية؛ إذ نعثر على أسطورة ومصطلحات الفرق الغالية العراقية في الكتب النصيرية تقريبا بلا تغيير. حيث يتواتر «كتاب الأظلة» لابن سنان من قبل النصيريين إلى يومنا هذا[٥٩٩].

جُلبت تعاليم الفرقة من العراق من قبل شيوخ إلى حلب ومن هناك إلى الساحل السوري الذي كان قد أصبح لمرة أخرى منذ غزوات الإمبراطور البيزنطي نقفورس الثاني فوكاس «Nikephoros Phokas» (٩٦٣-٩٦٩) ويوحنا شمشقيق «Johannes Tzimiskes» (٩٦٩-٩٧٦) بيزنطية. وطبقاً لرواية نصيرية فقد هاجر في سنة ٤٢٣ هـ/١٠٣٢م الشيخ الطبراني وهو أحد أهم مؤلفي الفرقة الأوائل (أنظر ص ٢٠٩ وما يليها)، من حلب إلى اللاذقية ليستقر هناك. ويبدو أن حكم الصليبيين - في أنطاكيا منذ عام ١٠٩٨م، وفي اللاذقية منذ ١١٠٣م - لم يحد من نشر الفرقة في الجبال الوعرة المجاورة للاذقية وطرطوس، إلا أن الأخبار عن هذه المنطقة طفيفة جداً[٦٠٠].

يُكوّن مكان استيطان النصيريين/العلويين الرئيس في ما يسمى اليوم بسورية، منطقة مترابطة، تنقطع من خلال الطوائف السنية والإسماعيلية أو المسيحية التي تقطن فيها هنا وهناك، تقع ما بين البحر المتوسط ونهر العاصي، أي أنها تشمل قبل كل شيء السهل

الساحلي والمنطقة الجبلية المسماة حسب الفرقة، جبل أنصارية (= صيغة مُفسَدة أريد بها تحسين وهمي لجبل النصيرية)، والمسمى في الخرائط الجديدة بجبل العلويين. يسود العنصر العلوي هناك في السكان الفلاحين-القرويين، في حين يبقى في منطقة المدن المحيطة بالجبل – اللاذقية، وجبلة، وبانياس، وتل كلخ، ومصياف، وجسر الشغور – بمحاذاة السنة السائدة مشكلا للأقلية[٦٠١]. وإضافة إلى منطقة الاستيطان المنغلقة في الجبل، هناك أيضا العديد من المجموعات السكنية المتناثرة الصغيرة جداً شرقي نهر العاصي في الأرياف المجاورة للمدن مثل حلب وإدلب في الشمال مروراً بمعرة النعمان وحماه حتى حمص في الجنوب[٦٠٢]، وكذلك مجموعات صغير في المدن مثل حماه وحمص وحتى في دمشق عينها. وعلى الرغم من أن العلويين يشكلون اليوم تقريباً ١٢٪ فقط من سكان سورية (في سنة ١٩٦٤: ٦٠٠٠٠٠ نسمة، أي ١١٪[٦٠٣])، إلا أنهم يلعبون منذ تولي الرئيس العلوي حافظ الأسد الحكم في سنة ١٩٧٠، دوراً مهماً في الحكومة والجيش والدوائر الرسمية.

وتتواجد أيضا أقليات علوية في الدول المجاورة لسورية. إذ يبدو أنه ما زالت فرقة نصيرية قديمة جداً قائمة في العراق في عنه فقط الواقعة على الفرات الأوسط – ربما هي مما تبقى من الطائفة العراقية الأولى؟ –. ويوجد في شمال لبنان أقلية علوية لا يكاد يحسب لها وزن تعد جغرافيا في عداد قلب المنطقة السورية الخاصة بالطائفة النصيرية، في سهل عكار وفي طرابلس[٦٠٤]. والأقلية العلوية هي اليوم مهمة في المناطق التركية من حيث العدد[٦٠٥]. إذ أن أبناءها يتواجدون فيما كان سابقاً يسمى بـ« سنجق الإسكندرون » (المسمى بالتركية بهتاي) الذي أحتل من قبل الأتراك في عام ١٩٣٩ في هضاب القُصير جنوب شرق أنطاكية، وفي أنطاكية عينها (حوالي خمس السكان)، وعلى أسفل نهر العاصي حتى مصبه بالقرب من الجلية والسويدية (سمندج) وكذلك في سهل إسكندرون الساحلي. إن طرسوس وأضنة مركزان لمنطقة واسعة ذات أقلية كبيرة في كيليكية[٦٠٦].

إن السكان العلويين في الجبل السوري – وعلى الرغم من أنهم عُربوا من حيث اللغة – هم غير متجانسين عرقيا. إذ تدل الأسماء الآرامية للمناطق مثل صافيتا على عمران قديم ما قبل اسلامي. إذ أن تراث الخلاصة « Substrat » المحلية الوثنية ما زالت إلى اليوم حية في تبجيل الأشجار المقدسة، والينابيع والأحجار أو المؤلهين (البعليم) المحليين على القمم والمرتفعات، أو المقامات الخاصة بأولياء مسلمين غامضين (مثل الخضر، والنبي يونس، والنبي عيسى، والنبي إسكندر)؛ ويجمع عيد الخُضر البحري في الأول من تموز عند مصب

نهر العاصي علوي منطقة أنطاكية[٦٠٧] . ولا يوجد على كل حال في المدونات الفقهية للطائفة أي أثر من هذه العبادات الشعبية التي تعنى بها قبل كل شي النساء المستثنيات من الديانة النصيرية العريقة. إن العلويين يعزون أصلهم إلى قبائل عربية حجازية، سورية وعراقية. وتقسم العشائر المشتتة تشتتاً لا نهاية له، المتوزعة في مجموعات وجماعات صغيرة في عرض البلاد وطولها، طبقاً لتقسيم جنيالوجي - توهمي إلى حد بعيد -، في أربعة تجمعات عشائرية.

يعزو الكلبيون القاطنون في السهل الساحلي لمدينة جبلة أصلهم إلى قبيلة « كلب » السورية الكبيرة التي لعبت إبان عهد الأمويين دوراً سياسياً مهماً؛ ويلحق بهم حوالي ثماني عشائر يقطنون في الجزء الشمالي من الجبل وحتى نهر العاصي[٦٠٨] . إلا أن الرواية العلوية تخبرنا كذلك أن عشيرة الدراوسة «Dariousi »، شمال وشمال شرق الحفة، لعلها تألفت من الكلبيين، وسكان كريتيين أتراك وعناصر عراقية[٦٠٩] .

إن نواة تجمع الـ« خياطين »، أي عشيرة بيت الخياط المتواجدة في جنوب الجبل، في المنطقة الجبلية الواقعة غرب مصياف في منطقة جنوب نهر الكبير وفي سهل عكار، تعتبر نفسها من سلالة قبيلة عبد القيس (العبدية) . ويحسب على تجمع الخياطين كل من العشائر الصغيرة في الوسط مثل الفقاورة « فُقراوي »، والصَرامِتة « صراتة » جنوبي بانياس، أو في الشمال مثل العمامِرة « عمامرة » ما بين قلعة صهيون الصليبية وبين نهر العاصي (حول جوبت برغال)[٦١٠] . ويفترض أن الجد الأول للخياطين الذين هاجروا كما يُزعم من شمال لبنان، هو علي الخياط الذي قد دعا للمساعدة في عام ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م ضد جور الإسماعيليين والقبائل البدوية الكردية من جنوب جبل سنجار الواقع شمالي منطقة ما بين النهرين (إلى الشرق من نهر الخابور) .

يعزي التجمعان الآخران، الحدادون والمتاورة « Mataoura » نسبيهما إلى هذه العشائر السنجارية التي يفترض أن الاستيلاء النهائي على أراضيها قد تحقق بقيادة الأمير حسن بن يوسف المكزون في سنة ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م. تقطن في يومنا هذا نواة مجموعة-الحدادين، أي بيت الحداد، السهل الساحلي الواقع شمال بانياس، حول طرطوس؛ وهم يعزون نسبهم إلى أحد أخوة الأمير حسن بن المكزون[٦١١] . إن نواة منطقة تواجد المتاورة هي الجنوب الشرقي للجبل (حول مصياف)؛ ويلحق بهم بالإضافة لآخرين النُميلاتيون أو النملية المتشتتون في طول البلاد وعرضها[٦١٢] .

لقد بيّن جاك ويلورس «Jacques Weulersse» في بحثه المطول عن بلاد العلويين أن الأستيلاء الشامل على الأراضي من قبل عشائر بدوية مهاجرة نظراً للظروف الجغرافية في الجبل بعيد جداً عن الاحتمال. بل إنه يخمن أن بعض العشائر الكبيرة فقط قد استوطنت المناطق الجبلية وأجبرت السكان الحضر الفلاحين تدريجياً على قبول نظامها الجنيالوجي. وهكذا انضمت العشائر المتنافسة في بعض القرى مع مرور الزمن إلى هذه العشيرة البدوية أو تلك[٦١٣]. وكذلك يعتبر حتى العلويون التنظيم القبلي كظاهرة حديثة نسبياً: إن العلويين كانوا قبل ظهور العشائر السنجارية «كتلة مترابطة»[٦١٤].

في الحقيقة لقد أثبت ويلورس «Weulersse» أن النظام العشائري أقل استقراراً في السهل الساحلي مما هو عليه في الجبل. إذ أن مجموعة كبيرة تقطن في نواحي اللاذقية تتبع فرقة «الحيدري» الفرعية لا تعرف مثل علويّي سنجق الإسكندرون كذلك، تشكيلا عشائرياً على الإطلاق. فهي تمثل على الأرجح الوضع القديم السابق لنشر النظام العشائري (ليس انهياره). ويبين حال المحارزة الذين كانوا لفترة طويلة على خلاف مع الإسماعيليين حول القلاع القدموس والعُليقة والمنيقة الواقعات في وسط الجبل، أن المجموعات غير المتجانسة قد لاقت قبولاً في الجنيالوجيا من وقت لآخر: إذ تقول الرواية العلوية بأصلها الهاشمي، إلا أنها تقر ببساطة بأن قسماً كبيراً جدا منهم تألّف من شركس وأتراك[٦١٥].

كانت منطقة العلويين السوريين تشكل لزمن قصير فقط ما بين الحربين العالميتين، وحدة سياسية[٦١٦]. لقد قسم الفرنسيون الدولة السورية الموضوعة تحت انتدابهم المقر بها من قبل عصبة الأمم وأعلنوا الجبل في ٣١ آب من سنة ١٩٢٠ «منطقة حكم ذاتي للعلويين». وكانت تلك المنطقة تشمل كلاً من سنجق اللاذقية، والقسم الشمالي من سنجق طرابلس مع قسم من قضاء مصياف في سنجق حماه؛ لقد كانت النواحي الثلاث الشمالية «البسيط، وباير، وأكراد» ذوي الأغلبية السنية، في الأصل مستثنيات، إلا أنهم قد ضموا في عام ١٩٢١.

بعدما استولى الفرنسيون على الجبل ونزعوا منه السلاح (ما بين أيار وتشرين الأول من عام ١٩٢١) أُعلن إقليم العلويين في ١٢ تموز ١٩٢٢ دولة وشكلت منذ ذلك مع دويلات دمشق وحلب «اتحاد الدول السورية» الذي حُل في بداية عام ١٩٢٤ من قبل الجنرال فيجون «Weygand». ثم حصل هذا الإقليم على الاسم «دولة العلويين المستقلة Etat indépendant des Alaouites»؛ لقد حكم من قبل حاكم فرنسي (كيلا «Cayla»؛ منذ عام

١٩٢٥ شوفلير « Schoeffler »)، ومجلس كان يساعد الحاكم، مؤلف من تسعة علويين، وثلاثة سنيين، وأُرثوذكسيين-روميين، وإسماعيلي، وممثل عن باقي الأقليات المسيحية (موارنة، وأرمن، والروم الكاثوليك) . ومن أجل مراعاة حساسية القوميين السوريين غيَّر الفرنسيون هذه المرة اسم الدولة العلوية من جديد في عام ١٩٣٠ إلى « حكومة اللاذقية Couvernement de Lattaquié » .

أعدت في التاسع من أيلول لعام ١٩٣٦ « حكومة الجبهة الشعبية الفرنسية » في معاهدة مع ممثلي سورية، ضم حكومة اللاذقية (وجبل الدروز الذي كان كذلك مستقلاً) كمحافظة ضمن دولةٍ سوريةٍ متكاملة . ومع أنه لم تتم المصادقة على المعاهدة لا من قبل المجلس القومي الفرنسي ولا من عصبة الأمم المعنية شكلياً بذلك، إلا أنه قد تبع التوقيع بعد فترة وجيزة خطوات عملية : فلقد ظهر في اللاذقية في العاشر من كانون الثاني لسنة ١٩٣٧ محافظ سوري وأنزلت راية العلويين - ذات الشمس الصفراء في مربع أبيض ذي زوايا حمراء - وأُبدلت بالراية السورية القومية المثلثة اللون (أخضر، أبيض وأسود) .

أحالت فرنسا في حزيران ١٩٣٩ سنجق الإسكندرون السابق الذي كان قد أُخضع بعد الحرب العالمية الأولى لإدارة من نوع خاص بقيادة الانتداب الفرنسي، إلى الأتراك الذين أمروا قواتهم قبل ذلك وبموافقة الفرنسيين بالدخول إلى هناك . لقد وضعت أخيراً بداية الحرب العالمية الثانية واحتلال سورية من قبل قوات بريطانيا العظمى وفرنسا الحرة في حزيران ١٩٤١، نهاية دولة العلويين المستقلة التي اندمجت مع استقلال سورية في كانون الثاني ١٩٤١ في الجمهورية الجديدة .

لقد حصلت الأقلية العلوية التي يتراوح نصيبها في جملة سكان سورية ما بين٧ و١٢٪ تقريباً، على ثقل سياسي من خلال تولي حزب البعث في عام ١٩٦٣ الحكم لأن الجزء الأكبر من أصحاب السلطة الجدد في الحزب والجيش كانوا علويين . ويرجع السبب في أن العلويين كانوا متواجدين في سلك الضباط تواجداً مفرطاً نسبياً، إلى أن أبناء فلاحي الجبل الفقراء لم يكونوا قادرين على دفع بدل الخدمة العسكرية، ولكن من جهة أخرى كذلك بكل تأكيد لأن الجيش كان بمثابة متنفس مرغوب فيه يرخي من ضغط السكان العلويين القرويين . ثم اتسع نفوذ العلويين حينما تولى وزير الدفاع ورئيس سلاح الجو - سليل قرية قرداحة الواقعة على المنحدر الغربي للجبل (جنوب شرق اللاذقية) -، حافظ الأسد في عام ١٩٧٠ الحكم وتم اعتماده في ١٢ آذار ١٩٧١ من خلال استفتاء رئيساً للدولة . لقد تمكن

حافظ الأسد، بمساندة جماعة معاونيه الإقليمية العلوية المسيطرة على كل أزرار تشغيل الحكم، ولكن قبل كل شيء باستناده إلى الوحدات الخاصة المتألفة من العلويين فقط التي يقودها أخوه رفعت، من بناء النظام الذي ما زال حتى الآن الأوطد في سورية منذ نيلها الاستقلال. ولقد استفادت منطقة العلويين من هذه السيطرة استفادة جلية للعيان؛ إذ توسعت اللاذقية المدينة الصغيرة ذات الميناء في العقود الأخيرة بازدهار معماري سريع جدا ليس له مثيل - لا سيما بعد انهيار مرفأ بيروت بسبب الحرب اللبنانية الأهلية - وأصبح واحداً من أهم موانيء شرقي المتوسط.

بيد أن الملة المغايرة من حيث المعتقد التي يتبع إليها رئيس الدولة تضع في يد المعارضة النامية ضد نظام البعث سلاحاً دعائياً خطراً. إن الدستور المقر في عام ١٩٧٣ - المطابق للإيديولوجيا العلمانية لحزب البعث العربي الإشتراكي - لم يحدد ديانة رئيس الدولة؛ ثم توجب، لضغط من المشرعين المتزمتين ولضغط الأغلبية السكانية السنية، إضافة فقرة إلى الدستور تلزم الرئيس أن تكون ديانته هي الإسلام. لقد أقر حافظ الأسد بهذه الفقرة بأدائه الشعائر الإسلامية إداءً جلياً للعيان وحاول منذ الاضطرابات في مطلع سنة ١٩٨٠ خاصة، التأكيد بشدة في خطاباته على انتمائه للإسلام، ولا سيما أن الدعاية السنية-المتزمتة المتصاعدة سعت في منشوراتها معتمدة على كتب النوبختي والشهرستاني في الملل والفرق المؤلفة في العصور الوسيطة، إلى وصف الديانة العلوية-النصيرية كهرطقة، أو حتى كزندقة غير إسلامية. إذ قُذف العلويون في منشور هجومي وزّع في سنة ١٩٨٠ بأنهم استخدموا حزب البعث «الملحد» فقط كأداة لبناء دولة للعلويين تعتمد كذلك على الإسماعيْليين والدروز (عاصمتها حمص)؛ وكذلك أن شيوخ وضباط العلويين من ذوي الرتب العالية قد التقوا في مؤتمرين واحد عقد في سنة ١٩٦٠ في قرداحة والآخر في ١٩٦٣ في حمص لكي يهيئوا للاستيلاء على الحكم، وكذلك أن الضباط العلويين ذوي الرتب القيادية قد حصلوا بذلك على درجات دينية في تراتب رتب الفرقة العلوية: (فمثلاً قُدمَ محمد عمران بصفته باباً، وعزت جديد بصفته نقيباً، وكل من حافظ الأسد ومحمد بنهان بصفتيهما نجيبين، ورئيس بلدية حمص علي حمادة بصفته مختصاً). ومهما يكن من الأمر - فإن المعارضة السنية تشهر بنظام البعث كونه سلطة الأقلية «الكافرة» تشهيراً متقناً. إن تمرد المدن السنية التقليدية، حماه وحلب في الدرجة الأولى، يقمع فقط في عناء إبان يومنا هذا (١٩٨٢) من خلال رجال الحرس الخاص العلويين الذين سيطروا على قلعتي المدينتين. ويتم التسامح

في المقابل مع النظام العلوي من قبل الأقليات المسيحية والأخرى (الإسماعيليين والدروز) الذين لا يرجون الشيء الحسن من حكم السنيين.

(٢) البحث والمصادر

لقد حصل كارستن نيبور « Carsten Niebuhr »، وهو الوحيد الذي بقي على قيد الحياة من بين أعضاء البعثة الاستكشافية الدنماركية تعيسة الحظ التي كانت تستكشف الدول العربية، على أول خبر موثوق به عن ديانة النصيريين السوريين عندما كان عائداً من القدس إلى حلب في أيلول من سنة ١٧٦٦. إذ أنه يصف في المجلد الثاني من كتابه « وصف بلاد العرب » (ص ٤٣٩-٤٤٤) أُسس الديانة النصيرية متضمناً تأليهها علياً والأئمة وتعاليمها القائلة بتناسخ الأرواح، وصفاً سديداً جداً، ويخبر بالإستناد إلى مخطوط سُلم له (رقم إيداعه حالياً: « Kiel arab. 19 ») عن جملة من التفاصيل التي يكتب عنها بعد سطور أنه لا يستطيع فهمها: « إنني لا أفهم شيئاً من هذا الخاموس، أنا الذي لم يُدَرَّسُ شيئاً عن هذه الديانة. ولا أستطيع كذلك استيعاب ما يلي ». ثم يستنكر ابن العصر المتنور، قائلاً: « من يقدر على تصديق أن مؤسسي مثل هذه الديانة استطاعوا أن يجدوا أتباعاً لهم »[٦١٧].

كان أول من عرّف الملا بنصوص أصلية نصيرية هو ترجمان القنصلية البروسية العامة في بيروت، يوسف كاتافاجو « Joseph Catafago » الذي نشر في العدد الثاني من دورية الهيئة الألمانية للمشرق لسنة ١٨٤٨ « Zeitschrift der Deutschen Morgenländichen Gesellschaft » ثلاثة نصوص طقوسية قصيرة بعنوان القداديس النصيرية الثلاثة « Die drei Messen des Nossairier » وترجمهم. ثم جمع بعد عام من ذلك قس مدينة روتفايل « Rottweil » د. فليب ڤولف في الدورية عينها « موجزات من **كتاب تعليم ديانة النصيرية** Auszüge aus dem Katechismus der Nossairier » على نحو آخر طبقاً لمخطوط اطلع عليه إبان إقامته في بيروت لدى كتفاجو[٦١٨].

وتقدم بعد فترة وجيزة مرتدٌ من صفوف النصيريين ذاتهم لمعونة فضول الأورُبيين، إذ صدر في سنة ١٨٦٤ في بيروت الكتاب الذي يكشف عن أسرار النصيرية تأليف مرتد نصيري يدعى سليمان أفندي الأضني، عنوانه « الباكورة السليمانيه في كشف أسرار الديانة النصيرية » الذي تمت في سنة ١٨٦٦ ترجمة بعضه ترجمة مطابقة إلى الإنكليزية من قبل إ. إ. ساليزبوري « E. E. Salisbury »، وترجمة بعضه الآخر ترجمة تفسيرية[٦١٩]. إن

هذا الكتاب الذي كلف مؤلفه حياته – إذ سقط ضحية لعملية اغتيال في طرسوس–، يعتبر حتى يومنا هذا من أهم المصادر التي نرجع إليها في دراسة تعاليم وطقوس النصيريين[٦٢٠].

يمتاز من مجموع المنشورات الأوربية الصادرة في القرن التاسع عشر المنصرم التي يُتكهن في بعض منها عن أصل الديانة النصيرية تكهناً مغامراً، القليل من الدراسات العلمية الجادة وحسب: دراسة أ. فون كريمر «A. von Kremer»، طوائف النصيريين الوثنية في شمال سورية وكيليكية «Die Heidengemeinden in nördlichen Syrien und Cilicien» المنشورة في سنة ١٨٧٢[٦٢١] والتي تستند إلى الباكورة السليمانية؛ ودراسة مارتين هارتمان «Martin Hartmann»، لواء اللاذقية وناحية الأوردو «Das Liwa el-Ladkije und die Nahije Urdu» المنشورة في سنة ١٨٨٢[٦٢٢]، وكذلك مقالتين للأب اليسوعي العامل في بيروت والمستشرق هنري لامنس «Henri Lammens»، «النصيرية. ملاحظات حول تاريخهم وديانتهم «Les Nosairis. Notes sur leur histoire et leur religion» (١٨٩٩)، و«في بلاد النصيريين «Au pays des Nosairis» (١٨٩٩ / ١٩٠٠)[٦٢٣]. لقد صدرت الدراسة الوحيدة الشاملة حتى ذلك العهد عن الفرقة في سنة ١٩٠٠: دراسة رنيه دوسّو «René Dussaud»، تاريخ وديانة النصيريين «Histore et religion des Noṣairîs». فهي لا تقدم عرضاً لتصورات النصيريين الدينية وحسب، إنما تعرض للمؤلفات التي كانت معروفة في تلك الحقبة من الزمن (٢٠ عنواناً) وتعرض كذلك لتحقيق ولترجمة نص طقوسي منتشر، لـ«كتاب المجموع» الذي طبعه المرتد سليمان الأضني في باكورته. إن دراسة دوسّو ما زالت جديرة بالقراءة وإن كان قد تم تجاوزها في بعض من النقاط؛ إذ أنها تثير اضطراباً في الاشتقاق الصحيح الذي قال به مستشرقون مشهورون في القرن التاسع عشر مثل ستانسلاس غويارد «Stanislas Guyard» وكليمان هوار «Clément Huart» والذي مفاده أن الاسم نصيري مشتق من ابن نصير، كما تريد أن تجمع ما بين الفرقة والشعب وبين النزيريين «Nazerini» الذين ذكروا لدى پلينيوس «Plinius» (nat. hist. 5, 23)؛ وتظهر الديانة النصيرية طبقاً لذلك كوثنية غيرت عن أفكار إسماعيلية تغييراً سطحياً[٦٢٤].

لم تمكن فترة الانتداب (١٩٢٠–١٩٤١) العلماء الفرنسيين فقط من التعمق في دراسة ذلك البلد – لقد ذكرنا حتى الآن دراسة جاك ويلرس الشاملة الثقافية–الجغرافية «بلاد العلويين» (١٩٤٠) –، إنما أثارت كذلك بقيام الدولة العلوية وعي الطائفة. إذ يدل على

ذلك، كتابُ «تأريخ العلويين» لمحمد أمين غالب الطويل. لقد عمل العلوي ذو الأصول الأضنة كرئيس شرطة في العديد من ولايات الدولة العثمانية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وجمع إبان تلك الفترة معلومات تفصيلية عن التأريخ والوضع الحالي لأتباع ملته. وهرب في سنة ١٩١٩ كالآلاف العلوية الكليكيةُ الأخرى من الأتراك إلى أنطاكية وبعد فترة إلى اللاذقية. وعمل هناك وفي تل كلخ في ظل حكم الانتداب الفرنسي قاضياً. ونشر «تأريخ العلويين» الذي وضعه قبل عام ١٩١٩ باللغة التركية، في عام ١٩٢٤ موسعاً بمعلومات جديدة عن العشائر النصيرية السورية باللغة العربية في اللاذقية وقد تم إعادة نشر الكتاب منذ ذلك الحين عدة مرات[٦٢٥]. إن هذا الكتاب الذي يُطلع على التراث التأريخي للنصيريين أنفسهم والذي يعتبر مصدراً مهماً لتأريخ كيليكية وشمال سورية في الفترة ما بين السنين ١٩١٤–١٩٢٠، يهدف إلى إعادة جزء من هوية العلويين القومية وتأريخهم لهم، وأيضاً إلى إدراج العلويين ضمن تأريخ الشيعة العام. وخدمت الجريدة العلوية «النهضة» التي صدر أول عدد منها في سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م في طرطوس، أهدافاً مشابهة.

لقد أُعيدت ديانة النصيريين بفضل دراسات لويس ماسنيون عن الشيعة الغلاة[٦٢٦] إلى السياق الديني–التأريخي الذي تتبع له، وإن كان تصنيف ماسنيون لفرق الغلاة يتطلب اليوم بعض التصحيح. إذ يضع تخطيطه لفهرسة النصيرية «Esquisse d'une bibliographie Nusayrie» الذي يعد مائة وسبعا وعشرين عنواناً (١٩٣٨)[٦٢٧] حجر الأساس للبحث في الأدبيات النصيرية. يرجع الفضل في الإصدارات القليلة لنصوص نصيرية وترجماتها المتوفرة لنا اليوم – إلى جانب المخطوطات – لمجهودات المستشرق ابن مدينة غيزن «Gießener»، الذي رحل بعد فترة إلى هامبورغ، رودولف شتروتمان. لقد افتتح سلسلة منشوراته في عام ١٩٤٦ بتحريره كتاب «مجموع الأعياد» للطبراني في مجلة الإسلام عدد ٢٧. وكانت مقالته «النصيريون في سورية المعاصرة Die Nuṣairī im heutigen Syrien» (١٩٥٠)[٦٢٨] ثمرة إحدى سفرات شتروتمان إلى المشرق. وصدر في سنة ١٩٥٢ النصيريون طبقا لمخطوط مكتبة برلين (جلد ٤٢٩١) «Die Nuṣairī nach Ms. arab. Berlin 4291»[٦٢٩]، تحرير وترجمة لتقرير قصير موضوع من قبل دُرزيّ. وتلت بعد عام الدراستان «فرق سرية شرقية قيد البحث الغربي Morgenländische Geheimsekten in abendländ.

« Forschung » و« مخطوط كيل Kiel العربي ١٩ »، وهما تحرير وترجمة وتحليل للنص الذي أحضره نيبور واستخدمه لعرضه الديانة النصيرية[٦٣٠]. حقق شتروتمان في بحثه « مواضيع خاصة باطنة لدى النصيريين Esoterische Sonderthemen bei den Nuṣairī » (١٩٥٦) « قصص وأحاديث الأئمة المقدسين من أهل بيت النبي »، أحاديث الأئمة المجموعة من قبل شخص يدعى الشيخ محمد بعمرا، من مقتنيات المخطوطات الهامبورغية المرموز لها بـ[Sammelhandschrift Cod. orient. 303] . وترجم شتروتمان ثلاث فقرات طويلة يلعب فيهن الزنديق أبو الخطاب (أنظر ص ١٣٩) الدور الرئيس – بالإضافة إلى متن بمحتوى كل الأحاديث المجموعة هناك[٦٣١]. وعني نتاجه الأخير بتناسخ الأرواح لدى النصيريين « Seelenwanderung bei den Nuṣairī » (دورية المشرق عدد ١٢ / لسنة ١٩٥٩ « Oriens 12/1959 »)؛ حققت وترجمت فيها كل المواقع الخاصة بالموضوع من شذرتين للطبراني (المعارف؛ والدلائل في معرفة المنازل) طبقاً لمخطوط هامبورغ جلد ٣٠٣ [Sammelhandschrift Cod. orient. 303] . وعلى الأرجح أن مخطوطة تحقيق وترجمة كتاب الأظلة التي حضرها شتروتمان قد ضاعت أثناء الحرب[٦٣٢].

أريد أن أخص بالذكر من ضمن المخطوطات التي وضعت رهن تصرفي، مخطوطي باريس المرقمين بـ[Paris bibl. nat., fonds arabe 1449 & 1450] (المذكور لدى دوسّو ضمن ص XVII، عدد ٣ وما يليه)، وكذلك ديوان الخصيبي من مكتبة « John Rylands Library of Manchester » (Sezgin, GAS I, 583) . إنني مدين للمكتبتين بالشكر على التخلي الرحب عن أفلام المكرو.

(٣) مؤسسو النصيرية

يعتبر النصيريون معبودهم الثاني بعد الله « Heros eponymos »، محمد بن نصير الذي تسمى النصيرية طبقاً لاسمه، متلقياً للوحي السري من الإمام الحادي عشر الحسن العسكري. ويملك النصيريون هذه الموحيات التي يتواترونها إلى جانب وحي الإمام الباقر لجابر بن يزيد، ووحي جعفر الصادق للمفضّل، دون غيرهم. وتبنى عليهم الخواص المميزة لتصوراتهم الدينية إزاء التقاليد المماثلة لدى الفرق الغالية العراقية. يبدو أن بلورة تكوين الديانة النصيرية كانت من نتاج العديد من أجيال الشيوخ المتفرعين عن ابن نصير:

أبو شعيب محمد بن نصير النميري (حوالي ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)

|

محمد بن جندب

|

أبو محمد عبد الله الجنان الجنبلان(ي) (ت ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م)

|

أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)

|

أبو الحسين محمد بن علي الجلي (ت بعد ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)

|

أبو سعد الميمون سرور بن القاسم الطبراني

(ت ٤٢٦هـ/ ٣٥-١٠٣٤م)

يرد في شهادة النصيريين[٦٣٣]: « أشهد بأني نصيري الدين، جندبي الرأي، جنبلاني الطريقة، خصيبي المذهب، جلي المقال، ميموني الفقه ». إن « الطريقة الجنبلانية » من أكثر الأسماء المستخدمة لدى النصيريين للاشارة إلى ديانتهم[٦٣٤]، التي يطلق عليها خلا ذلك « التوحيد »؛ ومن هنا جاءت التسمية « أهل التوحيد » أو « الموحدون »[٦٣٥].

يبقى لنا تلميذ ابن نصير، محمد بن جندب، مجرد اسم. إنه البطل السامي لكتاب عنوانه « كتاب الأكوار والأدوار النورانية » بقيت منه بعض الاقتباسات في كتاب النصيريين « مجموع الأعياد » وعلى الأرجح أن مصنفه هو الجنبلاني الشيخ الثالث من تفرع النصيرية، الذي هو بالنسبة لنا أقدم مؤلف يُدرك للفرقة[٦٣٦].

كان الجنبلاء مكاناً في العراق يقع ما بين الكوفة وواسط، أي في الموقع الذي تعّرف به الجغرافي ياقوت في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي على طوائف نصيرية واسحاقية[٦٣٧]. يقدم لنا الجنبلاني الجنّان على أنه فارسي من إيران. من الواضح أن مرد بعض النزعات الإيرانية في التعاليم النصيرية الغريبة إليه. إذ أنه وظف في كتابه المذكور الأعياد الإيرانية الشمسية (مترا/مهر) النوروز والمهرجان، اعتدال الربيع والخريف، كأعياد نصيرية – التي مفادها الأيام التي يتجلى فيها علي الإلهي في الشمس[٦٣٨].

ويسمى الخصيبي، تلميذ الجنان كذلك بالجنبلاني المولود في عائلة غلاة عراقية كان يتم

فيها تواتر وحي المفضل[٦٣٩]. أسس الخصيبي فرقة في مدينة الكرخ المعروفة بميولها الشيعية الواقعة ضمن ضواحي بغداد، إلا أنه يبدو قد كان متجولاً بشكل دائم وقد كان يدعو لتعاليمه في قصور الشيعة البويهيين في العراق وغربي إيران وكذلك لدى الحمدانيين في الموصل وحلب. وقد توفى في حلب، ربما في سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م أو ٣٥٨هـ/٩٦٩م[٦٤٠]. لقد وصلنا ديوانه (أنظر ص ٢٠٨) بالإضافة إلى بعض نتاجه من بين العديد من الكتب التي تنسب إليه[٦٤١].

لقد أصبح محمد بن علي الجلي (من الجلِّية الواقعة على مصب نهر العاصي) الذي عايش استرجاع كيليكية وأنطاكية من قبل الإمبراطور البيزنطي نقفورس فوكاس (٣٥٨هـ/ ٩٦٩م) وفتح السواحل السورية من قبل يوحنا شمشقيق (٣٦٣هـ/٩٧٥م)، خليفة الخصيبي في حلب؛ ويفترض أن الجلي نفسه قد سقط أسيراً لدى المسيحيين. وتوفى بعد عام ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م - على ما يبدو في حلب[٦٤٢].

لقد كان له تلميذ في حلب: سرور بن القاسم الطبراني (من طبرستان) الميمون الذي هاجر - طبقاً للروايات النصيرية - في سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣٢م من حلب بسبب الحروب التي ما كانت تنتهي، إلى اللاذقية التي كانت تخضع إبان ذلك للحكم البيزنطي. ويفترض أن الطبراني قد كسر هناك شوكة سيطرة الفرقة الشقيقة الاسحاقية[٦٤٣]. لقد أصبح بمؤلفه[٦٤٤] الأدبي الشامل الذي وصلنا جزء منه، خاتماً للعقيدة النصيرية. على الأرجح أنه المؤلف النصيري لـ« كتاب الأظلة »[٦٤٥]. لقد توفى في سنة ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤ أو ١٠٣٥م في اللاذقية.

(٤) الخلق والهبوط

لا تقدم أي من الكتب النصيرية المعروفة عرضاً مترابطاً لمجمل نظام التعاليم. إذ أن الأمر يتعلق إما بمجاميع أحاديث الأئمة أو كبار المعلمين الأوائل، أو بنصوص عن مناسبات طقوسية، كما هو الحال في كتاب مجموع الأعياد، أو حتى بمجرد خلائط ضخمة ليس لها غرض واضح، كما هو الحال لدى مخطوط مكتبة مدينة كيل Kiel المقيد برقم (جلد) ١٩ أو مخطوط مكتبة باريس (جلد) ١٤٤٩ الذي يحتوى على مؤلف المفضل « كتاب الصراط » الذي بدت فحواه لدوسّو كـ« هراء » ليس إلا. وأثبت كذلك شتروتمان الفقر الذهني في الآداب النصيرية: « إن أسلوب الناس البسطاء لدى هؤلاء المفكرين لا يُبَرر

بتكهنات العوام».

إن جزيئيات العقيدة النصيرية تغدو مفهومة فقط إزاء أصل أسطورة خلق وهبوط الأرواح النورانية وحبسها في أبدان من لحم ودم. ويبقى نموذج «كتاب الهفت والأظلة» الذي يذكره النصيري المرتد سليمان الأضني كواحد من مصادره الثلاثة بوضوح (قارن ص ١٧٣ وما يليها)، واضحاً في صيغة الأضني (باكورة ٥٩- ٦١) [= ط دار لأجل المعرفة، ص ٦٠-٦١]:

«إن كل طوائف النصيرية يعتقدون بأنهم كانوا في البدء قبل كون العالم أنواراً مضيئة وكواكب نورانية. وكانوا يفصلون بين الطاعة والمعصية، لا يأكلون ولا يشربون ولا يغيطون. وكانوا يشاهدون علي ابن أبي طالب بالنظرة الصفراء. فداموا على هذا الحال سبعة آلاف وسبعة وسبعين سنة وسبع ساعات. ففكروا بذواتهم أنه لم يُخلق خلقاً أكرم منا.. فهذه أول خطئة ارتكبها النصيرية. فخلق لهم حجاباً يمسكهم سبعة آلاف سنة. ثم أن علي ابن أبي طالب ظهر لهم وقال: ألستُ بربكم؟ قالوا: ﴿بلى﴾ [قرآن ٧:١٧٢] بعدما أظهر لهم القدرة، فظنوا أنهم يرونه بكليته لظنهم أنه مثلهم. فأخطأوا بذلك خطئة ثانية. فأراهم الحجاب فطافوا به سبعة آلاف وسبع وسبعين سنة وسبع ساعات.

ثم أنه ظهر لهم بصورة شيخ كبير أبيض الرأس واللحية. تلك الصورة التي امتحن بها أهل النور العالم العلوي النوراني، فظنوا أنه على تلك الهيئة التي ظهر لهم بها. وقال لهم: من أنا؟ فأجابوا: لا ندري. ثم ظهر بصورة الشاب المفتول السبال راكباً على أسد بصورة الغضب. ثم ظهر لهم أيضاً بصورة الطفل الصغير ودعاهم أيضاً وقال: ألست بربكم؟

وقد كرر القول عليهم في كل ظهور، ومعه اسمه وبابه (أنظر ص ٢١٢) وأهل مراتب قدسه الذين هم المراتب السبع: العالم الأكبر النوراني...[٦٤٦]، ولما دعاهم <للشهادة> ظنوا بأنه مثلهم واحتاروا، ولم يدروا ماذا يجيبون. فخلق لهم من تأخرهم الشك والحيرة، ودعاهم قائلاً: قد خلقت لكم داراً سفلانية، وأريد أن أهبطكم إليها، وأخلق لكم هياكل بشرية، وأظهر لكم في حجاب كجنسكم، فمن عرفني منكم وعرف بابي وحجابي فإني أردُّه إلى هنا، ومن عصاني أخلق من معصيته ضداً يقاومه، ومن أنكرني أغلق عليه في قمصان المسوخية. فأجابوا قائلين: يا رب دعنا هنا نسبح بحمدك ونعبدك ولا تهبطنا إلى الدار السفلانية. فقال: عصيتموني. فلو كنتم قلتم: «ربنا لا علم لنا إلأ ما علمتنا إنك أنت العلام الغيوب»، فكنت أعفو عنكم. ثم خلق من معصيتهم الأبالسة والشياطين، ومن

ذنوب الأبالسة خلق النساء. فلذلك لا يُعلّمون نساءَهم صلاتهم. وهذه العبارة موجودة **بكتاب الهفت**، وفي **كتاب الدلايل** ‹للطبراني›، وفي **كتاب التأييد** (للطائفة الكلازية أنظر الملاحظة ٦٤٦) أيضاً. ثم ظهر لهم في القبب السبع». (القبب: أي العوالم السبعة).

(٥) أسس الديانة النصيرية

إن النصيريين هم خلفاء العليائيين (أنظر ص ١٥٧). ويعتبر علي الدنيوي بالنسبة لهم ضرب لظهور الإله الأعلى عديم اللقب، القديم الأزلي، الإله الأعظم[٦٤٧]. ثم أن هذا الإله أخفى نفسه بعد خطيئة الأنوار، إلا أنه يعود ويظهر لخلقه سبع مرات (وليس ثلاث مرات فقط كما يرد موجزاً في الخبر عن الخلق لدى سليمان الأضني)، في كل سماء مرة. ويبقى دائماً – على الرغم من صورته المتغيرة – هو الواحد الأحد، المعنى. ويتبعه في كل ظهور يظهر به مخلوقان أقل منه منزلة: **الحجاب** الذي يظهر فيه والذي يخدمه كاسم، وكذلك **الباب** الذي يجود بالدخول إليه (أحد الظهورات العديدة الأرضية لهذا الثالوث هم علي، ومحمد، وسلمان الفارسي).

وكما هو الحال في أم الكتاب ولدى المخمسة فإن المؤمنين الذين عرفوا الأُلوهية في السموات كل على حدة، يقسمون أنفسهم في سبع مراتب: يترأسهم **الباب** كونه المؤمن الأول، ثم يتوالى **الأيتام**، أصلا كانا اثنين معروفين فقط، المقداد وأبا ذر[٦٤٨] اللذين زُيّدا من قبل النصيريين إلى خمسة، وهم خالقو الأرض (قارن: أك عدد ١٧٣ وما يليه)[٦٤٩]. ثم يتوالى النقباء الإثنا عشر والثمانية والعشرون نجيباً، والمختصون، والمخلصون، والممتحنون. يبلغ عددهم الإجمالي مائة وأربع وعشرون ألفاً (قارن ص ١٣٧)؛ ولبقاء بعض المستغفرين في كل سماء فإن عدد الأرواح التي توجب عليها الهبوط على الأرض يبلغ مائة وتسعة عشر ألفاً[٦٥٠]. إن الأسماء التي يطلقها النصيريون على القبب السماوية السبع خيالية: الحن، والبن، والطم، والرم، والجان[٦٥١]، والجن، واليونان. ويظهر في آخر سماء ذكرت الثالوث: معنى، واسم، وباب، إذ يطلق عليهم الأسماء التالية: ارسطوطاليس، وافلاطون، وسقراط. وكما هو الحال في أم الكتاب فإن للضد العديد من الأسماء، منها –في السماء الرابعة – عزازئيل[٦٥٢].

إن الإمتحانات الأخيرة للأرواح الساقطة، وهبوطها على الأرض، وتكدرها المستمر

وتكشيفها – أظلة، وأشباح، وأرواح، وأبدان[٦٥٣] – هي قدوة بكتاب الأظلة. وتقوم في هذه العملية النساء المخلوقات من ذنوب الأبالسة بالدور الفاسد عينه كما في أم الكتاب (أنظر ص ١٣٧)؛ إذ أن نزعات الخوف النسوي «gynophob» هنا وهناك لها سببها في الإيمان بالطبيعة الشيطانية للجسدية والجنس. وتنكر جنسيوية الأنبياء والأئمة، وإن كان الخالق (فاطر) يظهر أحياناً بصورة أنثوية (فاطمة). وحتى أنهم يعتقدون بأن الشيوخ الأرضيين لا يُنجبوْن من خلال تناسل جسدي ولايشعرون بأي من الحاجات البدنية[٦٥٤]. ويتم لذلك تأويل التنظيم الإيجابي للزواج في القرآن إلى استعارات لإبلاغ الغنوصية[٦٥٥] – نزعة بيّنها القمي في خبره عن المخمسة (أنظر ضمن ص ١٥٤ و١٥٥) وأن لهذه النزعة دوراً رئيساً في طقوس القبول والإرشاد في الديانة النصيرية.

يتعاقب على الأرض سبعة أدوار زمنية الواحد تلو الآخر وتُسمى بالقبب. ولهم أسماء أُنثوية (منها على سبيل المثال عليا[٦٥٦]). وخرج في كل دور نبي – آدم، ونوح، ويعقوب، وموسى، وسليمان، وعيسى، ومحمد – إلا أنه مجرد حجاب أو اسم. ويحتجب المعنى في شخص الذي يتبع النبي اتباعاً ظاهراً: هابيل، وشيت، ويوسف، ويوشع بن نون، وآصف [آصاف بن برخيا. م. المترجم]، وشمعون [بطرس الرسول. م.المترجم]، وعلي[٦٥٧]. ويتبع كل باب الزوج «معنى–اسم»[٦٥٨].

وتحاط ظهورات الإله الأزلي في الدور الإسلامي – «القبة الهاشمية» – بالمراتب المماثلة، إحاطة جَماء في دِقَتِها. ولا يكلّ المؤلفون النصيريون في عد الأسماء. وبطبيعة الحال فإن الأئمة الأحد عشر مجرد أسماء يختفي خلفها المعنى. ويواجه كل واحد منهم – أحياناً بصورة لا تتطابق مع تسلسل أحداث الزمن – بابٌ، ولا عجب إذ نجد في قائمتهم أسماء البارزين من القائلين بالغلو الكوفي:

إمام:	باب:
علي	سلمان الفارسي
الحسن	قيس بن ورقة[٦٥٩]
الحسين	رشيد الهجري[٦٦٠]
علي زين العابدين	كنكر أبو خالد الكابُلي[٦٦١]
محمد الباقر	يحيى بن معمر بن أم طويل[٦٦٢]
جعفر الصادق	جابر بن يزيد الجعفي

موسى الكاظم	أبو الخطاب
علي الرضا	المفضل بن عمر الجعفي
محمد الجواد	محمد ابن المفضل
علي الهادي	عمر بن الفرات *الكاتب*[٦٦٣]
الحسن العسكري	محمد بن نصير

يظهر محمد بن سنان، مؤلف كتاب الأظلة، كواحد من النقباء الاثني عشر، وحتى كأهمهم: نقيب النقباء[٦٦٤]. ويذكر من بين النجباء الأربع والعشرين عبد الله بن سبأ[٦٦٥].

إن مذهب تناسخ الأرواح يتبع ما قد عرف به ابن حرب نوعاً: **مسوخية** الكفار في أبدان حيوانية، **نسوخية** المؤمنين الممتحنين - المهبطين المائة وتسعة عشر ألفاً على الأرض - في سبعة قمصان ناسوتية، ثم العودة من خلال مجالات السموات حيث تصبح الأرواح النورانية في إقامتها الأولى في السماء السفلى نجوماً مرئية (= *الانتقال إلى مابين الكواكب*). ولا يعود ثمة شيء يعيق نجاتهم، حيث يصلون في النهاية إلى الغاية، إلى معاينة النور الإلهي غير المحجوبة.

(٦) الدخول

إن لطقس الدخول (= القبول) النصيري علاقة وثيقة بعقيدة الخلاص الغنوصية: إذ أنه يخدم الولادة الروحية لروحٍ جديدة.

لقد اطّلعنا على معنى ومجرى الطقوس من خلال مصدرين. الأول هو نص ضمن مجموع مخطوطات مكتبة باريس المودع برقم ١٤٥٠ «Paris, Bibl. nat. arabe 1450»، عنوانه: «شَرح الإمام وما يوجَبُ عليه وما يَلزَمُه في منصبه»، المدون على ص ١٥٥ اليمنى-١٦٧ اليسرى «fol. 155r-167v»، أُلفَ وكُتب بيد شخص يدعى الشيخ حسن بن الشيخ منصور بن الشيخ خليل المحرزي[٦٦٦] في سنة ١٢١١هـ/١٧٩٦ أو ١٧٩٧م؛ يتم هناك فيما بعد ص ١٥٨ اليمنى «fol. 158r» تناول القبول[٦٦٧]. أما المصدر الثاني فهو الباكورة السليمانية للمرتد سليمان الأضني الذي يبدأ كتابه بقبوله هو ذاته.

وعلى الرغم من كل الاختلافات في التفاصيل فإن النصين يظهران الطقس عينه في جوهره. حيث يتكون من قسمين رئيسين يتراوحان في مدة تدوم سبعة أو تسعة أشهر

ويكشفان خلال هذه الفترة الزمنية عن معنييهما: إذ يتطابقان مع إنجاب وولادة إنسان غنوصي جديد.

إن الإطار الخارجي للمجريات الطقوسية هو عينه كما في باقي الأعياد النصيرية (أنظر ص ٢٢١ وما يليها): اجتماع الطائفة في بيت مضيف - في القرى وكذلك في الخلاء - يترأسه ثلاثة شيوخ: الإمام، والنقيب، والنجيب. ويُأخذ التلميذ في سن الثامنة عشرة أو العشرين من قبل من هو بمثابة « شاهد التعميد »، السيد المسمى كذلك بـ« المرشد الأول ».
وفي طقس وضع الحذاء تجري عملية أشبه لما تكون بالنكاح: تُنكّح روح التلميذ التي ما زالت غير مستنيرة مع روح - أي كريمة - المرشد المستنيرة وتنجب منها روحاً جديدةً مستنيرة تنمو في فترة قدرها تسعة أشهر (لدى الخاصة سبعة) أثناء عملية النضوج.
ولنتذكر أن القمي قد ذكر عن المخمسة أن لديهم ينكح المطّلعون بعضهم البعض بالمعنى الروحي وأنهم يُبلِّغون بهذه الطريقة المعرفة (= الغنوص)؛ وكذلك ذكر في هذا الصدد تقديم الريحان وتناول الخمر (أنظر ص ١٥٤).

يسمى هذا الطقس الأول لدى المحرزي بـ« التعليق »؛ أما سليمان فيسميه بـ« المشورة » ويتبعها بعد أربعين يوم بالإباحة الأولى بسر الثالوث الإلهي.

ويسمى الطقس الثاني العظيم، « الولادة » التي تكون بعد سبعة أو ثمانية أشهر، بـ« السمع » ويتكون في جوهره من تحليف التلميذ الذي يجعل حياته رهنا على أن لا يبيح باسرار المذهب (وحقاً لقد دفع سليمان الأضني حياته ثمن الردة). ويأتي في هذا الطقس الثاني سيد آخر (Pate شاهد آخر على التعميد)، المرشد الثاني أو « عم الدخول » الذي يقوم بدور الوكيل.

وتتبع « الولادة » بفترة رضاعة مقدارها سنتين، ويقصد بها الإرشاد في المذهب وتعلم النصوص الطقوسية الجوهرية؛ ويكون المرشدان مسؤلين عن ذلك.

إن النصوص المذكورة في الطقسين ينتسبان - إذا لم يكن الأمر يتعلق بآيات قرآنية - إلى أهم كتاب طقوسي نصيري، « كتاب المجموع » المتكون من ستة عشر سورة قصيرة والذي سُلّم طبقاً للاعتقادات النصيرية من النبي محمد إلى المباح لهم[٦٦٨] . لقد نقله سليمان الأضني كاملاً وفسره تفسيراً مستفيضاً (الباكورة ص٧-٣٤) [= ط دار لأجل المعرفة، ص١٢-٣٥]؛ وهو مترجم كذلك إلى الإنكليزية والفرنسية[٦٦٩] .

ويبقى معنى بعض المواقع، وقبل كل شيء في النصوص الطقوسية الشكلية، غامضاً، بسبب تصنيف النصين في عربية ركيكة جداً.

حسن بن منصور بن خليل المحرزي، شرح الإمام، آخر ص ١٥٨ اليمنى «*fol. 158r*»:
«باب في معرفة التعليق

وهو أن يقف النقيب بعد إيراد الخطبة والولد عن [158v] يمينه مكشوف الرأس ويأمره أن يرفع على رأسه مداس سيده ويختص من مداسات الجماعة على مداس الإمام، ثم يأمره أن يسأل الجماعة وهو يقول: أسألكم يا جماعة بالوجه الذي تسألون الله به - لأنه وجه الكمال - أن تسألوا شيخي وسيدي فلان الدّين ولا يسميه بقلبه [كذا] [٦٧٠] أن يقبلني ولداً ومملوكاً ويطهرني من نجس الشرك والشنبوية [كذا] [٦٧١]... وينقذني من ظلمة الظلال ويهديني إلى الصراط المستقيم وفقكم الله وجعلكم أهلاً لكل خير. ثم أن الجماعة ينهضوا قياماً بأسرهم ويقولوا له: يا فلان هذا التلميذ سألنا بوجه الكمال على أن نسألك حتى ترضاه وتَقْبله.

فإذا قبل منهم يرفع النقيب ما على رأسه ويجلسه بين يديّ الإمام ويجتمعوا حوله ما شاء من الحاضرين حوله [كذا. م. المترجم.] ليشهدوا له عليه. فيقول له الإمام: إعلم وفقك الله ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى، إنْ هُوَ إلاّ وَحْيٌ يُوحَىٰ، عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَىٰ﴾ (القرآن، النجم: ٣-٥) قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تناكحوا، تناسلوا، أُباهي بكم الأمم إلى يوم القيامة والدين، الملائكة أولوا العلم قائماً بالقسط». ولم يرد نكاح الجماع وإنما هو نكاح السماع. واعلم أن هذه الجماعة إنما اجتمعوا إلاّ بسبب عقد نكاحك وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: من عرف ما يطلب هان عليه ما يبدل [159r] ومن بدّل نفساً ملك نفساً. وليس الناشئ بأنفس من قدس المعرفة. ولا لك نفساً أنفس من نفسك وما تشتمل عليه صورتك، فإن بدلت ذالك زوجتك بكريمة مولاي هذا فلان الذي - أعني السيد - وإن أبيت فهذا إليك. فإن وجد [أي الإمام. م. المترجم] منه منع فيأمر [بأن] يقيمه ويحصل له من الجماعة المتمرين [كذا، ربما المؤتمرين (=المتشاورين). م. المترجم] ما أخرجه من النفقة فيعاد إليه.

وإن طاع فيلزم يده اليمنى ويقول: زوجّتك بأمر الله ومشيئته متّبعا لسنة رسوله كريمة مولاي فلان إلى ما استودعه الله لك عنده وهي أمانة مبلغة إلى أمر الله «يا أيها ابدا إلى

أهلها» ‹؟›[٦٧٢]. وإن الله أثبت لك أمراً لا شك فيه وهو نور المعرفة وحقيقة الإيمان. ولم يزل ذالك النور ينمو ويتربى في نفسه و[تـ] تقوى حرمته وإرادته لاتصال مستحقه وظمأ نفسه لطالبه [كذا، ربما الصحيح لطلبه. م. المترجم]؛ وحصل الاستعداد لقوله وهو وقوع النطفة وتربية الجنين لقوله تعالى: ﴿حَمَلَتهُ أُمُّهُ كُرهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً﴾ (القرآن، الأحقاف: ١٥). وهو ايضاع نور قدس المعرفة وهي تربية نفسه وابنة سريرته. وهو بدو [كذا والصحيح بدء. م.م] نور أقره الله تعالى لك في هذه التكمل [كذا وربما: التكملة؟ م.م] [159v] في زمان يحصره مدة أقلها ستة أشهر وأوسطها تسعة أشهر وأكثرها أربع سنين. فيرجا ما بين ذلك ‹؟› فقد قيل إن لكل قضاء قدراً ولكل قدر أجلاً ولكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت ما يريد وعنده أم الكتاب، على صدق مبلغه[٦٧٣] اسمك وجسمك وروحك ونفسك وعقلك وذهنك وفهمك وعلمك واعتقادك ودينك ودنياك ومعادك وسرك وجهرك وجملة ما يشتمل عليه هيكله ظاهراً أو باطناً. أقبلت هذا النكاح ورضيت به؟ فإذا قال نعم فيُقبّل ما بين عينيه ويقول له: بارك الله فيك ولك وفيما أنت طالبه وسيّر لك الاستعداد لقبوله.

ثم يتلو عليه: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَ لهم الجنة﴾ الآية. ثم يُقيمه النقيب إلى سيده ويقبّل يدّه ورجله والأرض بين يديه. فإذا فعل ذلك فيقول له السيد: قم وفقك الله. وأمره [أن] يشرب سر الإمام. فيعتزل ويقف بطرف المجلس ويشرب سر[٦٧٤] الإمام وسر سيده وسر الجماعة. سركم أحسن الله معادكم وسر دينكم وسر اعتقادكم. وأنا عبدكم وتحت طاعتكم. [و] بعد [أن] يشرب يقبل أياديهم وأقدامهم [160r] بالأول يتطوع للإمام، بعد الإمام الجماعة ثم أن الجماعة بأسرهم يشربوا سر القبول لسيده ويقولون: سرك يا فلان وسرك وسر قبولك أيها التلميذ هنيت بالوصول.

ثم أنهم يجلسوا حيث ما كانوا ويُحضر ما تيسر من الطيب والبخور. ثم يكتب النقيب تأريخ الوقت الذي هم فيه واسم الشهر لئلا يقع خلف في المدة والشهور إلى ليلة السماع. وإن حضر من حضر [و] لم يحضر التعليق فلا ما فيه بأس أن يقلدوا الحاضرين ويشهدوا على شهادتكم[٦٧٥]. وإن لم يُؤْثر ذلك فـ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (القرآن، البقرة: ٢٥٦). فهذا معنى التعليق. تم وكمل.

وأما السماع فلذلك يحسب أول عمره من التعليق، فمثاله بالولادة مدة الحمل وما بينهما من التعليق إلى السماع، فلذلك يحسب أول عمر الإنسان الطبيعي لساعة ولادته

عند خروجه من الرحم وعمره الحقيقي لساعة طهوره بالسماع من العدم إلى الوجود ومدة الرضاع [ـة] في الظاهر وفي الباطن فحولين».

سليمان الأضني، الباكورة السليمانية، ص ٢ وما يليها [= ط دار لأجل المعرفة، ص ٧ وما يليها]:

«أما بعد، فيقول العبد الفقير إلى غنى ربه، سلميان الأضني [وردت: الأذَنيّ. م.م.] المعتزل عن الإيمان الوثني المعتنق الإيمان المسيحي: إني ولدت في مدينة أنطاكية سنة ١٢٥٠ هجرية (١٨٣٤م) وأقمت فيها نحو سبع سنين، ثم انتقلت إلى أضنة؛ ولما بلغت السنة الثامنة عشر من العمر أخذ بنو طائفتي يطلعونني على أسرارهم الباطنة التي لا يكشفونها إلاّ لمن بلغ هذا السن، أو سن العشرين. وفي ذات يوم اجتمع منهم جمهور من الخاصة والعامة، واستدعوني وناولوني قدح خمر. ثم وقف النقيب بجانبي وقال لي: قل بسر إحسانك يا عمي وسيدي وتاج رأسي، أنا لك تلميذ وحذاؤك على رأسي. ولما شربت الكأس، التفت إليّ الإمام قائلاً لي: هل ترضى أن ترفع أحذية هؤلاء الحاضرين على رأسك إكراماً لسيدك؟ فقلت كلاًّ، بل حذاء سيدي فقط. فضحك الحاضرون لعدم قبولي القانون. ثم أمروا الخادم فأتى بحذاء السيد المذكور. فكشفوا عن رأسي ووضعوه عليه، وجعلوا على الحذاء خرقة بيضاء. ثم أخذ النقيب يصلي عليَّ لكي أقبل السرّ. ولما فرغ من الصلوة رفعوا الحذاء عن رأسي. وأوصوني بالكتمان وانصرفوا. فهذه الجمعية يسمونها المشورة.

ثم بعد أربعين يوماً اجتمع جمهور آخر، واستدعوني اليهم، ووقف السيد بجانبي وبيده كأس خمر، فسقاني الكأس، وأمرني بأن أقول: **سر ع م س**. أما العين فهي علي، ويسمونه المعنى. وأما الميم فهي محمد ويسمونه الاسم والحجاب. وأما السين فهي سلمان الفارسي ويسمونه الباب؛ ثم بعد ذلك قال لي الإمام: إنه فرض عليك أن تتلو هذه اللفظة وهي **سر عمس** كل يوم خمسماية مرة. ثم أوصوني بالكتمان وانصرفوا. وهذه الجمعية الثانية يسمونها بجمعية المليك.

ثم بعد سبعة شهور (والمدة للعامة تسعة أشهر)، اجتمع جمهور آخر أيضاً، واستدعوني حسب عادتهم، وأوقفوني بعيداً عنهم. ونهض وكيلٌ من بين الجماعة والنقيب عن يمينه، والنجيب عن شماله، وبيد كلٍّ منهم كأس خمر. واستقبلوا نحو الإمام مترنمين الترنيمة الثالثة التي هي للحسين ابن حمدان الخُصَيْبي، وسيأتي ذكرها بعد انتهاء صلوة أعيادهم

(أنظر ص ٢٤٥). وبعد ذلك توجهوا نحو المرشد الثاني مترنمين له هذه الترنيمة:

سـألت عـن المكـارم أين حـلّوا

بعـضُ الناس دلّـوني عليكـا

بحـق محـمد مـع آل بيتـه

إرحـم مَن أتى يُقَبِـل يَدَيكـا

قَصَـدتُكَ لا تُخَـيّب فيك ظني

نحـنُ اليوم محسـوبين عليكا

ثم وضعوا أياديهم على رأسه [الإمام]، وجلسوا. وأما هو فنهض قائماً، وأخذ القدح من الوكيل. وخر ساجداً وقرأ **سورة السجود**، وهي الفصل السادس [من كتاب المجموعي الطقوسي]. ورفع رأسه، وقرأ سورة العين، وهي الفصل التاسع. ثم شرب الكأس، وقرأ سوزة السلام، وهي الفصل السابع. وسيأتي ذكر هذه السور في مكانه.

ثم قام متوجهاً نحو الإمام قائلاً: نعم نعم نعم يا سيدي الإمام. فقال له الإمام: ينعم عليك وعلى مَن حواليك. لقد علمت ما لم تعلمه هذه الجماعة، لأنك أخذت القدح بيدك، وشربتَ وسجدتَ وسلّمتَ. ولله السجود. فما هي حاجتك، وماذا تريد؟ فقال: أريد أن أتمسى بوجه مولاي. ثم انصرف، ونظر نحو السماء، ورجع إليهم قائلاً: نعم نعم نعم يا سيدي. فأجابه الإمام كالأول: ما حاجتك! وماذا تريد؟ فقال: لي حاجة أريد قضاءها. فقال: إذهب اقضِها. ثم انصرف عنهم، ودنا مني لكي أقبّل يديه ورجليه، فقبّلتهما. ورجع إليهم أيضاً، وقال: نعم نعم نعم يا سيدي الإمام. فقال له الإمام: ما مرادك! وماذا تريد؟ فأجابه: أنه ترآءى لي شخص بالطريق، فقال: ألم تسمع ما قال سيدنا المنتجب الدين العاني[٦٧٦]: الليل يجزع منه كل صنديد. فأجاب: لي قلبٌ قوي، ولا خوف عليَّ. ثم نظر إليَّ أيضاً، والتفت إليهم، وقال: هذا الشخص اسمه فلان، وهو قد أتى ليتأدب أمامكم. فقال: مَن دله علينا؟ فأجاب: المعنى القديم والاسم العظيم والباب الكريم. وهي لفظة عمس. فقال الإمام: إئتِ به لنراه.

فأخذ المرشد بيدي اليمنى، وذهب بي إلى الإمام. فلما دنوت منه، مد لي رجليه، فقبّلتهما، ويديه أيضاً. وقال لي ما حاجتك وماذا تريد أيها الغلام؟ ثم نهض النقيب ووقف بجانبي وعلمني بأن أقول: بسرّ الذي أنتم فيه يا معشر المؤمنين. ثم نظر إليَّ بعبوسة وقال: ما الذي حملك على أن تطلب منا هذا السر المكلل باللؤلؤ والدر، ولم يحمله إلاّ

كلُّ ملاك مقرَّب، أو نبي مرسل؟ إعلم يا ولدي إنّ الملائكة كثيرون، ولا يحمل هذا السرّ إلاّ المقربون. والأنبياء كثيرون، وليس منهم مَنْ يحمل هذا السر إلاّ المرسلون. والمؤمنون كثيرون، وليس منهم مَنْ يحمل هذا السر إلاّ الممتحنون. أتقبل قطع الرأس واليدين والرجلين ولا تبيح بهذا السر العظيم؟ فقلت له نعم. فقال لي: أريد منك مایة كفيل. فقال الحاضرون: القانون يا سيّدنا الإمام. فقال: إكراماً لكم ليكن اثنا عشر كفيلاً.

ثم قام المرشد الثاني، وقبَّل أيدي الاثني عشر كفيلاً. وأنا أيضاً قبَّلتُ أيديهم. ثم نهض الكفلاء، وقالوا: نعم نعم نعم يا سيدي الإمام. فقال الإمام: ما حاجتكم أيها الشرفاء؟ قالوا أتينا لنكفل فلاناً، فقال: إذا باح بهذا السر أتأتوني به لكي نقطعه تقطيعاً، ونشرب دمه؟ فقالوا: نعم. فأجاب وقال: لستُ أكتفي بكفالتكم فقط، بل أريد اثنين معتبرين يكفلانكم. فجرى واحدٌ من الكفلاء وأنا وراءَهُ، وقبَّل أيدي الكفيلين المطلوبين وقبلتهما أنا أيضاً. ثم نهضا قائمين، وأيديهما موضوعة على صدريهما. فالتفت إليهما الإمام وقال: الله يمسيكما بالخير أيها الكفيلان المعتبران الطاهران، أهل البرش والكرش ! فماذا تريدان؟ فأجابا: إننا قد أتينا لنكفل الاثني عشر كفيلاً، وهذا الشخص أيضاً. قال: فإذا هرب قبل أن يكمل حفظ الصلوة، أو باح بهذا السر، هل تأتياني به لنُعدم حياته؟ فقالا: نعم. قال الإمام: إن الكفلاء يفنون، وكفلاء الكفلاء يفنون، وأنا أريد منه شيئاً لا يفنى. فقالا له: إفعل ما شئت. فالتفتَ إليَّ وقال: ادنُ مني يا غلام. فدنوتُ منه. وحينئذٍ استحلفني بجميع الأجرام السماوية بأنّي لا أُبيح بهذا السّر. ثم ناولني **كتاب المجموع** في يدي اليمنى، وعلمني النقيب الواقف بجانبي أن أقول: تفضل حلفني يا سيدي الإمام على هذا السر العظيم، وأنت بريٌّ من خطيتي. فأخذ الكتاب مني، وقال: يا ولدي أحلفك ليس لأجل مالٍ ولا جوارٍ، بل لأجل سرّ الله فقط، كما حلَّفَنا مشايخنا وسادتنا. وهكذا تكرر العمل والقول ثلاث مرات. ثم وضعت يدي على المجموع ثلاث مرات حالفاً به لهُ أن لا أبيح بهذا السّر ما دمت حيّاً.

وأما العامة فيستحلفونهم أكثر من ذلك لا سيما نصيرية أيالة اللاذقية. ثم قال الإمام: اعلم يا ولدي أن الأرضَ لا تقبلك فيها مدفوناً إن أبَحتَ بهذا السّر، ولا تعود تدخل القمصان البشرية، بل حين وفاتك تدخل قمصان المسوخيَّة، وليس لك منها نجاةٌ أبداً.

ثم أجلسوني بينهم، وكشفوا رأسي، ووضعوا عليه غطاءً. ثم أن الكفلاء وضعوا أيديهم على رأسي وأخذوا يُصلّون. فقرأوا سورة الفتح والسجود والعين [من كتاب المجموع]. ثم

شربوا خمراً، وقرأوا سورة السلام، ورفعوا أيديهم عن رأسي وأخذني **عمُّ الدخول** وسلمني إلى مرشدي الأول، ثم أخذ بيده كأس خمر، وسقاني وعلمني أن أقول: بسم اللهِ وباللهِ، وسِّر السيد أبي عبد الله [جعفر الصادق؟]، العارف بمعرفة [=غنوص] الله، سر تذكاره الصالح سرُّهُ أسعده الله.

ثم انصرفت الجماعة، وأخذني السيد إلى بيته، واسمه أحمد أفندي بن رضوان آغا من أعيان مدينة أضنة. والمرشد الثاني اسمه الشيخ صالح الجبلي رئيس الرمالين. ثم ابتدأ يعلمني أولاً التبري وهو **سورة الشتائم** الآتي ذكرها في الباب الثاني في بداية صلوة أعيادهم (أنظر ص ٢٤٠). وحينئذ أطلعني على صلاتهم المشهورة فيها عبادة علي بن أبي طالب وهي ستة عشر سورة [أي كتاب المجموع] ».

(٧) الأعياد والعبادات

إن النصيرية المتناقضين « Antinomisten » هم الغلاة الحقيقيون: إذ أنهم لا ينصاعون للقانون الإسلامي، الشريعة، لأنهم، أي الغنوصيين، انكشف لهم المعنى الباطن لكل الأحكام كل على حدة. فلقد « وضعت الأغلال عنهم ». فهكذا لا يعني فرض السجود أثناء الصلاة « التضرع إلى الجدران » كما يظن الضالون (أنظر ص ١٦١)، إنما يعني في الحقيقة شيئاً مخالفاً تماماً. وعليه يكون بناء المساجد لا حاجة إليه.

لكن هذا الإثبات يتطلب بعضاً من التحديدات. ومهما يكن من الأمر فإن أصل الشريعة الموحى بها، بيان القرآن، من أحد أشخاص الثالوث السماوي، من « الاسم » الجليل أو « الحجاب » محمد (وليس من القوى المضادة للإله – كما هو الحال في بعض الطرق الغنوصية في الفترة المتأخرة من العصور القديمة –). فعليه يكون بيان القرآن حاضراً في كل مكان، سواء في الكتب الفقهية للنصيرية أو في عباداتهم، وإن كانوا كذلك غير ملزمين بالحفاظ على الفرائض فإن اشتراكهم فيها – من جهة أخرى – ليس محرماً عليهم. إذاً، إن كان الرئيس السوري قد ألزم نفسه بأداء الصلاة ككل المسلمين الآخرين، فإنه يستطيع كذلك من وجهة نظر أبناء طائفته أن يفعل ذلك بلا حرج.

وعدا ذلك، فإن التحرر من تعاليم الشريعة لا يعني أن النصيريين لا يعرفون الطقوس على الإطلاق. إذ يتكون الطقس الشعائري الذي يقام في الأعياد الكبيرة، والذي تعرفنا عليه بكل تفاصيله من خلال الباكورة السليمانية، من مجموعة كاملة لمناسك العبادات المختلفة

التي تشتمل كذلك على العديد من السجدات والركعات. وهي تؤدى للإله الواحد الحق الذي تَجسّد في علي وكذلك في هابيل، وشيت، أو في شمعون [بطرس الرسول]. ويرد صراحةً في أحد نصوص العبادات: «إعلموا أن هذه صلاتنا وحجنا وزكاتنا». وتتطابق أجزاء الأذان المفردة - كما هو الحال في أم الكتاب (أنظر ص ١١٢ وما يليها) مع شهادة الغنوصيين الذين عرفوا الله الحق؛ (ص ٢٣٨).

والشيوخ هم رواة هذه الأخبار، أبناء العائلات النبيلة التي يتم فيها توارث معرفة الكتب الفقهية ومعرفة الأخبار المتواترة والنصوص الطقوسية. إذ يشكلون طبقة الخاصة. إلاّ أن العامة ليسوا مستثنين سواء من الإرشاد أو من شعائر الأعياد. ولا يتم التفريق كما هو الحال لدى الدروز بين المطّلع وغير المطّلع، لا يوجد تمييز ما بين الشيخ والرجل البسيط، إنما بين الرجال والنساء. لقد ذكر أن النساء يلتزمن لذلك بأداء العبادات الوثنية الأولى للأشجار، والغابات الصغيرة والمرتفعات خاصةً. ومن الناحية الفقهية فإن عبادة وثنية كهذه جديرة بهن، هنّ ثمرة الأبالسة بلا ريب. لكن عملياً خفض عنهن كما يبدو هذا التفريق الحاد خفضاً شديداً: فكذلك يشترك الرجال النصيريون في تبجيل الأنبياء والخضر المتعددين.

يقوم دائماً ثلاثة شيوخ سويةً بدور المناسك الدينية، مثلما لاحظنا ذلك في طقس الدخول. إذ أنهم يمثلون الثلاث مراتب: الإمام، والنقيب، والنجيب، التي نعرفها من كتب الغلاة القديمة؛ وهم يرمزون إلى حضور الثالوث السماوي، المعنى-الاسم-الباب، في آن. إن المؤمنين المطّلعين الذين يشتركون في الطقوس يعتبرون كافةً ممتحنين - وكذلك هذه واحدة من المنازل السبع التي تم ذكرها في أم الكتاب.

وتقام الطقوس على الدوام - كما يبدو - في الأعياد المتعددة في شكل مشابه، مثلما يصفها لنا سليمان الأضني وصفاً مسهباً (أنظر ص ٢٣٥ وما يليها)، لكن بترانيم، وأدعية، وخطب مختلفة مثلما هي مجموعة في كتاب «مجموع الأعياد» للطبراني، فيما يسمى بكتاب المجموع (ك م) (ص ٢٣٤-٢٣٥). ومن الممكن لنا بلا ريب افتراض أن الاثني عشر عيد المذكورين فيه، هم الأعياد الأصلية، أما الأعياد المسيحية المذكورة من قبل سليمان فيجب إعزاؤها إلى تأثيرات ثانوية حصلت جراء التجاور مع المسيحيين في سورية.

وبالطبع، تُفضّل الأعياد التي يتصدرها علي، المعنى، تفضيلاً مميزاً، وخاصة عيد الغدير الذي يُحيا لذكرى الحدث الذي وقع ما بين محمد وعليّ عند غدير خم بالقرب من مكة بعد حجة الوداع. «يروي الشيعة الظاهرون، أي الإماميون، أن ذلك اليوم ليوم جليل عظيم

لأن الله تعالى قد عهد فيه لأمير المؤمنين بالإمامة » كما يذكر في مجموع الأعياد. ومن الطبيعي أن النصيريين يعلمون ذلك أفضل: « فأظهر السيد محمد النداء والإشارة إلى مولاه 〈علي〉 بالتوحيد تصريحاً وكشفاً » (ك م ٩٦). ويحتفل في هذا اليوم بترنيمة طويلة، بالقصيدة الغديرية للخصيبي، وفيه وحده لا تُصحب تلاوة سورة « السجود » من كتاب الطقوس « المجموع » بسجدات إنما تبقى الرؤوس مرفوعة نحو السماء (أنظر ص ٢٤٧).

ويُذكِّر عيد المباهلة (= التلاعن المتبادل) الذي يحتفل به في الحادي والعشرين من ذي الحجة (ك م١٤٦ وما يلي)، بمشهد إذ جلل محمد حينما كان مختلفاً مع مرسلي واحة نجران في ألوهية عيسى، أقرب أقربائه، علي وفاطمة والحسن والحسين، بعباءته، لكي يذعن معهم سوية لحكم الله (قارن مع القرآن، آل عمران: ٦١)؛ وبالطبع يتواءم هذا التجمع الوحدوي التكهني « لأهل الكساء » الخمسة مع الغلاة القائلين بـ« التخميس » أحسن تواؤماً من حيث تأملاتهم النظرية[٦٧٧].

وفي التاسع والعشرين من ذي الحجة يحتفل بعيد الفراش تذكيراً بهجرة محمد، إذ اضطجع علي في فراشه حتى يخدع بذلك مشركي مكة ويسلط غضبهم عليهم؛ وقد تجلت ألوهيته في هذه الفرصة حينما اندفع القتلة دخولاً إلى الدار لينالوا من الجالس المسالم في الفراش ولكنهم أخفقوا في مسعاهم (ك م ١٦٥ وما يلي).

إن العيد الشيعي العظيم، عاشوراء الذي يُحيا لذكرى استشهاد الحسين في كربلاء، قد توجب إخضاعه لدى النصيريين إلى تغيير من حيث المعنى، لأن الكارثة لم تقع مطلقاً بالنسبة لهم: إذ أن الحسين قد عرج إلى السماء (أنظر ص ١٨٨) والقى شبهه على حنظلة بن أسعد الشبامي الذي ضحى بنفسه للحسين (ك م ١٨٣ وما يلي).

ويخضع العيدان الإسلاميان الرئيسان، عيد الفطر في نهاية شهر رمضان وعيد الأضحى في أسبوع الحج، لتأويلات مشابهة؛ فهكذا يعتبر الإفطار عن الصيام تبجيلاً للاسم محمد (ك م ٣٢ وما يلي)، ولكن عيد الأضحى « *هو القائم منه السلام وظهوره بالسيف وإهراقه دم كل ضد وند* » في آخر الزمان (ك م ٣٩). أما سليمان الأضني فهو يتحدث عن ذكرى تضحية إسماعيل (إلا أن المعني هو اسحاق)، لكن لا يخبرنا كتاب مجموع الأعياد عن ذلك أي شيء.

ويحتفل في التاسع من ربيع الأول بمقتل دُلام (ك م ٢٣١ وما يلي) الذي يسمى لدى سليمان بـ« غدير الثاني » - يبدو أن ذلك اسم مموه -، وهو يوم قد وقع فيه كل ما يمكن:

إهلاك قوم لوط وخراب مدينتهم سدوم وعمورة، وغرق فرعون، وموت الجالوت (= جُليات) على يد داود، إلخ (ك م ٢٣٥-٢٣٦)، ولكن يكتم المعنى الحقيقي لهذا اليوم: الابتهاج بقتل الخليفة الراشدي الثاني، عمر المتواري خلف الاسم المستعار **دُلام** (في كتاب الأظلة: الدُلَم) والذي يعتبر الأسوأ شيطنةً من بين مناوئي علي.

وتستتر ليلة الخامس عشر من شعبان على هول مشابه، إذ يُبدأ أحد الأعياد الرئيسة لدى النصيرية بابتهاج وسرور عظيم، وبشرب الخمر، وثلاث زيارات بعد انقضاء كل ثلث من الليل. لا يوجد لهذا العيد اسم، وكذلك لا يمكن استخلاص معناه من خلال الثلاث ترانيم التي تتلى في الزيارات (ك م ٢٨١ وما يلي). وثمة سبب وجيه لذلك: إذ أنه كان من الأفضل في المحيط السني عدم الإشاعة بخبر ضلال ووبال (أنظر ص ٢٢٥).

وفي حين تحسب كل الأعياد التي ذكرت إلى الآن بالأشهر العربية القمرية وتتنقل لذلك في السنة الشمسية، تحدد الأعياد الأربعة الأخرى في السنة الشمسية. إذ يحتفل في السابع عشر من آذار في إرسال ابن نصير من قبل الإمام الإلهي، الحسن العسكري، بطريقة ساحرة إلى الصين *ليُحيي هناك مؤمناً مسجى منذ ألف عام - معجزة تتكرر في كل سنة* (ويرمز إليها في واحدة من الترانيم التي رواها سليمان الأضني، (أنظر ص ٢٣٧ و٢٤٤). إن أصل هذه الأسطورة من «كتاب الأدوار والأكوار النورانية» ويبدو أن إدخال عيدي اعتدال الليل والنهار ينتسب إليه.

إن عيدي تعادل النهار والليل الربيعي والخريفي الإيرانيان، النوروز في الرابع من نيسان والمهرجان (عيد مترا) في السادس عشر من تشرين الأول، يُعدّا في عداد أقدم موجودات الديانة النصيرية. وعلى الأرجح أن «كتاب الأدوار والأكوار النورانية» الذي يقتبس منه في كتاب مجموع الأعياد في مواقع متباعدة ويقوم فيه محمد بن جندب (أنظر ص ٢٠٩) تلميذ ابن نصير بدور صاحب السيادة، هو من تصنيف تلميذه الجُنبُلاني، وهو فارسي يظهر أن إدخال الأعياد الفارسية ينتسب إليه. ولسبب أصلهما ما قبل الإسلامي فمن الطبيعي أنهما يصلحان جداً من دون غيرهما لإظهار أزلية الديانة النصيرية الباطنة واستقلاليتها عن الوحي القرآني. ويخبر في العديد من الأحاديث المسندة باسناد غلاة مألوف ترد في كتاب مجموع الأعياد، كيف كان النوروز والمهرجان إبان عهد أكاسرة الفرس القدامى قد سُنا من قبل تجسُدات الاسم محمد والباب سلمان في ذلك الزمن إجلالاً للمعنى النوراني الأزلي. ومثلهما كمثل كل الأعياد النصيرية يتم إحياؤها من بداية البشرية

إلى نهايتها. فهكذا كان النوروز في بداية اليوم الذي سجدت فيه الملائكة لروح آدم النورانية تحت دهشة إبليس الجاهل (أنظر الطبراني، مجوع، ص١٥٣وما يليها؛ وقارن ص ١٢٥ و١٢٦)، وسوف يأتي في نهاية الأزمان اليوم الذي يَصلبُ فيه القائمُ/المهديُ الشيطانَ في كناسة الكوفة (أنظر ص ١٥) - (كُ م ٣٥٦).

إن العيد المسيحي الوحيد المدرج في كتاب مجموع الأعياد للطبراني هو «ليلة الميلاد» (ك م ٣١٤ وما يليه). ويعتبر يوم ميلاد الاسم في ذلك الدور، دور عيسى الذي هو بطبيعة الحال ليس إلاّ محمد ولهذا السبب تطابق أمه مريم مع آمنة والدة النبي محمد (ك م ٣١٤ وما يلي).

الطبراني، مجموع الأعياد ٢٩٣ وما يلي:

«خبر ضلال ووبال لعنها الله

رواه الأمير أبو عبد الله محمد بن أبي العباس رضي الله عنه باسناده عن رجاله إلى أبي الطيّب أحمد بن الحسن قال: حدثني أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي نضر الله وجهه عن جعفر بن محمد القمّي عن سليمان بن عليّ الرازي عن هشام الضرير عن زراعة بن سليمان المدني عن عبادة عن(*) المعلىٰ بن خُنيس عن جابر بن يزيد الجعفي عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن سلمان الفارسي أنه قال: دخلت على مولاي أمير المؤمنين ‹عليّ› منه الرحمة... ‹يلي صيغة إسناد ثانية› [٢٩٤] يوم أربعة عشر من شهر شعبان وكانت خلافة أبي بكر في سنتها الثانية من خلافته فلم أزل عنده إلى أن غربت الشمس فأردت الانصراف، فقال لي مولاي: يا سلمان عُد إليّ إذا مضى من الليل ثلثه فإنّ لي إليك حاجة، فقلت نعم يا مولاي. فأتيت منزلي وقضيت ما احتجت إليه من أحوالي ولم أزل أرتقب الوقت إلى أن قرب الوعد الذي أجّله لي؛ فلما كان الثلث من الليل خرجت وأتيت إلى منزل مولاي. فإذا بقنبر واقف بالباب وفي يده عنان بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله فلما رآني قال لي إن أمير المؤمنين ينتظرك فجلست فما استقررت على وجه الأرض حتى خرج أمير المؤمنين منه السلام، فركب فقلت لعلّه يريد بعض دُور الأنصار[٦٧٨]. ثم قال لي ولقنبر: ألحِقاني إلى مسجد قُباء[٦٧٩].

فسار وسرنا، فقلت لقنبر: أي شيء يريد أمير المؤمنين يعمل بمسجد قباء في هذه الليلة؟ قال: لا أعلم. وجعلت أنا وقنبر نسير وهو يحدّثني وأنا أحدّثه، [٢٩٥] حتى أتينا مسجد

قباء، فإذا بأمير المؤمنين جالس بباب المسجد والبغلة قائمة بإزائه وإذا ببعيرين عظيمين مناخين في باب المسجد مادين عنقيهما ورأساهما على وجه الأرض نحو المولى أمير المؤمنين، فلما أقبلنا قام وقال: دونكما هاذين الجملين فاركباهما. فقلنا: يا مولانا، أين هما راكباهما اللذان كانا عليهما؟ فقال: اركبا ولا تسألا عن شيء. فركبتُ وركب قنبر وسار مولانا على بغلة النبي صلى الله عليه وآله وهي تمرّ من تحته كالريح العاصفة ونحن أرخينا للجملين ازمّتهما وحثثناهما على المسير واجهدنا في أثره، وهي تهف بنا وتطلب البغلة.

فما كان إلاّ هنيهة حتى لاحت لنا جبال مكة فقلت في نفسي: وصلنا في أقلّ من ساعة من المدينة إلى مكة؛ إن هذا هو العجب. [٢٩٦] وجعلت أتأمل الجبل، فإذا هو جبل أبي قبيس لا شكّ فيه، فرقاه مولاي أمير المؤمنين منه السلام على بغلته وارتقينا نحن على أثره في المسير ونزلنا عنهما وأنهما لفي آخر نفسهما من الجهد الذي أجهدناهما.

فلما حصل في ذروة الجبل ونحن في أثره نزل ونزلنا عن الجملين في ذروة الجبل، وأنخنا الجملين ودعاني مولاي أمير المؤمنين منه السلام فدنوت منه فقال لي: يا سلمان إن قنبراً لا يحمل ما تحمله أنت ولا يبلغ ما تبلغه من علوّ درجتك وإنّي سأحجبه عمّا أوجدُك. فقلت يا مولاي الأمر إليك ولك، افعل ما تشاء. فقال لي: أين أنت؟ فقلت بمكّة على ذروة جبل أبي قُبيس. فقال: الآن اسأل قنبراً أين هو. فقلت يا قنبر أين هذا الموضع الذي قد نزلنا فيه؟ فقال هذا جبل قباء الأعوج. فقلت يا مولاي قد علمت قدرة [٢٩٧] حكمتك. فقال: يا سلمان أتدري لماذا سرت بك إلى هذا المكان؟ فقلت لا يا مولاي إلا أن تعلمني أنت.

فقال: أريد أن تسأل هذين الجملين عن جميع ما كانا يمكران بمحمد واجتمعا عليه وخَلَوا في المشورة في هذا الموضع فإذا أقرّا أشهدتك عليهما ثم أبدِ جميع ما كانا أخفياه في أبي قُبيس واستودعاه فيه من أشياء إذا ظهرت ورأيتهما عرفتهما. فقلت يا مولاي وهذان الجملان ممن مكر بمولاي؟ فقال: نعم يا سلمان ولهم إلى هذا الموضع في كل ليلة مثل هذه الليلة وهي ليلة النصف من شعبان وقفةٌ أوقفهما فيها وأسألهما عنه في هذه الليلة إلى أن يُظهرَ الله أمره ويكشف <عن> ذاته وأشهدُ عليهما بفعلهما وأظهر لهما ما أخفياه بحضرة وليّ من أوليائي، فهل تعرفهما؟

[٢٩٨] فقلت لا والله يا مولاي ما أعرفهما وما كنت أظنّ أن جملين يكونان بما قد وصفته وأن هذا لعظيم. فقال: يا سلمان، تعرفهما أجود معرفة وأيْقنها وأوثقها. فقلت قولك الحق يا مولاي. ثم قال: يا سلمان ادعُهما باسميهما. فقلت يا مولاي لم أعرف لهما اسماً.

فقال: أجل قل يا ضلال ويا وبال احضرا. فناديتُ يا ضلال ويا وبال احضرا. فوالله ما أتممت كلامي حتى انتفض ذانك الجملان عن رجليهما ووثبا قائمين وإذا هما شخصان بشريان. فخررت لوجهي ساجداً لمولاي أتعوذ به من سخطه وأقول إنّا لله وإنّا إليه راجعون هذان الجملان كانا تحتي وتحت قنبر وقد صارا بشريين. فقال لي: يا سلمان فقل لهما يدنوا منّي. فقلت ادنوا من مولاي أمير المؤمنين. فدنوا وقربا منه فقال لي: يا سلمان تأمّلهما هل تعرفهما؟ فتأملت شخصيهما فإذا بهما الجبت [٢٩٩] والطاغوت[٦٨٠] الأول <أبو بكر> والثاني <عمر> لعنهما الله.

فقلت أنتما هما، أنا أشهد أن جميع ما قاله مولاي أمير المؤمنين فيكما حق من مكركما بمحمد صلى الله عليه وآله، وبه كنتما وله اعتقدتما وما رجعتما عن المكر به ﴿ وَلاَ يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إلاَّ بأهْلِهِ ﴾ (فاطر: ٣٤) لقد مكرتما ومكر ﴿ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٥٤، والأنفال: ٣٠)، وجعلت أُبدي مشاينهما وهما ينظران إليّ ولا يردّان جواباً ولا نطقاً. فقال لي مولاي: يا سلمان حسبك والتعذير. فقلت يا سيدي ومولاي فهل يعرفاني كما قد عرفتهما؟ فقال: نعم يا سلمان. فقلت وما بالهما لا يتكلمان ولا يُجيبان ولا يحتجان ولا يستقيلان؟ فقال: يا سلمان لأن ذلك ممنوع منهما ومأخوذ عنهما حتى أُبديه عند إرادتي ذلك فيهما.

فلمّا سمعت ذلك من مولاي أمير المؤمنين منه الرحمة انتهيت إلى أمره وحبست الكلام عنهما، ثم أن أمير المؤمنين منه الرحمة أقبل عليهما [٣٠٠] وقال: ألم أعذر إليكما وأنذرتكما كما أعذرت وأنذرت إلى جميع خلقي ونصحت لكما حتى لم أبخس أحداً شيئاً مما أبديته؟ فقال أحدهما: بلى. فقال مولاي: لمَ لا قبلتما كما قبل غيركما؟ فقال الذي نطق: يا مولاي هذا الذي أضلني عنك وعدل بي عن معرفتك [غنوصك]. وأشار إلى صاحبه وكان المتكلم وبال وهو الأول <أبا بكر>. فقال أمير المؤمنين: أين ما استودعتماه في هذا الجبل لتمكرا به برسول الله إذا هو رقى معكما إليه؟ فلم يتكلم منهما أحد فردد ذلك عليهما ثلاث مرّات، فلم يردّا عليه في ذلك جواباً.

فقال لي: يا سلمان! فقلت لبيك يا مولاي. فقال: قم إلى ذلك الحجر فأزله عن مكانه وأتني بما تحته. وأشار إلى حجر عظيم. فقمت إليه ولم أزل أجتهد في إزالته حتى أزلته عن مكانه فإذا تحته خنجران عظيمان في المنظر مسمومان، فأتيته بهما فقال لهما: [٣٠١] كنتما تعاهدتما أن تقتلا محمداً وتقتلاني من بعده بهذين الخنجرين. فلم يجب أحد

منهما جواباً. فقال: يا سلمان خذ هذا الخنجر فإنه خنجر ضلال فتوجه به فإذا هو سقط إلى الأرض فاذبحه ودع رأسه في بدنه، ثم أعِد الخنجر إلى موضعه وخذ هذا الخنجر الآخر فإنه خنجر وبال فتوجه به فإذا هو سقط إلى الأرض فافعل به كما فعلت بصاحبه. وردّ الخنجر إلى موضعه. فقلت أفعلُ ما أمرتني به يا مولاي وأتبعُ رضاك. وقمت وأنا لهفان لذلك ففعلت ما أمرني به مولانا أمير المؤمنين منه الرحمة. فلما أتيت على ما أمرني به <و>رددت الخنجرين إلى أغشيتهما قال مولاي: يا سلمان ردّهما إلى الموضع الذي كانا فيه وأخرجتهما منه إلى ليلة مثل هذه الليلة فإن لهما فيها مثل هذه الليلة وهذه الحضرة بحضرة وليّ من أوليائي وعلى يده. فقلت يا مولاي فلا تعدل بذلك عن سلمان؟ فقال: نعم يا سلمان ذلك لهما بحسب ما فعلاه وأُذيّقهما بحسب ما ذاقاه [٣٠٢] في هذا الموضع الذي كانا عزما فيه وأرادا أن يفعلاه وأن يفتكا فيه بمحمد صلى الله عليه وآله ثم يقصدا أمير المؤمنين؛ فيجب عليك وعلى كل مؤمن عارف أن يمشي فرحاً مسروراً هو وأخوانه في هذه الليلة ويُصبحوا على مثل ذلك إذا كان الله يذيق عدوه عذابه فيها ويُحلّ بهما ما بحلّه وهو يحلّ ذلك بجميع حزبهما وأنصارهما وجندهما. فرددت الخنجرين إلى حيث هما كانا ورددت الحجر عليهما.

ونهض أمير المؤمنين قائماً وقال: اشهد يا سلمان! فقلت نعم يا مولاي وإن قنبراً مع ذلك كلّه جالس إلى جانبي لا يلفظ بشيء إلاّ وهو مُدمِن النظر إليّ وإلى مولاي أمير المؤمنين. ثم أتى أمير المؤمنين نحو بغلته فركبها وسار واتّبعته أنا وقنبر. فقال مولاي: إمضيا يا سلمان واركبا جمليكما. [٣٠٣] فقلت يا مولاي أوليس قد كان منهما ما كان؟ فقال: إمضِ يا سلمان واركب فإنه ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا العَذَابَ ﴾ (النساء: ٥٦).

فأتيت أنظر حيث الجملان مناخان فإذا بهما بحالهما وعليهما رحلاهما، فركبت وركب قنبر وأنا متيّقن بمن تحتي وكان الذي تحتي وركبته ضلال وهو الثاني [= عمر]. ونزل مولاي عن جبل أبي قُبيس ونزلنا على أثره وسار وسرنا معه، فالتفت إليّ قنبر وقال: يا أبا عبد الله لقد أطال أمير المؤمنين معك المحادثة في هذه الليلة ففيم كنتما؟ فقلت في شيء أوعزَه إليّ، فقال لي: يا أبا عبد الله لقد كنت أسمع كلامكما إلاّ أني ما فهمت منه شيئاً فهل هو في شيء من جهة هذا الذي قد تغلب على هذا الأمر وصاحبه؟ فقلت هو ذلك وأنه ليحادثني إذ لاح لنا مسجد قباء فدنونا منه فنزل أمير المؤمنين علينا سلامه هناك وخلّى البغلة ودخل

المسجد [٣٠٤] ونزلنا وخلّينا الجملين باركين ودخلنا على أثره فصلى صلاة الليل ثم انتقل خارجاً وخرجنا بخروجه فإذا البغلة واقفة وليس للجملين أثر. فقال قنبر: أظن صاحبيهما كانا راقدين في موضع من المسجد فلما أحسا بدخولنا قاما فخرجا وركبا جمليهما وانصرفا. فقلت عسى كان ذلك وكنت أنا على يقين من أمر الجملين. ثم ركب أمير المؤمنين منه السلام وقال امضيا في دعية الله؛ ولم أزل ماشياً أنا وقنبر إلى أن دخلنا المدينة وهو في كل ذلك يسائلني عما جرى لي مع أمير المؤمنين منه الرحمة وما كان من خطابه لي وأقول هو كما قد عرّفتك. فلما دخلنا المدينة ودّعتُه وأتيت منزلي وقد مضى من الليل ثُلث أخر وبقي الثلث الثالث. فرقدت فلما أذن المؤذن قمت وأسبغت الوضوء وقلت والله لأصلّينّ اليوم مع فلان وفلان ولأنظرنّ هل علما بما كان من حالهما وفعلي بهما.

[٣٠٥] فلما أسفر الصبح واجتمع الناس إلى الصلاة فلم يخرجا إلى الصلاة ولم يحضر فلان وفلان فمضى إليهما رسول فرجع يُخبر أنهما وجدا البارحة علّة وأنهما أصبحا موعوكين، فأُقيمَت الصلاة وصلى الناس وخرجت حتى أتيتُ مولاي أمير المؤمنين علينا سلامه. فلما دخلت عليه قال لي: يا سلمان أصبح صاحباك موعوكين ولم يخرجا إلى الصلاة. فقلت يا مولاي قد كان ذلك. فقال مولاي: وإنهما لا يخرجان إليها إلى تمام أربعين يوماً، فامضِ وعُدهما مع من يعُودهما وإذا سألهما إنسان عن حالهما فاستمع ما يقولان له ويشرحانه لذلك السائل وإذا خلا مجلسهما من العُوّاد فاسألهما عن حالهما وماذا يبديانه من بدء علّتهما وماذا يجدان من ذلك الألم؛ فإنك تجدهما يا سلمان يشتكيان إليك ما صنعته أنت بهما [٣٠٦] ويشيران إلى مواضع الجراح والذبح ويقولان لك يا أبا عبد الله وأعظم الألم ما في ركبنا وأعضادنا وفي أذرعنا وفي زِنادنا وظهورنا وأقدامنا ثم يقولان لك يا أبا عبد الله وإن هذا الذي نجده قد رأيناه في المنام وعاينّاه وهو يحل بنا؛ وإنه قد صحّ وتحقّق في اليقظة.

فخرجت من عند مولاي أمير المؤمنين علينا سلامه ودخلت عليهما أعودهما كما أمرني مولاي. فكانا إذا سألهما سائل قالا علّة عرضت من حمى ودم فلما خلا المجلس سألتهما عن حالهما فيشرحان لي جميع ما قاله مولاي أمير المؤمنين جلّت قدرته، ويشيران [كذا] إلى مواضع الجراح والذبح؛ فأفتقد من أجسامهما تلك المواضع التي يشيران إليها فأجد أثر الجراح والذبح فانظر الأثر بيّناً لا خفاء به ويشيران إليّ بأن ذلك جميعه في المنام ويفسّران

لي كل ما كان في المنام، فأقول والله لقد علمتما أنه ليس بمنام وأنه حق حقيق.
[٣٠٧] فأتيت مولاي أمير المؤمنين منه السلام وأخبرته بذلك ولم يزالا كذلك لم يخرجا إلى المسجد للصلاة إلى تمام أربعين يومًا، كما أخبر مولاي أمير المؤمنين. فلما كان بعد أربعين يوماً خرجا وكنت إذا لقيت أحدهما دون الآخر يقول لي: يا أبا عبد الله بيني وبينك حديث لم أجد له وقتاً أُبديه إليك لأني أخاف أن يطّلع أو يظهر عليه صاحبي. فكنت أعيد ذلك على مولاي منه السلام، فيقول: هو كما علمت يا سلمان. فكان هذا مما أبداه إليّ مولاي أمير المؤمنين منه السلام».

الطبراني، مجموع الأعياد ٣٤٦ وما يلي:

«خبر في باطن النوروز

حدثّنا أبو الحسن عليّ بن سليمان البيدفنجي ‹؟› قال حدثني أبو علي الموصلي [٣٤٧] المعروف بالأبيض قال حدّثني ميسور البلخي قال حدثنا اسحق الأحمر بن محمد النخعي قال حدثنا أيّوب القمّي فال حدثنا جابر بن رَواحة عن صعصعة بن باهل عن المفضل ابن عمر قال: سألت مولاي الصادق ‹جعفر› منه السلام عن باطن النوروز فقال: سلّمْنا لأمره يا مفضل إن له باطناً خفيّاً وسراً عُلويّا. قال المفضل قلت يا مولاي فمُنّ على عبدك بمعرفة [= غنوص] ذلك. فقال الصادق سلّمنا لأمره: أنا أفعل ذلك، اعلم يا مفضل إن محمداً صلى الله عليه وآله ظهر في قبة فارسية (أنظر ص ٢١٣ الآنفة) هو وشلمان باسمين وصفتين.

فكانت تانك الصفتين... و... [= تتعسر هنا القراءة] وكان اسم الميم (كياسره) ثناخسره وقيل كياخسره، وكان اسم سلمان الكيم. فكانا في هذه القبة سنين يدعو محمد صلى الله عليه وآله أهل الفترة إلى توحيد الله عز وجل ويدعو سلمان الناس إلى الإقرار بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله والناس لا يزدادون إلاّ عتوّا ونفورا. وكان القوم يفضلون الأشباح المشوهة على صور الشياطين [٣٤٨] يريدون بذلك إرهاب الميم والسين علينا من ذكرهما السلام. وكان القوم إذا عملوا الأشباح المشوّهة في طريق الميم يدخل فيها الشيطان فيتكلم منها ويزيدها تشويهاً.

فلما طال ذلك على الميم غاب عن القبة، وعلم [كذا، لعل الصحيح: عمل. م. المترجم] الله جلّ اسمه غضبه على القوم لكفرهم بالله وجحودهم نبيّه وإنكارهم بابه. فأمر الله عزّ

وجلّ السماء أن تمنع مطرها. وأجدب سهل الأرض ووعرها، فأقام الناس ثلاث سنين يُكابدون ضرّا ويقاسون جهداً، حتى أعياهم الأمر. فقالت طائفة منهم هذه عقوبة تكذيبنا نبي الله وإنكارنا لتوحيد الله، وأصرّت طائفة منهم على كفرهم وخرجت الطائفة الثانية إلى صحاري لهم بأطفالهم وبهائمهم يبتهلون إلى الله وينثرون على رؤسهم الرماد تذلّلاً لله عزّ وجلّ [٣٤٩] ويسألونه الكشف عنهم مما هم فيه وذلك أول استسقاء كان في الدنيا.
فلما أن كان بعد ثلاثة أيام ظهر لهم الميم، أعني محمداً وأمامه نار عظيمة وهو في وسطها يميل مرّة شرقاً ومرّة غرباً، وأقبل في أثره مطر عظيم كثير القطر كثير الندى والخير، أخصب به البلاد وأحيا به العباد. وأكلت النار التي كان فيها الميم، أعني محمد صلى الله عليه وآله، الطائفة التي كفرت وأبت عن الرجوع إلى الله عزّ اسمه، والشياطين التي كانت تنطق في الأشباح المستقبَحة وتنطق منها.

فجعل الله جل اسمه من ذلك الوقت لكل الناس من العرب والعجم والمسلمين واليهود والنصارى والمجوس يومَ فرح وسرور وأكل وشرب. فوقودُ النار ليلة النوروز مَثلٌ على النار التي كان فيها الميم منه السلام، وصبُّ الماء مثلٌ على الغيث الذي سقوه في ذلك اليوم، والسماجات والأشباح التي تعمل فيه مثل على الشياطين [٣٥٠] التي كانت تظهر بالصور المشوَّهة؛ تريد بذلك إرهاب الميم والسين. وإحراقُ السماجات بالنار في يوم النوروز مثل على إحراق الشياطين والكفّار من الطائفة التي لم تؤمن في القبة الفارسية.

والمراجيح التي تعمل في يوم النوروز ويتعلق ويترجح فيه [كذا، والصحيح: فيها. م.المترجم] الناس يمرّون ويجيئون مثلٌ على ظهور الميم في النار وميله مرة إلى الشرق ومرة إلى الغرب. وذلك أن الفرس تعمل في النوروز حبالا معلّقة يتمرجح فيها الناس يمرون ويجيئون. فيجب على كل مؤمن أن يجعل صبّ الماء يوم النوروز على جسمه طهوراً ونُشرةً لجسمه وأن يوسع فيه على نفسه ومنزله ويواسي اخوانه؛ فإنه يوم عظيم القدر جليل الخطر».

الطبراني، مجموع الأعياد ٣٦٩ وما يلي:

«... ومما روي من أخبار الفرس وذلك أن أول ظهور المعنى بالفرس طلب القوم من الواسطة الذي بينهم وبين مولاهم معجزاً وكشفاً، فقال لهم: إذا كان غداً فاخرجوا إلى صحاراكم فإنكم ترون ربّكم يهبط عليكم من السماء إلى الأرض. فخرجوا في عشية يوم

النوروز وقت العصر فنظروا إلى السماء [٣٧٠] وقد تفتّحت أبوابها، فإذا بأرجوحة قد نصبت من السماء إلى الأرض من أنواع الجوهر والعقيان ‹؟›. ونظروا إلى صرير الجبل[٦٨١] وليس له صورة تُحَد وهي هابطة من السماء إلى الأرض، وتذهب وتجيء. وتلك الأرجوحة في الهواء؛ فخرّ لها الواسطة وهو السيد محمد منه السلام ومعه بابه وهما اللذان كانا يظهران في ملوك الفرس خروين ‹؟› وخسرو. وكان المعنى جلّ وعلا إذا ظهر فيهم يسمّى شروين ‹؟›[٦٨٢]. فلما سجدا سجد العالم بسجودهما ثم خاطبهم ‹المعنى› بالتوحيد فاستوجب الفرس بذلك السجود أن قامت المملكة فيهم أربعة آلاف سنة وخمسمائة سنة.

ثم سألوه أن يحيي لهم موتاهم في ناووس قديم. فأمرهم أن يضرموا ناراً على الناووس. فلما فعلوا ذلك قال لهم: ليأخذ كل واحد منهم إناء فيه ماء فيرشّه على الموضع الذي يعرف فيه من كان مات من أهله فإنه يخرج إليه. ففعلوا ذلك فخرج إليهم موتاهم وانصرف كل واحد منهم ومعه من مضى من أهله بعد أن خرّوا له ساجدين، وبه عارفين. [٣٧١] ثم قالوا: يا مولانا وسيدنا نريد شيئًا يكون لنا عيداً في صبحة يومنا هذا ويُذكَر اليوم الذي قدّمتَه على الأيّام. فرشّ عليهم الماء بيده وهي قدرته فخرج من ذلك الآسُ البَهْمَنيّ[٦٨٣] على ثيابهم وبُسُطهم وفُرشهم. ثم أضاءت البقعة عليهم بالنور وغاب عنهم النور، فاستعملوا النار وجعلوه قِبلة عوضاً عن ذلك النور. إذ كانت تشبهه ولم يزالوا متأسفين مترقبين يحصون الأيام ويرقبون الأوقات ويسألون مولاهم وهو بين نظرهم ونصب أعينهم، إلى تلك الليلة الآتية بعينها. فظهر لهم بغير ذلك الظهور وطلبوا القدرة التي رأوها فرشّ عليهم وعلى ثيابهم الماء، فخرج منه الآس الخسرواني والآذريون، فرأوه على ساداتهم مثل الإكليل. فصارت سُنّة استعمال الآس والآذريون أكاليل في يوم النوروز، وهو النور الذي ظهر لهم في تلك الليلة. [٣٧٢] فصار وقود النار سُنّةً في ليلة النوروز. ومعنى أنه سُمّي الآس الخسروانيّ فإنه بالعربية لون النار[٦٨٤]، والنوروز اليوم الجديد».

الطبراني، مجموع الأعياد ٣٥٩-٣٦٠:

«وري عن أبي الخطّاب عليه السلام أنه قال: روز بالفارسية أمان من المسوخيّة. تفسيره بالعربية من عرف الله تعالى في يوم النوروز أمن من المسوخية.

وري عن المفضل بن عمر أنه قال: قال ‹جعفر› الصادق: إنه كان المعنى عزّ عزّه في زمن الفرس يظهر في كل عام مرتين في انقضاء البرد من الحر وانقضاء الحر من البرد. فسمي

انقضاء البرد من الحر النوروز، وسمي انقضاء الحر من البرد المهرجان. واتّخذوهما عيدين لهم، وكان المعنى الأكبر إذا ظهر في الأكوار ظهر بالإكليل وقيل بالأكل والشرب. فمنها استعملت الفرس في هذين العيدين الأكل والشرب».

الطبراني، مجموع الأعياد ٣٥١ وما يلي:
خبر في باطن النوروز: «ما حدّث به أبو عبد الله الحسن المعروف بالجليليّ قال حدثنا سعد الأعسر عن محمود الوراق عن اسحق بن صَدَقة عن الواثقيّ واسمه الحارث بن نوفل عن محمد ابن سنان عن المفضل بن عمر أنه قال: قال مولاي ‹جعفر› الصادق منه السلام إن يوم النوروز له باطن أبطن مما شرحته لك. فقلت يا مولاي تُفهِّمُ عبدك ذلك؟ قال مولانا الصادق علينا سلامه: يا مفضل إن الله جلّ اسمه لما خلق آدم الآدام وأمر الملائكة له بالسجود فسجدوا وأمر إبليس بالسجود فـ﴿أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ﴾ (البقرة: ٣٤) هو وذرّيته. وكان المؤمنون في ذلك الوقت أبداناً بغير أرواح نورانيّةً (أنظر ص ٧٨).

وكان إبليس وذرّيته يدخلون في تلك الأبدان ‹الفارغة› ويتعجبون من نورها وظُلمتهم، وإبليس لا يعلم ما السبب في ذلك. فلما أظهر الله آدم على صورة تلك الأبدان وأمر الملائكة بالسجود له فسجدوا وأمر إبليس لعنه الله فأبىٰ لينفُذ حكم الله فيه وتظهر حجّة الله عليه. فقال: أنا أقوى من هذه الأبدان التي أُمر لها بالسجود، وآدم هو مثلها فادخُل فيها ولا تدخل فيّ! (قارن مع ص ١٨٠) [٣٥٢] فلما علم الله ذلك منه أمر السماء وزجر السحاب فمطرت مطراً فكانت النقطة تقع في بدن تلك الأبدان النورانية فتنطق بتوحيد الله عزّ وجلّ، فتصير النقطة فيه روحاً. فمن هذا المطر روح كل شيء. وأمر الله عزّ وجلّ معصية إبليس أن تصير ﴿نَاراً﴾ عليه ﴿تَلَظَّىٰ﴾ (الليل: ١٤) من حوله ومن حول أتباعه. فلما رأى إبليس ذلك سأل النظرة إلى يوم القيامة والبعث، فلم يُجب إلى ذلك وأجيبَ ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ﴾ (الحجر: ٣٨؛ ص: ٨١)، وهو ظهور القائم منه السلام. لأن القائم المهديّ يقتل إبليس وكلّ كافر حتى يكون الدين كله واحداً.

فسمى الله ذلك اليوم النور وسمته الفرس نوروز مشتق من النور. والزيّ والمراجيح التي تعمل فيه مَثَل سعي الأبدان بعضها إلى بعض حين صارت لها أرواح، وأما الماء الذي يُصبّ فيه للتطهير فهو نظير المطر الذي أمطر على الأبدان النورانية. [٣٥٣] والنار وما تحرق من

السماجات مثل على النار التي كانت من معصية إبليس وذرّيته وجنسة. والسماجات مثل على الشياطين وذرّية إبليس لعنه الله...»

سليمان الأضني، الباكورة السليمانية، ص ٣٤ وما يليها [ط دار من أجل المعرفة، ص ٣٦ وما يليها]:

في الأعياد

إن للنصيرية أعياداً كثيرة، منها أن كل رجل غني ملتزم بعمل عيد أو عيدين أو ثلاثة، حسب طاعته لمذهبه.

وأكبر أعيادهم عيد الغدير يقع في الثامن من ذي الحجة. والذين يعملون هذا العيد في أضنه هم الشيخ صالح بن سمرة، والشيخ عيد الأعور ابن الشيخ عيد، والشيخ أحمد ابن شيخ المنكولية القاطن في أضنة. وفي الحاضرلية الشيخ ابراهيم ابن الشيخ منصور، وفي نواحي أنطاكية في قرية يقطو الشيخ ابراهيم ابن الشيخ اسماعيل، وفي الدرسونيَّة الشيخ محمد ابن الشيخ خضر بكفلاوي.

ثم عيد الأضحية في العاشر منه تذكاراً لإسماعيل ابن هاجر. فالذين يعملونه في أضنة هم الشيخ صالح بن سمره والشيخ صالح شيخ القصب وغيرهما.

ثم في السادس عشر من تشرين الأول عيد المهرجان. فالذي يعمله في أضنة هو محمد علي بن صاري باشا.

ثم عيد البربارة في الرابع من تشرين الثاني، فالذي يعمله في أضنة هو الشيخ يوسف ابن علي ابن رجب من الأوبة. وبعد أسبوع عيد أيضاً. وبعد أسبوع عيد آخر. ثم عيد ميلاد المسيح ليلة الخامس عشر من كانون الأول فالذين يعملونه في أضنة مرشدي الثاني الشيخ صالح الجبلي ثم ابن عمي الشيخ محمد في الحارة الجديدة. ثم عيد الغطاس في السادس من كانون الثاني، [٣٧] فاللذان يعملانه في أضنة هما حسن ابن قطاعة من الأوبا ومحمود ابن شيحة.

ثم عيد السابع عشر من آذار، فاللذان يعملانه في أضنة هما مرشدي الأول أحمد أفندي ابن رضوان آغا وابراهيم ابن الطويل وغيرهما.

ثم عيد أول نيسان يعمله الشيخ حسن من يوكسك طولاب. ثم عيد الرابع يعمله الشيخ علي صدريًا ابن الشيخ سليمان من حارة الخضر وغيره. ثم عيد الخامس عشر منه

يعملونه [كذا. م. المترجم] أولاد الشيخ اسماعيل من يوكسك طولاب.

ثم عيد التاسع من ربيع الأول الذي اسمه غدير الثاني يعمله الشيخ حاتم الأعور الذي هو جانب الحارة الجديدة. ثم عيد ليلة نصف شعبان يعمله ابن الشيخ عبد الله من بيت سمره وشعبان ابن الصارخي [« الصارقجي as-Sāriqğī » كذا لدى د. هالم، م. المترجم]

وأعيادٌ كثيرة لا أذكر أوقاتها، كعيد يوحنا المعمدان، ويوحنا فم الذهب، وعيد الشعانين، والعنصرة، وعيد لمريم المجدلية.

ومن الليالي فالليلة الأولى من رمضان يعملها حسن الكابيجي من الباقر صندية. ثم ليلة السابع عشر، فالذي يعملها مرشدي الثاني الشيخ صالح الجبلي وغيره. ثم ليلة التاسعة عشر يعملها مرشدي الأول أحمد أفندي وعيسى ابن البيرقدار من يوكسك طولاب. ثم الليلة الحادية والعشرين، يعملونها [كذا. م. المترجم] بيت الصارقجي من زقاق السلطانية. ثم ليلة الثالثة والعشرين، يعملها رجل اسمه أبو زيد من القرا حمدلية، وهو الآن قاطن بالحارة الجديدة. ثم ليلة السابعة والعشرين منه، فيعملها علي ابن البطه.

وغير ذلك من الأعياد والليالي، يعملونها [كذا. م. المترجم] النصيرية في البلاد التي هم قاطنون بها. وهذه الأعياد انتهت إليهم من سلفائهم. وستنتهي بعدهم إلى خلفائهم. ولا يمكن أن يتركها نسلهم. وأما الحسنات والنذورات لم يعيّنوا [٣٨] لها أوقات فيعملونها متى شاءوا.

وأرجو من قارئ كتابي هذا أن يميّز الأوقات المذكورة ويترقب تلك الأيام المعلومة عند هؤلاء المذكورين فإنه يرى الذبايح والطبايخ والناس مجتمعين أفواجاً. فكان أهل المدن يعملون أعيادهم غلساً لكي لا يظهر عليهم أحد. وأما سكان القرى فلا يبالون.

وعندهم أعياد الفرح في رمضان كالإسلام، وعيد الضحية في العاشر من ذي الحجة، ثم عيد رأس السنة في اليوم الأول من كانون الثاني. فسكان القرى يعتبرونه أكثر من ذينك العيدين. وأما سكان المدن فلا يعتبرونه لكي لا تظهر عليهم الإسلام، بل يعتبرون ذينك العيدين للفرح فقط.

في وظيفة المشايخ النصيرية وصلوات أعيادهم

إن النصيرية لهم ثلاث رتب من الشيوخ: أما الرتبة الأولى فهي رتبة الإمام. والثانية هي

رتبة النقيب. والثالثة هي رتبة النجيب. فمتى حان يوم عيدهم تجتمع [كذا. م.م.] الناس إلى بيت صاحب العيد، ويأتي الإمام ويجلس، ويضعون أمامه خرقةً بيضاء، فيها محلب وكافور وشموع وورق الريحان، أو الزيتون. ويقدمون إناء مملوءً خمراً، أو نقيع العنب، أو الزبيب. ويجلس نقيبان: أحدهما عن يمين الإمام، والآخر عن يساره. ثم يميّز صاحب العيد نقيباً آخراً للخدمة. وبعد ذلك يتقدّم ويقبّل يد الإمام ويد النقيب الذي عن يمينه، ثم يد الذي عن الشمال. وبعد ذلك يد النقيب الممتاز للخدمة. فينهض النقيب ويضع يده على صدره قايلاً: الله يمسيكم بالخير، يا أسيادي ويصبحكم بالرضىٰ والسعادة، هل ترضوني خادماً لكم في هذا العيد المبارك، أو الوقت المبارك، على كيس صاحب العمل فلان، الله يبارك عليه؟ فيجيبه الحاضرون نعم. حينئذ يقبّل الأرض طاعة للحاضرين، ويأخذ بيديه ورق الريحان، ويفرّق عليهم وهو يتلو هذه الآية واسمها:

سطر الريحان

قوله تعالى: «أمَّا كان من المقرَّبين فروحٌ وريحانٌ وجنَّة النعيم» (عن الواقعة :٨٨- ٨٩) اللهمَّ صلّي على أسماء أشخاص الريحان. هم صعصعة بن صوحان، ويزيد بن صحوان [٤٠] العبدي، وعمَّار بن ياسر صاحب الفضل والمآثر، ومحمد ابن أبي بكر، ومحمد ابن أبي حديفة[٦٨٥]. صلوات الله عليهم أجمعين.

وكذلك الحاضرين [كذا والصحيح: الحاضرون. م. المترجم] يتلونه أيضاً. ويأخذون ذلك الورق ويفركونه بأيديهم، ويشمّون رائحته نظير ما رأىٰ حزقيال النبي ص ٨ ع١٧. ثم بعد ذلك يأخذ طست ماء ويضع فيه محلباً وكافوراً ويقرأ هذا القداس واسمه:

قداس الطِّيْب[٦٨٦]

«أيها المؤمنون! أنظروا إلى مقامكم هذا الذي أنتم به تجتمعون، وانزعوا الغلَّ من قلوبكم والشكَ والحقدَ من صدوركم ليكمل دينُكم بمعرفة مُعينكُم(*) ويُستجاب منكم دعاؤكم ويُكرّم مثواكم ومولاكم. اعلموا أن عليّاً بن أبي طالب قائمٌ معكم وحاضرٌ بينكم ويسمعُ ويرىٰ ويعلمُ ما فوق السماوات السبع وما تحت الثرىٰ وهو عليمٌ بذات الصدور والعزيز الغفور.

- إيّاكم إيّاكم يا إخوان من الضحك والقهقهة في أوقات الصلات مع الجهّال، فإنها بئسُ

الفِعال وتُقَرِّبُ الآجال وتُهبِطْ صالحَ الأعمال، ولكن اصغوا واسمعوا لمقالِ السيّد الإمام لأنه قائم فيكم كقيام الفرد الصمد العلي العلاّم.

«إنا مزجنا لكم هذا الطيب على هذه النيّة كما مُزجت السماوات في [٤١] السبعة الإمامية في خالص عقد النفوس الجوهرية للصُورة البشرية المرئية الأنزعية[٦٨٧]. طَيِّبوا بها أنفسكم الطاهرة الذكية من سائر الأفعال الردية. لقد خصّ بها الميم للسين في كل وقت وحين إليّا إليّا فهو علياً إله له الدين الخالص إنما يدعون من دونه باطل وعبادة المخلوقات هي الرأي العاطل لأنه تعالى عزّ شأنه في علو مكانه السميع العليم العلي العظيم».

ثم يسكب على يد الإمام ملعقة من الطيب، ويناول الطست للنجيب، ليسكب على يد كلٍّ منهم ملعقة منه، فيدور عليهم به، ويقرأ عند المناولة هذه الأية واسمها:

سطر الطيب

قوله تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣٠). سبحان من أحيا الميت بأرض الصرصر[٦٨٨] بقدرة مولانا العليّ الأكبر الله أكبر الله أكبر.

وكذلك الحاضرون يتلونها عند التناول ويغسلون وجوههم. ثم أن النقيب يأخذ مجمرة بخور وينهض قايماً ويقرأ:

القداس الثاني: واسمه قداس البخور

وروائح تدور في البيت المعمور في محل الهنا والفرحِ والسرور

«إنّه كان شيخنا وسيدنا محمد بن سنان الظاهري (أنظر ص ١٧١) علينا سلامه يقوم إلى الصلاة الجامعة في كل يوم وليلة مرّة أو مرّتين ويأخذ بيده ياقوتة حمراء تنزيهاً لفاطمة الزهراء، ويبخر الأقداح وتتمّ الأفراح ويبخر بها عبد النور في وقت الزينة والزهور».

[٤٢] «اعلموا يا مؤمنين أن النور محمد والليل سلمان. بخّروا أقداحكم وأنيروا مصباحَكم وقولوا بأجمعكم: الحمد لله، الحمد لله الذي جعل لنا فضلَه تام وسرّه كاتم، إنه جوادٌ كريم، عليّ عظيم. آمنوا وصدقوا يا مؤمنين، إن شخص عبد النور حلالٌ لكم مَعكم حرامٌ عليكم مع غيركم».

ثم يبخر الإمامَ وكلَّ الجالسين عن يمينه ويساره، ويناول النجيبَ المجمرة ليبخر الجماعة. وحينما يدور عليهم يتلو هذه السورة واسمها:

سطر البخور

اللهم صلِّ وسلّم على سيدنا محمد المصطفىٰ - ثم يذكر أسماء أبناء ابنته الاحدى عشر المار ذكرهم في تفسير السورة الثالثة وبعد ذلك يقول: - صلوة الله عليهم أجمعين. والمُبخِّرون يتلونها أيضاً ثم يأخذ النقيب بيده كاس خمر ويقوم قايماً ويقرأ:

القداس الثالث:

واسمه قداس الأذان وبالله المستعان

«الله أكبر، الله أكبر؛ وجّهتُ وجهي إلى السيد محمد المحمود، وطالب سرّه المقصود وعينه الودود مقرّاً بالمعرفة [=الغنوص] والتجليات والصفات ومنزهًا المعنىٰ بالذات هو عين العلوية الذّاتية الأنزعية هو المعنىٰ عليّ المتعال وأما فاطر ذو الجلال والحسن ذو الكمال ومحسن سرّ الخفي المفضال[٦٨٩]. إني عبدٌ يا مؤمنين مقرّ بما قرّ به السيد سلمان في وقت الندا والآذان. أذّنَ المؤذّنُ في المأذنة وبلّغ القوم في أذانه وهو يقول: الله أكبر الله أكبر.

[٤٣] «أشهد بأن ليس إله إلاّ عليّ أمير النحل[٦٩٠] الأصلع المعبود، ولا حجاب إلاّ السيد محمد الحمد الأجلّ الأعظم المحمود، ولا باب إلاّ السيد سلمان الفارسي المقصود. وأن محمداً حجابه المتصل ونبيه المرسل وكتابه المنزل وعرشه العظيم وكرسيه المتين. وأن السيد سلمان سلسل سلسبيل بابه الكريم ونهجه القويم الذي لا يؤتىٰ إليه إلاّ منه، وسفينة النجاة وعين الحياة، حيّ علىٰ الصلاة. صلّوا يا معشر المؤمنين تدخلوا الجنّة التي أنتم بها موعودين، حيّ علىٰ الفلاح حيّ علىٰ الفلاح تُفلحون يا مؤمنين وتخلصون من كثائف الأبدان وظلمة الأجسام وتسكنون بين الحور والولدان وتعاينون مولاكم الجليل أمير النحل العليّ الكبير.

الله أكبر الله أكبر، مولاكم أمير النحل عليّ أكبر ممن تكبّر وأعظم ممن تجبّر، صمداً لا يرام، عزيزاً لا يضام، قيّوماً لا ينام. الله أكبر الله أكبر قد قامت الصلاة على أربابها وثبتت الحجة على أصحابها.

أسألك يا أمير النحل يا علي بن أبي طالب أن تقيمها وتديمها، كما دامتا السماء والأرض. واجعل السيد محمد خاتمها وصيامها وصلاتها، والسيد سلمان سلامها وزكاتها، والمقداد يمينها ومعينها، وأبو الذرّ شمالها وكمالها، والعالمين [= الغنوصيين] سبيلها، والمؤمنين دليلها إلى الأبد. آمين».

ثم يناول الإمامَ القدحَ ويملي كأساً أخرىٰ، ويناولها للجالس على اليمين وكأساً للجالس على اليسار، وعند المناولة يتلون هذه الآية، وهي:

«أشهد أن مولاي ومولاك أمير النحل علي ابن أبي طالب الذي لا حال ولا زال، ولا ينتقل من حال إلى حال، وأشهد بأن حجابه السيد محمد وبابه السيد سلمان، ولا منفصل بين المعنى والاسم الباب».

وبعد ذلك يقول المناول للمتناول: خذ يا أخي هذه الكأس بيمينك، [٤٤] واستعين [كذا والصحيح: استعن. م. المترجم] بمولاك عليّ ابن أبي طالب يدبرك ويعينك، فيجيبه المتناول: هاتِ يا ابني ما في يمينك واستعن بربك وخالقك، فهو يدبرك ويعينك على أمور دينك، أثمر الله من هذا من ماله بحرمةِ محمد وآله.

ثم يُقبّلان أيادي بعضهما ثم ينهض النقيب ويضع يديه على صدره ويقول:

«الله يمسيكم بالخير يا إخوان، ويصبحكم بالرضىٰ يا أهل الإيمان، سامحونا من الغلط والنسيان لأن الإنسان ما سمّي إنساناً إلاّ لأجل أنه يخطئُ وما تم الكمال إلاّ لمولانا عليّ ذي الجلال وهو بكل شيء عليم».

ثم يقبّل الأرض ويجلس وبعده يتفوه الإمامُ نحو الجماعة قايلاً:

«الله يمسيكم بالخير يا إخوان ويصبحكم بالرضىٰ يا أهل الإيمان هل ترضوني خادماً لكم في هذا النهار المبارك على كيس صاحب العمل بارك الله عليه؟» ثم يقبل الأرض، وكذلك الجماعة أيضاً ويضربون تمني ويقولون قبلناك شيخنا وسيدنا. ثم يقول الإمام:

«قد رُوي الخبر عن مولانا جعفر الصادق الصامت الناطق الفاتق الراتق أنه قال في أوقات الصلوة لا يجوز أخذ ولا عطا ولا بيع ولا شرا ولا حديث ولا شوشرة ولا حرج ولا مرج ولا حديث فوق الريحان إلاّ الصمت والاستماع وكلمة آمين. اعلموا يا إخوان من كانت على رأسه عمامة سوداء[٦٩١] أو بإسبعه كشتبان أو في وسطه سكينٌ ذات حدَّين فصلوته غير جايزة وأكبر الذنوب الخطاء فوق الريحان وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين».

[٤٥] ثم يقبل الأرض ويقول:

«هذه الطاعة لله ولكم يا إخوان».

ثم يُخرُّ الحاضرون ويقبّلون الأرض ويرفعون أديديهم على رؤوسهم ويقولون:

«طاعتك لله تعالىٰ يا شيخنا وسيدنا».

ثم يقرأ الإمام التبرّي وهو هذا:

«أستغفرُ الله العليّ العظيم من كل ذنب عظيم من جميع الخطايا والبلايا والزلل، على نيّة الصلاة نصلّي إن شاء الله تعالىٰ. أسالك يا أمير النحل، يا علي بن أبي طالب، أن تجعلها منّا ساعةَ إجابة وساعة غفران، وساعة رضوان، وتقبلها بأحسن قبول، بحق السيد الرسول، وفاطمة البتول، ومحسن سرّ الخفي، والليل الساجي السدول، أن تقبلها منّا كما قبلتها من أوليائك الصالحين، وأنبيائك المرسلين، وأهل طاعتك أجمعين من الأولين والآخرين. رُويَ الخبر عن أبي شُعَيب محمّد بن نُصَير العَبْدي البكري النُّمَري أنّه قال: من أراد النجاة من حرّ النيران، فليقل:

اللهم العن فَيْئَةً أسّست الظلم والطغيان الذين هم التسعة رهطُ المفسدين، الذين أفسدوا وما أصلحوا بالدين، الذين هم إلى جهنم سائرين، وإليها ضالّين، أوّلهم أبو بكر اللعين، وعمر ابن الخطاب الضدّ الأثيم، وعثمان بن عفان الشيطان الرجيم، وطلحة وسعد وسعيد، وخالد ابن الوليد، صاحب العمود الحديد، ومعاوية وابنه يزيد، والحجّاج بن يوسف الثقفي النكيد، وعبد الملك بن مروان البليد، وهارون الرشيد[٦٩٢]. خلّد عليهم اللعنة تخليداً ليوم الوعيد، يوم يُقال لجهنّم: [٤٦] هل امتلأت؟ فتقول: هل من مزيد؟ (القرآن، ق: ٣٠)

ثم إنّك يا عليّ بن أبي طالب تفعل ما تشاء وتحكم بما تريد، وأسألك أن تنزل سخطك وعذابك على اسحق الأحمر المخزول، واسماعيل بن خلاد الجهول[٦٩٣]، والعن الشيخ أحمد البدوي، والشيخ أحمد الرفاعي، والشيخ ابراهيم الدسوقي، والشيخ محمد المغربي، والشبل المرجان، والشيخ عبد القادر الجيلاني[٦٩٤]، وكلَّ يهودي ونصراني، والعن المذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي.

وأنزل يا أمير النحل يا عليّ بن أبي طالب سخطك وعذابك على الجَلَنْد بن كركر[٦٩٥]، واسحق الأحمر، وعاقر الناقة قيدار[٦٩٦]، وحبيب العطار <؟>. فادخلهم في سَقَر، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ، لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَرُ، لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ (المدثر: ٢٧-٢٩)، عليهم اللعنة تسعة عشر.

والعن لعابي القرود، ومسّاكي الحيّات السود، وجميع النصارىٰ اليهود، وكل من يعتقد في عليّ بن ابي طالب آكلاً أو شارباً أو مولوداً أو ناكحاً. لعنهم الله. واجعل اللعنة على يوحنا مارون، البطريك الملعون[٦٩٧]، [٤٧] وعلى كل من أكل خيرك، وعبد غيرك. وأبرئنا منهم براءةً تامّة تبرئةَ اللحم عن العظم، بحرمة عليّ ومحمد وسلمان، وبفضل ع م س».

ثم يمسح يده على صدره قايلاً للحاضرين:

«نتبرأُ من هؤلاء الشياطين الخبثاء على فضل ع. م. س.».
وكذلك الجميع يقبّلون أيادي بعضهم يميناً ويساراً. ثم يقرأ الإمام الفاتحة والمعوذتين وما بعدهم إلى سورة الشمس وضحاها. وبعد ذلك يقرأ آية الكرسي وغيرها من آيات القرآن حسب إرادته. وبعد فراغه من آيات القرآن يقول للجماعة:
«إعلموا يا إخوان أن مثل هؤلاء شواهد وآيات كثيرة تدلّ على معرفة العلي الكبير. أسألك يا أمير النحل يا عليّ يا عظيم بحرمة هؤلاء الشواهد والسور والمعاجز والقدر، وبحرمة السيد محمد الذي هو نور ذاتك انفطر، بأن تخلف وتبارك لأصحاب هذا الخير وهذا الإحسان وهذا الأثر ويجعل محلكم معمر وفرعكم أخضر وعدوكم مدمَّر. يبارك عليكم مولاكم العلي المقتدر النافخ في الصور اللهمّ صلّي وسلم على سيدنا الخضر الأخضر[٦٩٨] ونبي الله الاسكندر[٦٩٩] والملك جعفر الطيار[٧٠٠] والسلطان حبيب النجار[٧٠١] وسيدي مُيَثم الثمار، ويقدس ويرحم روح سيدي الشيخ حسن الأسمر، والشيخ ابراهيم بن قشمر، والشيخ خليل متور، والشيخ علي في الصنوبر[٧٠٢] ويجعلها مساةً وليلةً مباركة علينا وعليكم. يا إخوان يا من حضر بحرمة العزيز المقتدر يا أمير النحل يا علي يا عظيم».
ثم يبدو بأقوال باطلة وتقديم المجد والعبادة إلى علي ابن أبي طالب وقدّاسات كثيرة اقتصرنا على ذكرها حتى ينتهي إلىٰ قداس التمام واسمه:

[٤٨] قداس الإشارة

«الحمد لله على التمام، عَلِيٌّ نور الأنام، عَلِيٌّ ربُّ العزّة، عَلِيّ فالق الحبّة، عَلِيّ باري النسمة، عَلِيّ ينبوع الحكمة، عَلِيّ مفتاح الرحمة، عَلِيّ سراج الظلمة، عَلِيّ جبّار الجبابرة، عليّ مبيدُ الأكاسرة، عليّ صاحبُ القباب الفاخرة، عليّ إمامُ المحراب، عليّ قالعُ الباب[٧٠٣]، عليّ مفرّج الكربات، عليّ صاحب المعجزات، عليّ داحي الأرض، عليّ حُبُّه فرض، عليّ نزهةُ الشيب، عليّ عالمُ الغيب، عليّ مالك الدنيا، عليّ صاحب الآخرة والأولى، عليّ شقّ الصخر، عليّ نورُ الفجر، عليّ نهرُ الخمر، عليّ أبو الحسن، عليّ نهرُ اللبن، عليّ معلّل العلل، عليّ مفني حركات الدول، عليّ نهرُ العسل، عليّ نهرُ الماء، عليّ رافع السماء، عليّ بديع الزمان، عليّ رفيع الشان، عليّ كثير العجائب، عليّ ربّ المشارق والمغارب، عليّ حيدرة الأصلع، عليّ البطين الأنزع، عليّ صاحب النون[٧٠٤]، عليّ السرّ المكنون، عليّ شجرة الزيتون، عليّ عالم ما في الصدور، عليّ البحر المسجور، عليّ صاحب القدرة، عَلِيٌّ

شقّ الصخرة، عليّ سورة البقرة، عليّ فارس الفوارس، عليّ محيي العظام الدوارس، عليّ منزّل الكتاب، عليّ مفرّق الحساب، عليّ ردّ الشمس، عليّ قابض على كل نفس، عليّ العزيز الجبّار، عليّ قادر قهّار، عليّ ضارب بذو [كذا . والصحيح بذي . م.م .] الفقار، عليّ حيدرة الكرّار، عليّ جبّار الأرض، عليّ صاحب النوافل والفرض، عليّ أحدٌ فرد، عليّ هابيل، عليّ شيت، عليّ يوسف، عليّ يوشع، عليّ آصاف[٧٠٥]، عليّ شمعون الصفىٰ.

وإلى هذا المعنى نسبّح ونقدّس ونهلّل ونكبّر ونمجّد ونعظّم. إلى ما أشارت أليه الأولين [كذا والصحيح : أشار إليه الأولون . م. المترجم]، ودلّت على قدم معنويته الأنبياء المرسلين. ونشير إلى [٤٩] ما أشار إليه شيخنا وسيّدنا الحسن بن حمدان الخصيبي، ونشير إلى ما أشار إليه جدّه محمد بن نصير العبدي البكري النميري، ونشير إلى ما أشار إليه سلمان الباب، ودلّ على معنويته السيد محمد الحجاب، في السبعة الأقباب <=الأدوار>، من هابيل الرضىٰ إلى حيدرة أبي التراب <=علي>.

إعلموا يا أخواني أن إلهكم معنىٰ المعاني، القديم الأحد الفرد الصمداني. بولايته نرتفع إلى جنان الرضىٰ، وزيادة الأنوار. اعلموا أنّ هذه صلاتنا وحجنا وزكاتنا وإشارتنا وعبادتنا في سرّ سرّنا وخالص يقيننا إلى عليّ ابن أبي طالب الأنزع البطين الذي لا يتجزأ ولا يتبعّض ولا ينثني في قسم، ولا يدخل في عدد، ولا يحول ولا يزول ولا تغيّره الأزمنة والدهور، المكنّىٰ بحيدرة أبي تراب الذي له ولعظم جلال هيبته وكبرياء سني برق لاهوته تخضّعت له الرقاب، ودلّت له الأمور الشداد الصعاب».

ثم يرفعون أيديهم على صدورهم ويتلون سورة الإشارة وهي السورة الثامنة <من المجموع>. فكل طايفة ترفع يدها بحسب مذهبها كما أوضحنا ذلك في تفسير السورة المذكورة. وبعدما يفرغون منها يأخذ الإمام بيده قدح الخمر ويقرأ خبراً عن الحسين بن حمدان الخصيبي توحيداً لعلي ابن أبي طالب. وبعد فراغه يأمر الجماعة بالسجود وهي السورة السادسة <من المجموع>. وبعد الفراغ منها يأخذ الإمام القدح الذي بيد الجالس عن يمينه ويمزجه مع الكأس الذي بيده ويقول عند مزجه:

«أرأيت ثم أرأيت نعيماً ومُلكاً كبيراً، عَاليَهُم ثيابٌ سُندُسٍ خُضرٌ واستبرق وحلّوا أساورَ من فضةٍ وسقاهم ربهم شراباً طهوراً. إنّ هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً» (طبقا للقرآن، الإنسان : ٢٠–٢٢).

[٥٠] ثم يقرأ هذه الترنيمة التي هي للحسين بن حمدان الخصيبي:

حِـــكَمٌ ســـاقهـا إليكم أخيكـم

عبـــدُ عبـــدِ لثاني عشر بدُورِ

جنبـــلانيكمُ ســـليلُ خـــصيـبِ

يســـتقيها من فيض بحر الزخورِ

من عيون التســـنيم يسقي رحيقاً

ســـلســـليّاً مُـختّماً بعبـــيرِ

ثم يتلو السورة التاسعة، وكذلك الجماعة. ثم يشرب من الكأس قليلاً ويناوله للجالس عن يمينه، ويأخذ الكأس الآخر من الجالس عن شماله، ويشرب منه قليلاً، ويناوله إيّاه أيضاً. ويناول الكأس الذي كان معه إلى النقيب الخادم، فتدور الكؤوس بينهم من واحد إلى آخر. وعند المناولة يقبّلان أيدي بعضهما المناول والمتناول، ويقول المناول للمتناول: تفضل إشرب يا أخي وسيدي سرّ ع م س. ثم يأخذ القدح فيشرب ويقول للمناول: سقاك الله يا أخي وسيدي. فيجيبه المناول هنّأك الله في شرابك ومشروبك ويبلغك مقصودك ومطلوبك. فتجيب الجماعة بعد انتهاء المناولة وتقول: آمين.

وحينئذٍ يقرأ الإمام آيات من سورة الشعراء وهي: ﴿طسـم، تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِين، لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ، إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾. ولله الركعة يا مؤمنين.

وبعد فراغهم من الركعة التي هي السورة السادسة ‹من المجموع› يقرأ حينئذ **دعاء اليمين** وهو هذا:

«أسألك يا أمير النحل يا عليّ يا عظيم، بحق هذه الصلاة والسجود والزيارات والحدود والبروق والرعود، وبنوح وهُود، وبحق توراة موسىٰ وإنجيل عيسىٰ وقرآن محمد وزابور داود، وبحق صورتك صورة الوجود المرئيّة في الضياء والظل والممدود، وبحق يتيمك المقداد ابن الأسود [٥١] الكندي، الذي قُدّت منه عالم الصفا قدود بعد قدود، وبنورك المشتق من باطن العامود – [ملاحظة من سليمان الأضني: أي عامود الصبح الذي هو إحمرار الشمس عند طلوعها وغروبها] – بأن تخلف وتبارك لأصحاب هذا الخير وهذا الإحسان وهذا الجود، ويجعل خيره علينا وعليكم مورود، والشرّ منا وعنكم مبعداً مطرود، ويهلك عنّا وعنكم شرّ الأوباش والضدود [= أضداد. م. المترجم] ويرحم لنا ولكم من هو تحت التراب ملحود.

اللهم صلّي وسلّم على سيّدي الخضر الأخضر والملك جعفر الطيّار، والسلطان حبيب النجار الذي نَجَّر العودَ بالعود، والسلطان ابراهيم وولده محمود، ويقدس ويرحم روح سيّدي وأستاذي الشيخ حسن ماسك وطَا العوجة والشيخ حسن الأجرود، والشيخ عليّ الصُّوبري والشيخ علي بن ممدود، والشيخ سعد واخيه الشيخ مسعود، وبالسَفَرْقَيّة الشيخ داود[٧٠٦]. ويقدِّس ويرحم أرواح جميع المؤمنين في أربع أركان الدنيا والحدود. علينا وعليكم السلام من عليّ الأنزع المعبود. سلّموا تسلموا من جميع البلا والنكود».

وبعد فراغهم من سورة السلام التي هي السورة الرابعة ‹من المجموع› يقرأ **دعاء الشمال** وهو هذا:

«ابتدأتُ وتوسّلت إليك يا أمير النحل، يا عليّ يا عظيم يا قديم الأيام، يا صاحب العصر والزمان، بحق أربعة عشر مرتبة من مراتب السلام منها سبعة عدّت للعالم الكبير وسبعة أخرى عدّت للعالم الصغير. بحقّ ما بينها من التسبيح والتكبير والتعظيم والتقديس والتذكير، بشبر ومشبّر وأشبير[٧٠٧]، بالاسكندر وأزدشير، بالجب والدلو وزليخة والصاع والعير، بأصحاب أهل الكهف وكلبهم قطمير، بالمغارة والقنطرة والشبّ المسجّىٰ [٥٢] على السرير[٧٠٨]، وبحق من غازىٰ وحارب وقاتل الجانّ في قرار البير، بأربع بيعات لمولانا العليّ الكبير: بيعة دار الخيزران، وبيعة أم سلمىٰ، وبيعة رضوان تحت الشجرة، وبيعة خمّ يوم عيد الغدير[٧٠٩]، بأن تخلف وتبارك أصحاب هذا الجود والإحسان والخير، ويدبر حالنا وحالكم بأحسن التدبير، ومهما أمسكتموه بأيديكم يُقبَل ويصير، ويتقبل عليكم الحنطة والشعير، والذرة والسمسم والقطن والحرير، ويقدس ويرحم روح سيّدي الشيخ محمّد الكبير والشيخ حيدر الكبير، والشيخ ابراهيم بضاش دامير، والشيخ يوسف القصير، ويقدّس أرواح المؤمنين في أربعة أقاطير».

وبعدهُ يقرأ سطر البخور المارّ ذكره ثم يختم صلاته بهذه الترنيمات للحسين بن حمدان الخصيبي وتتبعه الجماعة.

الترنيمة الأولىٰ

يـا ظـاهِراً لـم تغِـب عـنّا
وبـاطـناً لـم تَـزَلْ فـردا
صِـفاتُك الخالـقات حسـبي
وبـابُـكَ السلسلي حمـدا

أجبْ لـداعيك واعفُ عنا

وارحـم ما مضى قَبلاً وبعـدا

نحـمدُ اللهَ بـالحـق حمـداً

وأختـم صلاتي بالعيـن فـردا

الترنيمة الثانية[٧١٠]

منـكَ بَـدىٰ ظاهرُ الصفات

وكـلُّ خيـرٍ مـنك يـأتي

يا أحداً لم يُـحَطْ منهُ[٧١١]

لا بصـفاتٍ ولا بـذاتِ

وجهـك لي قبلـة أصلّي

إليـه مـن سـاير الجهاتِ

يـا كـلَّ كلي وأنـت كلي

يـا عـليّاً وفيك أختم صـلاتي

[٥٣] الترنيمة الثالثة

كلُّ ما نابني من الدهر خُـطْبٌ

صـحتُ يـا جعفرَ إلـه الأنـامِ

أنـتَ ربي وخـالـقي ومليـكي

وأنـت ذو الكبريـاء وليّ النعـامِ

وأنتَ فوقَ السما على العرش تعلو

وأنتَ في الأرض حاضرٌ على الكلامِ

وأنتَ أسـماؤك الحسـن وموسىٰ

وعـليّـاً وأنـتَ محـيي العظـامِ

ثم يقرأ ‹الإمام› بعدها هذه **التوسّلة**:

«**أسألك** يا أمير النحل يا علياً يا عظيم بحرمة هذه خاتمة الديوان، وبآدم وأنوش وقينان،

وبحرمة عيد الضحى والمهرجان، وبعيد الخميس النصف من شهر نيسان، وبليلة النصف من شعبان، وبخمس ليالٍ من شهر رمضان، بحقهم عندك يا علي يا قديم الزمان، يا من لا يشغلك شان عن شان، يا أبا الحسين يا حنان يا منان يا ديان يا سلطان، بحق حجابك السيد محمد وبابك السيد سلمان، وبحلتك الطيلسان[٧١٢] الأرجوان، أن تخلف وتبارك لأصحاب هذا الخير والجود والإحسان، وتبدّل همهم بأمان، واجعلها مساءً وليلةً مباركة ونهاراً مباركًا عليكم يا إخوان، وينصركم على كلّ عدوّ وضشمان، ويسلّم لكم الغلمان، بحرمة بيت الحكمة وقديم الزمان، يا أمير النحل يا عليّاً يا عظيم». تمت

ثم يقول نحو الجماعة: «سامحونا يا إخوان، من الغلط والسهيان، والزيادة والنقصان، لأنه كل إنسان، يسهىٰ وينسىٰ، وما تمَّ الكمال، إلاّ لمولاكم عليّاً ذي الجلال، وهو فوق كل ذي علمٍ عليم، وهذه الطاعة لله ولكم يا إخوان يا مؤمنين».

ثم يقبل الأرض، وكذلك الجماعة، ويجيبونه: «طاعتك لله يا شيخنا وسيدنا». وينهضون جميعاً قايمون ويقبّلون أيادي بعضهم يميناً ويساراً؛ [٥٤] ومن يكون قريبا إليهم، وحينئذٍ يطفئون الشمع إذا كان نهاراً، ويأتي صاحب العيد ويفرّق الزكوة وهي دراهم للإمام والنقيب ولجميع القارئين، ثم يأخذ الإمام **المجموع** ويقرأ عليهم قليلاً من خرافاته ويأمرهم بالركعة فيركعون. وبعدها يأمر الإمام الجالس على اليمين بأن يقرأ دعاء اليمين المار ذكره ثم يأمرهم أن يتلو سورة السلام، وبعدها يأمر الإمام أيضاً الجالس عن شماله أن يقرأ دعاء الشمال الذي قدّمنا ذكره، ويقول بآخره: «هذه الطاعة لله ولكم يا إخوان يا من حضر». ويقبّل الأرض. وكذلك الجماعة ويقبلون أيادي بعضهم بعضاً يمينا ويسارا ثم ينهض الإمام قايما ويكشف عن رأسه والجماعة أيضاً ثم يأمرهم بتلاوة الفاتحة قايلاً: «الفاتحة يا إخوان في إبادة الدولة العثمانية واستظهار الطايفة الخصيبية النصيرية»، وغير ذلك كثيراً يطلبون من ربهم لأجل إبادة حكام المسلمين. وبعد انتهاء ذلك ينهض الخدّامون ويضعون أمام الجميع طعاماً ويقدّمون الرأس للإمام فيفرق منه قليلاً إلى القريبين إليه ثم يأكلون وينصرفون.

أما في أعياد نيسان والسابع عشر من آذار والسادس عشر من تشرين أول التي يسمونها

النيروز، ففي تلك الأعياد عند ابتداء الصلوة يضعون قدام الإمام طست ماء كبيرا، ويضعون فيه أغصان زيتون أو ريحان أو صفصاف. وبعد انتهاء الصلوة يكشفون رؤوسهم جميعاً، ويقوم النجيب ويرشّ عليهم من ذلك الماء ويفرق عليهم قليلاً من تلك الأغصان فيأخذونها ويضعونها في كوابرهم لأجل التبرّك.

والنصيرية في كل اجتماعاتهم عند تلاوة سورة السجود يركعون على الأرض، ولكن في يوم عيد الغدير حين تلاوتها يرفعون رؤوسهم نحو السماء.



الهوامش

١ـ هوامش المقدمة

(*) تنويه من المترجم: لقد أوردنا في حاشية النص الذي ترجمنا بعض الملاحظات والإشارات ووضعنا اختصاراً في آخر كل ملاحظة ليدل على أنها من عندنا مضافة إلى نص الكاتب؛ واختصرنا ذلك بـ «م. المترجم» أو بـ «م.م.».

(١) أنظر في الصفحات: ٥٥ و٨٧.

(٢) راجع في هذا الصدد: «الزنادقة في أراضي الإسلام مع بداية العصر العباسي»
George Vajda, Les zindîqs en pays d'Islam au début de la période abbaside, in: RSO 17 (1938), 173-229.

أو الترجمة الألمانية:
Zindiqs im Gebiet des Islam zu Beginn der ʿAbbāsidenzeit, in: Der Manichäismus, hersg. v. Geo Widengren, Wege der Forschung, Bd. CLXVIII, Darmstadt 1977, 418-463.

(٣) راجع في هذا الصدد دراسات:
Sabatino Moscati: Studi storici sul califfato di al-Mahdī, in: Orientalia 14 (1945), 300-345; Nuovi studi storici sul califfato di al-Mahdī, ebd. 15 (1946), 155-179; Le califat d'al-Hādī, in: Studia Orientalia 13 (1946), 7f. Vajda, Les zindîqs 182 ff.; deutsche Fassung 425 ff.

(٤) ابن النديم، الفهرست، ط فلوغل، ص ٣٣٧ وما يليها؛ وطرظا تجدُد، ص ٤٠١ وما يليها؛ Vajda, Les zindîqs 179 ff. (في الترجمة الألمانية ص ٤٢٣).

(٥) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٣٧ تح فلوغل وطبعة مكتبة الخياط بيروت.

(٦) لُويس ماسنيون Louis Massignon «سلمان باك والبدايات الرُوحانية للإسلام الفارسي Salmân Pâk et les prémices spirituelles de l'Islam iranien» (1934) نشر في: Société d'Etudes Iraniennes, Cahier 7 (1934), وأُعيد طبعه في: Massignon, Opera minora I, 443-483.

(٧) أُصول ومعاني الغُنوصية في الإسلام Die Ursprünge und Bedeutung des Gnostizismus im Islam (1937)؛ نشر في: Eranos-Jahrbuch 1937, 55-77; Opera minora I, 499-513.

(٨) الشعائر الغُنوصية الفاطمية في الإسلام الشيعي Der gnostische Kult der Fatima im schiitischen Islam (1938)، نشر في: Eranos-Jahrbuch 1938, 161-173; Opera minora I, 514-522.

(٩) إرشادات إلى علاقة فرقة أم الكتاب مع المُخَمسة و النصيريّين يُوردها كذالك إڤانوف Ivanow في Notes 431, وكذلك The Alleged Founder of Ismailism, Bombay 1946, ص ١٠٠، حاشية ١.

(١٠) من غُنوص العصور القديمة إلى الغنوص الإسماعيلي De la Gnose antique à la Gnose ismaélienne طُبعت في: Accademia Nazionale dei Lincei, XII. Convegno Volta, Rom 1957,

(*) **دين الحكمة** Pistis Sophia كتاب أصله يوناني عُثر على ترجمة له من القرن الثاني الميلادي في اللغة القبطية فقط، يقول إن تَكوين الكون جاء من جرّاء سقوط الحكمة (=صوفيا Sophia) من السماء... **الإبيونية**: الأصل في هذه المفردة يرجع إلى الـ «إبو-نيم» عبرية و تعني الودعاء/ الفقراء: وهم يهود دخلوا الدين المسيحي ومن ثم رحلوا سنه ٦٦ أو ٦٧م من القدس إلى شمال نهر الأردن وظلوا ساكنين تلك البلاد حتى القرن الخامس الميلادي؛ وهؤلاء يقولون بإن عيسىٰ هو المسيح و ليس ابن الله. **أخنوخ**: شخص ذُكر في التوراة وبعض من أسفار العهد القديم. ومعنى اسمه من العبرية إلى العربية: العارف أو من أُبيحَ له بشئ. ويروى لنا العهد القديم عنه في سفر التكوين بأنه... سار مع الله ٣٠٠ عام...،وأنه عاش ٣٦٥عام... ومن ثم أصعده الله إليه. عن موسوعة Die Religion in Geschichte und Gegenwart الطبعة ٣ مجددة ومنقحة Tübingen 1961 ومراجع أُخرى. م. المترجم.

(١١) De la Gnose antique 120 من غنوص العصور القديمة...، ص ١٢٠.

(١٢) قارن بشكلٍ خاص مع تأريخ الطبري، طبعة Annales ، ج١، ص ٢٤٢٦ وما يليها ؛ بَلادوري، فتوح البلدان، تح المُنَجد، القاهره ١٩٥٧، ص ٣٢٢وما يليها. وبصدد قطسفون عامةً:
Streck, Seleucia und Ktesiphon (= Der alte Orient, XVI, Heft 3-4, Leipzig 1917); Herzfeld, Seleukeia und Ktesiphon, in: Archäol. Reise im Euphrat- und Tigrisgebiet (1920) II, 46-76; Artt. Koche, Ktesiphon, Seleukeia in: Paul-Wissowa, Realencycl. der class. Altertumswiss. ; Art. al-Madā'in, in: EI1 (Streck).

(١٣) «المدينة العتيقة» على خلاف مدينة خسرو انوشروان الجديدة حول طقي كمرى.

(١٤) في صدد تأسيس الكوفة راجع: بلاذُري، فتوح ص ٣٣٨- ٣٥٤ ؛ الطبري، طبعة Annales الجزء الأول ص ٢٤٨١ و ما يليها؛ و في صدد الطبوغرافيا:
Massignon, Explication du plan de Kufa (Iraq), in: Mél. Maspéro III (1940), 337-360 (=Massignon, Opera minora III, 35-60; Art. al-Kūūfa, in EI2 (H. Djaït)

(١٥) أنظر في ص ١٥٠ و ما يليها.

(١٦) أنظر في موسوعة الإسلام، ط٢ EI^2، مقالة بعنوان بهقُباده Bihkubādh لـ(Streck / Longrigg) وط١ EI^1 ، مقالة بعنوان «سواد» لـ(H. H. Schaeder)

(١٧) في صدد ألإيمان برجعة ألإمام المختفي باعتبار هذا ألإيمان نواة نشوء الشيعة المتطرفة، مطلقاً، قارن مع: و. ا لقاضي: The Development of the Term Ghulāt in Muslim Literature with Special Reference to the Kaysāniyya، في ملفات المؤتمر السابع للدراسات العربية وعلوم ألإسلام، عدد ٩٨، لسنة ١٩٧٦، Abh. der Akad. der Wiss. Göttingen, Philol.-his. Kl., Dritte Folge, Nr. 98, Göttingen 1976, 295-319.

(١٨) الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص٢٨٨، ط القاهرة. بخصوص الشهرستاني أنظر ص ٢٤ من كتابنا هذا.

٢ـ هوامش المتن

(١) جمع: و. القاضي. W. al-Qāḍī, Development of the Term Ghulāt, 316 f.

(٢) تح H. Ritter، فرق الشيعة، Bibliotheca islamica المجلد الرابع، (إسطانبول ١٩٣١)؛ [ننوه إلى أننا رجعنا لطبعة المكتبة الحيدرية في النجف الأشرف وهي من تحرير العلامة السيد محمد صادق آل بحر العلوم، غير مؤرخة، ولقد قارنا بينها وبين الطبعة سالفة الذكر المستخدمة في البحث من قبل د. هالم فلم نجد أي فرق بين الاثنتين، ولعدم تسني الرجوع للطبعة الإستنبولية اعتمدنا على الأُخرى المتوفرة لدينا. م. المترجم]

(٣) تح محمد جواد مشكور، طهران ١٩٦٣. وبخصوص كل أنواع هذه المؤلفات قارن مع W. Madelung «ملاحظات حول أدب الفرق الإمامية» في دورية Der Islam مجلد ٤٣ من عام ١٩٦٧ ص ٣٧-٥٢.

(٤) حرره مرة جديدة حسن المصطفاوي، (مشهد ١٣٤٨هـ/١٩٦٩م) ونشر بعنوان «اختيار معرفة الرجال، المعروف برجال الكَشي».

(٥) طبع بومباي ١٣١٧ / ١٨٩٩ (نستخدمه هنا)؛ الطبة الجديدة لجيخانَئي مصطفاوي، طهران، لم تتم بعد. [ننوه إلى أننا رجعنا إلى طبعة مؤسسة الأعلمي - كربلاء، وهي من تحرير السيد أحمد الحسيني، غير مؤرخة، ولقد قارنا بينها وبين الطبعة سالفة الذكر المستخدمة في البحث من قبل د. هالم فوجدناها أفضل وأسهل تناولاً لا سيما وأن طبعة بومباي مغلوطة في العديد من المواقع. م. المترجم]

(٦) تح محمد كاظم الكتبي، (النجف ١٣٨١ / ١٩٦١).

(٧) تح عباس إقبال، (طهران ١٣٥٣ / ١٩٣٤).

(٨) تح م. صادق، الطبعة الثانية، (النجف ١٣٨٠ / ١٩٦٠).

(٩) تح علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية (طهران ١٣٩٨-١٣٨٨هـ/١٩٦٩-١٩٦٨م).

(١٠) تح جواد العلوي / محمد الآخوندي (طهران ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م وما يليها).

(١١) سفينة البحار ومدينة الحكمة والآثار (النجف ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م).

(١٢) حرره وقدمه باسهاب يوسف فان إس J. van Ess (مسائل الإمامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات. مؤلَف للناشئ الأكبر Frühe mu'tazilitische Häresiographie. Zwei Werke des Nāši' al-Akbar)، بيروت ١٩٧١ (Beiruter Texte und Studien, Bd. II) قارن مع:
W. Madelung, Frühe mu'tazilitische Häresiographie: das Kitāb al-Uṣūl des Ǧa'far b. Ḥarb?, in: Der Islam 57 (1980), 220-236.

(١٣) تح H. Ritter في مجلدين وفهرست، (القسطنطينية ١٩٢٩-١٩٣٣)؛ سدار (المكتبة الإسلامية عدد ١) تحت عنوان (Die dogmatischen Lehren der Anhänger des Islam).

(١٤) تح م. م. عبد الحميد (القاهرة ١٩٦٣). Trad. K. C. Seelye, Moslem Schisms and Sects.

Colombia University Oriental Studies nr. XV, New York 1920; trad. A.S. Halkin, Tel Aviv 1936. [نشير إلى أننا اعتمدنا على طبعة دار الآفاق، بيروت ١٩٧٣، التي توفرت لدينا. وعقدنا وجه المقارنة بينها وبين الطبعة المذكورة أعلاه ؛ إذ ليس ثمة أدنى فرق بينها وبين التي رجع إليها د. هالم في دراسته. م. المترجم]

(١٥) ط القاهرة في خمسة مجلدات ١٣١٧-١٣٢١هـ/ ١٨٩٩-١٩٠٣م. الاستدلال الأفضل عليه من إسرائيل فريدليندر I. Friedlaender.

The Heterodoxies of the Shiites in the Presentation of Ibn Ḥazm, المنشور في (JAOS28) لسنة ١٩٠٧ ص ١٨-٨٠ (ترجمة) وسنة ١٩٠٨ ص١-١٨٣ (تعليق).

(١٦) ع W. Cureton, (لندن ١٨٤٦). طبعة جديدة (١٩٤٩). وطبع استشراقية متعددة. نستخدم هنا طبعة أ.م. الوكيل، ٣ مجلدات، (القاهرة١٩٣٧ / ١٩٦٨) وهي تطابق طبعة (القاهرة ١٣١٧-١٣٢١ هـ/١٨٩٩-١٩٠٣م). نقل:

A. K. Kazi/ J.G. Flynn: Shahrastanis Kitab al-Milal wa'l-Niḥal, Translation of section VI: The Shiites. In: Abr-Nahrain 15 (1974-75).

لقد تم تجديد الترجمة القديمة التي وضعها Th. Haarbrücker (هالة عام ١٨٥٠-٥١).

(١٧) في هذا الصدد W. Madelung, مذكرة محاجاة الشهرستاني لابن سينا Aš-Šahrastānīs Streitschrift gegen Avicenna..., في أوراق المؤتمر السابع للاستشراق والدراسات الإسلامية، غوتنغن ١٩٧٦، ص٢٥٠ ومايليها، ملاحضة ٢.

(١٨) أنظر ص ٨١.

(١٩) أنظر ص ١٦٩.

(٢٠) EI[2]. Art. 'abd Allah b. Sab' (Hodgson) موسوعة الإسلام، ط٢، مقالة بعنوان عبد الله بن سبأ، بقلم هودجسون.

(٢١) إن الفعل وَقَفَ، مصدر وَقف أو وُقف يعني لدى الفرق الشيعية «التوقف عن السير» أو «البقاء» عند إمام محدد يقر به كآخر من له الشرعية ويصر أتباعه على رجعته. وقد وقفت الفرقة التي يذكرها النوبختي هنا عند الإمام الأول.

(٢٢) لقد ذكره القمي في المصدر السابق سهواً بتعليق هزلي، على أنه هو رأس الخارجين عبد الله بن وهب الراسبي.

(٢٣) «الرفض» هو رفضَ الأئمة الأوائل وأصحاب الرسول. و«الرافضة» هو اسم كانت الشيعة تشتم به.

(٢٤) كذا في الأصل، ولعله يجب قراءتها «المقفل».

(٢٥) Massignon, Explication du plan de Kufa, in Op. min. III, 42

(٢٦) الكشي، رجال، ص ١٠٧ وما يليها، (الفقرات من ١٧١ - ١٨٤).

(٢٧) الكشي، ص ١٠٧، (فقرة ١٧١).

(٢٨) أي شماتة الأموي معاوية وأتباعه.

(٢٩) لا يثبت كمكان. ساباط تعني «القوس، السقيفة بين دارين تحتها زقاق».

(٣٠) إن النواصب أو الناصبة مصطلح شائع الاستعمال لدى الشيعة يصفون به كل أعداء عليّ وأعداءهم.

(٣١) الخوارج، مفرد خارج «المخالفون، المتمردون» وهي فرقة خرجت على عليّ. وانتقدت عدم حزمه في القتال ضد خصمه معاوية ورضاه قرار التحكيم المحايد. واعتبروه غير جدير بالإمامة. وسقط علي ضحية اعتداء أحد الخوارج عليه.

(٣٢) الشعبي، عامر بن شراحل: راوية كوفي من التابعين توفي عام ١٠٩هـ/٧٢٧م.

(*) «روافض»؛ ورد في نص الكاتب د. هالم المنقول من العربية إلى الألمانية مفردة الشيعة بدل «الروافض» الواردة في النص العربي الأصل عند البغدادي (ط دار الآفاق الجديدة، بيروت)؛ وأنوه إلى أن ما يرد قباب قوسين حادَّيْ الزاويتين <...> يشير إلى إضافة توضيحية أدرجها د. هالم في سياق المقتبسات. [م. المترجم].

(٣٣) شاعر قريشي توفى عام ١٣١هـ/٧٤٨م.

(٣٤) القدرية تيار فقهي كان يقول بحرية إرادة الإنسان.

(٣٥) قصد بالبيت المعتزلة الذين كانوا فيما يتعلق بالقدرة وحرية الإرادة قائمين بتراث القدرية. المقصود بـ«الغزّال» و«ابن باب» فقهاء المعتزلين وهم: واصل بن عطاء وعَمرو بن عُبَيد.

(٣٦) المقر القديم للَخميين على أطراف بادية الشام وبالقرب من الكوفة التي أُنشأت لاحقاً. فتحت من قبل المسلمين عام ١٦هـ/٦٣٣م.

(٣٧) أصلاً منفذ الوصية، وَصِيّ، من فعل وصى أو أوْصَى «عهد اليه به، اقامه وصيا عليه». إن المصطلح وصي ج أوصياء هو مدلول رئيس في مذهب الإمامة الشيعي. فهو يصف أساساً - كما في النص المذكور - وصياً (وكيلاً) لنبي ما ينوب عنه بعد موته؛ وكثيراً ما يصف عند بعض فرق الشيعة وكيل (وصي) الإمام الثاني المفقود أو الغائب.

(٣٨) عبد الله بن عباس هو راوية مشهور، توفى عام ٣٨هـ/ ٥٩-٦٥٨م.

(٣٩) مقالات القمي، ص ٢٠، س ٣.

(٤٠) تاريخ الطبري Annales، ط أوروبا، ج ١، في آخر صفحة ٢٩٤١ وما يليها.

(٤١) J. Wellhausen, Prolegomena zur ältesten Geschichte des Islam. Skizzen und Vorarbeiten, Heft 6, Berlin 1899, S. 3-7.

(٤٢) I. Friedlaender, ‘Abdallah b. Saba’, der Begründer der Šī‘a, und sein jüdischer Ursprung, in: ZA 23 (1909), 297-302, 305, 314 f.

(٤٣) اتُهِمَ بالزندقة: الذهبي، تاريخ الإسلام. نقلاً عن فريدلينـدر، المصدر السابق ص٢٩٧ وما يليها،

حاشية ١ .

(٤٤) قارن مع مقالة بعنوان «عبد الله بن سبأ» في موسوعة الإسلام ط٢ (Hodgsob).

(٤٥) أنظر ضمن ص ١٢٠ و١٣٦ .

(٤٦) الطبري، ج٢، ص ٧٠٣ وما يليها.

(٤٧) يُسمى أتباع المختار كسبائيين كذلك في موقع آخر، الطبري، ج ٢، ص ٦٢٣، س١٤ .

(٤٨) ڤلهاوزن، أحزاب المعارضة ص٤٧-٩٥ .

(٤٩) لقد انتصر عليّ في حرب الجمل سنة ٣٦ هـ/ ٦٥٦م على خصومه من صحابة النبي طلحة والزبير وابنة النبي «عائشة» التي كانت راكبة على جمل.

(٥٠) إن الكنية هي اللقب المتقدم على الاسم الحقيقي الذي يتكون غالباً من «أبو...» ونادراً من «أخو...».

(٥١) قاتل علي في صفين عند الفرات الأوسط ضد قوات معاوية الشامية. في صدد حرب الجمل راجع الملاحظة ٤٩ .

(٥٢) وردت لدى القمي في نفس المصدر المذكور بشكل «الأراوي»؛ [وهي ضأن الجبل تستعمل للذكر وللانثى. م. النترجم]

(٥٣) تقرأ إنا innā بدل إن inna .

(٥٤) ان مفردة «ترة» غير مفهومة.

(٥٥) الأصح بالعمد بدل العهد.

(٥٦) الأصح باب الردم بدل باب الروم، قارن مع و. القاضي، الكيسانية، ص١٦٣ .

(٥٧) قارن في صدد تصور السماوات السبعة والأراض السبعة مذهب ابن حرب في عرض الناشئ- «المزيف»؛ أعلاه ضمن ص٥٢ وما يليها.

(٥٨) كذا في الأصل والأصح: ويقرب من الحق وينأى عن الجور.

(٥٩) شاعر عربي توفى عام ١٠٥هـ،٧٢٣م. عن GAS II, 408 f.

(٦٠) يرد صدر البيت لدى الناشئ المزيف على هذا الشكل: «تغيّب لا يُرى عنّا زماناً» ناشئ، أصول النحل (تح ڤان إس) ص٢٦، س ١٤ .

(٦١) الصحيح فيهما بدل فيها.

(٦٢) يرد الخلط ما بين مريم ومارية أيضاً لدى الإسماعيليين والمندائيين، قارن **كتابنا**: **Kosmologie und Heilslehre, S. 35.**

(٦٣) أنظر بخصوص الوزير الخرافي للملك سليمان في مقال «آصاف بن برخيا» تح (Wensinck) في موسوعة الإسلام ط٢ .

(٦٤) يعني الإستشاد بهم في الآية القرآنية المذكورة باعتبارهم قسم يقسم به.

(٦٥) انتصر النبي ببدر جنوب غربي المدينة على مشركي مكة عام ٢هـ (٦٢٤م).

(٦٦) لقد كان لرايات المهدي السود لاحقا إبان الثورة العباسية نصيب، ليس لأن حركة العباسيين ظهرت كوريثة الحقوق الكيسانية. قارن أعلاه في ص ٥٦ وما يليها.

(٦٧) ترد في النص بصيغة المفرد.

(٦٨) الصحيح حذَفوهُ.

(٦٩) الصحيح: سُحِرَ بدل سخر؟.

(٧٠) الصحيح فيخطب الناس بدل فيخصب الناس.

(٧١) الصحيح الأديار بدل الأدخار.

(٧٢) إن ذكر «الأسباب» السبعة للسماوات يشير إلى القرآن سورة: غافر: ٣٦.

(٧٣) فرع من فروع قبيلة بني قضاعة، W. Caskel جمهرة الأنساب، ج ٢، ص ٤٤٣.

(٧٤) عن Hodgson مقال بعنوان: بيان بن سمعان التميمي، في موسوعة الإسلام ط٢ ؛ W.F. Tucker, Bayān b. Sam'ā and the Bayāniyya: Shi'ite Extremists of Umayyad Iraq, in: The Muslim World 65 (1975), 241-253, وبشكل خاص ص 242 وما يليها.

(٧٥) يرد الاسم لدى النوبختي وكذلك لدى القمي: محمد بن عليّ بن الحسين، ولكن من دون أدنى شك في أن المقصود هو محمد بن الحنفية مثلما يؤكد الكاتبان في موقع آخر. فهما يكرران هنا مجرد خطأ ورد في عرضهما – أي في عرض النوبختي – سهوا.

(٧٦) النوبختي: أطناب «أطناب الخيمة (الحبال التي تشد بها الخيام)»، والأصح لدى القمي كما وردت لدى الطبري «أطنان».

(٧٧) إن مصطلح «القائم» المستخدم لدى الفرق الشيعية للإمام المنتظرة عودته والمهدي غير واضح، ومعناه حرفياً «المنتصب». وقد وسع فيما بعد من قبل الإسماعيليين لـ «القائم بأمر الله». إلا أن المصادر القديمة تذكر بصفة عامة الشكل المختصر وحسب. لقد خمن Widengner في «محمد، رسول الله، ومَعْرَجه إلى السماء» (Muḥammad, the Apostle of God, and his Ascension, Uppsala 1955, 79) صلات مع «قاعم» qa'em، وهو المحمول (الوصف المسند) السامري للإله الذي كان له نصيب بصيغته اليونانية σ εστωζ في الغنوصية السيمونية (أنظر Clemens Alex., Stromata II 11; W. Foerster, Die Gnosis, Zürich/Stuttgart 1969)، وأنظر كتابنا Kosmologie und Heilslehre, 124 f.

(*) لا وجود لفجوة أو لبياض في نص الاقتباس الذي رجعنا إليه في مقارنة ترجمة د. هالم للاقتباسات مع أصلها العربي. وقد اعتمدنا في هذه المقارنة: النوبختي، فرق الشيعة، ط الكتبي في النجف. و يرد فيه «هو ابو هاشم وولي الخلق» م.المترجم

(٧٨) من الأصح حذف مفردة يقول بعد تعالى.

(٧٩) تقرأ «في كفه» بدل «في حقه».

(٨٠) أنظر ضمن ص ٢١.

(٨١) أنظر في هذا الصدد:

Hodgson, How did the early Shi'a become Sectarian? in: JAOS 74 (1955), 7, حاشية ٣٦ ;
Tucker, Bayān 211.

(٨٢) النوبختي، ص ٤٩؛ والقمي، ص ٣٣ و ٥٦ وما يليها؛ والكشي، ص ٢٩٠ فقرة ٥١١ وص ٣٠٢ فقرة ٥٤٣.

(٨٣) أنظر في صدد الخلط ما بين محمد بن علي، أي محمد بن الحنفية، ومحمد بن علي بن الحسين لدى النوبختي والقمي الحاشية ٧٥؛ ورد اسمه في كتاب الأغاني، م ١٥، ص ١٢١، كصاحب لجعفر الصادق خطأ، وفي المقابل بشكل آخر: الأغاني، م ١٩، ص ٥٨؛ أنظر بخصوص معلومات أخرى خاطئة عن إمام البيانية: Tucker, Bayān 244

(٨٤) هودغسون، مقاله عنوانها: بيان، في موسوعة الإسلام، ط٢: «التأويل الأدبي التشبيهي للقرآن...»؛ وتوكر، بيان ٢٤٢: «تأويل رمزي» Hodgson, Art. Bayān, in EI[2]: (literalist anthropomorphic interpretation of the Kur'ān ...); Tucker, Bayān 242: (symbolic interpretation).

(٨٥) أنظر في ص ١٣٥ وما يليها.

(٨٦) الشهرستاني، الملل، تح كوريتون Cureton، ص ١١٣ وما يليها؛ وتح الوكيل، ج١، ص ١٥٢ وما يليها.

(٨٧) الكشي، رجال ص ٢٩٠، فقرة ٥١١، وص ٣٠٢، فقرة ٥٤٣.

(٨٨) الطبري، ج٢، ص ١٨٨٠.

(٨٩) راجع في هذا الصدد: ت. ناغل Nagel، «أبحاث في نشوء الخلافة العباسية»، بون ١٩٧٢، ص ١٠٧ وما يليها

T. Nagel, Untersuchungen zur Entstehung des 'abbāsidischen Kalifats, Bonn 1972, 107 ff.

(٩٠) راجع تأريخ الطبري، ج ٢، ص ١٨٨٣، س ١٦ وما يليه.

(٩١) هو عم الرسول، ينتسب له العباسيون الذين حاولوا تأسيس أولويتهم عن العلويين [أهل بيت علي بن أبي طالب] وحقوقهم في الخلافة على التفضيل المزعوم له من قبل الرسول.

(٩٢) أناكب الشيطان معناها غير واضح.

(٩٣) ورد في النص فأخبره وخبرهم، والقراءة الصحيحة فأخبره خبرهم.

(٩٤) تأريخ الطبري، ج٢، ص ١٨٠٠، س١١ و١٩؛ (طبعة ١٩٧٦) س١٠.

(٩٥) الطبري، ج٢، ص ١٨٨١، س ا؛ (ط ١٩٧٦) س١١ وما يليه.

(٩٦) تأريخ الطبري، ج٢، ص١٩٧٦-١٩٨١؛ أبو الفرج الإصفهاني، مقاتل الطالبيين، تح ك. المظفر، النجف ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م، ص١٩٥ وما يليها؛ موسوعة الإسلام، ط٢، مقالة: عبد الله بن معاوية، بقلم زيترستيين EI[2], Art. 'Abd Allah b. Mu'āwiya (Zetterstéen)

(٩٧) النوبختي، ص٥٧.

(٩٨) القمي، ص٤٤، إن الزيادة «وفاطمة» ساقطة لدى النوبختي، نفس المرجع ص٥٧، وهي إضافة من وضع الإماميين.

(٩٩) القمي، ص ٢١؛ أنظر ضمن ص ٢٦ أعلاه.

(١٠٠) يرد اسم «الحارث» في اللغة العربية دائما بأداة التعريف، بينما لا يتم استخدامها للاسم «حرب» مطلقا؛ وعلى كل حال فإن المزج في كتابة «الحرب» هو ضرب خاطئ. وتختلف الباء عن الثاء في التنقيط فقط؛ يمكن ان تكون «الألف الممدودة» في «الحارث» ناقصة أيضاً، أي ان تسقط فلا يكتب بـ«ألف ممدودة». لذلك فإن شكل كتابة «الحرب» لدى القمي هو نقل خاطئ عن النوبختي في كتابته لـ«الحارث» بلا أدنى ريب. ويرد «ابن حرب» في المقابل لدى الناشئ والمصادر السنية مرارا وتكرارا من دون أداة التعريف. لا يتسنى القطع في صحة أي ضرب من ضروب كتابة الاسم وترجيحه.

(١٠١) النوبختي، ص ٥٦.

(١٠٢) الصحيح مسرورون بدل منقولون، قارن مع القمي.

(١٠٣) الصحيح أهانه كما ترد لدى القمي بدل قلبه؛ وتأكيد ذلك ورود فعل أهان في الآية الواردة في السطور التالية.

(١٠٤) أنظر ضمن ص ٨١ وما يليها وص ١٦٩ وما يليها.

(١٠٥) قارن: ف. فورستَر، الغنوصية، ج١، ص ١٠٤، وص٥١ وما يليها، وص ٣٩٧ – W. Foerster, Die Gnosis,

(١٠٦) قارن في هذا الصدد مع ص ٣٦.

(١٠٧) راجع ضمن ص ٤٧؛ أنظر في صدد الدعوة الهاشمية–العباسية:

E.L. Daniel, Irans Awakening: A Study of Local Rebellions in the Estern Provinces of Islamic Empire 126-127 A. H. (743-842 A. D.), Diss. Austin/Texas 1978;

ولكن مع الأسف من دون معرفة بأبحاث ناغل Nagel.

(١٠٨) تاريخ الطبري، ج٢، ص١٤٣٤، ١٤٨٨، ١٤٩٢، ١٥٨٦–١٥٨٨، ١٥٨٩.

(١٠٩) قارن في صدد تطور مصطلح الـ«نقيب» مع: ت. ناغل Nagel، قيام الخلافة العباسية، ص ١١٨–١٢٠.

T. Nagel, Entstehung des abbasidischen Kalifats, 118-120.

(١١٠) هم حسب المدائني: يونس أبو عاصم وعيسى بن معقل العجلي؛ أما حسب رواية مجهول راويها: عاصم بن يونس العجلي وعيسى بن معقل.

(١١١) الطبري، ج٢، ص ١٩٦٠ وما يليها؛ قارن مع ناغل Nagel نفس المصدر ص ١٥٢.

(١١٢) الطبري، ج٢، ص١٩٨٩.

(١١٣) الطبري، ج٣، ص ٢٠، س ١١ و١٤؛ وNagel ناغل نفس المرجع ص ١٥٢.

(١١٤) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٤١٨ وما يليها؛ الطبري، ج٣، الصفحات ٢٧ و٣٤؛ وفي صدد دور

أبي سَلَمة أنظر Nagel نفس المرجع ص ١٦٢-١٦٤.

(١١٥) أنظر في صدد ما يسمى بـ« وصية أبي هاشم »:

S. Moscati, Il testamento di Abū Hāšim, in RSO 27 (1952), 28-46;

علق عليه ت. ناغل T. Nagel نفس المرجع ص ٤٥-٦٣.

(١١٦) أنظر في هذا الصدد مقال في موسوعة الإسلام، ط٢ :W. Madelung, Art. Alkhurramiyya, in EI[2]; Daniel, Irans Awakenind 304 ff.

(١١٧) أصول النحل ص ٣٨ المصدر السالف ذكره.

(١١٨) الملل والنحل، تح كوريتون، ص ١١٣؛ تح الوكيل، ج١، ص ١٥٢، س ٣.

(١١٩) في صدد اسم الفرقة قارن: ماديلونغ W. Madelung ، نفس المصدر السالف ذكره.

(١٢٠) أصول النحل، ص ٣٥، فقرة ٥٢.

(١٢١) النوبختي، ص ٦٨ من ط النجف وص ٤٢ من ط إستنبول؛ والقمي، ص ٦٥ وما يليها، فقرة ١٣١؛ والأشعري، في آخر ص ٢١ وما يليها؛ البغدادي، ص ٢٥٦من ط القاهرة؛ وأصول النحل، الناشئ « المزيف » لـ(جعفر بن حرب)، ص ٣٥ وما يليها؛ وابن حزم، تح فريدلندر Friedlaender ، ج٢، ص ١١٨ وما يليها؛ والشهرستاني، تح كوريتون Cureton ، ص ١١٤ وما يليها، (تح الوكيل، ج ١، ص ١٣٥ وما يليها).

(١٢٢) النوبختي، ص٦٧ وما يليها؛ والقمي، ص٦٤ ، فقرة ١٢٨ (المسلمية)؛ والأشعري، ص ٢٢، س ١ وما يليه؛ والبغدادي،ص ٢٤٢، ص٢٥٧ من ط إستانبول؛ وابن حزم (تح فريدلندر)، ج١، الصفحات ٣٦ و٧٠ ؛ ط القاهرة، ج٢، ص١١٨ وما يليها.

(١٢٣) البغدادي، ط بيروت، ص ١٤٣ وما يليها (ط القاهرة، ص ٢٥٧ وما يليها)؛ الشهرستاني، تح كوريتون، ص ١١٥ (تح الوكيل، ج ١، ص ١٥٤)؛ وابن حزم (تح فريدلندر)، ج١، ص٣٦ و٧٠، ج٢، ص ١٢٠ وما يليها؛ والطبري، ج٣، الصفحات ٤٣٤ و٤٩٤ و٤٩٩

(١٢٤) أنظر في هذا الصدد: ناغل Nagel نفس المصدر سالف الذكر، ص ٢٦ وما يليها.

(١٢٥) راجع ص ٤٣.

(١٢٦) الكُليني، الكافي، ج١، ص٤٦٦؛ ابحث في: موسوعة الإسلام ط١، عن (Zettestéen).

(١٢٧) النوبختي، ص ٥٢، س٨ (ص ٨٠ من ط النجف الأشرف)؛ القمي، ص ٧٥، س ١.

(١٢٨) النوبختي، ص ٥٣، س١٠ و١٣ [ص٨٢ من ط النجف]؛ القمي، ص ٧٦، فقرة ١٤٨؛ الكليني، الكافي، ج١ ص٤٦٩.

(١٢٩) الطبري، ج٢، الصفحات ١٦٤٧ و١٨٣٦.

(١٣٠) لدى القمي وفي رجال الكشي ولدى المؤلفين السنة « بالفارسي »، ويقال أنه قيل له « يا بيسر » أي يا بني.

(١٣١) لا ترد الجملة الموضوعة بين القوسين لدى النوبختي.

(١٣٢) ترد لدى النوبختي «حُبيت» ولدى القمي «جبيت». [في ط النجف وردت صحيحة «جبيت» م. المترجم]

(١٣٣) الخليفة العباسي، حكم بين السنوات ١٥٨و١٦٩هـ (٧٧٥ و٧٨٥م)؛ أنظر في صدد مطاردته الزندقة ص ٧ أعلاه.

(١٣٤) على الأرجح ان فرقة المغيرية (أنظر فيما يلي ص ٦٥) قد وردت هنا في النص سهواً.

(١٣٥) كذا في النص: «فهم أفضل من خلوص خلقه»، ولعل خلق من خلقه.

(١٣٦) إن الموضع من النص قاتم؛ قارن مع تعاليم «الأسباط» لدى الكيسانيين في ص ٣٨ وما يليها.

(١٣٧) أنظر ضمن ص ٤١ وما يليها.

(١٣٨) الطبري، ج٢، الصفحات ١٦٤٧ و١٨٣٦.

(١٣٩) الأشعري، ص ٩ وما يليها؛ والبغدادي، ص ٢٤٣-٢٤٥ [ط بيروت دار الآفاق، ص ٢٣٤]؛ وابن حزم تح Friedlaender، ج١، الصفحات ٣٤ و٦٢-٦٤، ج٢، ص٨٩ وما يليها؛ والشهرستاني، تح كوريتون، ص١٣٥ وما يليها (تح الوكيل، ج١، ص١٧٨ وما يليها)؛ وراجع: الناشئ-«المزيف» (جعفر بن حرب)، أصول النحل، ص ٤٠، فقرة ٥٩

(١٤٠) قارن مع الطبري، ج١، ص ٣٤٦٠، س ٢ وما يليه؛ و Wellhausen, Skizzen und Vorarbeiten VI, 43. Anm. 2.

(١٤١) كتاب الأغاني، ج١٣، ص٤٧، س ٤.

(١٤٢) Per una storia dell' antica «šī'a», in: RSO 30 (1955), 267

(١٤٣) الأشعري، ص ٩، س ١٣.

(١٤٤) أنظر في صدد مذهب المنصوريين:

W. Tucker, Abū Manṣūr al-'Iğlī and the Manṣūriyya: a study in medieval terrorism, in: Der Islam 54 (1977), 66-76.

(١٤٥) الطبري، ج٢، ص١٦١٩ - ١٦٢١.

(١٤٦) النوبختي، ص ٣٧ (ط النجف، ص ٦٢ و٨٠)؛ والقمي، الصفحات ٤٣ وما يليها، و٥٠ و٥٥ و٥٦ و٥٧ و٧٤ و٧٦ وما يليها؛ والكشي، ص ٢٢٣ - ٢٢٨، الفقرات ٣٩٩ - ٤٠٨.

(١٤٧) الكشي، ص ٢٩٠، فقرة ٥١١ وص ٣٠٢، فقرة ٥٤٣.

(١٤٨) القمي، ص٧٧.

(١٤٩) عيون، ط القاهرة ١٩٢٥ - ١٩٣٠، ج٢، ص١٤٩؛ أنظر بخصوص بُجيلة: ضمن ص ١٥.

(١٥٠) البغدادي، ص ٢٣٨ (ط بيروت، ص ٢٢٩)؛ الشهرستاني، تح كوريلتون، ص ١٣٤ وما يليها (تح الوكيل، ج١، ص ١٧٦ وما يليها)؛ وقارن كذلك: الناشئ-«المزيف» (جعفر بن حرب)، أصول النحل، ص ٤١، فقرة ٦١.

(١٥١) أنظر في هذا الصدد: W. Tucker, Rebels and Gnostics: al-Muğīra ibn Sa'īd and the

Muğīriyya, in: Arabica 22 (1975), 33-47.

(١٥٢) من الواضح أن النص مختل بصيغته لدى الأشعري. القمي، آخر ص ٧٧: «فوقع على الرأس فوق التاج»؛ أما لدى البغدادي، في آخر ص ٢٣٩ (ط بيروت ص ٢٣٠) «ووقع تاجاً على رأسه»؛ أما لدى الشهرستاني، تح كوريلتون، آخر ص ١٣٤: «فوقع على رأسه تاجاً» (تح الوكيل، ج١، ص ١٧٧، س ٥): «فوقع على رأسه تاجٌ».

(١٥٣) ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ هنا تعود الصفة «أعلى» على «رب» كموصوف.

(١٥٤) تنشق عن... أي بمعنى تخرج...

(١٥٥) أنظر ضمن ص ٦٩.

(١٥٦) النوبختي، ص٥٥ (ط النجف، ص٨٤)؛ والقمي، ص ٧٧، س ١٠ وما يليه؛ الأشعري، ص ٧، س ٦؛ وقارن كذلك مع: الطبري، ج٢، ص ١٦١٩.

(١٥٧) J. van Ess, Der Name Gottes im Islam, in: H. von Stietencrone (hrsg.), Der Name Gottes, Düsseldorf 1975, S. 173.

(١٥٨) Friedlaender, Heterodoxies, in: JAOS 29 (1908), 82; C. H. Kaplan, The Hidden Name, in: Journal of the Society of Orient Research 13 (1929), 181-184; F. Meier, Die Fawā'iḥ al-ğamāl wa-fawātiḥ al-ğalāl des Nağm ad-Dīn al-Kubrā, Wiesbaden 1957, S. 137-154.

(١٥٩) ميَر Meier، الفوائح، ص ١٤٦؛ والطبري، ج١، ص٥٠٨، س ٩ وما يليه، وص ٥١٢، س٩.

(١٦٠) رجال، ص٢٢٧ وما يليها، فقرة ٤٠٦.

(١٦١) الكشي، رجال، ص٢٢٥، فقرة ٤٠٣.

(١٦٢) H. Odeberg, 3 Enoch, S. 170 unten; Übers. S. 34 f., ch. XIII

(١٦٣) K. Rudolph, Die Gnosis, Göttingen 1977, S. 81

(١٦٤) K. Rudolph, Theogonie, Kosmogonie und Anthropologie in den mandäischen Schriften, Göttingen 1965, S. 93

(١٦٥) نفس المرجع، ص ٩١؛ راجع في صدد السمات المندائية: Tucker, Rebels and Gnostics 7.

(١٦٦) أنظر في ص ٧٠.

(١٦٧) هجري نسبة لـ «الهجر» التي تسمى اليوم بـ «الهفوف» وتقع في شرقي السعودية.

(١٦٨) كذا في النص والصحيح «عن» بدل «على».

(١٦٩) القمي، ص ٤٣، فقرة ٨٨ و٩٠.

(١٧٠) نفس المرجع، ص ٤٤، فقرة ٩٠.

(١٧١) في هذا الصدد:

T. Nagel, Ein früher Bericht über den Aufstand von Muḥammad b. ʿAbdallāh im Jahre 145 h, in: Der Islam 46 (1970), 227-262.

(١٧٢) يرد اسم الجد لدى الذهبي (ميزان، ج١، ص٣٧٩) فقط.

(١٧٣) الذهبي، نفس المصدر سالف الذكر؛ والكشي، ص ١٩٦ (ط كربلاء، ص ١٧٢).

(١٧٤) مقتبس لدى الأسترابادي، منهج المقال، طباعة حجرية في طهران ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م، ص ٧٨.

(١٧٥) الأشعري، ص ٨، س ١٢ وما يليه؛ البغدادي، ص ٢٤٢ (ط بيروت، ص ٢٣٢)؛ ابن حزم (تح فريدلندر)، ج١، ص ٦٠.

(١٧٦) يذكر ابن حجر في كتابه «تقريب»، ص ١٢٣، سنة ١٢٧هـ؛ أما النجاشي (ط بومبي)، ص ٩٣، س ١٦، فهو يذكر سنة ١٢٨هـ؛ ويشير الطبري في تأريخه، ج٣، ص ٢٥١، س ١٠ وما يليه، إلى سنة ١٣٢ هـ. لا تكاد معلومات الذهبي، ميزان، ج١، ص ٣٨٤، الناصة على أنه قد توفي في سنة ١٦٧هـ/ ٧٨٣-٧٨٤م تتطابق مع الأخرى ويصح أن قوامها خطأ.

(١٧٧) الطوسي، فهرست، ص ١٣٨، رقم ٤٩٧ : «لهُ كتاب».

(١٧٨) هي امرأة أعتقها النبي – ابن سعد، ج ١٣، ص ١٦٢.

(١٧٩) أنظر في صدد مصطلح القائم: الملاحظة رقم ٧٧ أعلاه.

(١٨٠) وردت في طبعة بومبي خطأ «...وفي الإلهية» والأصح حذف واو العطف الواردة هناك. [نشير إلى أنها وردت في ط كربلاء التي رجعنا إليها، غير ملتبسة الدلالة وموازية لما نقله د. هالم. م. المترجم.]

(١٨١) منطقة الريف الكوفي؛ أنظر ص ١٧ و١٨.

(١٨٢) أنظر في صدده ضمن ص ١٧١.

(١٨٣) إشارة إلى القرآن سورة آل عمران الآية ١٢٠ : ﴿إن الله بما يعملون محيط﴾.

(١٨٤) تقرأ في طبعة شتروتمان كذا: مُكيَّفاً بدل مُكيِّفاً.

(١٨٥) أنظر ضمن ص ١٣٦.

(١٨٦) أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، صحابي توفى سنة ٣٢هـأو ٣٣ / ٦٥٣م؛ تبجله الشيعة كصاحب لعلي، ويجعل من قبل الغلاة شخصاً أسطورياً.

(١٨٧) أي أن من يقول أشياء تجذيفية [منكرة] يستحق أصلاً أن يقتل، في حين ستحل على قاتله رحمة الله.

(١٨٨) أنظر في صدد ناقلي الحديث ضمن ص ٢١٤، وص ٢٤٢.

(١٨٩) قارن في هذا الصدد مع: التراث النصيري في: مجموع الأعياد، ص ٣٥١ وما يليها وضمن ص ٢٣٣.

(١٩٠) أنظر ص ٥١.

(١٩١) أنظر في صدد الأرواح ضمن ضمن ص ١٣١ وما يليها و١٨٦.

(١٩٢) القمي، ص ٤٢، فقرة ٨٨، وص ٦٨ أعلاه.

(١٩٣) أنظر في هذا الصدد: ب. شبولر، آمودَريا، مونغرافيا نهر
B. Spuler, Der Āmū Darjā. Eine Fluß-Monographie, in: Mélanges Jean Deny, Ankara 1958, 231ff.

(١٩٤) Bull. de l'Académie des Sciences de Russie 1917, 359-386 وقارن في هذا الصدد مع:
E. Denison Ross, in: JRAS 1919, 429-435

(١٩٥) سيمونوف «Semēnow»، في: Bull. 1918, 2171-2202

(١٩٦) في مجلة: Revue des Etudes Islamiques 6 (1932), 419-481.

(١٩٧) لقد سجل إڤانوف هذا الكتاب في «مقدمته في الأدب الإسماعيلي Guide to Ismaili Literatur»، لندن ١٩٣٣م، تحت الرقم: ٦٣٠ كأم الكتاب «Ummu'l-Khitâb» (كذا). وأنظر في صدد المخطوطات كل على حدة أيضا: Tijdens, in: Acta Iranica VII, 245f.

(١٩٨) دورية الإسلام، عدد ٢٣ لسنة ١٩٣٦، ص١ - ١٣٢.

(١٩٩) Ummu'l-Kitāb, Neapel 1966

(٢٠٠) A. Bausani, in: AION, n.s. 17 (1967), 177-179; J. van Ess, in: Der Islam 46 (1970), 95-100; W. Madelung, in: Oriens 25/26 (1976), 352-358.

(٢٠١) أنظرفي صدد نقد تيدنز: مقالتنا، كتاب الأظلة، المجلد ٢، في دورية الإسلام عدد ٥٨ لسنة ١٩٨١، ص ٣٧ وما يليها.

(٢٠٢) ملاحظات Notes 430-433; وقارن مع دورية الإسلام: Der Islam 23 (1936), 4-6.

(٢٠٣) دورية الإسلام Der Islam عدد٢٣، ص ٦.

(٢٠٤) أنظر المقدمة ص ١١ السالفة في صدد القرامطة.

(٢٠٥) نفس المرجع، ص ٣.

(٢٠٦) ملاحظات Notes ص ٤٢٤ وما يليها.

(٢٠٧) ملاحظاتNotes ص ٤٢٤ وما يليها؛ ودورية Der Islam عدد ٣٢، ص ٣.

(٢٠٨) رسالة. «Survey of the Evolution of Ismailism» لايدن ١٩٥٢، ص ٣٠، ملاحظة ١. ثم تراجع إڤانوف في فترة لاحقة عن هذا التقدير: إذ أنه لا يريد في مؤلفه «الأدب الإسماعيلي، طهران ١٩٦٣، ص١٩٣ وما يليها» أن يؤرخ هذا الكتاب قبل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.

(٢٠٩) نشرت في: AION عدد ١٤ (سنة ١٩٦٤)، ص ١١١ وما يليها.

(٢١٠) أبو الخطاب: هو غالي كوفي؛ أنظر في صدده ضمن ص ١٣٩.

(٢١١) فيليباني - رونكوني، أم الكتاب، المقدمة، ص ٦ وما يليها. لقد أشار «أ. باوزاني A. Bausani» عام ١٩٥٩ في «ديانات فارس Persia Religiosa»، ط ميلانو، ص ١٨١ وما يليها، إلى تأثيرات إيرانية - مانوية وهندية؛ وحتى أنه قد افترض لبعض أحزاب أم الكتاب نموذجاً في اللغة الفارسية الوسيطة.

(٢١٢) مقدمة، ص ٣٥.

(٢١٣) أنظر الملاحظة رقم ٢٠٠ أعلاه.

(٢١٤) أم الكتاب، عدد ١٠؛ وأنظر في هذا الصدد: إڤانوف، ملاحظات ٤٣٨، الحاشية ١.

(٢١٥) دورية المشرق «Oriens» عدد ٢٥/٢٦ (سنة ١٩٧٦)، ص ٣٥٤؛ أنظر في صدد «كتاب

الأظلة» ص ١٦٩ من كتابنا هذا.

(٢١٦) إڤانوف، ملاحظات، ص ٤٣٣؛ فيليبيني – رونكوني، مقدمة، ص ٣٥؛ ماديلونغ في: دورية المشرق «Oriens» عدد ٢٥ / ٢٦ (سنة ١٩٧٦)، ص ٣٥٥.

(٢١٧) نفس المرجع، ص ٣٥٥.

(٢١٨) قارن في صدد نقد فرضية تيدنس مع: مقالتنا «كتاب الأظلة Buch der Schatten» في دورية الإسلام، عدد ٥٨ (سنة ١٩٨١)، ص ٣٧ وما يليها.

(٢١٩) عرض للمحتويات لدى إڤانوف، ملاحظات، ص ٤٣٤ وما يليها «Notes»؛ دورية الإسلام، عدد ٢٣، (سنة ١٩٣٦)، ص ٧–٩.

(٢٢٠) يرى تايدنس ص٢٦٠ – في المقابل– أن الشخصية الأصلية لجابر هي شخصية جابر بن عبد الله الأنصاري الذي يظهر في الفصل الثاني كراوٍ للطرفة المدرسية.

(٢٢١) أنظر في هذا الصدد: ص ٧٣. «الأحاديث حول الكتب التي سلمها باقر لجابر»؛ أما أن «كتاب جابر» كان تفسيراً فإن القول في ذلك يرد لدى حديث غلاة يذكره الكشي، رجال، ص ١٩٢، فقرة ٣٣٨ [ص ١٧٠ من ط كربلاء. م. المترجم]؛ وقارن مع مقالتنا: «كتاب الأظلة» في دورية الإسلام، عدد ٥٨ (سنة ١٩٨١)، ص ٣٥ وما يليها.

(٢٢٢) على سبيل المثال في بداية رؤيا جابر، «أك» عدد ٦٠، و«أك» عدد ١٦٨.

(٢٢٣) لا تكاد روايات الخزر أو الروس («أك» ١٧٦) غير المتوافقة زمنيا تتفق على تأريخ، بسبب أنها قد تكون أضيفت لاحقا؛ إذ يظهر الشعبان في قائمة الدول الاثنى عشر، بيد أن هذه القائمة تشير إلى أربعة عشر اسم.

(٢٢٤) حاول إڤانوف، ملاحظات ٤٢٣، تفادي المصاعب إذ أنه أراد ان يفهم من «العراق» «شمال شرق بلاد فارس» أي الـ عراقى عجمى». إلا أنه ليس ثمة حجة على ذلك.

(٢٢٥) يعتبره إڤانوف، ملاحظات ٢٢٣، أنه ابن الولي المحلي لمدينة الري قرب طهران، أي الحسني عبد العظيم بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب. بيد أنه لا يثبت وجود ابن لعبد العظيم يحمل اسم علي ولا في أي مكان؛ زد على ذلك أنه يصعب تحديد عبد العظيم في الري زمنيا: إذ كان معاصراً للإمام الهادي (ت ٢٥٤هـ/٨٦٨م) والعسكري (ت ٢٦٠هـ/٨٧٤م)؛ راجع الطوسي، رجال، ص ٤١٧ عدد ١ وص ٤٣٣ عدد ٢٠. فمن المفترض أن ابنه قد عاش إذا بعد هارون بزمن طويل.

(٢٢٦) الطوسي، رجال، ص٣٦١ عدد ٣٢ وص ٣٩٠ عدد ٤٣.

(٢٢٧) «أك» الأعداد ٤٣، ٩١، ٢٤٨، ٢٨٨، ٣٠٣، ٣٧٧؛ وقارن مثلا مع «أك» ٢، ٣٨، ١٦٣، ٤٠٧ وغيرها.

(٢٢٨) النوبختي، آخر ص ٥٨ وما يليها [ط النجف ص ٩٠]: «فأما الإسماعيلية فهم الخطابية... وقد دخلت فرقة منهم في فرقة محمد بن إسماعيل وأقروا بموت إسماعيل بن جعفر في حياة أبيه...». وقارن

في نفس المرجع مع ص ٦٠، س ١٤ وما يليه [ط النجف ص ٩٢]؛ القمي، ص ٨١، فقرة ١٥٨ وص ٨٣، فقرة ١٥٨.

(٢٢٩) «أك» الأعداد ٧١، ٧٤ و٩٦.

(٢٣٠) النزارية هو فرع من الإسماعيلية يترأسه آغا خان؛ يطلق عليه في الهند اسم «هوجا».

(٢٣١) «أك» عدد ١٠٣؛ وقارن في هذا الصدد مع ص ١٠٧.

(٢٣٢) إڤانوف في دورية الإسلام عدد ٢٣، ص ١٠٧ وما يليها؛ تايدنس ص ٢٤٨-٢٥٤.

(٢٣٣) ابن عبد البرّ، استيعاب، ج١، ص ١٠٧ وما يليها؛ الكشي، رجال، ص ٤٠ وما يليها؛ وأنظر في صدد مكانته في الحديث الشيعي: E. Kohlberg, An unusual Shīʿī isnād, in: Israel Oriental Studies 5 (1975), 142-149

(٢٣٤) أفترض بدل من قراءة «والله واسع بغير علم» المختلة المعنى أن تقرأ الصيغة التي كثيرا ما ترد في القرآن «والله واسع عليم».

(٢٣٥) في النص: «وسيع المقالات»؛ إن الـ«و» من «وسيع» مجرد اعادة لما سبقها «را». فإن المسألة تتعلق بالمقالات «السبعة» (هفت) الواردة مباشرة.

(٢٣٦) ربما المقصود هنا في الأصل «سبع الدرجات» كذلك؟ فإن كان الأمر كذلك فسيكون الوقع القرآني ثانوي.

(٢٣٧) يتعلق الأمر في الحقيقة بسبع قبب سماوية [فارسية «ديوانها»]. إلا أننا نسمع مرة أخرى عن الـ«سبعة مقالات» مرة واحدة فقط، «أك» عدد ٢٤٧. [ننوه إلى أننا ترجمنا المفردة الفارسية ديوانها بـ«ديوانات» راجعين إلى نحتها في العربية. م. المترجم.]

(٢٣٨) إڤانوف، ملاحظات ٤٢٣: «در محلية قريش ابن هاشم در خانية عبد المناف» (كذا) بفرق بسيط عن الطبعة اللاحقة.

(٢٣٩) هو - طبقا للتراث الشيعي - صاحب لعلي زين العابدين والباقر؛ الطوسي، رجال، ص٨٦، س١ وص ١١٢، س٢.

(٢٤٠) «در كوفة آورده اند» ربما يصح حذف «اند».

(٢٤١) «از اين كتاب... نداده اند».

(٢٤٢) قارن في صدد مصطلح «معترض» مع: ص ١١٣ وما يليها.

(٢٤٣) القراءة الصحيحة: «بهم» بدل من «نهم».

(٢٤٤) يكمن في التعبير الفارسي «بحقائق از صنع حقّ سرپرده عالى» تركيب جملة-«من» عربية: وعليه فالجملة ستكون: «بحقائق من صنع الحق الحجاب العالى». أنظر في صدد الحجب ص ١٠٧ وما يليها.

(٢٤٥) هكذا يسمى الإمام الباقر لدى الغلاة في مواقع أخرى؛ أنظر ضمن ص ٦١ السالفة.

(٢٤٦) آمنة هي أم النبي محمد الذي ينظر إليه في أم الكتاب كإعادة تجسد الأئمة؛ قارن معجزة

التجلي في «أك» عدد ٣٩ وما يليه. أما اسم أُم الباقر في الواقع هو: «أُم عبد الله، فاطمة».

(٢٤٧) إن معنى العبارة «فرا ايزدى» غير واضح.

[نقترح ترجمة هذه العبارة بـ«وفرة من الحكمة الإلهية»، أما أن معناها غير واضح كما يشير د. هالم فهذا ضرب من قبيل عدم الفهم الشخصي للعبارة. م. المترجمُ.].

(٢٤٨) صحابي وراوٍ فاضل؛ قارن مع الملاحظة ٢٣٣ السالفة.

(٢٤٩) في النص «عبد الله الصباح» بصفة عامة. ويفترض أن المعني هو «عبد الله بن سبأ» رأس الزنادقة افتراضا عاما؛ قارن مع: إڤانوف، ملاحظات ٤٢٨، حاشية ٢. ومع: فان إس، في دورية الإسلام، عدد ٤٦ (لسنة ١٩٧٠)، ص٩٧. ومع: تايدِنس ص ٢٧٨.

(٢٥٠) أي حروف الأبجدية العربية الثمانية والعشرون مع الحرفين المتصلين «لام ألف».

(٢٥١) تعليق مضاف إلى النص؛ قارن مع: تايدِنس ص ٢٧٩.

(٢٥٢) الجمل المطبوعة بشكل مائل هي عربية في أصلها.

(٢٥٣) تتداخل الجملة الفارسية مع الأخرى العربية تداخلا جزئيا. أن للأمر على الأرجح صلة بتعليق. ومعنى اللام بعد الألف غير واضح؛ يعتقد تايدِنس (ص ٢٨٠) بخطأ كتابي للعَلَم: أي للهمزة فوق الألف.

(٢٥٤) أنظر في صدد الحجب: ص ١٠٧ وما يليها.

(٢٥٥) معنى هذا التعبير غير واضح. يتعلق الأمر على الأرجح بقول مأثور من قبيل الأمثال. ولا داعي للخوض في شرح الـ«Laya-Yoga» حتى الـ«ājñā-cakra» (Filippani-Ronconi 9, Anm. 30).

(٢٥٦) هذا يعني سماء الله الملك العالية؛ أنظر ضمن ص ١٠٦.

(٢٥٧) إن المفردة العربية «نقطةٌ» لها من نقاط العجم خمسة: واحدة على النون، واثنتان على القاف، واثنتان على تاء التأنيث المربوطة.

(٢٥٨) أنظر في صدد دور هذا الصحابي الذي أضحى اسطورة وصاحب علي، ضمن الصفحات ١٠٠، ١١٢-١١٣.

(٢٥٩) الملائكة السبعة للسماوات السبع ذات الألوان المختلفة؛ أنظر ضمن ص ١٠١ أعلاه.

(٢٦٠) إن الطاء ذات القيمة الحسابية ٩ مهملة؛ وبدل ذلك يتم حساب التاء المربوطة ذات القيمة الحسابية ٤٠٠. يكون حاصل الجمع المطلوب ١٩ إذا تم فقط جمع ٥ و١٠ و٤.

(٢٦١) ترجح قراءَة الكلمة «سجده» غير المفهومة في النص من قبل تايدِنس ٣٤٧ كـ«أشهد».

(٢٦٢) «وآليه» كذا في النص غير مفهومة: على الأرجح «وواليه» بدلا عن وآليه. (عن تايدِنس ٣٤٧ نفس المرجع).

(٢٦٣) سلسل هو اسم مستعار يستخدمه الغلاة مرارا وتكرارا لسلمان الفارسي؛ قارن مع: ماسنيون، سلمان بك(Op. min. I) ٤٧٥، ملاحظة ٦.

(٢٦٤) إضافة من قبل المحرر الخطابي؛ أنظر ص ٨٩.

(٢٦٥) قارن مع: خبر الكشي، رجال، ص ١٠٧، فقرة ١٧١ [ط كربلاء ص ٩٩ وما يليها]، أن علي بن أبي طالب أمر بإحراق عبد الله بن سبأ؛ وأنظر ضمن ص ٢٧.

(٢٦٦) أنظر الملاحظة ٢٣٣ الآنفة. توفى سنة ٧٤هـ/٦٩٣م أو سنة ٧٨هـ/٦٩٧م؛ أنظر في صدده وصدد أتباع باقر المذكورين هنا: يوسف فان إس، في دورية الإسلام، عدد ٤٦ (١٩٧٠)، ص ٦٩ وما يليها.

(٢٦٧) جابر بن يزيد الجعفي؛ أنظر في ص ٦٩.

(٢٦٨) جعفر بن ابراهيم الجعفي، من أتباع الباقر؛ الطوسي، رجال، ص ٨٦، س ١ وص ١١٢، س٢.

(٢٦٩) أحد أتباع علي، توفى في عهد حكم معاوية (حتى ٦٠هـ/ ٦٨٠م)؛ الكشي، رجال، ص ٦٧-٦٩ [ط كربلاء ص ٦٤-٦٥].

(٢٧٠) قارن مع الملاحظة ٧٧ السالفة.

(٢٧١) عدم توافق زمني واضح: إذ عاش أبو الخطاب في عهد ابن الباقر، جعفر الصادق (أنظر ص ١٣٩ أعلاه). هل يتعلق الأمر بعملية إضافة من قبل المحرر الخطابي أم أن ذلك - كما يشير تايدنس ٤٥١ - عدم توافق زمني مقصود من المؤلف؟ أنظر ص ١٩٠ أعلى: إعادة تجسيم أبي الخطاب.

(٢٧٢) وُلدَ الباقر في سنة ٥٧ هجرية (٧٧٦م)؛ وعمره الآن خمس سنوات، أي أن ذلك يُدوَّن في سنة ٦٢ من التأريخ القمري؛ هذا يعادل ٦٠ سنة شمسية بعد الهجرة؛ وبزيادة ٩٤٠ سنة يكون الحاصل هو الألفية السابعة كاملة التي يجب أن تمضي كذلك بعد الست آلاف سنة المنصرمة، قبل أن يظهر القائم.

(٢٧٣) هذه إضافة إسماعيلية - نزارية على الأرجح أنها تسند الـ مزهب فدائى « إلى الحشاشين السوريين؛ أنظر ص ٨٩ و٩٠.

(٢٧٤) أنظر في صدد هذه الإضافة الخطابية ص ٨٩ السالفة، ملاحظة ٢٢٨.

(٢٧٥) البسملة هي الصيغة التي تبدأ بها السور القرآنية «بسم الله الرحمن الرحيم».

(٢٧٦) رابع وخامس درجات الملائكة المعروفين. أنظر ص ١١٣ أعلاه.

(٢٧٧) إن هذه الفقرات المطبوعة بحروف أصغر هي الإضافات الحديثة للطبقة «ب» التي ذكرناها في ص ٨٧ و٨٨ السالفة.

(٢٧٨) سبعة من أتباع علي يبجلون كونهم الأهم في الشيعة الأوائل؛ رُفع من منزلتهم في «أك» إلى ملائكة أقمار وخالقين للعالم؛ أنظر في ص ١٢١ اللاحقة وما يليها. وفي صدد سلمان الفارسي ص ١٥ السالفة. المقداد بن الأسود الكندي صحابي معروف من صحابة الرسول، ت ٣٣هـ/٦٥٣م (طبقات ابن سعد، ج٣أ، ص ١١٤ وما يليها). أبو ذر جندب بن جَنادة الغِفاري، ت ٣٢ أو ٣٣ هـ/٦٥٣م (ابن سعد، ج٤، ص ١٦١ وما يليها. والكشي، رجال، ص ٢٤ وما يليها؛ وراجع ضمن موسوعة الإسلام،ط ٢ تحت اسم Robson). عمار بن ياسر هو أحد أوائل الداخلين في الإسلام، أصبح في فترة لاحقة من أتباع حزب

علي، سقط في صفين سنة ٣٧هـ/٦٥٧م (طبقات ابن سعد، ج٣أ، ص ١٧٦ وما يليها والكشي، ص ٢٩ وما يليها). أبو كميل هو كُميل بن زياد النخاعي أحد أتباع حزب علي سقط في صفين (طبقات ابن سعد، ج٤، ص ١٢٤). أبو هريرة هو الصحابي وراوي الحديث المشهور، ت ٥٧ أو ٥٨ هـ/ ٦٧٦ أو ٦٧٨م (موسوعة الإسلام ط ٢، أنظر في صدده تحت أسمRobson). أبو جندب هو صاحب علي وتابعه جُندب بن زهير (الكشي، رجال، ص٦٩، فقرة ١٢٤).

(٢٧٩) وردت في النص: « يا جعفر الجعفي » إلا أن هذا من قبيل السهو إذ أن الإجابة في « أك » عدد ٧٠ توجه إلى جابر مرة ثانية.

(٢٨٠) أنظر ص ١١٣ اللاحقة.

(٢٨١) وردت في النص: « پوشيده است ». تحذف « و » الواردة قبل « در حجاب »؟

(٢٨٢) إضافة خطابية معمرية: وسع الخاموس الأصلي باسمي والد محمد ووالد علي « =عبد الله وأبي طالب »؛ أنظر ص ٨٩ السالفة.

(٢٨٣) كذا في النص وردت بالعربية.

(٢٨٤) الدرجة الرابعة والخامسة لتدرج رتب الملائكة؛ أنظر ص ١١٣ أعلاه.

(٢٨٥) أي عندما يتم عد حروف أسماء الحروف (ألف، راء، هاء، ميم ألف، نون... .إلخ).

(٢٨٦) « اليتيمان » أو « الفريدان » هما با ذر (= أبو ذر) والمقداد؛ أنظر ص ١١٣ و٢١٢ أعلاه.

(٢٨٧) توسيع خطابي في الخاموس الأصلي؛ قارن مع الملاحظة ٢٨٢ السالفة. إلا أنه حقاً يتم الحصول على الرقم ٤٢ المشترط في النص إذا تم جمع ١٢+٧+٥ (وليس ٧).

(٢٨٨) ورد الاسم في النص « جعفر الجعفي » كذا، إلا أن الإجابة توجه بعد شطر قصير إلى جابر الذي يسأل كذلك سؤالاً آخر.

(٢٨٩) « بر خويشتن ببخشاى » كذا، قراءة غير واضحة. تايدنس ٣٧١: « أنا أريد الإئتمان به لي فقط ».

(٢٩٠) قارن الخبر لدى القمي في الفرقة « المخمسة »، وانظر ضمن ص٢١٩ وما يليها. يفسر النصيريون كذلك هذه الآيات القرآنية عينها على أنها الخاموس الإلهي.

(٢٩١) تُقرأ بصورتها الأصح: « بصفرِ هزار رنگ » بدل « بصفرت... ».

(٢٩٢) كذا في النص والصحيح: « قائم الليل وصائم النهار ».

(٢٩٣) كذا في النص، ربما خطأ في كتابة كلمة عربية: « روح الجود »؟ إذ تلي « روح الذخر » مباشرة.

(٢٩٤) قارن في الصفحة السالفة مع الملاحظة ٢٦١.

(٢٩٥) النص غير واضح: « وعلى ربُّ الملائكة والروح » كذا « والمصطفى ».

(٢٩٦) قارن مع الملاحظة ٢٦٢ السالفة.

(٢٩٧) إضافة خطابية.

(٢٩٨) وردت في النص بصيغة الجمع: « وبديشان بشناست ».

(٢٩٩) أنظر ضمن ص ٨٨.

(٣٠٠) المقصود هو: « روح الحياة الناطقة » من الطبقة « ب ».

(٣٠١) كذا في النص؛ قارن مع الملاحظتين السالفتين ٢٦٨ و٢٧٩.

(*) « ستار غاية.. » كذا في النص الفارسي، لكن اسقطها د. هالم في ترجمته الألمانية. م. المترجم.

(٣٠٢) إضافة خطابية – معمرية؛ قارن مع ص ٨٩ وما يليها ومع الملاحظتين ٢٨٢ و٢٨٧.

(٣٠٣) « البراق »: دابة محمد الخرافية التي طارت به في معراجه إلى السماء، عادةً ما تصور في الفن التشكيلي كفرس مجنحة ذات رأس امرأة. « الدُلدُل »: الدابة بيضاء اللون التي كان يمتطيها محمد في غزواته.

(٣٠٤) « از بيخ » بمعنى: من الجذور، والقراءة الصحيحة هي: « از پنگ ». قارن مع تايدنس ٣٩٨.

(٣٠٥) من الأشجار الخرافية في الجنة. وطوبى تعني الغبطة الروحية.

(٣٠٦) خاموس إسماعيلي مميز.

(٣٠٧) ورد في النص: « از اين پنج ديوان عقيق رنگ » والأصح اسقاط المفردة: « پنج ».

(٣٠٨) « گويهاى » كذا والصحيح: « جويهاي »؟

(٣٠٩) يرد الرقم « پنج » (= خمسة) للمرة الثانية والأصح حذفه.

(٣١٠) « جوى انگبين علم وَحى ايشان است » كذا والأصح حذف حرف « الواو ».

(٣١١) « امامانِ زمان »: الأئمة التأريخيون. إمام الزمان هو الإمام المتولي الإمامة في زمنه.

(٣١٢) « واين روحِ ناطقه <كه؟> بدليلِ ملكِ تعالى است بدين نور است » كذا.

(٣١٣) كذا في كل مواقع النص المتوازية. وقد أخرت في هذا الموقع « تابشى الاهى »؛ ومن ثم ترد « تابش » مرتين في الفقرة.

(٣١٤) في النص تنفي: « نيفتاد ». إلا أن هذا يعارض معنى كل الفقرة. يريد تايدنس ٤٠٣ أن تُقرأ « اوفتاد » كصيغة تمني: « الذين يُراد <لـ>ظلهم السقوط على الأرض ».

(٣١٥) أحد بطيني القلب؛ أنظر ص ٨٨ أعلاه.

(٣١٦) لم يثبت كاقتباس.

(٣١٧) يرد في هذا الموقع من النص لأول مرة راوي الطرفة المدرسية (أك عدد ١٢) بدلاً عن جابر الجعفي.

(٣١٨) الأصح حذف « كه » الواردة بعد « اولى » لكي يكون للجملة معنى متكامل سليم.

(٣١٩) قارن مع الوصف الآنف (أك عدد ٩٦وما يليه) الذي سبق أوانه لهذه الجنة العليا التي فوق السماء السابعة.

(٣٢٠) تقرأ بدلاً عن « روى...بود » ربما « روى...كرد » مثلما وردت عدة مرات في مواقع أخرى (أك

الأعداد: ١٣١، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٧ و١٣٨).

(٣٢١) «از خيمه بندى» كذا في النص. ويترجمها فيليپاني - رونكوني Filippani-Ronconi: «da ogni padiglione» (خيمه = خيمة Zelt). تايدنس ٤٨٣: «معصَم».

(٣٢٢) حرفياً: سَلمانُ القدرة، أو سَلمانُ القُدرَةُ.

(٣٢٣) مقداد الكبير، أنظر في صدده: الملاحظة ٢٧٨ السالفة.

(٣٢٤) لقد أشير هنا إلى سلمان باللغة الفارسية كـ«داور» وصي. على الأرجح أن هذا يطابق الصيغة العربية «ولي» المستخدمة لجابر والتي قد شوه معناها. أنظر في هذا الصدد: الملاحظة ٢٦٢ السالفة.

(٣٢٥) «حَيَّ عَلى الفَلاح»: مثل الصيغة السابقة واللاحقة هي جزء من الأذان إلى الصلاة.

(٣٢٦) وردت في النص خاطئة: «حَيَّ عَلَى الصَّلواة».

(٣٢٧) يتـــرجـم Paret پارت هذه الآية: «Und die gewonnen haben, sind die, die gewonnen haben» أي «والذين ربحوا هم الذين ربحوا» إلا أن سياق النص هنا يتطلب الرجوع إلى المعنى الحقيقي للفعل «سَبَقَ».

(٣٢٨) المقصودون هنا هم الذين كانوا في المائة والأربعة والعشرين ألف «معترض» الذين قد ترددوا في المرة الأولى ولكن شهدوا في النهاية. أنظر (أك، عدد ١٣٥وما يليه).

(٣٢٩) تقرأ: «ايشان - را» بدلاً عن «شان».

(٣٣٠) تكمل طبقـاً للموقع الموازي في «أك» عدد ١٩٩: «بهـر چه زارتر بگريستند»؛ قارن مع تايدنس، ص ٥٠٤، ملاحظة ٦٠.

(٣٣١) تقرأ: «لباس صافي» بدلاً عن «لباس صفر».

(٣٣٢) قارن مع الملاحظة السالفة.

(٣٣٣) قارن مع الموقع الموازي في أك عدد ٩٣ وما يليه (أنظر ص ١٠٥ وما يليها)؛ وتايدنس ٣٩٣.

(٣٣٤) إن الصفة «عنكوري» لا تفهم؛ قارن مع إڤانوڤ، نفس المرجع، ص ١٣.

(٣٣٥) إن رواية النص والمعنى في هذه الإضافة بجملتها غير مؤكدين بوضوح. إلا أنه يظهر أن التوحيد المتزمت (ذو المعالم المعتزلية) يستند طبقاً لأقوال الباقر استناداً باطلاً إلى سورة الإخلاص. إن الاقتصار على ظاهر البيان (= النص) عقيدة مضللة شيطانية. ولقد كان الباقر - في حقيقة الأمر - يقول بأن الإله الأعلى لا يقتصر على السماء العليا ولا الوحدانية المتشددة لا سيما وأنه يستطيع كذلك أن يُظهِّر ذاته في السموات الدنيا وفي خاموسه. وكذلك قد خرج - على نقيض ظاهر البيان القرآني - منه حقاً شيء، وتحديداً السموات السبع. إلا أن الولادة الجسدية تُستَبعد: فكل ما هو جسدي يكون شيطانياً.

(٣٣٦) أنظر في ص ١٢٢ وما يليها، وفي أك عدد ١٧٨.

(٣٣٧) تظهر تسمية عزازئيل بالاسم القرآني «إبليس» علامة مميزة للطبقة الأحدث «ب»؛ مشابهة لما ورد في مقدمة أك عدد ١١.

(٣٣٨) تميز كلمات جابر واعادة سرد كلام عزازئيل من أك عدد ١٤٧ نهاية الإضافة تمييزاً واضحاً.

(٣٣٩) إقرأ «لوم» بدل «لون».

(٣٤٠) يجب حذف المفردتين «آب است».

(٣٤١) حقاً على العكس: أن الحجاب الذى كون في البدء الأرض قُلِبَ من خلال الهبوط إلى أسفل تجاه السماء.

(٣٤٢) يعرف هنا الملك تعالى لأول مرة بوضوح كعلي أمير المؤمنين.

(٣٤٣) أنظر الملاحظة رقم ٢٦٢ السالفة.

(٣٤٤) لقد أدخل اسم أبي الخطاب في هذا الموقع من النص الموازي بدلا عما ورد هنا «النور الأكبر».

(٣٤٥) إقرأ في النص الفارسي: «بتهتك؟».

(٣٤٦) في النص بصيغة الماضي الناقص.

(٣٤٧) يتكرر اسم الشيطان هذا مرة أخرى لدى الدروز في فترة لاحقة.

(٣٤٨) «سُوَاع»: اسم لصنم عربي قديم ذكر في سورة نوح الآيات ٢٠-٢٣، من المفترض أنه كان يعبد في زمن نوح.

(٣٤٩) يجب قراءة «اشيوق» كـ إيشقريوت». قارن مع:فيليباني - رونكوني، ص ٧٦ ملاحظة. إڤانوف، ملاحظات، ص ٤٥٤، يذهب بافتراض المانوية بعيدا جدا. [ننوه إلى أن ما ورد في هذا الموضع من أك ١٦٧ بالفارسي هو: «وبظهور عيسى سحر»؛ إن د. هالم ينقل مفردة «سحر» عربية اللسان كـ وسواس Versucher». م. المترجم].

(٣٥٠) «أبو جهل» في سورة المسد (وسور أخرى) هو اسم استهزأ به محمد من خصمه المكي «أبو الحكم عمرو بن هشام».

(٣٥١) *أنظر الملاحظة رقم* ٢٧٨.

(٣٥٢) إقرأ: «هنگام» أي جمهرة بدل «هنگام» أي زمن.

(٣٥٣) سواحل شرقي أفريقيا؛ قارن بين زنگيبار وزنجبار.

(٣٥٤) السند جنوب پاكستان والهند شماله.

(٣٥٥) لاحتواء قائمة البلاد الاثنى عشر على أربعة عشر اسماً فقد أضيف اسمان إليها في فترة لاحقة. نرجح بكل تأكيد أن روسيا واحدة من الاثنتين.

(٣٥٦) لقد قامت إمبراطورية الخزر في روسيا في القرن السادس الميلادي. إذاً من الممكن أن يكون ذكر الخزريين من النص القديم ولا يجب أن يشير - مثلما يرى إڤانوف في ملاحظات ٤٢٤ - إلى القرن العاشر أو الحادي عشر.

(٣٥٧) منطقة في شرقي إيران.

(٣٥٨) كذلك فارس، بلاد الفرس القديمة في فترة پرسيپوليس (=تخت جَمشيد) وشيراز.

(٣٥٩) كذا في النص. إن قراءة الاسم الأخير غير واضحة: إسقلان أو إسقلاب؟.

(٣٦٠) كذا في النص. غير واضحة القراءة: «از آن كل تول ايشان».

(٣٦١) القراءة غير واضحة. ربما: أوجان؟ أو: أندجان؟ أرجان هي المناطق الجبلية شمال شرقي خليج فارس.

(٣٦٢) كذا بدون أي افاضة - ربما سواد الكوفة - إلا أنه يقصد عادةً بالسواد البلاد التي ما بين الرافدين المشار إليها هنا كجزيرة.

(٣٦٣) «مها چين؟» عن فيليپاني - رونكوني، ص٨١، ملاحظة ١٦.

(٣٦٤) أي شبه جزيرة برقة على خليج سرت الليبي.

(٣٦٥) اليابسة الواقعة على النهاية الجنوبية الغربية لبحر قزوين.

(٣٦٦) المنطقة الإسلامية في أفريقيا، تقريباً ما يسمى اليوم بتونس والجزائر الشرقية.

(٣٦٧) مدينة في شمال سوريا تقع اليوم على الحدود السورية - التركية.

(٣٦٨) البلاد المحيطة بسمرقند.

(٣٦٩) مدينة على الساحل السوري، اسمها العربي «انطرطوس» استمد من الاسم اليوناني القديم ماقبل التأريخي للجزيرة «أنطرادوس».

(٣٧٠) جزيرة في خليج فارس.

(٣٧١) وردت في النص الفارسي: «بنشور» كذا، لكن الصحيح: «منشور».

(٣٧٢) من غير الممكن أن يكون الفصل التالي قد وجد مصنفا في النص العربي الأصل سيما أن التلاعب بالألفاظ يصلح في اللسان الفارسي فقط. لذا يجب أن يكون الأمر متعلقاً بإضافة. قارن ضمن ص ٩٠ السالفة.

(٣٧٣) في النص بصيغة الجمع.

(٣٧٤) في النص بصيغة الجمع.

(٣٧٥) دانگ واحد = سدس. ويعادل كذلك في ضروب المسكوكات النقدية سدس درهم.

(٣٧٦) القراءة متعسرة. ماديلونغ Madelung يريد في دورية المشرق عدد ٢٥ / ٢٦ لسنة ١٩٧٦، ص ٣٥٦، أن يقرأ المفردة «ازج» بمعنى: «طويل ورقيق». لكن من المفترض لهذه المفردة أن تكون لها نبرة سجع يطابق مفردة «ارزيز» (= نحاس).

(٣٧٧) الصحيح «كه» بدل «و».

(٣٧٨) حرفياً: «التي أُرسِلَت (فرستاده اند) ».

(٣٧٩) يورد النص بدلاً عن السبعة وجوه الشر التي يظهر بها الشيطان خمسة فقط.

(٣٨٠) كذلك هنا يتضح الاستدلال على نهاية الإضافة واعادة الاسترسال في الموضوع.

(٣٨١) أنظر ضمن ص ٨٨.

(٣٨٢) يجب أن يكون المعني هنا – مثلما تظهر الآية القرآنية التالية والسياق اللاحق – المفردة العربية «جان» أي صيغة جمع الـ«جن». إلاّ أن المترجم الفارسي قد فهم «جان» بالدلالة الفارسية للكلمة: «أنفس، أرواح» وأضاف «تن»: «أبدان». ولكن الأبدان نشأت في الحقيقة بعد فترة لاحقة. قارن مع أك عدد ٢١٥.

(٣٨٣) إن هذا التعبير الغريب يرد لاحقاً لمرة أخرى: أك عدد ٢٠٠؛ أنظر ضمن ص ١٢٦.

(٣٨٤) «ممتحن» مفردة تم إلحاقها في نص الترجمة الفارسية عن العربية يتعسر فهمها لدى ناطقي فارسية ذاك الزمان.

(٣٨٥) ترجمة فارسية موازية للآية القرآنية عدد ٣٠ من سورة البقرة.

(٣٨٦) قارن في صدد تصحيح النص مع: فيليباني – رونكوني، ص ٩٢، ملاحظة ٥١.

(٣٨٧) إقرأ: «روح الوحي» كما وردت قبل عدة سطور. وليس «روح الأرواح».

(٣٨٨) «عنكورى» راجع الملاحظة السالفة رقم ٣٣٤.

(٣٨٩) الجملة التالية غير مفهومة: «بعدد يك ديگر بودند».

(٣٩٠) كذا «سقلانى» والصحيح: «سقلابى».

(٣٩١) كذا «صورتى» والصحيح: «سريانى»؟.

(٣٩٢) أي أئمة الزمان الأرضي.

(٣٩٣) أنظر ص ٩٠ السالفة.

(٣٩٤) أنظر ص ٨٨ السالفة.

(٣٩٥) وردت في النص خطأ: «راست» والأصح: «چپ» بمعنى اليسار.

(٣٩٦) وردت في النص بصيغة الجمع.

(٣٩٧) مثل أو قول مأثور؟ حسب فيليباني – رونكوني، ص ١٠٠، ملاحظة رقم ٦٩.

(٣٩٨) وردت في النص بصيغة المفرد.

(٣٩٩) وردت في النص بصيغة المفرد.

(٤٠٠) في النص: «بنور زمين» أي إلى نور الأرض.

(٤٠١) إن هذا الموقع من النص خطأ؛ قارن مع محاولات التصحيح التي أجراها فيليباني – رونكوني، ص ١٠٤، ملاحظة ١٤.

(٤٠٢) إن المفردة «نه» التي ترد في هذا الموقع من النص وفي أول أك عدد ٢٣١ غير مفهومة، فإن كان المقصود بها: «لا... ولا» فهي لا تدل على أي معنى. لقد أبدل فيليباني – رونكوني، ص ١٠٥، ملاحظة ١٧، المفردة: «نه» إلى: «چون».

(٤٠٣) الصحيح: «است» بدل: «اليت».

(٤٠٤) في النص بصيغة المفرد.

(٤٠٥) يجب الإتمام بما معناه: «ومثلما تظلم غيمة نور الغنوص».

(٤٠٦) أنظر في صدد «المقصرة» ص ١٩ السالفة.

(٤٠٧) «اليتيمان» هم المقداد وأبو ذر. أنظر ص ١١٣ أعلاه.

(٤٠٨) إشارة إلى قصة التجربة الإنجيلية، والمقصود هنا جناح الهيكل الذي قاد المجرب عيسى إليها. [متى ٤ :٦ ولوقا ٤ :٩. م. المترجم].

(*) كروب (كروبيم) «Cherubim»: طائر أسطوري نراه في فنون حضارة مابين النهرين القديمة وخاصة لدى الأشوريين، نصفه إنسان ونصفه الآخر طائر مجنح. أما في التورات (خروج ٢٥ :٢٢، حزقيال ٢٨ :١٤،...) فهو مخلوق أسطوري يوصف كطائر يلازم يهوة في الهيكل. م. المترجم.

(٤٠٩) في النص بصيغة الجمع.

(٤١٠) «كون ودور» كذا والصحيح: «كور ودور».

(٤١١) ورد «سلمان القدرة» بكل وضوح كتعليق على النص في (داور ملك تعالى) وقد وقعت في الموقع الخاطئ من النص.

(٤١٢) الصحيح: «و را» بدلاً من «را».

(٤١٣) أي في ذاكرته. راجع أك عدد ١٤٤.

(٤١٤) قارن: أك عدد ٩٦.

(٤١٥) الصحيح «متعلم» بدلا من «معلم».

(٤١٦) «دك» الفارسية غير مفهومة.

(٤١٧) «قائم الليل وصائم الدهر» كذا والصحيح: «قائم الليل وصائم النهار». راجع الملاحظة ٢٩٢ أعلاه.

(٤١٨) العشرة أيام الأولى من شهر محرم حتى يوم عاشوراء، يوم ألم الحسين؛ أنظر ص ٣٣ أعلاه.

(٤١٩) إقرأ: «أشهدهو ašhaduhū»؛ قارن مع: أك عدد ٤٣، وراجع الملاحظة ٢٦١ أعلاه.

(٤٢٠) راجع الملاحظة ٢٦٢ أعلاه.

(٤٢١) أنظر ضمن ص ٧٦ السالفة وفي الصفحات ١٦١ و ١٩٥.

(٤٢٢) راجع: W. Foerster, Die Gnosis I, Ss. 81, 145, 437, 460.

(٤٢٣) نفس المرجع، ص ١٤٤.

(٤٢٤)

NHC II, 5, 142, 5-13, und II, 4, 94; K. Rudolph, Die Gnosis, Göttingen 1977, 80 f.; Krause/Rudolph, Die Gnosis II, Koptische und Mandäische Quellen, Zürich/Stuttgart 1971, S. 59.

وقارن كذلك في صدد الحجاب والظل مع:

H. Jonas, Die Gnosis und spätantiker Geist, I, Göttingen 1934, Ss. 385-387, 388 Anm. 1, 399 f., 406 f.

(٤٢٥) قارن مع أك عدد ١٢٣ وعدد ٢٠٤ وما يليه. يظهر أن الاسم مثلما يرد في القرآن علامة مميزة للطبقة الأحدث «ب».

(٤٢٦) Krause/Rudolph, Die Gnosis II, 289 .

(٤٢٧) Foerster, Die Gnosis I, 151.

(*) «الأرخيون Archonten»: مصطلح يوناني صيغة المفرد منه «أرخويَ Archon» معناه الحرفي «حاكم». كان يطلق على الموظفين التسعة ذوي الدرجة الرفعى في بعض مدن الدويلات اليونانية حتى القرن الرابع ق.م. أما في التراث الديني اليهودي-المسيحي فإن مفردتنا تعني منزلة أو رتبة تخص الملائكة؛ فقد ذكر في سفر «طوبا» – وهو أحد الأسفار المحذوفة – أن روفائيل المعّد كبير الملائكة: «واحدٌ من الملائكة السبعة المقدسة... يدخل ويخرج في حضرة الله الأعظم» (١٢: ١٥) إذ تأثر يوحنا اللاهوتي في رؤياه بهذا السرد حينما قال إنه رأى الملائكة السبعة الواقفين أمام الله... (رؤيا ٨: ٢) [م. المترجم.].

(٤٢٨) مقالات، ص ٦١، فقرة ١٢١.

(٤٢٩) النجشي، رجال، ص ١٨٠.

(٤٣٠) يلينك، بت هل-مدراج، ط٣، القدس ١٩٦٧، ٥، ص١٧١وما يليها. إنني مدين «للسيد.H P. Rüger البروفيسور هـ. پ. روغر في توبنغن Tübingen» بالإشارة على هذا الاقتباس.

(٤٣١) أنظر ص ٧٩ و١٢٤ اعلاه.

(٤٣٢) قارن في صدد تصور «النسيان» في الغنوص مع: Jonas يوناس، ج١، ص ٩٦ و١١٣ وما يليها.

(٤٣٣) Foerster, Die Gnosis I, 148.

(٤٣٤) Wollf, Auzüge aus dem Katechismus der Nossairier, in: ZDMG 3 (1849), S. 306; وقارن مع ص ٢١٢ أعلاه.

(٤٣٥) أنظر الملاحظة ١٠٥ السالفة.

(٤٣٦) لقد تم كذلك تناقل النسب: أبو اسماعيل وأبو ذبيان. قارن مع شتروتمان، Strothmann, Esoterische Sonderthemen 14.

(٤٣٧) نقلا عن الكشي، رجال، ص ٢٩٠.

(٤٣٨) أسترابادي، منهج المقال، ص ٣٢٣؛ شتروتمان، Strothmann, Esoterische Sonderthemen 14

(٤٣٩) رجال، ص ٢٩٠-٣٠٨.

(٤٤٠) الطبري، ج٣، ص ٧٢ و٣٥٢.

(*) إن ما نقله د. هالم مقتبساً عن النوبختي والقمي يطابق الذي وجدناه مدوناً في المصدرين المذكورين إلا أن هذه المطابقة تكاد تكون من حيث الفحوى لا من حيث النص بمفرداته وجمله. هذا يعني أن د. هالم قد اقتبس النص بتصرف. لذا عملنا على ايراد النص بتصرف كما فعل د. هالم. م. المترجم.

(٤٤١) يثبت كمعاصر لجعفر الصادق في العديد من المصادر؛ الكشي، رجال، ص ٣٥٢، فقرة ٦٦١؛ والطوسي، رجال، ص ٢٠٩؛ والطوسي، فهرست، ص ١٠٥. قارن الأحاديث التي رويت عنه، الكشي الفقرات ٤٩ و٣٩١.

(٤٤٢) إقرأ: بأيديكم بدل بلدتكم. [كذا لدى القمي «بأيديكم» ولدى النوبختي: «بلدتكم». م.

المترجم].

(٤٤٣) أنظر ص ١٦ السالفة.

(٤٤٤) كذا والصحيح: لا أنفس؟

(٤٤٥) شتروتمان Strothmann, Esoter. Sonderthemen 18 f.

(٤٤٦) مراجع أخرى في صدد أبي الخطاب: ناشيء-«المزيف» (جعفر بن حرب)، أصول النحل، ص٤١، فقرة ٦٣؛ والأشعري، ص ١٠ وما يليها؛ والبغدادي، ص ٢٤٧ وما يليها؛ وابن حزم (تح فريدليندر Friedlaender)، ج١، ص ٦٩ وص ١١١-١١٤ من ج ٢؛ والشهرستاني (تح كوريتون Cureton)، ص ١٣٦ وما يليها [تح الوكيل، ج١، ص ١٧٩ وما يليها]؛ ومقال بعنوان: أبو الخطاب والخطابية Abu'l-Khaṭāb (B. Lewis) und Khaṭābiyya (W. Madelung) بقلم ڤ ماديلونغ، في موسوعة الإسلام ط٢. وراجع في صدد دور أبي الخطاب في تراث النصيرية: شتروتمان Strothmann, Esoter. Sonderthemen 12-19

(٤٤٧) الطوسي، رجال، ص ١٥٩، عدد ٦٨.

(٤٤٩) ورد في النص بزيع.

(٤٥٠) مراجع أخرى: الأشعري، ص ١٢؛ والبغدادي، ص ٢٤٨ وما يليها؛ وابن حزم (تح فريدليندر)، ج ١، ص ٣٤ و٦٤، ج٢، ص ٩٥ وما يليها؛ والشهرستاني (تح كوريتون) ص ١٣٧، [تح الوكيل، ج١، ص١٨٠].

(٤٥١) تعني: «أجبناك»، وهي الإستغاثة بالله التي يطلقها الحجاج في مكة.

(٤٥٢) الصحيح كما يشير محرر الكتاب: «يكذبون بهم» بدل «يكونون» التي لا تعني شيئاً.

(٤٥٣) The Alleged Founder of Ismailism 129 f.

(٤٥٤) رجال، ص ٣٠٤ وما يليها، فقرة ٥٤٧ و٥٤٩ [ط كربلاء، ص٣٦١-٣٦٢، فقرة ٢٩٩].

(٤٥٥) مقالات، ص ١١.

(٤٥٦) رودولف، الغنوص، ص ٢١٠ وما يليها Rudolph, Die Gnosis 210 f.

(٤٥٧) في صدد التقديس الغنوصي للمني: نفس المرجع، ص ٢٥٤ وما يليها.

(٤٥٨) زينة، ما بعد ص٩٠٧ و٩٠٩، نقلا عن ماسنيون، سلمان باك (Op. min. I) ص ٤٧١؛ وقارن في نفس المرجع، ص٤٧٥. أنظر في صدد معمر كذلك: الأشعري، ص١١؛ والبغدادي، ط القاهرة، ص ٢٤٨؛ وابن حزم (تح فريدليندر)، ج١، ص٦٤ و٦٩، وج٢، ص٩٦ و١١٣؛ الشهرستاني (تح كوريتون)، ص١٣٧ [تح الوكيل، ج١، ص١٨٠].

(٤٥٩) «أك»، عدد ٧٠ و٧٤.

(٤٦٠) «أك»، الأعداد ٤٣، ٩١، ٢٤٨، ٢٨٨، ٣٠٣، ٣٧٧. لقد ورد اسم أبي الخطاب في موقعين آخرين من النص، أك العددين ٢٥٩ و٢٦٥، لخلط واضح مع أبي خالد، الشخص المعني في الأصل.

(٤٦١) قارن مع: البغدادي، ص ٢٤٩؛ وابن حزم (تح فريدليندر)، ج١، ص٦٤ «عمير التبان»، وج٢،

ص ٩٦؛ والشهرستاني (تح كوريلتون)، ص ١٣٧، [تح الوكيل، ج١، ص١٨٠].

(٤٦٢) قارن مع: البغدادي، ص ٢٤٩ وما يليها؛ والشهرستاني (تح كوريلتون) ص ١٣٧ [تح الوكيل، ج١، ص ١٨١، س١ وما يليه].

(٤٦٣) الطوسي، رجال، ص٣١٤، عدد ٥٥٤، وص٣٦٠، عدد ٢٣؛ والطوسي، فهرست، ص ١٩٧، عدد ٧٥٧.

(٤٦٤) أنظر في ص ٧٨ السالفة.

(٤٦٥) الكشي، رجال، الفقرات ٥٨١، ٥٨٦–٥٩٠ [ط كربلاء، فقرة ١٥٤، ص ٢٧٢–٢٧٩]؛ وراجع في هذا الصدد مقالتنا: كتاب الأظلة، في دورية الإسلام عدد ٥٥ لسنة ١٩٧٨، ص ٢٢٤ وما يليها.

(٤٦٦) نفس المرجع، ص ٢٢٨ وما يليها [ط كربلاء، ص٢٧٢].

(٤٦٧) نفس المرجع، ص٢٣٤ وما يليها [ط كربلاء، ص٢٧٤–٢٧٥]؛ والكليني، الكافي، ج١، ص ٢٧٢، فقرة ٣.

(٤٦٨) الكليني، الكافي، ج١، ص٤٤١، فقرة ٧.

(٤٦٩) الطوسي، رجال، ص ٣٣٦، عدد ٤٦.

(٤٧٠) يصفه ابن الغضائري، في اقتباس لدى الطوسي، رجال، ص ٣٣٦، حاشية ١، كغالٍ ومبتدع أحاديث.

(٤٧١) رجال، ص ٣٦٤، فقرة ٦٧٤ [ط كربلاء، ص٣١٠، فقرة ٢٠٩].

(٤٧٢) نفس المرجع، فقرة ٦٧٣ [ط كربلاء، ص ٣٠٩، فقرة ٢٠٩].

(٤٧٣) نفس المرجع، فقرة ٦٧٥ [ط كربلاء، ص ٣١٠، فقرة ٢٠٩]، يظهر في الإسناد الغالي ابن أبي عمير.

(٤٧٤) سيرة النصيرية، ص٦٤٢، رقم ٨.٨.٨ Bibliographie nusayrie (Op. min. I), 642, Nr 8.8.8

(٤٧٥) الهفت والأظلة، تح تامر وخليفه، ص ٢٨ و٢٩ و١٢٨–١٢٩؛ كما يظهر كذلك في إسناد النصيرية: Strothmann, Esoter. Sonderthemen, S. 8; fol. 224 b; 263 b.

(٤٧٦) كذا في الأصل والصحيح: «لم يزل» بدلا عن «لم يظل».

(٤٧٧) كذا في الأصل والصحيح: «نَزَلُهو nazluhū» بدلا عن «نزلهم nazluhum». [كذا لدى الكاتب د. هالم، أرجح القراءة: «نزّلوه»، أي أنزلوه منزلة فلان. م. المترجم].

(٤٧٨) أنظر في ص ١٤٥ السالفة.

(٤٧٩) أنظر في ص ١٦٣ وما يليها.

(٤٨٠) كذا في الأصل وربما الصحيح: «بها».

(٤٨١) أنظر في ص ١٩ السالفة.

(٤٨٢) Peter: Daraufgeld.

(٤٨٣) إشارة تحسينية يقصد فيها الفرج أو الأست؟

(٤٨٤) ورد في النص: «في جميع ذي المأكولات والمشروبات...»، ربما يفترض اسقاط ذي.

(٤٨٥) مروج الذهب، ج٣، ص٢٦٥؛ ونفس المصدر (تح پيلات Pellat، ج٢، ص ٢٥٨، فقرة ١١٣٥)

(٤٨٦) الملل والنحل، تح كوريلتون، ص ١٣٤؛ وتح الوكيل، ج١، ص ١٧٥.

(٤٨٧) ورد في طباعة النص: «العلبائية». قارن في صدد صيغة الاسم مع مؤلفنا «Kosmologie und Heilslehre»، ص ١٦١، الملاحظة ٩٣.

(٤٨٨) ترد الإضافة الموضوعة بين قوسين لدى الكشي، رجال، ص ٣١٩ وما يليها [ط كربلاء، ص٣٤١، فقرة٢٥٩].

(٤٨٩) كذا في لدى القمي وربما الصحيح: «نبيهم» بدل «نسبهم».

(٤٩٠) هو الإمام الثامن طبقاً لترتيب الشيعة الإمامية؛ (أنظر في ص ٦٢ السالفة).

(٤٩١) القراءة غير مؤكدة.

[إن قراءة المفردتين «مبشر وبشير» لا تتأكد في ط بومبي التي اقتبس منها د. هالم - لا سيما وأن تحريرها يربو على الكثير من الأخطا الإملائية واللغوية - إلا أن ما وجدناه في ط كربلاء، تقديم وتعليق السيد أحمد الحسيني، جلياً في قراءته، خلا أن محرر ط كربلاء أشار في هذا الصدد نقلا عن الماقماني تعليقاً على هاتين الكلمتين إلى أنه: «يريد بذلك... كأنه يتهجس اسم بشار كمن لا يعرفه احتقاراً للمسمى به...». م. المترجم].

(٤٩٢) الصيغة: «خالي» = جاري.

(٤٩٣) كذا لدى البغدادي، ص ٢٥٢ [ط بيروت، ص ٢٣٩] أيضاً؛ ويستنتج من الكشي، رجال، ص ٣٩٨ [ط كربلاء، ص ٣٤٠، فقرة ٢٤٩] أن المعني هنا هوالشعيري: «بياع الشعير».

(٤٩٤) أحد أنصار الامويين، أثر في التحكيم في «عذرُح» [بين علي ومعاوية بعد صفين] لغير صالح علي. ويعتبر لذلك عند الشيعة واحداً من ألد أعدائهم.

(٤٩٥) قارن في صدد هذا الاشتقاق الخاطئ لاسم الفرقة مع كتابنا: «Kosmologie und Heilslehre» ص ١٦١، ملاحظة ٩٣.

(٤٩٦) أصحاب (أو أهل) الكساء؛ هذا هو اسمهم لأن محمداً أخذهم تحت كسائه في المباهلة (أنظر في هذا الصدد ضمن ص ٢٢٣) لكي يقدم نفسة إزاء حكم الله. أنظر في هذا الصدد: ماسنيون، "La Mubâhala de Médine et l'hyperdoulie de Fâtima" في: "Ann. de l'Ec. des Hautes Et. 1943, Paris 1955 (Op. min. I, 550 ff..

(٤٩٧) مجموع الأعياد «Festkalender» (دورية الإسلام عدد ٢٧) ١٢/٢؛ ص١٠٠، البيت ٣٩؛ و٢٧٧/٢.

(٤٩٨) مروج الذهب، ج٣، ص ٣٦٢-٣٦٦؛ ونفس المرجع (تح پيلات، ج ٢، ص ٢٥٨، فقرة ١١٣٥).

(٤٩٩) البغدادي، ص ٢٥٢.

(٥٠٠) قارن في صدد مصطلح «الرضا من آل محمد» باعتباره تسمية تطلق على المهدي المنتظر مع:

T. Nagel, Untersuchungen zur Entstehung des abbasidischen Kalifates, Bonn 1972, 108 ff.

(٥٠١) في هذا الصدد:

F. Gabrieli, Al-Ma'mun e gli 'Alidi. Morgenländer. Texte und Forschungen II/1, Leipzig 1929; D. Sourdel, La politiue religieuse du caliphe 'abbāside al-Ma'mūn, in: REI 30 (1962), 27-48.

(٥٠٢) الكشي، رجال، ص ٤٨٢، س٢ وما يليه [=ط كربلاء، ص ٤٤٤].

(٥٠٣) إقرأ كما ترد لدى القمي: «عليهم» بدل «عليها». [وردت لدى النوبختي في ط النجف صحيحة: «عليهم». م. المترجم.]

(٥٠٤) مؤرخ إمامي قديم العهد أرخ للملل والفرق؛ راجع: «و. القاضي: The Development of the Term Ghulāt, S. 303 f.»

(٥٠٥) كان «الواقفة» [=الواقفون] تيار إمامي وقف في سلسلة الأئمة عند الإمام السابع موسى الكاظم. النوبختي، ص ٦٨ [ط النجف، ص ١٠٢]؛ والقمي، ص٩٠، فقرة ١٧٥، وص ٩٣؛ والكشي، رجال، ص ٤٥٥-٤٦٣ [ط كربلاء، ص ٣٧٦ وما يليها]؛ والأشعري، ص ٢٨.

(٥٠٦) لقد نقلت الجملة كذا لدى القمي خاطئة والصحيح كما ترد لدى الكشي، ص ٤٧٧ [ط كربلاء، ص ٤٠٦]: «فادعى أنه يقول بالتوقف على موسى بن جعفر».

(٥٠٧) كذا لدى القمي: «أرضي» أما لدى الكشي: «آدم»؛ على الأرجح أن الأصح: «آدمي»؟

(٥٠٨) راجع الحاشية ٥٠٥ أعلاه.

(٥٠٩) مصادر أخرى: الناشئ-«المزيف» (جعفر بن حرب)، أصول النحل، فقرة ٦٢؛ والقمي، ص ٦٠، فقرة ١١٦.

(٥١٠) قارن مع:

Massignon, Esquisse d'une bibliographie nusayrie (Op. min. I), 642,Paris, Bibl. nat. ar. 1450, fol. 114 b. طبقاً لمخطوط عربي مقيد في مكتبة باريس برقم ١٤٥٠، جلد ١١٤ ب

(٥١١) نوه إلى ذلك كل من ف. ماديلونغ، في دورية الإسلام، عدد ٣٨ لسنة ١٩٦٣، ص ١٨٠-١٨٢؛ و D. Marchal د. مارشال، في: IBLA 24 (1961), 196 f.

(٥١٢) صورة مستنسخة ترد في ذيل طبعة غالب.

(٥١٣) هكذا ماديلونغ، نفس المرجع؛ وخلا ذلك في خطاب شتروتمان إلى غالب.

(٥١٤) *الباكورة السليمانية*، ص ٣٢، س١، وص ٥٩، س ١٠، وص ٦١، س٧.

(٥١٥) نفس المرجع، ص ١٨١.

(٥١٦) ماسنيون، المرجع سالف الذكر، ص ٦٤٤، عدد ٥٢.

(٥١٧) هالم، كتاب الأظلة «Das Buch der Schatten» في دورية: الإسلام، عدد ٥٥ (١٩٧٨)، ص

٢١٩-٢٦٦؛ وعدد ٥٨ (١٩٨١)، ص ١٥-٨٦.

(٥١٨) الكشي، رجال، ص ٣٧٥، فقرة ٧٠٣ [ط كربلاء، ص ٣٢١]؛ هالم، كتاب الأظلة، ج١، ص٢٤١.

(٥١٩) النجشي، رجال، ص٢٣١؛ والطوسي، رُجال، ص ٢٨٨، عدد ١٦، وص ٣٦١، عدد ٣٩، وص ٢٨٦، عدد ٧، وص ٤٠٥، عدد ٣.

(٥٢٠) النجشي، نفس المرجع.

(٥٢١) الكشي، رجال، ص ٥٠٨، فقرة ٩٨١ [ط كربلاء، ص ٤٢٨].

(٥٢٢) قارن في هذا الصدد مع: هالم، كتاب الأظلة ١، ص ٢٣٦ وما يليها.

(٥٢٣) الفهرست، ص ١٩٧.

(٥٢٤) هـ ش ١، ص ٣٠؛ هـ ش ٢، ص ٣٧.

(٥٢٥) هـ ش: كذا «وعن الله عز وجل...»

(٥٢٦) كذا والصحيح «تُقلبون» بدل «ينقلبون».

(٥٢٧) أنظر ص ١٥١ وتاليتها.

(٥٢٨) كذا في هـ ش. [وفي هـ ش٢، م. المترجم]

(٥٢٩) الصحيح كما ورد في هـ ش: «الله» بدل «أنهو ربهو». [«أنهو ربهو annahū rabbuhū» كذا لدى د. هالم، م. المترجم].

(٥٣٠) هـ ش: «يسكت» بدلا عن «يسكن».

(٥٣١) هـ ش: «جعلها لباس الأظلة».

(٥٣٢) هـ ش: «أنبئهم من أي شيءٍ خلقوا فأنبهم».

(٥٣٣) ربما «هواء» بدلا عن «هو»؟

(٥٣٤) وردت في النسخ الأخرى: «مؤديا» والصحيح: «مؤدبا».

(٥٣٥) هـ ش: فهي سبع سموات و...

(٥٣٦) هـ ش: لكل أهل سماء نوراً في أعينهم...

(٥٣٧) هـ ش: ولكل روحٍ نورانيةٍ بدناً من نورٍ...

(٥٣٨) هـ ش: فاذا صعد نورٌ...

(٥٣٩) هـ ش: أهل كل سماءٍ سماءٍ...

(٥٤٠) الصحيح: «أضعفهم يقيناً» بدل: «نفساً»؛ حيث ترد في السياق التالي المباشر.

(٥٤١) ربما القراءة الصحيحة: لضعفهم يقيناً؟

(٥٤٢) وردت: «حتى» والصحيح: «حين».

(٥٤٣) هـ ش: «روحاً».

(٥٤٤) هـ ش: من الظلال إلى الشبح.

(٥٤٥) هـ ش: «له أسماء مختلفة، على قدر...»

(٥٤٦) هـ ش: «أضعف سماء الدنيا...»

(٥٤٧) هـ ش: «تقدم إلى المؤمنين...»

(٥٤٨) هـ ش: «أن يخلقوا... الخ».

(*) ورد لدى د. هالم، Die islam. Gnosis, S.258: (٣٣ / ٧) أي سورة الأحزاب الآية عدد ٧، إلا أننا وجدنا نص السورة مخالفاً في القرآن لما هو عليه مترجماً لدى هالم؛ والصحيح كما وجدنا السورة في كتاب الهفت الشريف من تحرير غالب، وفي نسخ أخرى، وهي مطابقة لما نقله د.هالم إلى اللسان الألماني. م. المترجم.

(٥٤٩) المخالفات غير موجودة في هـ ش.

(٥٥٠) هـ ش: «فلما رُكبوا في المسوخية سألوا بني آدم، قالوا: كيف خلق الله آدم وكيف خلق الأشياء»

(٥٥١) هـ ش: «لما» بدل «كيف».

(٥٥٢) هـ ش: «حين» بدل «حتى».

(٥٥٣) أنظر في صدد التمييز بين النسخ والمسخ في: ص ١٧٣ السالفة.

(٥٥٤) هـ ش: «ولا يحتاج إلى اقامة شيء منه، وعليه اقامة الظاهر ما دام لا يعرفها...»

(٥٥٥) هـ ش: «فسرتها» بدل «قرأتها».

(٥٥٦) هـ ش: «ويبلغ».

(٥٥٧) هـ ش: «وضع ديناً برأيه وقياسه».

(٥٥٨) وردت «فيها» والصحيح: «منها».

(٥٥٩) كذا في هـ ش.

(٥٦٠) وردت أفكاره والصحيح: «إنكاره».

(٥٦١) هـ ش: «فلما اختلطوا بالناس...»

(٥٦٢) قارن في صدد الجبانة مع ص ١٥ السالفة.

(٥٦٣) موقع بالقرب من المدينة؟

(٥٦٤) هـ ش: فوفق الرجل إلى...

(٥٦٥) قارن في صدد الأرواح مع الصفحات ٧٨ و ١٣١.

(٥٦٦) الصحيح كما وردَت في تحرير غالب: فتثبت في البدن...

(٥٦٧) هـ ش: «فحزن لذلك. فإذا رأيت الولد عند سقوطه تراه حزيناً فهذا أن ذلك من علامات الإيمان...»

(٥٦٨) وردت: النجوم الثاقبة، والصحيح: «النجوم الثابتة».

(٥٦٩) هـ ش: « تُفاضِلُ ».

(٥٧٠) تلي الترجمة من هنا وحتى النجمة عن مخطوط شتروتمان.

(٥٧٠) عمر بن سعد بن أبي وقاص، هو ابن فاتح العراق (أنظر ص ٦ و١٤)، كان قد أرسل من قبل عامل الكوفة عبيد الله بن زياد لمراقبة سير الحسين. وعليه تقع المسؤولية عن حمام الدم في كربلاء.

(٥٧٢) عامل الكوفة الأموي، كان عصيان الحسين موجهاً ضده.

(٥٧٣) هـ ش: « على معه » بدل « وغلامه ». [ننوه إلى أن ما ورد في تحرير تامر وخليفة وفي تحرير غالب نصه: « فاعلى الحسين وغلامه جبريل ». إلا أن ما هو موجود في مخطوط شتروتمان أكثر تناسقاً مع سياق الرواية، والذي مفاده أن جبرائيلَ ارتفع مع الحسين. م. المترجم]

(٥٧٤) هـ ش: « قلت: وفي أي وقت؟ قالا: « في ساعتك هذه. تحب أن يكلمك؟ ». قلت: أي والله ».

(٥٧٥) وردت كذا في هـ ش: « فطبعت ».

(٥٧٦) كذا في هـ ش.

(٥٧٧) أنظر في صدد أبي الخطاب ضمن ص ١٣٩ وما يليها؛ لم يتسنَّ التعرف على أبي الطيبات.

(٥٧٨) النوبختي، فرق، ص٧٦ وما يليها [ط النجف، ص١١٤-١١٥].

(٥٧٩) نفس المرجع، ص٧٧ [ط النجف، ص١١٦-١١٧].

(٥٨٠) نفس المرجع، ص ٧٩ [ط النجف، ص١١٩].

(٥٨١) نفس المرجع، ص٩٧ وما يليها [ط النجف، ص ١١٨ وما يليها]؛ والقمي، مقالات، ص ١٠٢ وما يليها.

(٥٨٢) هالم، كتاب الأظلة، ج١، ص ٢٣٦ وما يليها.

(٥٨٣) قارن خلق الأرض بسلمان وأصحابه في أم الكتاب، ضمن ص ١٢١ وما يليها.

(٥٨٤) قارن مع مصطلحات المفوضة، ضمن ص ١٦١ السالفة.

(٥٨٥) هالم، كتاب الأظلة، ج١، ص ٢٤٥ وما يليها.

(٥٨٦) الخطيب البغدادي، تأريخ بغداد، ج ٤، ص ٣٨٠، س ٧ وما يليه.

(٥٨٧) هالم، كتاب الأظلة، ج١، ص ٢٥٢ وما يليها.

(٥٨٨) المسعودي، مروج الذهب، تح بيلات « Pellat »، ج ٢، ص ٢٥٨، فقرة ١١٣٥.

(٥٨٩) الكشي، رجال، ط٢، ص ٥٣٠ [ط كربلاء، ص ٤٤٦].

(٥٩٠) الكليني، الكافي، ج١، ص٥٠٨-٥١٠؛ المفيد، إشراق، ط النجف ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، ص٢٤٢-٢٤٤.

(٥٩١) قارن التعاليم المطابقة لتعاليم الحسكية ضمن ص ١٩٤ أعلاه، التي تقتبس الآية القرآنية عينها كحجة. يعود الفضل علي في تخمين المفردة « معنى » بدل « يعني » إلى ميشائيل كوك « M. Kook ».

(٥٩٢) قارن تحول جبريل إلى أبي الخطاب: في « كتاب الأظلة »، ص ١٩٠ وما يليها.

(٥٩٣) ربما يقصد بذلك: الذي يتم أمراً حتى النهاية؟

(٥٩٤) يفترض أن علياً استخدم في حصار الواحة خيبر من قبل النبي، أثناء هجوم، درفة بوابة كدرع لم يقدر على حملها ثمانية رجال.

(٥٩٥) كذا والصحيح: « ينتئي عن» بدل « ينبيء عن».

(٥٩٦) يسمي البغدادي، فرق، ص ٢٥٢ [=ط دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص٢٣٩-٢٤٠]، النميرية بلا انقطاع مع الشعيرية / العليائية؛ أنظر أعلاه ضمن ص ١٥٧ وما يليها.

(٥٩٧) أنظر في صدده لدى: الكشي، رجال، ص ٣٠٢ و٥٥٤ [=ط كربلاء، ص ٤٢٧-٤٣٨]؛ ولويس ماسنيون،

« Les origines shi'ites de la famille vizirale des Banu'l Furat, Opera Minora I, 484 ff. »

(٥٩٨) الكشي، رجال، ص٥٢٠، فقرة ٩٩٩ [ط كربلاء، ص ٤٣٨].

(٥٩٩) هـ. هالم، « كتاب الأظلة » -« Die Mufaḍḍal-Tradition der Ġulāt und die Ursprünge des Nuṣairiertums أحاديث الغلاة عن المفضل وأصل النصيرية »، في دورية الإسلام، عدد ٥٥ لسنة ١٩٧٨، ص ٢١٩-٢٦٦؛ وعدد ٥٨، لسنة ١٩٨١، ص ١٥-٨٦.

(٦٠٠) أنظر في هذا الصدد: C. Cahen, Note sur les origines de la communauté syrienne des Nuṣayris, in: REI 38 (1970), 243-249.

(٦٠١) J. Weulersse, Le Pays des Alaouites, Tours 1940, I, 51 ff.

(٦٠٢) نفس المرجع، الخرائط ضمن ص ٥٩ و٣٧٠. و« E. Wirth, Syrien, Darmstadt 1971 » الخارطة رقم ٨ في ص ١٧٢.

(٦٠٣) فرت Wirth، سورية، ص ١٧٦؛ وتاب « Tab. » ١٧، في ص ٤٥٢.

(٦٠٤) ك.-پ. هرتمان « K.-P. Hartmann »، أبحاث في الجغرافيا الاجتماعية للأقليات المسيحية في الشرق الأوسط « Untersuchungen zur Sozialgeogaphie chr. Minderheiten im Vorderen Orient »، فيسبادن ١٩٨٠، ص ١٢٨ وما يليها؛ وتاب « Tab. » ١٧، في ص ١٢٦؛ لسنة ١٩٧٣: علويين وإسماعيليين وآخرين: حوالي تسعة آلاف نسمة = صفر فاصلة ثلاث بالمئة من مجمل السكان.

(٦٠٥) « Weulersse, Pays »، خارطة في ص ٥٨.

(٦٠٦) يقدم لويس ماسنيون في مقالة له في موسوعة الإسلام، ط١، عنوانها: « النصيريون Nuṣairī »، الأعداد التالية لسنة ١٩٢١: سنجق الإسكندرون ٥٨٠٠٠، وكيليكية ٨٠٠٠٠. وفي المقابل نقرأ في كتاب « تاريخ العلوية » الصادر لأول مرة في سنة ١٩٢٣، لكاتبه محمد أمين غالب: أنطاكية ١٢٠٠٠، والسويدية مع الحربية...الخ حوالي ٤٠٠٠٠، والإسكندرون وما حولها حوالي ٢٠٠٠٠ (لسنجق الإسكندرون إذاً ٧٢٠٠٠)، مدينة طرسوس ١٥٠٠٠ وفي قراها ١٥٠٠٠، ومدينة أضنة ١٧٠٠٠ وفي قراها ٢٠٠٠٠ (أذا لكيليكية ٦٧٠٠٠).

(٦٠٧) « Weulersse, Pays »، ج١، ص ٢٥٥ وما يليها؛ ومع الرسوم المماثلة في ج٢. وانظر كذلك في

مؤلف دوسّو «Dussaud» تاريخ وديانة النصيرية «Histoire et religion des des Noṣairîr»، ص ١٢٨ – ١٣٥ و١٥١ وما يليها.

(٦٠٨) أنظر في صدد تقسيم وتوزع العشائر إقليمياً: «Weulersse, Pays»، ج١، ص ٣٢٨ وما يليها، وبخارطتين مفصلتين. يلحق في تجمع الكلبية عدا الكلبية الحقيقيين: دراوسة «Darioussi»، وبيت الشلف، والنواسرة «Nouasra»، وقراحلة «Khralé»، وجردية «Jroud»، ورشاونة «Rechaouni»، جُليقية «Jelkié»، ورسلان.

(٦٠٩) محمد أمين غالب الطويل، تأريخ العلويين، ط٣ بيروت ١٩٧٩، ص ٤٢٨ وما يليها.

(٦١٠) «Weulersse, Pays»، ج١، ص ٣٢٩؛ خـارطة في ص ٣٣٠؛ وتأريخ العلويين، ص ٤١٢ – ٤١٥.

(٦١١) تأريخ العلويين، ص ٤١٦ – ٤٢٧؛ و«Weulersse, Pays»، ج١، نفس الموقع. يلحق ببيت الحداد كل من: مهابلة «Mehebé»، و«Rikaouni» (؟)، وبني علي، وبيت ياشوط (وليس ياكوت «Yakout» كما يرد لدى Weulersse)، وبشلاوي، وشمسين.

(٦١٢) عشائر أخرى: البشارغة «Bchargha»، والـ«Arajné» (؟) [= ربما: العراينة؟ م. المترجم]، وكذلك الصوارمة، (أنظر: ماسنيون، مقالة له في موسوعة الإسلام ط١، عنوانها: النصيريون).

(٦١٣) «Pays»، ج١، ص٣٣٢.

(٦١٤) تأريخ العلويين، ص ٤١٢.

(٦١٥) نفس المرجع، ص ٤٣٠ – ٤٣٣.

(٦١٦) في هذا الصدد: «Weulersse, Pays I, 117 ff.» و «Jacquot, L'Etat des Alaouites, 16 f».

(٦١٧) أنظر في صدد بدايات البحث في الديانة النصيرية لدى: ر. شتروتمان «R. Strothmann, Morgenländische Geheimsekten in abendländischer Forschung, Abh. d. Dt. Akad. d. Wiss. Berlin, Kl. f. Sprachen usw., Berlin 1953».

(٦١٨) دورية الهيئة الألمانية للمشرق، عدد ٣، لسنة ١٨٤٩، ص ٣٠٢ – ٣٠٩ «ZDMG 3, (1849), 302-309».

(٦١٩) «E. E. Salisbury, Notice of the Book of Sulimân's First Ripe Fruit...»، في: «JAOS 8 (1866)»، ص ٢٢٧ – ٣٠٨. ثمة نسخة عن الباكورة في مكتبة جامعة توبنغن برقم الإيداع: «Ci IX 177».

(٦٢٠) فهرس حتى عام ١٩٠٠ لدى دوسّو «Dussaud»، تأريخ وديانة النصيريين «Histoire et relion des Nosairîs»، باريس ١٩٠٠، ص XXIV وما يليها.

(٦٢١) نشرت في: «Das Ausdland 1872»، ص٥٥٣ – ٥٥٨.

(٦٢٢) نشرت في «ZDPV» عدد ١٤ لسنة ١٨٨٢، ص ١٥١ – ٢٥٥.

(٦٢٣) في «Etudes religieuses 1899» و في «Revue de l'Orient Chrétien» المجلد الأول، لسنة ١٨٩٩، ص ٥٧٢ وما يليها، ولسنة ١٩٠٠، ص ٩٩ وما يليها.

(٦٢٤) دوسّو، ص ٩ وما يليها، و١٤ و٥١.

(٦٢٥) الطبعة الثانية بيروت ١٩٦٦؛ الطبعة الثالثة بيروت ١٩٧٩.

(٦٢٦) جمعت في: ماسنيون، «Opera Minora»، بيروت ١٩٦٣، المجلد الأول.

(٦٢٧) في: «Mél. R. Dussaud II (1939)» ص٩١٣-٩٢٢. و«Opera minora I» ص ٦٤٠-٦٤٩.

(٦٢٨) «Nachr. d. Akad. d. Wiss. zu Göttingen, phil.-hist. Kl., Nr. 4 (1950), 29-64».

(٦٢٩) في:

Documenta Islamica Inedita (Festschrift R. Hartmann), ed. Fück, Berlin 1952, 173-187.

(٦٣٠) الاثنتان في:

Abh. d. Dt. Akad. d. Wiss. zu Berlin, Kl. f. Sprachen, Lit. u. Kunst 1952, Nr. 5 (Berlin 1953).

(٦٣١) نفس المرجع، «Jg. 1956, Nr. 4 (Berlin 1958)».

(٦٣٢) أنظر في هذا الصدد: شتروتمان، في «Oriens» عدد ١٢ لسنة ١٩٥٩، ص ٩٠، وصورة مستنسخة عن الكتابين المرسلين إلى م. غالب تردان في تذييل تحريره لكتاب الهفت.

(٦٣٣) مجموع الأعياد، سورة ١١ (الشهادة)، في: الباكورة السليمانية، ص ٢٧ [ط دار لأجل المعرفة، ص ٢٩]؛ لدى دوسّو ص ١٩٤.

(٦٣٤) هكذا كثيراً في تاريخ العلويين لمحمد أمين غالب؛ مثلا ص ٢٦١ من ط ٣.

(٦٣٥) شتروتمان، مجموع الأعياد «Festkalender» ١١٢/٧؛ ١١٥/٤؛ ٢٠٦/٦.

(٦٣٦) قارن مع: ماسنيون، «Bibliographie nusayrie»، عدد ١٦.

(٦٣٧) ابحث في معجم البلدان عن «الشرطة».

(٦٣٨) أنظر في هذا الصدد باسهاب: هالم، كتاب الأظلة، ج١، ص٢٥٧ وما يليها.

(٦٣٩) نفس المرجع، ص ٢٥٨-٢٦٠؛ وكذلك في صدد الاشتقاق الخاطئ للنسبة من المدينة الصعيدية المصرية، المنيا، أبو الخصيب. الطوسي، رجال، ص ٤٦٧؛ والطوسي، فهرست، ص ٨٢، عدد ٢٢٢: الحسين بن حمدان بن الخصيبي؛ والنجاشي، رجال، ط١، ص ٤٩ [ط٢، ص ٥٣].

(٦٤٠) تأريخ العلويين، ط٣، ص ٢٥٧-٢٥٩؛ إن التأريخ الأخير يرد لدى: الأسترابادي، منهج المقال، ص ١١٢/٢٣.

(٦٤١) ماسنيون، «Bibliographie»، ص ٦٣٢ وما يليها؛ وسيزغين «Sezgin, GAS I, 548»، تأريخ المدونات العربية، ص ٥٤٨.

(٦٤٢) تأريخ العلويين، ط٣، ص ٢٦٠؛ وهالم، كتاب الأظلة، ج١، ص ٢٦٠ وما يليها.

(٦٤٣) تأريخ العلويين، ط٣، ص ٢٦٢-٢٦٥؛ وهالم، كتاب الأظلة، ج١، ص ٢٦١-٢٦٣.

(٦٤٤) ماسنيون، «Bibliographie»، عدد ٤١-٥٧؛ وسيزغين «Sezgin, GAS I, 548»، تأريخ المدونات العربية، ص٢٨٤.

(٦٤٥) هالم، كتاب الأظلة، ج١، ص ٢٦٢.

(٦٤٦) يلي ملاحظات عن بعض خواص الفرقة الكلاّزية؛ قارن مع: دوسّو، ص ٩٦ وما يليها.

(٦٤٧) شتروتمان، مواضيع خاصة باطنة، فقرة ٦٤. Strothmann, Esoter. Sonderthemen, §64

(٦٤٨) نفس المرجع، الفقرات ٥٥ و٨٨.

(٦٤٩) دوسّو، ص٦٨، ٩٥، و١٦٨. شتروتمان: مخطوط مكتبة مدينة كيل العربي، جلد ١٩، ص ٣٤، «Hs. Kiel arab. 19, S. 34». وسليمان الأضني، الباكورة، ص١٨ و١٩ و٢٦.

(٦٥٠) Wollf, Katechismus, in ZDMG 3 (1849), 306.
سليمان الأضني، الباكورة، ص ٢٢ (= دوسّو، ص ١٧٢)؛ وشتروتمان، «Esoter. Sonderthemen, 16§».

(٦٥١) قارن مع «الجان ابن الجان» في أم الكتاب عدد ١٩٧ و ٢٠٠ وما يليه.

(٦٥٢) سليمان الأضني، الباكورة، ص ٦١؛ إن «عزَزائيل» مجرد خطأ مطبعي فقط. [تنويه من المترجم: لقد ورد في الباكورة السليمانية، ط دار من أجل المعرفة، ص ٦١، «عزرائيل؛ م. م].

(٦٥٣) شتروتمان، تناسخ الأرواح «Seelenwanderung»، ص ١٠٢.

(٦٥٤) إن سليمان الأضني مقتنع بعكس ذلك؛ الباكورة السليمانية، ص ٥٦؛ ٨٤/ ١.

(٦٥٥) مخطوط مكتبة مدينة كيل العربي ١٩، ما بعد جلد ١٩ «Hs Kiel arab. 19, fol. 19 f.».

(٦٥٦) سليمان الأضني، الباكورة، ص ٦٢ و٦٥.

(٦٥٧) فولف، كتاب تعليم ديانة النصيرية، ص ٣٠٣ وما يليها «Wolff, Katechismus 303 f.». دوسّو، ص٧٥ وما يليها. سليمان الأضني، باكورة، ص ١٧.

(٦٥٨) فولف، ص ٣٠٤ وما يليها، عدد ٢٢-٣١. مخطوط مكتبة كيل العربي ١٩، ما بعد جلد ١٣ «Hs. Kiel arab. 19, fol. 13». الباكورة السليمانية، ص ١٣ وما يليها.

(٦٥٩) أحد أتباع علي. يلعب في الأسطورة النصيرية دوراً سامياً سمواً بديعاً. أنظر شتروتمان، «Esoter. Sonderthemen, S. 18».

(٦٦٠) أحد أصحاب الأئمة الأربعة الأوائل؛ الكشي، رجال، ط٢، ص ٧٥ وما يليها؛ الطوسي، رجال، ص ٤١، ٦٧، ٧٣، و٨٩.

(٦٦١) كان أحد أتباع محمد بن الحنفية، ثم، كما يزعم، ذهب إلى الإمام الرابع علي زين العابدين ليتبعه. الكشي، رجال، ط٢، ص ١٢٠ وما يليها؛ الطوسي، رجال، ص ١٠٠. وكذلك يذكر في أم الكتاب عدد ٢٥٨ و ٢٦٦ بصفته أحد سُماع الباقر.

(٦٦٢) أحد اتباع الإمام الرابع علي زين العابدين؛ الكشي، رجال، ط٢، ص ١٢٣ وما يليها؛ الطوسي، رجال، ص ١٠١.

(٦٦٣) أعدم كزنديق في سنة ٢٠٢ أو ٢٠٣هـ/ ٨١٧-٨١٩م؛ الأسترابادي، منهج المقال، ص ٣١٤،

وص ٢٥٠ وما يليها، و ٣١٤.

(٦٦٤) سليمان الأضني، الباكورة، ص٣٣ / ٧؛ دوسّو، ص ١٩٨.

(٦٦٥) ڤولف، كتاب تعليم ديانة النصيرية، عدد ٦٦ «Wolff, Katechismus Nr. 66».

(٦٦٦) الاسم الكامل في حاشية التذييل فيما يلي ظهر جلد ١١١ (111v.). وورد خطأً في فهرسة ماسنيون رقم ٤٦ . أنظر في صدد عشيرة المحارزة القاطنة في منطقة القدموس: ص ٢٠٢ أعلاه. وفي تاريخ العلويين، ط٣، ص ٤٣٠ وما يليها.

(٦٦٧) راجع كذلك في صدد النص: دوسّو، تاريخ «Histore»، صXX وما يليها، عدد ١١؛ وكذلك التحقيق الجزئي مع الترجمة، ص ١٠٧ وما يليها.

(٦٦٨) دوسّو، صXIV وما يليها.

(٦٦٩) دوسّو، ص ١٦١–١٧٩.

Salisbury in Jornal of the American Oriental Society 8 (1866), 234-263.

(٦٧٠) الصحيح: «بلقبه» بدل «بقلبه».

(٦٧١) الصحيح: «المشبهية» بدل «الشنبوية».

(٦٧٢) إشارة بلا مغزى إلى القرآن، سورة ٤ :٥٨ (وليس ٢٤ :٢٧ كما ينوه دوسّو في ص ١١٠).

(٦٧٣) إن ما يلي غير مفهوم: «على صدق مبلغهي»؟.

(٦٧٤) يرد في المخطوط «سار» مراراً وتكراراً بدل «سر».

(٦٧٥) الصحيح: «وإن حضر من لم يحضر التعليق فلا فيه بأس أن يُقلدوا الحاضرين ليشهدوا على شهادتهم».

(٦٧٦) نصيري ذو مكانة وسلطان من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي (؟)؛ أنظر: ماسنيون، الفهرسة «Bibliographie, Nr. 27»، عدد ٢٧؛ و«Sezgin, GAS I, 584».

(٦٧٧) أنظر في هذا الصدد:

L. Massignon, La mubâhala de Médine, in: Opera minora I, 550 ff; Strothmann, Die Mubāhala, in: Der Islam 33 (1958).

(*) كذا في المجموع، ص ١٦٤ (أي عدد ٢٩٣)، تح ر. شتروتمان، المجلد ٢٧ من مجلة «الإسلام»، هامبورغ ٤٤–١٩٤٣ . وردت لدى د. هالم: «عبادة بن المعلى... ‘Ubāda ibn al-Mu‘allā». م. المترجم.

(٦٧٨) الأنصار: هم مسلمو المدينة إذ يميزون عن مسلمي مكة المسمّين بالمهاجرين.

(٦٧٩) موضع يقع جنوب واحة المدينة؛ أقام فيه النبي أول إقامة له بعد الهجرة.

(٦٨٠) صنمان مذكوران في القرآن (سورة النساء: ٥١)؛ يعتبران لدى الغلاة اسمين مستعارين لأبي بكر وعمر.

(٦٨١) كذا في المجموع، تح شتروتمان، والصحيح: «صرير الحبل» بدل «صرير الجبل».

(٦٨٢) إن أسماء ملوك الفرس ترد خطأ في المخطوطات؛ إذ يمكن الاستدلال على مدلولاتهم الأصلية

بالاعتماد على التشابه في شكل الكتابة المعجومة (غير المنقطة).

(٦٨٣) «آس بهمـاني»؛ آس: مفردة فارسية/عربية تعني «Myrte» ريحان/آس، وبهماني «Schneeglöckchen» زهر الثلج.

(٦٨٤) خطأ لدى الطبراني: ليس اسم «الآس» هو الذي يعني بالفارسية «لون النار» إنما الـ«اذرگون» الوارد في مجموع الأعياد بالصيغة: «الآذريون».

(٦٨٥) خمسمائة بين الأيتام الخمسة والعشرين من أصحاب علي التاريخيين المبجلين من قبل النصيريين؛ قارن مع: شتروتمان، المخطوط العربي في مكتبة مدينة كيل ١٩، جلد ١٢ يسار.

(٦٨٦) إن هذه الملاحظة تتفق والترجمة الألمانية عن الأصل العربي، وليست ضرورية هنا إذ أن النص الذي بين يدينا هو الأصل العربي، لذا عملنا على تركها بلا ترجمة والإبقاء على موقعها في متن الكتاب. م. المترجم.

(*) لقد قرأ د. هالم، «Die islamische Gnosis»، ص ٣٣٨، مفردة «معين» بالصيغة «معنى Ma'nā» كذا، م. المترجم.

(٦٨٧) «المرثية الأنزعية»؛ إن «الأنزع البطين» اسم مستعار يستخدم مرارا وتكرارا لدى النصيرية لعلي إذ تواترت عنه هذه المعالم.

(٦٨٨) على الأرجح أن تكون هذه إشارة للمعجزة التي – طبقاً لمجموع الأعياد ٣١٩ وما يلي – أتىٰ بها ابن نصير في بياض الصين، (أنظر ص ٢٢٤).

(٦٨٩) يتم تغيير الخاموس المتواتر عن المخمسة (أنظر ص ١٥٣) من قبل النصيريين: إذ يوضع في مكان علي الذي يعتبر المعنىٰ الإلهي ولا يعد في الخاموس، ابناً ثالثاً (إلى جانب الحسن والحسين) لعلي اسمه «محسن» لم تضعه فاطمة لأن عمر قتله وهو في رحمها حينما أراد دخول بيت علي بالقوة ليجبره على مصالحة أبي بكر. عن تاريخ العلويين، ط ٣، ص ١٤٥؛ والباكورة السليمانية، ص ٢١. أما الخاموس فهو إذا إظهار للذات لا يشمل المعنىٰ، إنما الاسم محمد. أنظر في هذا الصدد: شتروتمان، مجموع الأعياد، ص ٤ و٥.

(٦٩٠) «أمير النحل»: ترد هذه التسمية بصورة اعتيادية لعلي بدلا عن أمير المؤمنين. أنظر في صدد المقصود بهذه التسمية المستعارة ضمن ص ١٤٥.

(٦٩١) ذكرا لزي دولة بني العباس المكروهين.

(٦٩٢) الأعداء البارزون للشيعة؛ أبو بكر، وعمر، وعثمان: الخلفاء الثلاثة الأوائل. هم من وجهة النظر الشيعية الذين نحوا عليا عن السلطة الشرعية. طلحة: كان خصما لعلي في حرب الجمل بالقرب من البصرة. سعد بن أبي وقاص: فاتح العراق (أنظر ضمن ص ١٤)، شارك في مبايعة عثمان الخلافة (أما سعيد فهو مجرد مفردة موزونة طباقا لسعد). خالد: قائد جيش عربي إبان خلافة أبي بكر وعثمان. معاوية ويزيد: هما أول خليفتين أمويين، كان معاوية خصما لعلي في الحرب الأهلية، ويزيداً اعتبرته

الشيعة مسؤولاً عن قتل الحسين إبان خلافته. الحجاج هو أفتك وأطغىٰ وُلاة بني أمية على الكوفة. عبد الملك وهارون: الأول خليفة أموي والثاني عباسي.

(٦٩٣) إن الاثنين هما رؤوس الفرقة الاسحاقية؛ أنظر في صدد اسحق ص ١٩٥ وما يليها؛ أما في صدد اسماعيل بن خلاد البعلبكي فانظر: تأريخ العلويين، ط٣، ص ٢٦٢ وما يليها؛ وهالم، كتاب الأظلة، ج١، ص ٢٥٣.

(٦٩٤) إن بعضهم صوفيون معروفون وأولياء شعبيون أصبحت أضرحتهم مزارات يحج لها الحجيج: فيقع مزار البدوي (ت ٦٧٥هـ/١٢٧٦م) في طنطا في دلتا النيل؛ ومزار الرفاعي (ت ٥٧٨هـ/١١٨٣م) بالقرب من واسط في العراق؛ ومزار الدسوقي (ت حوالي عام ١٣٠٠م) في الدسوق في دلتا النيل؛ ومزار الجيلاني (ت ٥٦١هـ/١١٦٦م) في بغداد.

(٦٩٥) إن اسمه الصحيح هو: جُلَندى بن كركر، وهو ملك أُسطوري حكم اللاذقية؛ يناظر من قبل النصيريين مع الملك الطاغية المذكور في القرآن في الآية عدد ٧٩ من سورة الكهف، الذي كان سائرا في البحر في أثر سفينة الفقراء يطاردهم. عن شتروتمان، مواضيع باطنة، فقرة ٨٨ «Esoter. Sonderthemen»؛ وابن بطوطة، تح «Defrémery/Sanguinetti»، ج١، ص ١٧٩؛ «trad. Gibb I, 113».

(٦٩٦) يعتبر هنا قيدار – المذكور في التوراة (سفر التكوين عدد ١٣:٥)– بأنه هو ذلك الذي عقر ناقة النبي القرآني الأسطوري صالح (القرآن، الأعراف: ٧٣ وما يليها).

(٦٩٧) شخصية خرافية في التراث الماروني؛ يُزعم بانه أول أب للكنيسة المارونية (٦٨٠م– ٧٠٧م). ابحث في «Lex. f. Theol. u. Kirche» موسوعة اللاهوت والكنيسة» عن **المارونية**.

(٦٩٨) شخصية من التراث الإسلامي الشعبي المتواتر، ربما أصله إله نباتي (فالماضي الثلاثي خَضَرَ يعني «التخضير»)؛ يُناظر في سورية مرارا وتكرارا مع القديس جورج، ويُبجل من قبل النصيريين في العديد من الأماكن المقدسة؛ دوسّو، ص ١٢٨؛ ويلورس، ص ٢٥٦–٢٥٧.

(٦٩٩) إن اسكندر المقدوني يعتبر لدى النصيريين النبي اسكندر وهو كذلك جزء من طقوسهم. دوسّو، ص ١٣١؛ ويلورس، نفس المصدر. وهو طبقاً للباكورة، ص ١٦ وما يليها، مثله كمثل الخضر واحد من تجسدات الاسم التي لا يحصى عددها.

(٧٠٠) جعفر الطيار هو أخو علي، جعفر بن ابي طالب الذي نما له، طبقاً لما ترويه الأسطورة، جناحان إبان موته في معركة مؤتة، عرج بهما طائرا إلى السماء. فمن هنا لقب بذي الجناحين. هو جدّ الثائر الكوفي عبد الله بن معاوية الطيار (ص ٤٧ وما يليها أعلاه) الذي سمي أصحابه لذلك السبب بـ«الجناحية». عن مقالة في موسوعة الإسلام، ط٢ «EI^2» بعنوان: جعفر بن أبي طالب، بقلم «Veccia Vaglieri»؛ يبجل مزاره في منطقة النواسرة شمالي الجبل. عن: دوسّو، ص ١٥١.

(٧٠١) حبيب النجار، هو حبيب العطار، بعينه المذكور أعلاه في ص ٢٤٠ أعلاه.

(٧٠٢) على الأرجح أن كل أولائك أولياء نصيريين محليين؛ أنظر في هذا الصدد: القائمة (غير

التامة) والخارطة لدى ويلورس «Weulersse»، ص ٢٥٦ وما يليها؛ ودوسّو، ص ١٥١ وما يليها. أما «الشيخ علي في الصنوبر» فمن المرجح انه يشير على كل حال إلى إحدىٰ طقوس الأشجار المنتشرة. ويظهر الميثم (ميثم الثمار) بصفته راوياً في أحد الأخبار في «تناسخ الأرواح»، ص ٩٨، لشتروتمان.

(٧٠٣) قارن مع الملاحظة ٥٩٤ أعلاه.

(٧٠٤) إشارة إلى الآية الأولى من سورة القلم حيث تبدأ بحرف النون.

(٧٠٥) إن آصاف بن برخيا، الوزير الخرافي لملكة سبأ، واحد من تجسدات المعنىٰ السبعة؛ أنظر ص٢١٣ أعلاه.

(٧٠٦) سلاطين نصيريون وأولياء محليون. يبدو ان الشيخ حسن ماسك من فرقة «وطًا» العوجة هو ذاك الشيخ حسن بالعوجة (Bilaoudjè; Dussaud 151) الذي يبجل في وادي العاصي بالقرب من انطاكية. اما حسن الأجرود من عنة الواقعة على الفرات (توفى عام ٨٣٦هـ/١٤٣٢م) فهو مؤلف نصيري معروف (ماسنيون، الفهرسة Bibliographie عدد ٣٩). وكذلك علي بن منصور الصويري (كَتَبَ سنة ٧١٤هـ/١٣١٤م)؛ نفس المرجع، عدد ٣٤. وأما الباقون فلا يتسنىٰ التعرف عليهم.

(٧٠٧) إن شَبّر وشُبَير طبقاً للاخبار الإمامية هي الأسماء التي كان علي عازم في الأصل على منحها لولديه الحسن والحسين (حسب أبناء هارون). الشيخ المفيد، إرشاد، تح الميماوي، طهران ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م، ص ١٧٩-١٩٠. إلا أن المقصود أعلاه هم أبناء علي الثلاثة: الحسن والحسين والمحسن (راجع الملاحظة ٦٨٩).

(٧٠٨) إشارة إلى الأسطورة القائلة بإحياء الفتى الميت من قبل ابن نصير؛ مجموع الأعياد، ص ٣٢٣؛ انظر ضمن ص ٢٢٤ أعلاه.

(٧٠٩) إن المعنىٰ، أي علي حسب المعتقدات النصيرية، تمت مبايعته ثلاث مرات سراً قبل البيعة الأولىٰ العلنية عند غدير خمّ: مرة في «دار الخيزران»، أي في الدار التي ولد فيها النبي محمد والتي حُوّلت فيما بعد من قبل الخيزران، زوجة الخليفة المهدي، إلى مسجد؛ ومرة بايعه الملاك «رضوان» ومرة بايعته أم سلمى وهي إحدى زوجات النبي التي يقدسها النصيريون باعتبارها باباً («أم العلويين»؛ أنظر شتروتمان، المخطوط العربي في مكتبة مدينة كيل ١٩، ظهر جلد ١٣ fol. 13 v). وأنظر في صدد البيعات: تأريخ العلويين، ط٣، ص ١٢٤ (إلا انه ليس صحيحاً تماماً).

(٧١٠) تتواجد هذه الترنيمة في ديوان الخصيبي، مخطوط مكتبة مدينة مانشستر، متكررة لمرتين بنصين مختلفين: جلد ٨٣ ظهر الصفحة و ١١٩ظهر الصفة حتىٰ وجه الصفحة ١٢، fol. 83v und 119v-120r.

(٧١١) يرد في مخطوط مكتبة منشستر «ما هو» لمرتين بدل «منه» الواردة في الباكورة.

(٧١٢) الطيلسان: عباءة تشبه الشال. [لباس أخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء وهو في أصله من أزياء العجم. م. المترجم].

فهرس الاختصارات المستخدمة

AION Annali dell'Istituto Orientale di Napoli
EI[1] Enzyklopaedie des Islam, Leiden/Leipzig 1913-38
EI[2] Encyklopaedia of Islam, New Edition, Leiden 1954 ff.
GAL Brockelmann, Geschichte der arabischen Literatur[2], Leiden 1943-49
GAS Sezgin, Geschichte des arabischen Schrifttums, Leiden 1967 ff.
HA[1] Kitāb al-haft wal-aẓila, ed. Tamer/Khalifé, [2]Beirut 1970

هـش١ كتاب الهفت والأظلة، تح تامر وخليفة، ط٢ بيروت ١٩٧٠

HA[2] Kitāb al-haft aš-šarīf, ed. Ghālib, Beirut 1964

هـش٢ كتاب الهفت الشريف، تح غالب، بيروت ١٩٦٤

HS Kitāb al-haft wal-aẓilla, Handschrift Strothmann

هـش كتاب الهفت والأظلة، مخطوط شتروتمان

JA Journal Asiatique
JAOS Journal of the American Orientl Society
JRAS Journal of the Royal Asiatic Society
REI Revue des Etudes Islamiques
ROS Rivista degli Studi Oriental
UK Umm al-Kitāb, ed. Ivanow

أك أم الكتاب، تح إڤانوف

ZA Zeitschrift für Assyriologie
ZDMG Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft
ZDPV Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins

المراجع

لقد أدرجنا في هذا الثبت الدراسات الباحثة في الغلو بحثاً عميقاً فقط.

Cahen, Claude: Note sur les origines de la communautè syrienne des Nusayris. In: REI 38 (1970), 243-249.

Catafago, Joseph: Notice sur les Ansériens. In: JA, IVᵉ sér., 11 (1848), 149-168.

-Lettre à M. Mohl sur la secte des Ansariès. In: JA, IVᵉ sér., 12 (1848), 72-78; 485-493.

-[Nuṣairische Bibliographie mit 40 Titeln; Breif an den Präsidenten der Société Asistiqu]. In: JA, VIIᵉ sér., 8 (1876), 523-525.

- Die drei Messen der Nussairier. In: ZDMG 2 (1848), 388-394.

Corbin, Henri: De la Gnose antique à la Gnose ismaélienne. In: Convegno di scienze morali storiche e filologiche 1956 (Acc. Naz. dei Lincei), Rom 1957, 105-150.

Dussaud, René: Histoire et religion des Noṣairîs. Paris 1900.

Filippani-Ronconi, Pio: Note sulla soteriologia e sul simbolismo cosmico dell«'Ummu'l-kitāb». In: AION 14 (1964), 111ff.

-Ummu'l-kitāb (ترجمة ايطالية). Neapel 1966.

- The Soteriological Cosmology of Central Asiatic Ismāʿīlism. In: S. H. Nasr (ed.), Ismāʿīlī Contributions to Islamic Culture, Teheran 1977, S. 101-120.

Friedlaender, Israel: ʿAbdallāh b. Saba', der Begründer der Šiʿa, und sein jüdischer Ursprung. In: ZA 23 (1909), 296-327; 24 (1908), 1-46.

Guyard, Stanislas: Le fetwa d'Ibn Taïmiyyah sur les Nosairis. In: JA, VIᵉ sér., 18 (1871), 158-198.

Halm, Heinz: «Das Buch der Schatten». Die Mufaḍḍal-Tradition der Ġulāt und die Ursprünge des Nuṣairiertums. In: Der Islam 55 (1978), 219-266; 58 (1981), 15-86.

Hodgson, Marschall G. S.: How did the Early Shīʿa become Sectarian? In: JAOS 75 (1955), 1-13

-Artt. Ghulāt; Bayān b. Samʿān al-Tamīmī, in: EI².

Huart, Clément: La poésie religieuse des Noṣairīs. In: JA, VII[e] sér., 14 (1879), 190-261.

Ivanow, Wladimir: Notes sur l'Ummu'l-kitāb des Ismaéliens de l'Asie Centrale. In: REI 6 (1932), 419-481.

-Ummu'l-kitāb (نص فارسي). In: Der Islam 23 (1936), 1-132.

Kremer, August v.: Die Heidengemeinde der Noṣairyer im nördlischen Syrien und Cilicien. In: Das Ausland 1872, 553-558.

Lammens, Henri: Les Noṣairîs. Notes sur leur histoire et leur religion. In: Etudes religieuses 1899.

-Au pays des Noṣairis. In: Revue de L'Orient chrétien 4 (1899), 572-590, und 5 (1900), 99-117; 303-318; 423-444.

Une visite au Šaiḫ suprême des Noṣairīs Ḥaidarīs. In: JA, XI[e] sér., 5 (1915), 139-159.

Longrigg, S. H.: Syria and Lebanon under French Mandate, Beirut 1968.

Massignon, Louis: Opera minora ,

(ج ي. مبارك)في ثلاثة مجلدات، ط بيروت ١٩٦٣ .

- Salmân Pâk et les prémices spirituelles de l'Islam iranien. In: Soc. d'Et. Iraniennes, Cahier 7 (1934); Op. min. 1, 484 ff.

-Les origines shî'iteṣ de la famille vizirale des Banu'l-Furāt. In: Mél. Gaudefroy-Demombynes, Kairo 1935-1945, 25-29 (Op. min. 1, 484-487).

-Die Ursprünge und Bedeutung des Gnostizismus im Islam. In: Eranos Jahrbuch 1937, 55-77 (Op. min. 1, 499-513).

- Recheches sur les Shi'ies extémistes à Bagdad à la du troisième siècle de l'Hégire. In: ZDMG 92 (1938), 378-383 (Op. min. 1, 523-526).

- Der gnostische Kult der Faṭima im schiitischen Islam. In: Eranos Jahrbuch 1938, 161-173 (Op. min. 1, 514-522).

- Esquisse d'une bibliographie Nusayrie. In: Mél. R. Dussaud 2 (1939), 913-922 (Op. min. 1, 640-649).

- La Mubâhala de Médine et l'hyperdoulie de Fâtima. In: Ann. de l'Ecole des Hautes Etudes 1943; Paris 1955 (Op. min. 1 550-570).

- Les Nusayris. In: L'élaboration de l'Islam, Colloque de Strasbourg. Paris 1961, 109-114 (Op. min. 1, 619-624).

- Art. Nuṣairī. In: EI[1].

Moscati, Sabatino: Per una storia dell'antica Šī'a. In: ROS 30 (1955) 251-267.

– القاضي، وداد : الكيسانية في التاريخ والأدب، بيروت ١٩٧٤ .

- The Developmrnt of the Term Ghulāt in Muslim Literature with Special Reference to the Kaysāniyya. In: Akten des VII. Kongresses für Arabistik und Islamwissenschaft, Göttingen 1974 (Hrsg. A. Dietrich), Abh. der Akad. der Wiss. in Göttingen, Göttingen 1976, 195-319.

Salisbury, Edward E.: Translation of an Unpublished Arabic Risâleh by Khâlid ibn Zeid (الصحيح : جابر بن يزيد) el-Ju'fy. In: JAOS 3 (1852), 165-193.

- Notice of Kitāb al-Bākūra as-Sulaimānīja ..., The Book of Sulaimân's First Ripe Fruit, Disclosing the Mysteries of the Nusairian Religion, by Sulaimân 'Effendi of 'Adhanah: with Copious Extracts. In: JAOS 8 (1866), 227-308.

– السامرائي، عبد الله سلوم : الغلاة والفرق الغالية، بغداد ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

Strothmann, Rudolf: Drusenantwort auf Nuṣairī-Angriff. In: Der Islam 25 (1939), 272 ff.

- Festkalender der Nuṣairier (مجموع أعياد النصيريين). In: Der Islam 27 (1944-46).

-Die Nuṣairī im heutigen Syrien. In: Nachr. der Akad. der Wiss. zu Göttingen, phil.-hist. Kl. Nr. 4 (1950), 29-64.

- Esoterische Sonderthemen bei den Nuṣairī. Abhandlung der Deutschen Akad. der Wiss. zu Berlin, Kl. für Sprachen, Lit. und Kunst 1956, Nr. 4.

- Die Nuṣairī nach Ms. arab. Berlin 4291. In: Documenta Islamica Inedita, Berlin 1952, 173-187.

- Morgenländische Geheimsekten in abendländischer Forschung. In: Abhandlung der Deutschen Akad. der Wiss. zu Berlin 1952, Nr. 5.

- Die Handschrift Kiel arab. 19. In: Abhandlung der Dt. Akad. der Wiss. zu Berlin 1952, Nr. 5. (مخطوط مدينة كيل العربي، جلد١٩).

- Die Mubāhala in Tradition und Liturgie. In: Der Islam 33 (1958), 5-29.

- Seelenwanderung bei den Nuṣairī. In: Oriens 12 (1959), 89-114.

– تاريخ العلويين، انظر الطويل .

– الطويل، محمد امين غالب : تاريخ العلويين، ط١ اللاذقية ١٩٢٤؛ ط٢ بيروت ١٩٦٦؛ ط٣ بيروت ١٩٧٩ .

Tijdens, E. F.: Der mythologisch-gnostische Hintergrund des «Ummu'l-kitāb». In: Acta Iranica VII (1977), 241-526.

Tucker, William F.: Bayān bin Sam'ān and the Bayāniyya: Shī'ite Extremists of Umayyad Iraq. In: Muslim World 65 (1975), 241-253.

- Rebels and Gnostics: al-Muġīra ibn Sa'īd and the Muġīriyya. In: Arabica 22 (1975), 33-47.

- Abū Manṣūr al-'Ijlī and the Manṣūriyya: a study in medieval terrorism. In: Der Islam 54 (1977), 66-76.

- 'Abd Allāh ibn Mu'āwiyya and the Janāḥiyya: Rebels and Ideologues of the late Umayyad Period. In: Studia Islamica 51 (1980), 39-57.

- أم الكتاب: انظر Filippani-Ronconi «فيليباني–رونكيني» و «إڤانوف» Ivanow

van Dam, Nikolaos: The Struggle for Power in Syria. Sectarianism, Religionalism and Tribalism in Politics, 1961-1980. ²London 1980.

Vaumas, E. de: Le Djebel Ansarieh. Etudes de Géographie humaine. In: Revue de Géographie Alpine 48 (1960), 289 ff.

Weulersse, Jacques: Le Pays des Alaouites. (يقع في مجلدين), Tours 1940.

Wolff, Philipp: Auszüge aus dem Katechismus der Nussairier. In: ZDMG 3 (1849), 302-309.

فهرست

(١) مسرد بأعلام الرجال والنساء والفرق

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(غ)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(و)

(٢) مسرد بالمصطلحات العربية والفارسية

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(هـ)

(و)

(ي)

فهرست موضوعات الكتاب

هذا الكتاب

يمكن تعريف الغلو كديانة قائمة بذاتها، بأنها ديانة الناس البسطاء، الحدادين والحاكة، تُجار الحبوب وباعة التبن من أهل الكوفة، البقالين والصيارفة من أهلِ كُناسة، الفلاحين ومربيَ النحل في جبال العلويين. هم يعوضون ما يعوزُهم من المهارة الفقهية والصقل الأدبي بخيالهم الذي لا يُفنى وميلهم المستحب إلى الخرافات التي سوف تواجهنا في الأقاصيص ذات السمات الخرافية. إنها ديانة المنبوذين والمُعوزين الذين لم يُشاركوا في الحكم السياسي مطلقاً، ديانة من بَخَّرت الثورة العباسية أحلامهم بانقلاب قريب وبسيادة العالم، ليغدوا بعد ذلك منشغلين بنهاية العالم.



